CRITICAL STUDY OF

Arabic Eulogies of Prophet Mohammad (P.B.H.) Composed In INDIA

Dr. Md. Sadrul Hasan Nadvi Madni

Asian Computers (Md. Sajid Katib), Juna Bazar, A'bad. Tel. 2363765

المدائح النبوية في الهند

تقديم

سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

الرئيس العام لندوة العلماء - لكناؤ (الهند)

الدكتور محمد صدر الحسن الندوي المدني

إهداء
إلى عبد الرحمن القاسمي

بسم الله الرحمن الرحيم

المدائح النبوية في الهند

الجزء الأول

تقديم

سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

الرئيس العام لندوة العلماء بلكناؤ (الهند)

الدكتور محمد صدر الحسن الندوي المدني

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ — ٢٠٠٧م

عنوان الكتاب : المدائح النبوية فى الهند باللغة العربية
CRITICAL STUDY OF ARABIC EULOGIES
OF PROPHET MOHAMMAD (P.B.H.)
COMPOSED IN INDIA

تاليف : الدكتور محمد صدر الحسن الندوى المدنى

الكتابة : ايشين كمپيوترس (محمد ساجد كاتب) أورنك اباد

المطبع : اوميه پريس ، أورنك اباد

ثمن النسخة : Rs. 350/-

الناشر

معهد الدراسات الإسلامية

دار السلام ، ٦٣ عارف كالونى
أورنك آباد ، مهاراشترا (الهند)

يطلب الكتاب من :

Dr. Md. Sadrul Hasan Ndavi Madni
Darussalam, Plot. No. 63, Arif Colony,
Aurangabad. Pin. 431001 (M.S.) India.
Mobile : 9423153573

إهداء

إلى

ندوة العلماء

التي غرست في قلبي شغفاً بلغة القرآن الكريم وربّتني على العقيدة الإسلامية الصافية النقية من الشوائب والبعيدة عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وحدّدت لي طريقاً واضحاً ومنهجاً فذّاً فيما اختلف فيه السلف من مذاهب وآراء ، منهج التحقيق والتطبيق وإحسان الظن بهم والتماس العذر لهم وترجيح ما هو أوفق بالكتاب والسنة وأقرب إلى جمع الشمل وأبعد عن الفرقة والتنافر وأقرب إلى مصلحة الإسلام الإجتماعية وعلّمتني في خوض معترك الحياة . الأخذ بمبدأ الوسطية في الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع مع الرسوخ في العلم والتصلب في الدين والتمسك بالكتاب والسنة والمحافظة على حقيقة الإسلام وروح الشريعة .

المؤلف

تقديم الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم: سماحة الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى
الرئيس العام لندوة العلماء بلكناؤ (الهند)

الحمد لله والصلوة والسلام على سيدنا رسول الله خاتم النبيين محمد بن عبدالله الأمين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وبعد:

فان شخصية الرسول شخصية إنسانية فريدة جامعة للخصائص العليا للكمال الإنساني وللصفات الأسمى من الجمال البشري مع طبيعة نورانية كريمة، ثم وقوع اختيار الله عز وجل عليه لمقام سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين، فأحبه الناس حباً لا نظير له، واتبعوه اتباعاً فيه إمتثال لأمره وفداء لمقامه بأنفسهم وأرواحهم، وأبدوا تقديرهم له بعاطفة متيم ولهان فى حبه ، وأمر الله تعالىٰ أيضًا عباده المؤمنين بحبهم له، بل جعل حبه للمؤمنين تكميلاً لإيمانهم، وجاء ذكره فى كلام الرسول صلى

الله عليه وسلم وهو الذي قال الله تعالىٰ عنه: ﴿ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم: ٤) فإنه قال: "لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" ـ وعمل بذلك المؤمنون ، ويدل على ذلك ما قاله الصحابي الجليل سيدنا حسان بن ثابت الأنصارى ، وهو شاعر الرسول ﷺ :

فان أبى و والده وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء

وقال:

وأحسن منك لم تر قط عينى	وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب	كأنك قد خلقت كما تشاء

ثم سار المؤمنون على هذا الخط السامي الجليل بحبهم للرسول ﷺ وبمديحهم له، بذل الشعراء جهدهم المستطاع فى أدائهم الشعري معبرين عن هذا الحب، وكان شعرهم فى ذلك يدخل أساساً فى غرض المديح ، ولكنه يختلف عن المديح العام الذى يقدمه شاعر من الشعراء فى قصيدته بين يدي ملك من الملوك ، أو بين يدي رجل سري من أسرياء عهده ، أوأمام شخصية من الشخصيات النابهة ، فإن المديح الذى يقرضه الشعراء فى حب الرسول ﷺ يحمل ميزة خاصة ، وهو أنه يكون متضمناً لمعانى المديح وبعض معانى النسيب فى وقت واحد، فكأنه غرض مركب من المديح وبعض معانى النسيب ، فلذلك قد لا نكون مصيبين إذا سميناه بالمديح وحده، كما أنه ليس من الصواب أيضًا أن نصفه بالنسيب فى معناه المعروف عامة، لأن المديح العام يكون لدى الشعراء متضمناً لإطراء كاذب ومبالغة زائدة ، ويتضمن النسيب العام لدى الشعراء بصورة عامة عواطف فيها إباحية ومتعة مادية

، أما هذا المديح الكريم الذى يصدر من صاحبه للرسول ﷺ فإنه يكون تعبيرًا عن الحب المثالى والفداء النزيه الكريم ، وهو مختلف فى طبيعته عن المديح الذى يطرقه الشعراء كغرض معلوم من أغراض الشعر ، والذى نجد قارضه يريد به النوال والمال من ممدوحه، ويختلف المديح النبوي الكريم عن النسيب في طبيعته وخصائصه أيضًا لأن الشاعر فى غرض النسيب يخبط فى متاهات الإستمتاع والإباحية أما مديح الرسول ﷺ فلا يقبل اسفافاً خلقياً ولا اباحية فى المغزى، بل أنه يترفع على ذلك كله ، فإن قارضه لا يرجو نوالا من فوائد الحياة الدنيوية ، بل إن حب الرسول ﷺ الذى يبديه استجابة لإيمانه وراحة لقبله وتغذية لروحه، فالمديح النبوي الشريف هو غير المديح العام لأنه مزيج من الحب والمدح ، فإنه يقتبس من شعر النسيب الهيام والفداء ، ولا يبتغى متاعاً مادياً ، ولا يريد اباحية وهوى للنفس الذى يتضمنها الشعر الغزلي ، ولذلك اتخذ أدباء العربية لمديح الرسول ﷺ مصطلح النبوية ، واتخذ أدباء اللغة الأردية بدلا من مصطلح المديح مصطلح النعت، فانهم يسمون المديح النبوي الشريف بهذا الإسم۔

وكثر إبداء الحب للنبي الكريم ﷺ سواء فى اللغة العربية أو فى غيرها ، وازداد ذلك بصورة أكبر فى اللغتين الفارسية والأردية ، وأبدع شعراء النعت فى اللغتين ابداعاً ، وأودعوه معانى بارعة للحب الفدائي السامي ، وتنوعوا فيه، وأصبح ذلك صنفاً مستقلاً للشعر ، فكان من الحسن المفيد أن يستعرض هذا الكلام الشعري منذ نشأته فى كلام صحابة الرسول ﷺ إلى عهدنا الحديث مع البحث فى خصائصه والتزاماته وتنقلاته فى مسيرة الأجيال ومجالات هذا النوع المختلفة،

وبخاصة لدى المسلمين فى شبه القارة الهندية ممن قرضوه فى اللغة العربية ، فنهض لهذا العمل أخونا العزيز الدكتور محمد صدر الحسن الندوي المدنى، أستاذ جامعة إسلامية فى أورنج آباد ، وهو صاحب نزعة أدبية وسليقة فى البحث، وأعد بحثاً مطولاً فى الموضوع ، وطرق أنواعاً مختلفة فيه، واستعرض نماذج ، وقام بتعريف أصحابها تعريف باحث متزن، وقدم نصوصاً ووجهات نظر، وبحث فيها بحث ناقد علمي ، وقد نجح فى هذا البحث ، وأصبح بحثه جديرًا بأن يطلع عليه الدارسون للعربية فى الأدب والشعر المعنيون بمديح النبى ﷺ بصورة خاصة فى أدواره المختلفة وعلى ألسنة مختلفة، بخاصة عما قيل في الهند منذ القديم إلى عهدنا الحديث ، فنقدر له لعمله هذا، ونرجو أنه ينفع الدراسين لهذا الموضوع الكريم.

وطلب مني أن أكتب مقدمة له فاستجبت لطلبه ، وهو من أقرب الداراسين للأدب إلينا ، فكتبت ما فتح الله لي ، وأدعو الله بالقبول ، وهو ولينا وربنا الكريم، له الحمد والشكر وهو ولى التوفيق ـ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء ، لكهنؤ (الهند)

١٤٢٧/٠٧/١٨هـ

٢٠٠٦/٠٨/١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلوٰة والسلام على محمد بن عبدالله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين الذين ينفون عن الشريعة الإسلامية الغراء السمحة تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، أمّا بعد:

فإن هذا الكتاب الذى أتقدم به إلى الباحثين والمعنيين بالدراسة هو حصيلة مجهودات ودراسات استغرقت ثمانى عشرة سنة ـ فقد جلت فى هذه الفترة بين مكتبات الهند الزاخرة بالكتب الإسلامية والمؤلفات العربية لعلماء الهند المفلقين والشعراء النابغين وقمت بجمع ما تناثر من المدائح النبوية التى فاضت بها قرائح الشعراء الهنود باللغة العربية على مرّالدهور الممتدة من القرن الثامن من الهجرة إلى القرن الخامس عشر من الهجرة فى بطون الكتب العلمية ودواوين الشعر وكتب التراجم والطبقات وصفحات المجلات والجرائد ومظانها ثم علقت عليها مع سرد تراجم الشعراء وبيان مكانتهم العلمية والأدبية .

والدوافع التى حفزتنى على اختيار هذا الموضوع يمكن أن اوردها فيما يلى بايجاز:

إنه لما سنحت ببالى فكرة هذا الموضوع وأجلت النظر فيما يتعلق به تبدّى لى من خلال دراسات وأبحاث مسبقة للعلماء والأدباء

المتقدمين والمعاصرين فى هذا المجال أن الموضوع لم يزل يحتاج إلى المزيد من العناية ولا تزال هناك جوانب شاغرة فى هذا الباب.

وجدت أثناء دراستى للموضوع أن كمية كبيرة ومقدارا صالحا للمدائح النبوية توجد فى بطون كتب التاريخ والسير والتراجم لشعراء الهند المفلقين الّذين اكتسبوا اللغة العربية دراسة وذوقا وفاضت قريحتهم بالتغنى بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تقل انتاجاتهم الأدبية المدحية شأنا ومكانة عن كلام شعراء العرب.

إن الموضوع مازال غضا طريا وأنه لم يصل الى علمى مؤلّف درس المدائح النبوية دراسة تفصيلية وكاد ان يبقى هذا الموضوع مغبونا مع أن هناك ثروة أدبية نادرة من ثروات أدب السيرة فى بلاغتها وروعتها فى صورة المدائح النبوية التى جادت بها قرائح الشعراء الهنود والتى قرضوها باللغة العربية.

لم ينل هذا الموضوع إهتمام الباحثين مع جدارة الموضوع وعظم شأنه ، فرأيت من المفيد اختيار هذا الموضوع لكى يطلع القارئ على مجهودات علماء الهند وأدبائها فى مجال المدائح النبوية، وقد استهدفت هذه الرسالة جمع ما تفرّق فى هذا الموضوع والالمام بجوانبه المتعددة بقدر الإمكان.

لايخفى على من له إلمام بتاريخ الهند الإسلامى أن اللغة الفارسية واللغة الأردية فى الهند لزاخرة بالمدائح النبوية وقد استرعتا انتباه الباحثين المحققين الذين درسوا المدائح النبوية للغتين الفارسية والأردية وحققوها تحقيقا دقيقا وقتلوها دراسة وبحثا وقد ألّفت كتب تبحث عن المدائح النبوية باللغتين الأردية والفارسية ولكن المدائح النبوية باللغة

العربية كانت مطمورة فى غضون الكتب والأسفار فكان هذا الموضوع جديرا بأن يبحث.

وكل ذلك اقتضى أن ارتب هذا الكتاب المتواضع على النحو التالى-

الباب الأول: بين المدح والممدّح

المدح فى اللغة العربية – المديح النبوى فى المصطلح – الفارق بين المديح النبوى والرثاء – نبذة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم – مولده- نسبه – علو نسب قريش – صفة رسول الله خَلقا وخُلقا – شخصية الرسول فى ضوء القرآن والسنّة – هو سيد الأنبياء والمرسلين وخاتمهم – الداعى إلى الله – الزهادة فى زخارف الحياة الدنيوية – الرأفة والرحمة.

الباب الثانى : مصادر المدائح النبوية الأساسية

نظـــرة على مصادر السيرة – القرآن الكريم – الأحاديث النبوية- كتب السيرة.

الباب الثالث : عناصر المدائح النبوية.

أهمية عناصر المدائح – الإلمام التام بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم – عدم الغلو فى المديح النبوى – الثقافة الدينية العامة اللازمة – القدرة على استخدام الأساليب اللائقة بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

الباب الرابع : عوامل المدائح النبوية

الإيمان بنبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم – الحب العميق لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم – البعد والهجر – التصوف- المدائح النبوية باللغة العربية- المدائح النبوية باللغة الفارسية.

الباب الخامس : اطلالة على آداب المدائح العالمية

الفصل الأول : المدائح فى الآداب العالمية القديمة – الأدب المصرى القديم – الأدب الصينى القديم – الأدب الهندى القديم – الأدب الفارسى القديم – الأدب اليونانى القديم.

الفصل الثانى : المديح فى الأداب العربية فى عصرها الجاهلى والإسلامى – المديح فى الأدب العربى – نماذج من المدائح – النابغة الذبيانى – زهير بن أبى سلمى – الأعشى – تأبط شرا – حسان بن ثابت – الحطيئة – الكميت – الأخطل – الفرزدق – جرير.

الفصل الثالث : المدائح النبوية فى الأدب العربى

نماذج من المدائح النبوية – الأعشى- كعب بن زهير – أبو طالب حسان بن ثابت- عبدالله بن رواحة – عبدالله بن زبعرى – كعب بن مالك – عباس بن مرداس – أبوسفيان بن الحارث – محمد بن سعيد البوصيرى – عبدالرحيم البرعى – جمال الدين بن نباتة المصرى – شهاب الدين الحلبى – ابن الفارض – جمال الدين الصرصرى – ابن خلدون – ابن حجر العسقلانى – عبدالله الشبراوى المصرى – حسين الدجانى – عبدالغنى النابلسى.

الباب السادس : المدائح النبوية فى الهند باللغة العربية

نظرة على دخول الإسلام فى الهند وانتشاره – آثار علماء الهند العلمية والأدبية باللغة العربية فى مجال العلوم والفنون – المديح النبوى بين النثر والنظم – المدائح المنثورة باللغة العربية – المدائح المنظومة باللغة العربية – موقف الإسلام من الشعر- ميزات المدائح المنظومة.

الباب السابع : شعراء المدائح النبوية بالهند باللغة العربية

الفصل الأول : شعراء المديح القدامى
(الفترة الممتدة من بداية القرن الثامن إلى نهاية القرن الثانى عشر من الهجرة النبوية)

عبدالمقتدر الكندى – أحمد بن محمد التانيسرى – عبدالحق المحدث الدهلوى – صلاح الدين سليمان المدراسى – الشيخ حسن الدهلوى – صدقة الله سليمان المدراسى – شهاب الدين سليمان المدراسى – الشاه ولى الله الدهلوى – عبدالسلام الهزاروى – غلام على آزاد البلكرامى.

الفصل الثانى : شعراء المديح المتقدمون
(الفترة الممتدة من بداية القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية)

باقر بن مرتضى الويلورى – الشاه رفيع الدين الدهلوى – الشاه عبدالعزيز الدهلوى – المفتى إلهى بخش الكاندهلوى – الشيخ ضياء الدين – الشيخ أمين الدين الكاكورى – السيد نصير الدين – الشيخ فيض أحمد – الشيخ فضل حق الخيرآبادى.

الفصل الثالث : شعراء المديح المتأخرون
(الفترة الممتدة من بداية القرن الرابع عشرإلى منتصف القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية)

الشيخ محمد يعقوب النانوتوى – الشيخ فيض الحسن السهارنفورى – المفتى عباس اللكنوى – النواب صديق حسن خان القنوجى البوفالى – القاضى طلا محمد البيشاورى – الشيخ أحمد الكجراتى – أحمد بن عبدالقادر الكوكنى – الشيخ يعقوب القادرى – على التسترى الحيدرآبادى – عبدالحفيظ الكاكوروى – المرزا غلام أحمد القاديانى – الشيخ عبدالحى الكفليتوى – الشيخ عبد المنعم الجاتغامى – المفتى أحمد رضا البريلوى – حبيب أبوبكر شهاب العلوى – محمد خليل الرحمن البرهانفورى – الشيخ عبدالنبى الكجراتى – محمد وحيد الدين العالى – الشيخ عشقى المارهروى – عبدالرزاق الكوبامئوى – حبيب الرحمن العثمانى – أشرف الشمسى الحيدرآبادى.

الفصل الرابع : شعراء المديح المحدثون
(الفترة الممتدة من بداية منتصف القرن الرابع عشر إلى نهاية القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية)

السيد محمد الحسينى الكالبوى – الشاه أنور شاه الكشميرى – أحمد حسين الرسولفورى – محمد مخدوم الحسينى – الشيخ اعزاز على الأمروهى – المفتى كفاية الله الدهلوى – الشيخ أصغر على روحى – السيد إبراهيم الرضوى – الشيخ عبدالقدير الحيدرآبادى – الشيخ يوسف حسين الهزاروى – الشيخ ملا عبدالباسط – الشيخ أبو محمد طاهر سيف الدين – السيد نبى الحيدرآبادى – محمد ادريس الكاندهلوى – الشيخ عبدالمنان الدهلوى – الشيخ ظفر أحمد التهانوى المفتى محمد شفيع الديوبندى – الشيخ محمد يوسف البنّورى – الشيخ عبدالرحمن الأمروهى – القاضى عبدالرحمن – الشيخ فيوض الرحمن – الشيخ حامد حسن القادرى البلياوى – الشيخ محمد عبدالجميل – الشيخ سرورخان الحيدرآبادى – الشيخ أبوالحسن الغازيفورى – الشيخ ألطاف الرحمن – الشيخ محمد أفضل فقير –

الشاه ركن عالم – الشيخ محمد إظهار الحق سهيل – الشيخ محمد موسى هارون.

الفصل الخامس : شعراء المديح المعاصرون

المفتى جميل أحمد التهانوى – الشيخ أمين أحمد المدراسى – السيد طاهر الرضوى – محمد سعيد المجددى – الشيخ خواجه شريف – الشيخ مجيب خان الحيدرآبادى – الشيخ ضياء الدين الحيدرآبادى.

وآثرت الإلتزام بالترتيب الزمنى عند ذكر الشعرا إعتبارا بوفياتهم وعنيت بذكر تراجم الشعراء ومجهوداتهم العلمية والتعليمية والأدبية مع دراسة القصائد وإيراد النماذج منها. والشعراء الذين لم أعثر على تراجمهم مع تجشم العناء الشديد فى البحث عنها اكتفيت على دراسة قصائدهم فقط، وكذلك قمت بجمع القصائد وتحقيقها وقسمت الكتاب إلى قسمين، الجزء الأول يختص بدراسة المدائح وما يتعلق بها والجزء الثانى خصصته للمدائح النبوية مع توطئة وجيزة فى بداية المجموعة.

أما الجزء الأول للكتاب فهو ماثل للطبع وسنقوم بطبع الجزء الثانى من الكتاب إن شاء اللّٰه فى المستقبل.

وفى الأخير ذكرت أهم النتائج التى وصلت إليها أثناء دراستى للمدائح النبوية. ووضعت فى نهاية الكتاب فهرسا عاما للموضوعات وفهرسا لكتب المصادر والمراجع والجرائد والمجلات باللغة العربية والأردية والفارسية والانجليزية.

وقد بذلت الجهد المستطاع فى إنجاز هذا الكتاب وسلكت المنهج العلمى النزيه، فان حالفنى التوفيق والصواب فمن الله سبحانه

وتعالىٰ وإن أخطأت فمنى ومن الشيطان، بل أرجو كل من يطلع على هذا الكتاب فيجد ما يحتاج إلى تعديل أو تبديل أو يفيدنى بما عنده وأنا عائد إن شاء الله إلى الحق، فإن الحق قديم والرجوع اليه خير من التمادى فى الباطل، والحكمة ضالة المومن أنى وجدها فهو أحق بها.

وما أحسن ماقاله العماد الأصبهانى:

"إنى ما رأيت أنه لايكتب إنسان كتابا فى يومه إلا قال فى غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"-

واعترافا بالفضل لأهله واستجابة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : لايشكر الله من لايشكر الناس (١) أتقدم بجزيل الشكر للمفكر الإسلامى الكبير والأديب البارع الداعية سماحة الشيخ السيدمحمد الرابع الحسنى الندوى حفظه الله (الرئيس العام لندوة العلماء بلكناؤ-الهند ورئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند) الذى فتح لى صدره الرحب وجاد على بأوقاته الثمينة الغالية وأعطانى من حنانه وعطفه الشئى الكثير، وشجّعنى على مواصلة السير فى هذا المضمار بكتابة تقديم لمؤلفى المتواضع الذى ليس إلا نتيجة لتلك التربية الشخصية والإرشادات الحكيمة التى تلقيتها من سماحته أثناء دراستى فى جامعة ندوة العلماء ولا أزال اتلقاها، فلسماحته منى جزيل الشكر وفائق التقدير الإحترام.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٥ / ٢١٢ من مرويات الأشعث بن قيس.

كما أشكر البروفيسور الدكتور عبدالبارى المؤقر على توجيهاته القيمة وملاحظاته الدقيقة خلال البحث والدراسة وكذلك أشكر كل من قدّم لى عونا فى إنجاز هذا الكتاب من الأساتذة الأجلاء والزملاء الأعزاء والمحبين فى الله وكذلك أرى من الواجب أن أسجل جزيل الشكر وفائق التقدير لكل من أولانى معروفا بتوجيه أو تشجيع خلال إنجاز هذا الكتاب.

فلهؤلاء جميعا أتقدم بجزيل الشكر ووافر الثناء سائلا المولى عزّوجل أن يجزيهم عنى أحسن ما يجزى عباده الصالحين انه سميع قريب مجيب.

وأخيرا أسال الله عزوجل أن يلهمنى سدادا فى الرأى ويهبنى إخلاصا فى العمل ويوفقنى لأفضل ما يرضاه من صالح الأعمال، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ولاحول ولا قوّة الا بالله العلىّ العظيم وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

د. محمد صدر الحسن الندوى المدنى

دارالسلام ٦٣ـ عارف كالونى ـ
أورنك آبادـ مها راشتراـ (الهند)

١٨/محرم ١٤٢٨هج
١٧/ فبراير ٢٠٠٧م
يوم الأربعاء

الباب الأوّل

بين المدح الممدّح

المدح فى اللغة العربية:

قال الجوهرى : المدح : الثناء الحسن وقد مدحه امتدحه بمعنى وكذلك المدحة والمديح والامدوحة. وأنشد أبو عمر ولأبى ذويب :

لو كان مدحة حيٍّ منشرا أحدا
أحيا أبا كن يا ليلى الأماديح (١)

قال الفيروزآبادى فى القاموس :

مَدَحه كمنعه مَدحا ومدحة أحسن الثناء عليه كمدّحه وامتدحه تمدّحه و المديح والمِدحةو الأمدوحة ماتمدح به جمع مدائح وأماديح (٢)

المديح النبوى فى المصطلح :

يراد بالمديح النبوى أو المدائح النبوية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم (٣)

الفارق بين المديح النبوى والرثاء :

لاشك أن المشتغلين بالآداب العربية يفرقون بين المديح والرثاء فما يقال فى الحياة يقال له مدحاً ومايقال بعد الوفاة يسمى رثاء. يقول الأستاذ زكى مبارك فى هذا الصدد.

وأكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وما يقال

(١) الصحاح : ٤٠٣/١ لإسماعيل بن حماد الجوهرى تحقيق عبدالغفور عطار.

(٢) القاموس المحيط ٢٥٧/١ لمجد الدين الفيروزآبادى الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ١٩٥٤م شركة مكتبة ومطبعة مضطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

(٣) المدائح النبوية فى الأدب العربى ص ١٧ لمولفه زكى مبارك. مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م

بعد الوفاة يسمى رثاء ولكنه فى الرسول يسمى مدحاً كانهم لحظوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم موصول الحياة وأنهم يخاطبون كما يخاطبون الأحياء وقد يمكن القول بأن الثناء على الميت لايسمى رثاء إلا إذا قيل فى أعقاب الموت ولذلك نراهم يقولون. قال حسان يرثى النبى صلى الله عليه وسلم – ليفرقوا بين حالين من الثناء ما كان فى حياة الرسول وما كان بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم، بخلاف ما يقع من شاعر ولو بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فان ثناء ه عليه مديح لارثاء لانه لاموجب للتفرقة بين حال وحال ولان الرثاء يقصد به اعلان التحزن والتفجع على حين لايراد بالمدائح النبوية الا التقرب إلى الله بنشرمحاسن الدين والثناء على شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم. (١)

نُبدة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم:

مَولدة : ولد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة المكرمة فى فجر يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول الموافق ٢٠ نيسان (ابريل) ٥٧١ المسيحى وتعرف سنة مولده بعام الفيل وهو العام الذى غزا فيه أبرهة الحبشى مكة المكرمة قادما من اليمن لهدم الكعبة الشريفة، فكان أسعد يوم طلعت فيه الشمس.

نسبه: ولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أبوين كريمين هما عبدالله بن عبدالمطلب سيد بنى هاشم وآمنة بنت وهب سيد بنى زهرة وكلا الأبوين من قريش أشرف القبائل العدنانية والتى تعتبر الوارثة الحقيقية لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وإذا نظرنا إلى الشجرة التى تفرعت منها قبيلة قريش والشجرة التى تفرعت منها القبائل

(١) المدائح النبوية فى الأدب العربى ص: ٧ لمولفه زكى مبارك مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م

العدنانية نجد أن نسبه عليه السلام من جهة والده كما يلي:

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصى بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر (قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزيمة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو من أحفاد اسماعيل عليه السلام (١)

وأما نسبه عليه الصلوة والسلام من جهة والدته فهو: آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن قصى بن كلاب وفى قُصى يلتقى نسب والده ووالدته عليه الصلوة والسلام (٢) وسماه جده عبدالمطلب محمداً وكان هذا الاسم غريبا فتعجب منه العرب (٣)

علو نسب قريش:

كان من أشرف أهل الأرض نسبا من صميم سلالة إبراهيم الذى جعل الله فى ذرّيّته النبوة والكتاب فلم يأت نبى من بعد ابراهيم الا من ذرّيّته ثم من قريش صفوة بنى إبراهيم، ثم من بنى هاشم صفوة قريش (٤)

سمّى أولاد فهر بن مالك بن النضر قريشا وغلب هذا الاسم على جميع الأسماء فاشتهرت هذه القبيلة بـ "قريش" وأقر أهل العرب كلهم بعلو نسب قريش والسيادة وفصاحة اللغة ونصاعة البيان وكرم الأخلاق والشجاعة والفتوّة وذهب ذلك مثلا لا يقبل نقاشا ولا جدلاً (٥)

كان من أكمل الناس تربية ونشأة ولم يزل معروفا بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل صنف مذموم

(١) سيرة ابن هشام : ص ١ (٢) سيرة ابن هشام : ص ١

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١/٢١٠ وابن هشام ص ١٥٨

(٤) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ١٥١

(٥) سيرة ابن هشام : ص ١

مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة وممن آمن به وكفر بعد النبوءة لايعرف له شئٌ يعاب به لا فى أقواله ولا فى أفعاله ولا فى أخلاقه ولاجرت عليه كذبة قط ولا ظلم ولا فاحشة.

وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدّالة على كماله وكان أُمّيا من قوم أُمّيين لا يعرف لا هو ولا هم مايعرفه أهل الكتاب والتوراة والانجيل ولم يقرأ شيئا من علوم الناس ولا جالس أهلها ولم يدع نبوءة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة (١) ولم يزل قائما بأمرالله على أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ولا غدر بأحد، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسلم وأمن وخوف وغنى وفقر وقلة وكثرة وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة وهو على كل ذلك ملازم لأكمل الطرق وأتمها ظهرت الدعوة فى جميع العرب (٢)

صفة رسول الله خلقا وخلقا:

وصفه هند بن أبى هالة قائلا: كان رسول الله متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت لا يتكلم فى غير حاجة يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل لافضول ولا تقصير، ليس بالجافى ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقّت لا يذم منها شيئا غير أنه لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها فإذا تعدّى الحق لم يقم لغضبه شئٌ حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح : ١٧٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح : ١٧٨

ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم يفتر عن مثل حب الغمام (١)

ووصفه على بن أبى طالب رضي الله عنه فقال :

لم يكن فاحشا متفحشا ولا صخّابا فى الأسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، ما ضرب بيده شيئا قط إلاأن يجاهد فى سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امرأة وما رأيته منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله تعالى شئ فإذا انتهك من محارم الله كان من أشدهم غضباً وما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما وإذا دخل بيته كان بشرا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه.

كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى على أحد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ويحسن الحسن ويقويه و يقبّح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف ولا يغفل مخافة أن يغفلوا ويملوا، لكل حال عنده عتاد ولا يقصر عن الحق ولايجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة ولا يقوم ولايجلس إلا على ذكر وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى المجلس ويأمر بذلك، يعطى كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه إن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوضه فى حاجة صابره حتى يكون

(١) كتاب الشمائل للإمام الترمذى

هو المنصرف ومن سأله حاجته لم يردّه إلابها أو بميسور من القول وقد وقع الناس بسطه وخلقه وصارلهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء، مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة ولا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته، متعادلين، يتفاضلون بالتقوى ويوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب.

وقال: وكان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب ولا عيّاب ولا مشاح يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه ولا يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث، المراء والإكبار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احداً ولا يعيبه ولا طلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أوّلهم يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقة ومسألته حتى كأن أصحابه يستجلبونهم ويقول إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فار فدوه ولا يقبل الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهى أوقيام، أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم. (١)

وعن الحسن بن على رضي الله عنه قال سألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خالى هند بن أبى هالة وكان وصّافا عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشتهى أن يصف لى شيئا أتعلق به فقال: كان رسول الله صلى

(١) كتاب الشمائل للإمام محمد بن سورة الترمذى

الله عليه وسلم فخما مفخّما يتلألأ وجهه تلالؤا القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذّب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفرة. أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما، عرق يدره الغضب أقنى العرنين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشمّ، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، مفلج الأسنان دقيق المسربة، كان عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق، بادن، متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر بُعيد ما بين منكبيه، ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبّة والسرّة بشعر يجرى كالخطّ عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر طويل الزندين رحب الراحة ششن الكفين والقدمين سائل الأطراف أو قال شائل الأطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنها الماء، إذا زال زال قلعا يخطو تكفيا ويمشى هونا، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحطّ من صبب وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى لسماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبدأمن لقى بالسلام (١)

يقول الإمام ابن قيم الجوزية فى هدى النبى صلى الله عليه وسلم فى كلامه:

كان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداءً وأحلاهم منطقا حتى ان كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ويسبى الأرواح ويشهد بذلك أعداؤه وكان إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبيّن يعده العاد ليس بِهذٍّ مُسرع لا يحفظ ولا منقطع تخلّله

(١) كتاب الشمائل للإمام الترمذى ٥٢٦/٢ - كتب خانه رشيدية دهلى-

السكتات بين أفراد الكلام بل هديه فيه أكمل الهدى، قالت عائشةؓ: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه وكان كثيرا ما يعيد الكلام ثلاثا ليعقل عنه (١)

شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضوء القرآن والسنّة:

إذا أمعنا النظر فى القرآن الكريم والسنة النبوية ودرسنا سيرة الأنبياء والمرسلين الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه وأشار إلى خصائصهم الأساسية والسمات الربانية التى يمتازون بها عن القادة والزعماء نجد فيه الذكر العاطر والثناء المجيد للصفوة المختارة من عباد الله الصالحين الذين أكرمهم بالنبؤة واصطفاهم لحمل الرسالة من بين سائر الخلق ليحملوا الأمانة العظمية "أمانة" الوحى وتبليغ الدعوة والرسالة لعباده وليكونوا حملة مشعل الهداية والاصلاح وقادة ركب الإنسانية إلى طريق السعادة وشاطئ الأمن والسلام - نرى أسلوب القرآن الكريم فى الحديث عنهم أسلوبا يتدفّق بالحياة ويفيض بالبشر وينم عن الحب والإيثار فيذكرهم بالثناء العاطر ويصفهم بأسمى الصفات والمواهب العقلية والخلقية، كل ذلك ليدل على أنهم الصفوة المختارة من خلق الله والمثل العليا والقدوة الكاملة للبشرية، يقول الله تعالى:

"وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلوٰة وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين" (٢)

نستخلص من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية السمات البارزة

(١) زاد المعاد ١ / ١٨٢ للإمام ابن القيم الطبعة الثامنة مكتبه المنار الإسلامية- الكويت

(٢) سوة الأنبياء : ٦٣

التالية لمحمد صلى الله عليه وسلم:

ا . هو سيد الأنبياء والمرسلين وخاتمهم :

إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو سيد وُلد آدم وسيد الأنبياء والمرسلين، ومما يدل على أن محمداً صلى الله عليه وسلم سيد الرسل وأفضل الأنبياء أنه لم يبعث نبيٌّ قطّ إلا وقد أخذ الله تعالى عليه العهد والميثاق إن أدرك محمداً فى حياته ليومنن به وليكونن من أنصاره وأتباعه فهذا من أعظم الشواهد على جليل قدره وعظيم فضله، يقول الله عزوجل فى كتابه الجليل:

"وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاء كم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال: أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى، قالوا: أقررنا، قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين. (١)

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى فى جامعه:

"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من بنى آدم فسواه الا تحت لوائى ولا فخر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفّع وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيدخلنيها الله ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين على ربى ولافخر" (٢)

قد أشار القاضى عياض رحمه الله تعالىٰ إلى دليل لطيف من القرآن الكريم فى أفضلية الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين وهو أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء والمرسلين

(١) سورة آل عمران : ٨١ (٢) الترمذى فى المناقب

بأسمائهم ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد خاطبه بوصف النبؤة والرسالة وهذا الأسلوب يدلّ على عظيم قدره وسمّو مكانته وعلوّ منزلته وأفضليته على الأنبياء والمرسلين. فقد خاطب الله سبحانه وتعالى يا إبراهيم عليه وسلم باسمه فقال :

"ياإبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين" (١)

وقال تعالى مخاطبا نوحا عليه السلام

"يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك (٢)

وخاطب الله موسى عليه السلام بقوله: "قال يموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخُذ ما آتيتك وكن من الشاكرين"۔ (٣)

وقال الله تعالىٰ وهو يخاطب عيسىٰ عليه الصلوٰة والسلام:وإذ قال الله يعيسى ابن مريم أ أنت قلت للناس اتخذونى وأمّى إلٰهين من دون الله قال سبحٰنك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق" (٤)

وكذلك خاطب الله سبحانه وتعالى بقية الانبياء بأسمائهم ولكن الله تعالى لما أراد أن يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم خاطبه بوصف النبؤة والرسالة ولم يخاطبه باسمه الكريم إظهاراً لشرفه وجلال فضله فقال عزوجل مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم:

"يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" (٥)

وقال الله تعالى :

"يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت

(١) سورة الصافات : ١٠٥ -(٢) سورة هود : ٤٨ (٣) سورة الأعراف : ١٤٤

(٤) سورة المائدة : ١١٦ -(٥) سوة الأنفال : ٦٤ -

رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكفرين" (١)

محمدٌ رسول الله هو خاتم النبيين :

النبوة فضل الهى ومنحة ربّانية، هى لا يمكن إن تدرك بالوراثة ولا بالجد والجهد ولا بطريق الغلبة والاستعلأ ولا بطريق الوراثة، بل هى هبة إلهية وجائزة سماوية ووسام نورى يهبه الله تعالى لمن يشاء من عباده، قال تعالى :

"يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم" (٢)

كانت النبؤة شمسا وهّاجة تشرق على هذا العالم تملأ النفوس والقلوب نورا وحرارة وقوة وحياة وتربطها بخالقها ربطا قويا وثيقا فى أقل وقت وأكثر عدد وتنقل – من أراد الله به الخير – من حضيض الجهل والغواية والغفلة والبطالة وسوء المعرفة والضلالة إلى ذرى العلم والحكمة والطموح وعلو الهمّة وإلى أقصى مدارج الوصول والكمال وإلى أعلى منازل القرب والولاية حتى كانت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل فكانت شخصيته هى أقوى شخصيات الرسل وكانت دعوته هى أتم الدعوات وكانت صحبته هى الأكسير الأعظم الذى يحول العداء الشديد حبا وتفانيا والبعد عن الله والوحشة منه قربا منه وأنساً به ووصولاً اليه وكان الناس يشعرون فى صحبته كأنما يمر بهم التيار الكهربائى وكانوا ينتقلون فى لحظات من الشك فى الدين والظن والتخمين إلى أعلى درجات الإيمان واليقين وكان وجوده صلى الله عليه وسلم فى أمته أقوى سبب الاتصال بالله تعالى وقطع منازل القرب والولاية وقد قدر الله سبحانه وتعالى لهذه الحياة الكريمة نهاية

(١) سوة المائدة : ٦٧ (٢) سورة آل عمران : ٧٤

كما قدر لحياة غيره، قال تعالى: "وما محمد الا رسول قد خلقت من قبله الرسل" (١)- وأكمل به دينه وأتمّ به نعمته فقال : أليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا (٢) وختم به سلسلة الأنبياء والرسل فقال : ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما (٣) فكان رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين (٤)

عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان وأنه سيكون فى أمّتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى الله وأنا خاتم النبيين لانبى بعدى ولاتزال طائفة من أمّتى على الحق ظاهرين لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله. (٥)

عن السائب بن يزيدؓ يقول ذهبت بى خالتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابن أُختى وجع فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسى ودعالى بالبركة وتوضّأ فشربت من وضوئه وقمت خلف ظهره فنظرت الى الخاتم الذى بين كتفيه فإذا هو مثل زر الحجلة. (٦)

عن جابر بن سمرةؓ قال رأيت الخاتم بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم غدة حمراء مثل بيض الحمامة. (٧)

عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان

(١) سوة آل عمران : ١٤٤ـ (٢) سورة المائدة : ٣ (٣) سورة الأحزاب : ٤٠ـ

(٤) الأركان الأربعة : ٨٨ ـ للأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى، دارالقلم الكويت-

(٥) مشكوة المصابيح ٢/ ٤٦٥ . كتب خانه رشيدية دهلى(٦) كتاب الشمائل مع الجامع: ٢

(٧) كتاب الشمائل مع الجامع : ص٢-

الله اصطفى من ولد ابراهيم إسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (١)

عن العباس رضي الله عنه بن عبدالمطلب قال قلت يا رسول الله إن قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك مثل نخلة فى كبوة من الأرض، فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلنى من خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير الخلائق فجعلنى من خير القبيلة ثم من خير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا. (٢)

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد (٣)

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا اوّل الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر. (٤)

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى الحلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى. (٥)

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله لى الوسيلة، قالوا يا رسول الله ما الوسيلة قال أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد أرجو أن أكون أناهو (٦)

(١) جامع الترمذى ٢٠١/٢ ـصحيح مسلم: ٢٤٥/١ ـ (٢) جامع الترمذى ٢٠١/٢ (٣) جامع الترمذى ٢٠١/٢ (٤) جامع الترمذى ٢٠٢/٢ ـ (٥) جامع الترمذى ٢٠٢/٢ ـ
(٦) جامع الترمذى: ٢٠٢/٢

عن الطفيل بن أبى كعب رضي الله عنه عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وأجملها وترك منها موضع لبنة فجعل النا س يطوفون بالبناء ويعجبون منه ويقولون لو تمّ موضع تلك اللبنة، وأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة. (١)

٢. الداعى إلى الله :

كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم داعيا إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بتبليغ الرسالة إلى الناس كما قال تعالى فى كتابه:

"يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربّك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين. (٢)

قد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه بأن يبلغ أحكام الله والوحى الذى نزل عليه من فوق سبع سمٰوٰت ولا يكتم شيئا مما أوحاه الله تعالى اليه بدون زيادة حرف أو نقص حرف منه لأن هذا يكون خلاف أمر الله وخيانة فى مهمة الدعوة وكان لازما على النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس الى الشريعة الاسلامية السمحة الغراء بالطرق التى تكون ملائمة لنفسية المخاطبين والأحوال والظروف التى تحيط بهم فقال:

أُدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربّك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين. (٣)

تكون دعوة النبى صلى الله عليه وسلم دعوة ربانية لاتخضع لعوامل نفسية ولا لأحوال طارئة معقّدة بل يكون مصدرها الوحى الالٰهى.

(٦) جامع الترمذى ٢٠٢/٢ ـ صحيح مسلم : ٢٤٨/١ـ
(٢) سوة المائدة ٦٨ـ(٤) سورة النحل : ١٢٥ ـ

يقول سماحة الشيخ السيد ابوالحسن على الحسنى الندوى فى هذا الصدد: إن أول وأهم ما يمتاز به معشر الأنبياء أن العلم الذى ينشرونه بين الناس العقيدة التى يدعون إليها والدعوة الّتى يقومون بها لاتنبع عن ذكائهم أو حميتهم أو تألمهم بالوضع المزرى الذى يعيشون فيه أو من شعورهم الدقيق الحساس وقلبهم الرقيق الفياض أوتجار بهم الواسعة الحكيمة لا شى من ذلك، إنما مصدره الوحى والرسالة التى يصطفون لها ويكرمون بها فلا يقاسون أبدا على الحكماء أو الزعماء أو المصلحين وجميع أصناف القادة الذين هم نتيجة بيئتهم وغرس حكمتهم وصدى محيطهم وردّ فعل لما كان يجيش به مجتمعهم من فساد وفوضى والقول الفصل فى ذلك القرآن الكريم على لسان سيد الرسل صلى الله عليه وسلم.

قل لوشاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون. (١)

وقول الله تعالى:

وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولاالإيمان، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم. (٢)

ويقول القرآن الكريم عن طبيعة الرسالة التى يختار لها الرسل وعن مبدءها ومصدرها: ينزل الملئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون. (٣)

لذلك لا يخضع الرسول لعوامل نفسية داخلية أو حوادث وقتية

(١) سورة يونس : ١٦ (٢) سورة الشورى : ٥٢ ـ(٣) سورة النحل : ٢ـ

خارجية ولا يدير رسالته حيث دارت الأحوال والأوضاع وشاء المجتمع. وقد قال تعالى : وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى. (١) ولا يستطيع النبى أن يحدث تغييرا أو تبديلا أو تحويرا أو تعديلا فى رسالته وأحكام الله وقد قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ملقنا اياه:

قل ما يكون لى أن أبدّله من تلقاءئ نفسى،إن أتبع إلاما يوحىٰ إلىّ، إنى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم. (٢)

وهذه هى السمة الفاصلة الأساسية المميزة بين الأنبياء صلوات الله عليهم وبين القادة والزعماء الذين تكون رسالتهم وكفاحهم وحى بيئتهم وثقافتهم ومشاعرهم والذين يلاحظون دائما البيئة والمجتمع والظروف والأحوال ويراعون المصلحة والسياسة ويخضعون لها فى كثير من الأحوال فيتنازلون عن أشياء كثيرة وقد يتساومون مع الأحزاب ويتبادلون منها المنافع ومبدأ كثير منهم الذين يأخذون به درمع الدهر كيف دار (٣)

٣. الزهادة فى زخارف الحياة الدنيوية:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستهينا بالحيوة الدنيوية ومقبلا على الحياة الأخروية فكان لا يقدّر للدنيا والدراهم والزخارف أىّ قيمة ولا يقيم لها أىّ وزن، بل كانت الدّنانير والدراهم فى نظره كالتراب والحصا والرمل والخزف، كان جلّ همّه أن ينال رضا الله تعالى بأعماله الفردية وبمهته الدعوية. كان يحنّ إلى الصلاة ويتحينها فلا يهدأ له بال ولا يقرّله

(١) سورة النجم : ٣-٤ ـ(٢) سورة يونس : ١٥

(٣) النبؤة والأنبياء : ٣٥ للسيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

قرار حتى يقبل عليها ويريح بها نفسه، عن عبدالله بن الشخّير قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. (١)

يقول المغيرة بن شعبة : قام النبى صلى الله عليه وسلم حتى تورّمت قد ماه فقيل له : وقد غفر الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر قال: أفلا أكون عبداً شكوراً (٢)

كان رسول اللهّ جواداً كريما بل كان أجود الناس بالخير لا يخشى فقرا ولا فاقة: عن ابن عباسؓ قال : كان رسول اللهّ أجود الناس بالخير. (٣)

عن موسى بن أنسؓ عن أبيه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا إلا أعطاه قال فجاء ه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم أسلموا فانّ محمداً صلى الله عليه وسلم يعطى عطاءً لا يخشى الفاقة. (٤)

٣. الرأفة والرحمة:

قد تجلّت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاعر العفيفة اللطيفة والعواطف الإنسانية التى فطر الناس عليها فى أجمل مظاهرها، فكانت أمانة النبوّة الثقيلة الملقاة على كاهله لا تمنعه عن ملاحظة الناس وتفقد أحوالهم، فقد كان ودودا رحيما، يقول الله عزّوجلّ فى كتابه الجليل:

لقد جاء كم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريصٌ

(١) الشمائل للترمذى . ص ٥-(٢) جامع الترمذى . باب احياء الليل : ٢٢٢

(٣) صحيح مسلم : ٢٥٣/١ (٤) صحيح مسلم : ٢٥٣/١

عليكم، بالمؤمنين رءوف رحيم. (١)

وقد تلا النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية: إنّ تعذّبهم فانهم عبادك وإن تغفرلهم فإنك أنت العزيز الحكيم. (٢)

فرفع يديه المباركتين وقال : أللهم أمّتى، أمّتى فقال الله عزّوجل يا جبريل إذهب إلى محمد – وربك أعلم – فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل فسأله فأخبره بما قال – وهو أعلم – فقال الله : يا جبريل إذهب إلى محمد فقل له : إنا سنرضيك فى أمتّك ولا نسوؤك (٣)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رءوفا بالمؤمنين ومراعيا لأوضاعهم : يقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة كراهة السآمة علينا وكان مع شدّة ولعه بالصلاة يتجوزها إذا سمع بكاء صبىّ فقد روى عنه أنه قال: إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمّه. (٤)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلا قال : والله يا رسول الله إنى لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موعظة أشدّ غضبا منه يومئذ ثم قال : ان منكم منفّرين، فأيّكم صلّى بالناس فليتجوز فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة. (٥)

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه أن ابنة لرسول الله صلى الله عليه

(١) سورة التوبة: ١٢٨ـ (٢) سورة المائدة : ١١٨ـ (٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٠٢ـ(٤) صحيح البخارى فى كتاب الصلاة باب من أخف الصلاة. (٥) صحيح البخارى : كتاب الأذان : باب تخفيف الإمام القراءة

وسلم أرسلت إليه أن ابنى قد احتضر، فأشهدنا فأرسل يقرأ السلام ويقول: إن لله ما أخذ وما أعطى وكل شئ عنده مسمى فلتصبر ولتحتسب فأرسلت اليه تقسم عليه فقام وقمنا معه فلما قعد رفع اليه فأقعده فى حجره ونفس الصبى تقعقعُ ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد ما هذا يا رسول الله؟ قال : هذه رحمة يضعها الله فى قلوب من يشاء من عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماءَ (١)

يقول أنس بن مالك رضى الله عنه: كان رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمةؓ : ادعى إلى ابنى (يعنى الحسن والحسين رضى الله عنهما) فيشمّهما ويضمّهما إليه. (٢) ودعا سبطه حسن بن على مرّة فجاء يشتدّ فوقع فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أدخل يده فى لحيته ثم جعل النبى صلى الله عليه وسلم يفتح فاه فيدخل فاه فى فيه. (٣)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأفة ورحمة للعالمين كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز. "وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين" (٤)

الرحمة لفظ شاع استعماله فى حياتنا اليومية وهو يطلق على كل شى ينال به الإنسان نفعا وراحة أما أنواع الرحمة وأقسامها ودرجتها فلا حصر لها، ولكن اكبر مظهر من مظاهر الرحمة وقمتها هو أن ينقذ رجل الإنسانية كلها من الهلاك والدمار وعن عبادة المادة والمعدة وعبادة الأوثان والأصنام وعبادة الأشجار والأحجار والشمس والقمر والبحار والنيران.

(١) صحيح البخارى، كتاب المرضى باب عيادة الصبيان

(٢) جامع الترمذى فى أبواب المناقب. باب مناقب الحسن والحسين

(٣) الأدب المفرد للإمام البخارى : ص ١٧٣ ـ(٤) سورة الانبياء : ١٠٧

وإليك قصة تروى لتوضيح مهمّة الرسول صلى الله عليه وسلم ودوره فى إنقاذ البشرية.

يحكى أن فريقا من تلاميذ المدارس ركبوا سفينة للنزهة فى البحر أو للوصول الى البرّ وكان فى النفس نشاط وفى الوقت سعة وكان الملاح المجدّف الأمىّ خير موضوعٍ للدعابة والتنادر وخير وسيلة للتلهى وترويج النفس فخاطبه تلميذ ذكى جرئ وقال يا عمّ مإذا درست من العلوم قال الملاح : ولا شئ يا عزيزى، قال أما درست العلوم الطبيعية يا عمى؟ قال كلا وما سمعت بها وتكلم أحد التلاميذ فقال : لكنك لا بدّ علم الأقليدس والجبر والمقابلة! قال وهذا أغرب وصدقونى أنى اوّل مرّة أسمع هذه الأسماء الهائلة الغريبة، وتكلم ثالث "شاطر" فقال ولكنى متأكد من أنّك درست الجغرافية والتاريخ؟ فقال : هل هما اسمان لبلدين أو علمان لشخصين وهنا لم يملك الشباب نفوسهم المرحة وعلاصوتهم بالقهقهة وقالوا: ما سنك يا عمّ؟ قال أنا فى الأربعين من سنّى! قالوا: لقد ضيّعت نصف عمرك يا عمّنا! وسكت الملاّح الأمّىّ على غضض ومضض ولقى ينتظر دوره والزمان دوار.

وهاج البحر وماج وارتفعت الأمواج وبدأت السفينة تضطرب والأمواج شاغرة، أفواهها لتبتلعها و اضطرب الشباب فى السفينة. وكانت أول تجربتهم فى البحر وأشرفت السفينة على الغرق، وجاء دور الملاح الأمّى فقال فى هدوءٍ ووقار : ما هى العلوم الّتى درستموها يا شباب؟ وبدأ الشباب يتلون قائمة طويلة للعلوم والآداب التى درسوها فى الكلية ويتوسعون فيها فى الجامعة من غير أن يفطنوا لغرض الملاح الجاهل الحكيم ولما انتهوا من عدّ العلوم المرعبة أسماؤها، قال فى وقار تمزجه نشوة الانتصار: لقد درستم يا أبنائى هذه العلوم الكثيرة فهل

درستم علم السباحة؟ وهل تعرفون إذا انقلبت هذه السفينة - لاقدر الله - كيف تسبحون وتصلون الى الساحل بسلام؟ قالوا لا والله يا عم، هو العلم الوحيد الذى فاتتنا دراسته والالمام به.

هناك ضحك الملاح وقال إذا كنت ضيعت نصف عمرى فقد أتلفتم عمركم كله، لأن هذه العلوم لا تغنى عنكم فى هذا الطوفان، وإنما ينفعكم العلم الوحيد وهو علم السباحة الّذى تجهلونه (١)

فتدور مهمة النبوّة حول انقاذ البشرية من الهلاك فى ورطة الجهل والميوعة وفساد الأخلاق والمادية وارواء ظمئها الحيوانى وملأ المعدة الخيالية أو الصناعية وتخرجها إلى السعادة والهناء ومن الأرض الخراب اليباب إلى روضة غناء وحديقة فيحاء، وقد شرح هذه الحالة لسان النبوة بقوله البليغ منقطع النظير، فقال :

"مثلى كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاء ت ما حوله جعل الفراش وهذه الدوابّ التى تقع فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقحمن فيها، فأنا اخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها، وقال فى آخرها فذلك مثلى ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار فتغلبونى وتقحمون فيها. (٢)

وقد كان من عظيم رأفة النبى صلى الله عليه وسلم على النساء أنه صلى الله عليه وسلم حرم وأد البنات وكانت هذه الجريمة موجودة فى بعض قبائل جزيرة العرب، واليكم قصة وأد البنت التى يتصدع لها القلب وتدمع لها العين :

روى أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يزال

(١) النبوّة الانبياء فى ضوء القرآن ـ للأستاذ أبى الحسن على الندوى ص ٤٥

(٢) صحيح البخارى ٦١/١

مغتمّاً حزينا فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرسول الكريم ما لى أراك أبداً كئيباً محزونا؟ فقال يا رسول الله إنى أذنبت ذنبا فى الجاهلية وأخاف أن لا يغفره الله لى ولو أسلمت فقال له أخبرنا عن ذنبك فقال يارسول الله إنى كنت ممن يئدون بناتهم - فولدت لى زوجتى بنتا، فتشفعت إليّ امرأتى أنى أتركها لها فتركتها حتى إذا كبرت وأدركت وصارت من أجمل البنات، خطبها الكثيرون فدخلتنى الحمية ولم يحتمل قلبى أن أزوجها أو أتركها فى البيت بغير زواج فاحتلت على زوجتى فقلت لها: إنى أريد أن أذهب لزيارة أقربائى فابعثيها معى تتسلى فسرّت بذلك وزينتها بالحلى والثياب وبعثتها معى، فذهبت بها خارج المدينة إلى رأس بئر فنظرت فى البئر ففطنت البنت بأنى أريد أن ألقيها فى البئر فالتزمتنى وأخذت تبكى وتتضرع إلى أن أتركها وتقول: يا أبت لا تضيع وصية أمى قال : فرحمتها ثم دخلت على الحمية ثانية وغلبنى الشيطان لأغسل عن نفسى العار فأمسكت بها بقوة وألقيتها منكوسة على رأسها فى البئر ومكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت إلى بيتى وأنا مطمئن البال لأننى قد أزلت عنى ذلك العار، فلما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم تلك القصة بكى وبكى معه أصحابه ثم قال له: لو كنت معا قبا أحدا بما فعل فى الجاهلية لعاقبتك على ذلك الذنب (١)

لذلك كانت منة الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بل على الإنسانية جمعاء بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم : قال تعالى :

"لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين" (٢)

(١) تفسير القرطبى : ٩٧/٧ (٢) سوة آل عمران : ١٦٤

الباب الثانى

مصادر المدائح النبوية الأساسية

نظرة على مصادر السيرة:

إن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العطرة ودعوته التى جاء ت بانقلاب شامل على كل المستويات الدينية والاجتماعية والفكرية والنفسية والاخلاقية والسياسية والسلوكية. وقد قيض الله أناسا لحفظ سيرة نبيهم عن ظهر قلب ولتدوين سيرته فى الأسفار والزبر منذ صباه إلى أن لحق بالرفيق الأعلى بل قد تولّى الله عزوجل حفظ سيرة نبيه الخاتم فى كتابه الخالد، وأما ما يتعلق بسيرة الأنبياء والمرسلين ما عدا النبى صلى الله عليه وسلم فوجودها قليل نادر جداً حتى ما يتعلق بسيرة المسيح عليه السلام فحسبك قول القس الفاضل الدكتور شارلس اندرسن فى مقالة فى دائرة المعارف البريطانية إنه يقول:

ينبغى أن يتنازل الانسان عن محاولة وضع كتاب فى سيرة المسيح بكل صراحة فانه لا وجود للمادّة والمعلومات الّتى تساعد على تحقيق هذا الغرض، والأيام التى توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها على خمسين يوما. (١)

إن دراسة السيرة النبوية تعتمد على مصادر متنوعة ولكل منها قيمتها العلمية واستيعاب هذه المصادر عند دراسة السيرة يعطى أكمل صورة ممكنة ويغطى جوانب عديدة ونواحى مختلفة من سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ويسلط الأضواء على بعض المواقف التى قد تخفى على بعض المؤلفين فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فالصورة تتكامل وتتضح إذا اتصلت الحلقات كلها بعضها ببعض، ولا

(١)دائرة المعارف البريطانية : الطبعة الرابعة ١٣/ ١٧١٠

شك فى أن مصادر السيرة المتنوعه تحتوى على مصادر أصلية ومصادر تكميلية من القرآن الكريم والحديث النبوى وكتب السيرة والتاريخ وكتب الشمائل والدلائل وكتب الأدب ودواوين الشعر وكتب الرجال والتراجم وكتب الفقه وكتب الأنساب ومعاجم اللغة وكتب الجغرافية وما إلى ذلك من المصادر.

وفى السطور الآتية سنسلط الأضواء على مصادر السيرة أو المدائح النبوية الأساسية.

١ . القرآن الكريم

إن كلام الله القرآن الكريم يأتى فى مقدمة مصادر السيرة النبوية، التى أنزله الله تعالى على رسول الاسلام بلفظه ومعناه بطريق الوحى ابتداء من شهر رمضان للسنة الحادية والأربعين قبل الهجرة إذأ وحى إليه صلى الله عليه وسلم وهو فى غار حراء يتعبّد ويتحنث الآية الأولى وهى:

"إقرأ باسم ربك خلق ، خلق الانسان من علق. إقرأ وربّك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم" ـ إلى تاسع ذى الحجة يوم الحج الأكبر للسنة العاشرة من الهجرة والثالثة والستين من ميلاده صلى الله عليه وسلم حيث أوحى اليه آخر آية.

"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا".

وهو حجة للرسول على أنه رسول الله ودستور للناس يهتدون بهداه وقربة يتعبدون بتلاوته وهو المدوّن بين دفتى المصحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس المنقول الينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلا عن جيل محفوظا من أى تغيير أو تبديل مصداق قول الله

سبحانه فيه :

"إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون" :

يقول الشيخ عبدالوهاب خلّاف عن القرآن الكريم:

تكوّن القرآن من ستة آلاف آية وعبّر عما قصد الى التعبير عنه بعبارات متنوعة وأساليب شتى وطرق موضوعات متعدده اعتقادية وخلقية وتشريعية وقرر نظريات كثيرة كونية وإجتماعية وخلقية تشريعية وقرر نظريات كثيرة كونية وإجتماعية ووجدانية ولا تجد فى عباراته إختلافا بين بعضها وبعض فليس أسلوب هذه الآية بليغا وأسلوب الأخرى غير بليغ وليس هذا اللفظ فصيحا وذلك اللفظ غير فصيح ولا تجد عبارة أرقى مستوى فى بلاغتها من عبارة بل كل عبارة مطابقة لمقتضى الحال الّذى وردت من أجله وكل لفظ فى موضعه الذى ينبغى أن يكون فيه، كما لا تجد معنى من معانيه يعارض معنى أو حكما يناقض حكما أو مبدأ يهدم مبدأ أو غرضا لايتفق وأخر فكما أنه لا اختلاف بين عباراته وألفاظه لا اختلاف بين معانيه وأحكامه ولا بين مبادئه ونظرياته ولو كان صادرا من عند غير الله أفرادا أو جماعاتٍ ما سلم من اختلاف بعض عباراته وبعض أو اختلاف بعض معانيه وبعض. لأن العقل الانسانى مهما نضج وكمل لا يمكنه أن يكون ستة آلاف آية فى ثلاث وعشرين سنة لا تختلف آية منها عن أخرى فى مستوى بلاغتها ولا تعارض آية منها آية أخرى فيما اشتملت عليه والى هذا الوجه من وجوه الاعجاز أرشد الله سبحانه وتعالى بقوله فى سورة النساء.

"أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا

كثيرا" (١)

السور المكية من القرآن الكريم تشتمل على توحيد الله بذكر صفاته وما يجب على المكلف اعتقاده فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ورفض الأصنام والأوثان، والسور المدنية تحتوى على أحكام العبادات من الصلوة والزكوة والصوم والحج وأحكام المعاملات من الأحوال الشخصية والأحكام المدنية من بيع وإجارة ورهن وكفالة ومداينه والأحكام الجنائية وأحكام المرافعات والأحكام الدستورية والأحكام الدولية والأحكام الإقتصادية والمالية – فالسور المكية والمدنية تلقى ضوءًا على القوانين الإقتصادية والإجتماعية الّتى نفذها الرسول صلى الله عليه وسلم فى مهجره تطبيقا للتشريع الإلهى المبنى على مصالح العباد فى الدنيا والآخرة.

الوقائع التى حدثت فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم قد أشار القرآن الكريم إلى بعضها فى بعض السور، كغزوة بدر أشار إليها القرآن فى سورة الأنفال وغزوة حنين أشار إليها فى سورة التوبة وغزوه أحد أشار إليها فى سورة آل عمران وغزوة الخندق أشار إليها فى سورة الأحزاب.

وكذلك قصة زواجه مع زينب وحادثة الإسراء والمعراج وذكر أخلاقه صلى الله عليه وسلم وتعامله مع الأزواج أو الناس والمسلمين ومحاولته المكثفة فى بث الدعوة الإسلامية والصراع الفكرى والمادى بين المسلمين واليهود والمنافقين والكفار الأحداث التاريخية الأخرى

(١) علم اصول الفقه ص ٢٦ـ ٢٧ـ عبدالوهاب خلاف. الطبعة العشرون ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م دارالقلم الكويت للطباعة والنشر والتوزيع

لا نستطيع أن نعطيها مكانتها اللائقة بها إلا بالرجوع إلى كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢ـ الأحاديث النبوية:

إن هناك صلة وثيقة بين القرآن والسنّة لأن القرآن يشير إلى معظم الأحكام والأحداث إشارة إجمالية والسنة تفسرها، فالقرآن يشتمل على أصول للاحكام ولا يتعرض للقوانين الفرعية إلا القليل النادر ولذلك الذين يحاولون إنكار السنة فانهم يريدون إزالة عرقلة السنة بينه وبين القرآن، وإذا فعلوا ذلك تيسرلهم تأويل القرآن حسب أهوائهم وميولهم ثم إن الحديث النبوى الشريف لا يمكن بدونه أن يستقيم أمر المسلمين ويتيسرلهم التحلى بالأخلاق الفاضلة الحسنة والإبتعاد عن الرذائل والعادات الّتى تزرى بالإنسان والتأسى بالأسوة الحسنة فى الشدائد والمحن والسرّاء والضرّاء والرخاء والعسرة ولا يتأتى الاتزان الكامل فى السيرة والسلوك إلا بالترابط الوثيق المتماسك بين القرآن والسنّة.

يقول الأستاذ المهتدى محمد أسد النمساوى:

"ولكى يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم وقصور بيئتهم، فانهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنة، لانهم إذا فعلوا ذلك كان بامكانهم حينئذ أن يتأوّلوا تعليم القرآن الكريم كما يشاء ون على أوجه من التفكير السطحى أى حسب ميول كل واحد منهم وحسب طريقة تفكيره هو ولكن تلك المنزلة الممتازة الّتى للإسلام على أنه نظام خلقى و عملى ونظام شخصى واجتماعى ، تنتهى بهذه الطريقة الى التهافت والاندثار"ـ (١)

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ٩٥ـ للاستاذ محمد أسد

إن مادة السيـــرة فى كتب الحديث موثقة وقد اعتمد عليها العلماء المؤرخون قديما وحديثا ولم يخل أى عصر من العصور الا ودونت فيه أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم لكن الذى دوّن الحديث لأوّل مرّة بصورة رسمية هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهرى (٥٠ - ١٢٤هـج) بأمر عمر بن عبدالعزيز وابن شهاب الزهرى هو المدنى وأحد الأئمة الأعلام وعالم أهل الحجاز والشام من طبقة صغار الصحابة وكبار التابعين ثم شاع التدوين فى الطبقة التى تلى الزهرى.

وكان أوّل من جمعه بمكة ابن جريج (١٥٠هـ) وابن اسحاق (١٥١هـ) وبالمدينة سعيد بن أبى عروبة (١٥٦ هـ) والربيع بن صبيح (١٦٠هـ) والامام مالك (١٧٩هـ) وبالبصرة حماد بن سلمة (١٧٦هـ) وبالكوفة سفيان الثورى (١٦١ هـ) وبالشام أبو عمرو الأوزاعى (١٥٦هـ) وبواسط هشيم (١٨٨ هـ) وبخراسان عبدالله بن المبارك (١٨١ هـ) وباليمن معمر (١٥٣ هـ) وبالرى جرير بن عبدالحميد (١٨٨ هـ) وكذلك فعل سفيان بن عينية (١٩٨هـ) والليث بن سعد (١٧٥ هـ) وشعبه بن الحجاج (١٦٠هـ) وكان هؤلاء فى عصر واحد ولايدرى أيهم سبق (١)

وصنف بعد ذلك عبيد الله بن موسى العبسى الكوفى مسنداً وصنف مسدد البصرى مسندا وصنّف أسد بن موسى مسنداً صنف نعيم بن حماد الخزاعى مسنداً وصنف الإمام أحمد بن حنبل مسنداً وكذلك إسحاق بن راهويه وعتاب بن أبى شيبة. ثم جاء الدورالذهبى لتدوين الأحاديث فألف محمد بن إسماعيل البخارى (٢٥٦ هـ) كتابه الجامع

(١) توجيه النظر إلى أصول الأثر: ص: ٧-٨ - للعلامة طاهر الجزائرى. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

الصحيح وألف تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٦١ هـ) صحيحه المشهور، وألفت بعدهما كتب كثيرة من أهمها سنن أبى داؤد (٢٧٥هـ) والنسائى (٣٠٣هـ) وجامع الترمذى (٢٧٩هـ) وسنن ابن ماجة وفى القرن الرابع ألف الإمام سليمان ابن احمد الطبرانى (٣٦٠ هـ) معاجمه الثلاثة الكبير ورتب فيه الصحابة على الحروف وهو مشتمل على خمسمائة وخمسة وعشرين ألف حديث والأوسط والأصغر رتب فيهما شيوخه على الحروف أيضاً وألف الدار قطنى (٣٨٥ هـ) سننه المشهورة وابن حبّان العبسى (٣٥٤هـ) وابن خزيمة (٣١١هـ) والطحاوى ٣٢١هـ) (١)

كتب الأحاديث تتناول أحكاما عقدية وعبادية وسياسية وادارية ومالية ولا يمكن تكامل تصور الإسلام إلا بمعرفة الحديث ولكل هذه الجوانب التى تناولتها الأحاديث صلة بالحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين الأحكام والشرائع الا وطبقها فى المجتمع الاسلامى.

بعض العلماء أفردوا مؤلفا مستقلا فى الدلائل وهى تعنى المعجزات والدلائل التى تبين صدق النبى صلى الله عليه وسلم. فقد ألف محمد بن يوسف الفريابى (تـ ٢١٢ هـ) دلائل النبوة وألفّ علىّ بن محمد المدائنى (تـ ٢١٥ هـ) آيات النبى وألّف داود بن على الأصبهانى (تـ ٢٧٠ هـ) أعلام النبوة وألف ابن قتيبة أعلام رسول الله وابن أبى حاتم (تـ ٣٢٧ هـ) أعلام النبوة وأبو بكر بن أبى الدنيا (تـ ٢٨١ هـ) وأبو عبدالله

(١) الإسلام والمستشرقون ص: ٤٣٣ - تاليف نخبة من العلماء المسلمين. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م عالم المعرفة جدة

بن مندة (تـ ٣٩٥هـ) وأبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبحانى (تـ ٤٣٠ هـ) والقاضى عبدالجبار المعتزلى : تثبيت دلائل النبؤة وأبو العباس جعفر بن محمد المستغفرى (تـ ٤٣٢ هـ) وأبوبكر أحمد بن الحسين البيهقى (تـ ٤٥٨هـ) وأبو الحسن على بن محمد الماوردى (تـ ٤٥٠) وأبو القاسم اسماعيل الاصفهانى (تـ ٥٣٥) وألف عمر بن على بن الملقن (تـ ٨٠٤هـ) كتابه "خصائص أفضل المخلوقين" وجلال الدين السيوطى (تـ ٩١١هـ)الخصائص الكبرى.

وبعض العلماء صنفوا كتب الشمائل التى تتناول أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وصفاته وآدابه. فقد صنف داؤد بن على الأصبهانى (تـ ٢٧٠هـ) كتابه "صفة أخلاق النبى" والحافظ الترمذى (تـ ٢٧٩ هـ) "الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية" وأبو الشيخ عبدالله بن محمد بن حبان الأصبهانى (تـ ٣٦٩ هـ) كتابه "أخلاق النبى وآدابه وأبو سعيد عبدالملك بن محمد النيسافورى (تـ ٤٠٦) شرف المصطفى وأبو العباس المستغفرى "شمائل النبى" والقاضى عياض (تـ ٥٤٤هـ) كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى والحافظ ابن كثير (تـ ٧٧٤هـ) شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم .

كُتبُ السيرة النبويّة

لقد قيض الله رجالا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لحفظ سيرة نبيّه من التحريف والتبديل والضياع والنقصان فقد ألّفوا كتبا فى السيرة أثبتوا فيها كل ما وصل اليهم عن سيرة الرسول الأعظم من الولادة الى البعثة ومن البعثة الى الوفاة ومن أبرز المصادر فى السيرة التى توجد فى مكتبات العالم سيرة ابن هشام وهى تهذيب لسيرة ابن إسحاق وقد شرح الحافظ السهيلى (تـ ٥٨١ هـ) سيرة ابن هشام فى كتابه "الروض

الأنف" والمغازى لمحمد بن عمر الواقدى (تـ ٢٠٧ هـ) والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (تـ ٢٣٠ هـ) وتاريخ خليفة بن خياط (تـ ٢٤٠ هـ) وأنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (تـ ٢٧٩ هـ) وتاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبرى (تـ ٣١٠ هـ) والدرر فى اختصار المغازى والسير لإبن عبدالبرالقرطبى (تـ ٤٦٣هـ) وجوامع السيرة لابن حزم الظاهرى (تـ ٤٥٦ هـ) والكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى (تـ ٦٣٢هـ) وعيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس (تـ ٧٣٤ هـ) وزاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية (تـ ٧٥١هـ) والسيرة النبوية للحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) وامتاع الأسماع للمقريزى (تـ ٧٥٦ هـ) والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية لأحمد بن محمد القسطلانى (تـ ٩٢٣ هـ) وشرح المواهب اللدنية لمحمد بن عبدالباقى الزرقاونى (ت ١١٢٢ هـ) والسيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبى (تـ ٨٤١هـ) وسبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الدمشقى الشامى (تـ ٩٤٢هـ)

ولا بد أن ننظر إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كوحدة عضوية متكاملة والى القرآن الكريم كبرنامج مترابط تعلو معطياته على الظروف الموقوتة زمانا ومكانا (١)

(١) دراسة فى السيرة ص: ٢٦ ـ عماد الدين خليل، طبعة سادسة ١٤٠٢هـ-١٩٨٤م دارالنفائس بيروت

الباب الثالث

عناصر المدائح النّبويّة

أهمية عناصر المدائح:

كان مقتضى الحكمة الالٰهية أن يكون هناك نوع من الخطاب بين عالم الغيب وعالم الشهادة العاقل خطاب يرفع الناس من اللصوق بالأرض ويوجّههم إلى موجود واحدٍ أحد ليس كمثله شئ وإلى دلائل وجوده مما هو مشهود للناس جميعا وإلى وحدة الحياة المنظورة والحياة المستقبلة غير المنظورة بعد عالم الموت ويحدد المنهج الذى يمنح الإنسان قدرا من الصفاء يؤهله للفهم عن الغيب ولإدراك المقاصد والغايات والدلائل والحكم التى ينطق بها كل موجود من حوله. وعالم الغيب لطيف والإنسان كثيف وخطاب اللطيف للكثيف مستحيل كما أن خطاب الأحد الذى ليس كمثله شئ مستحيل للطيف والكثيف جميعا ومن أجل هذا اقتضت الحكمة الإلٰهية أن يوجد من بين العالم اللطيف وهم الملائكة الذين يعتبرون غيبا بالنسبة للكثيف الذى هو نوع الانسان نوعا مزودا بقدرات معينة تجعله يستطيع أن يتلقى الخطاب من الله تعالى على وجه يمكن أن يتفاعل به مع أفهام الناس ومداركهم بعد أن كان خطابا ذاتيا لاسبيل لأىّ مخلوق إلى الوصول إليه وكان هذا النوع من الملائكة هوالروح الأمين جبريل سفير عالم الغيب إلى العالم المشهود والنازل إليهم يوحى الله كلما اقتضت الحكمة أن ينزل وحى.

ثم كانت حكمة أخرى فالإنسان العادى لا يمكن أن يتفاعل مع الروح الأمين ولا أن يتلقى عنه خطابا ولا يحفظ عنه قولا بسبب اختلاف عنصريهما وطبيعتهما فكان لا بد من أن يكون هناك نوع ممتاز من الناس هم ناس فى طبيعتهم ولكن يد الله تعالى صاغتهم بطريقة تجعلهم أقدر على تلقى الخطاب من الوحى ونقله الى كافة البشر على

اختلاف ملكاتهم وعلى تباين درجات إدراكهم وكان ذلك المنقول من عالم الغيب إلى عالم الشهادة على هذه المراحل وهى وصايا الله تعالى وكتبه التى انتهت بالقرآن الكريم على خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم

فالرسول الّذى ينقل الخطاب الإلٰهى إلى البشر بلغة البشر هو انسان متميز عن بقية بنى الانسان، متميز فى الخلق والتكوين بحيث يستطيع استقبال الخطاب الإلٰهى من الوحى، ذلك الإستقبال الذى لا يستطيعه إلارسول خلقه الله بموصفات معينة تؤهله لهذا المنصب الرفيع وإن عناية الله تعالى برسله تضعهم فى موضع من الرعاية الخاصة التى تحفظهم من الزلل الذى يقع فيه الناس وتمنحهم من العلم ما لا تمنحه للناس وتمدهم من القوة بما لا تمد به أحدا غيرهم من الناس. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه حينما أرادوا أن يسيروا سيرته فى عباداته الشاقة "إنكم لستم مثلى"

وشاء ت الإرادة الربانية أن تجعل ميزات التوحيد والنبؤة فى حفيد ابراهيم عليه السلام من ولده اسماعيل استجابة لدعواته عليه السلام فى أول بيت أنشئ لعبادة الله تعالى وكان ذلك الحفيد يتيماً صنعه الله على عينه وأكسبه من فضله ورحمته ما جعله أهلاً لختام الرسالات السماوية وجعل معجزته ذلك الكتاب الذى أنزله إليه رحمة للعالمين وبيانا للحق أبديا وشفاء للعقول والصدور المؤمنة وهاديا إلى صراط مستقيم.

وكان النبى محمد صلى الله عليه وسلم برهانا على أن الله تعالى يريد لعباده فى الأرض أن يسخروا كل قوة يعطونها فى مرضاة الله تعالىٰ ، فالعلم والثراء والقوة والمحيا والممات والصلاة والنسك كلها لله تعالى والتفاضل بين الناس لايكون ولا يجوز أن يكون بأى سبب يمتّ إلى أى من قوى المال أو العلم أوالجاه وانما هو بالتقوى وهى سرالخلق

العظيم المهتدى إلى الله تعالى وهى رابطة البر والإحسان وتسخير مواهب الرحمن وعطاياه فيما يرضى عنه خالق الناس وواهب الخير والرزق وكل ما ينعم به الإنسان.

لامراء فى هذه الحقيقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسولا نبيا أرسله الله لهداية الناس إلى أن يقوم الساعة وكان سيد ولد آدم وشرفه الله بالإسراء والمعراج وكان بالمومنين رؤفا رحيما، ولا بد للمسلم أن يصلى عليه ويسلم ويذكر سيرته وتضحياته فى سبيل نشر الدعوة ولكنه صلى الله عليه وسلم مع ذلك كله كان رسولا عبداً وبشراء، كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز:

"وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاوحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء انه على حكيم" (١)

وقال تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما الٰهكم إله واحد" (٢)

وقال تعالى : "سبحان الذى أسرىٰ بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّذى باركنا حوله لنريه من آياتنا، انه هو السميع البصير"- (٣)

وقال: "وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صٰدقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدّت للكفرين"- (٤)

وإذا أردنا أن نستخلص العناصر الأساسية للمدائح النبوية فى ضوء القرآن والسنة نستطيع أن نقول انها تنحصر فى عناصر آتية :

(١) الشوره: ٥١ (٢) فصلت: ٦ (٣) الإسراء: ١ (٤) البقرة: ٢٣

١. الإلمام التام بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و مكانته:

ما أحوجنا معشر المسلمين كافة الى وقفة محاسبة، كل منا مع نفسه فى خلواته، نراجع أحوالنا لا سيما من فرط فى جنب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسول صلى الله عليهم وسلم كان خاتم النبيين وكثير منا لايعرف من سيرة الرسول الخاتم الأعظم الا شيئا يسيرا تحلة للقسم والحقيقة أن سيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم تجربة غنيّة بأحداثها، زاخرة بدلالتها متنوعة بمعطياتها وما كان لدارس أو باحث يسعى الى إيفائها حقها من البحث والتحليل إلا أن يوسع نطاق رؤياه ويصبّ اهتماماته على هذه الجوانب كلها : حركية وسياسية وعسكرية وشخصية وفقهية وروحية وواقعية وغيبة وعقدية وحضارية ولا أن يدرس السيرة النبوية التى ألّفت فى ضوء القرآن الكريم كما أشار إليه الدكتور جوادلى قائلا : إن النبى العربى هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب وهو عبدالله ورسوله ونبى وبشر مثل سائر البشر إلّا فى النبؤة ونزول الوحى عليه فقد ورد فى القرآن الكريم.

"قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلٰهكم إلٰه واحد" (١)

وعلى هذه الآية وبوحيها يجب السير فى تدوين السيرة النبوية وتاريخها ولو سار المؤرخ بموجبها وبموجب وحى آيات القرآن الأخرى لجنب نفسه الوقوع فى المزالق والمآخذ وجعل السيرة النبوية سيرة حية سيرة نبى مرسل بالمعنى الإسلامى الصحيح الّذى نجد روحه فى الآية المذكورة ولو جنب أصحاب السيرة المتأخرون سيرهم القصص الإسرائيلى الّذى أدخل على السيرة وعلى الإسلام والذى لا يتفق مع هذه الآية ومع أحكام القرآن لأراحوا السيرة وجنبوا الناس الأخذ بهذا

(١) سورة الكهف : ١١١ ـ

القصص الذى بنى عليه بعض المستشرقين أحكاما وآراء أساءت كثيرا إلى الإسلام وأرادوا بها التشكيك بصاحب الرسالة والمسلمين. (١)

فإذا استوعب المسلم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وعرف مكانته يسهل عليه سلوك الطريق المستقيم واختيار الصراط السوى بين الافراط والتفريط وكان حينئذ جديرا بأن يفرق بين الرسول البشر وبين الله تعالى وحق له التغنى بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢. عدم الغلو فى المديح النبوى:

قد قرر العلماء أن من آداب المديح النبوى عدم الغلو والاطراء فى وصفه صلى الله عليه وسلم: فلا يجوز لنا أن ننسب اليه الأمور التى لم تثبت بالرواية الصحيحة كما لا يجوز أن نخلع عليه خلعة الألوهية كما يفعله بعض الجهلة الذين أرادوا مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فوقعوا فى الشرك أعإذنا الله منه. يقول محمد عزه دروزه فى كتابه القيم:

من العجيب أن يكون فى القرآن آيات كثيرة فيها الكفاية لرسم صورة صادقة لشخصية النبى صلى الله عليه وسلم وفيها قرائن وإشارات ودلالات عديدة تساعد على التصرف على نشأته وسيرته قبل البعثة ثم يعمد بعض المسلمين بل بعض علمائهم إلى تجاوز ذلك إلى مالا تساعد عليه نصوص القرآن، بل ما تتناقض معه، فإذا كنت ممن تسنى لهم أن يستمعوا قصة من هذه القصص التى تتلى فى حفلات المولد فقد سمعت ولا ريب نماذج من الغلو الذى يكاد يجعل للنبى صلى الله عليه وسلم شخصية لاهوتيه أو فى نطاق اللاهوتية ولقد وقع غير واحد من كتّاب السيرة والشمائل وشرّاحها فى هذا الغلو دون أن يكون لذلك أصل من القرآن أو سند من حديث صحيح أو دعامة من منطق معقول ويبدو أن

(١) تاريخ العرب فى الإسلام ١/٧٥ـ د/ جواد على

غلاة المسلمين لم يكتفوا بالوقوف عند الانسان الكامل فى النبى صلى الله عليه وسلم يتجلى بالتميز فى عظم الخلق وصفاء النفس وكبر القلب وقوة الايمان والمهمة العظمى التى اضطلع بها ورأوا أنه لا بد أن يكون من لوازم نبوءته واصطفائه أن تكون ثمة مقدمات وبشائر (١)

ولقد حذّرنا النبى صلى الله عليه وسلم عن الغلو والاطراء وبين وخامة عاقبته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

"لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، انما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله" (٢)

عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى لم يقم منه "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"ـ (٣)

وعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصةً له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك يقول: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخدوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا (٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين (٥)

"من أبرز الجوانب المضيئة فى المدائح النبوية وأكثر سماتها أصالة وأهمية وإبراز أكبر مآثر النبوة المحمدية وأهدافها هى الدعوة إلى عقيدة

(١) عصر الرسول ١/٢٥ـ٢٦ للشيخ محمد عزه د روزه
(٢) البخارى فى الصحيح رقم ٢٤٤٥ ومسلم فى صحيحه رقم ١٦٩١
(٣) متفق عليه البخارى رقم ٤٣٥ ومسلم فى الصحيح رقم ٥٣١
(٤) البخارى رقم: ١٣٣٠، ١٣٩٠
(٥) أحمد فى المسند ١/٢١٥، إبن ماجه فى السنن ٣٠٦٤

التوحيد الخالصة النقية ونبذ الوثنية والثنوية والاشراك بالند بجمع أنواعه ومظاهره وممكناته ومفترضاته وقد وردت هذه المعانى فى عدد من القصائد التى قيلت فى المدائح النبوية فإن البعثة المحمدية قد اقترنت بالدعوة الى التوحيد السالف اقترانا بحيث لا يمكن تصور أحدهما الا بالآخر ولا يمكن الانصاف - إذا كان الإنصاف ممكنا - لموضوع المديح النبوى إلا إذا أبرزت هذه الناحية الأساسية فى الحديث عن فضل البعثة المحمدية النبوية ومننها على العالم ومعطياتها ومنجزاتها.

وفى الإنصاف للموضوع أن يقال أنه قد تورط عدد من أصحاب المدائح فى بعض المزالق بتاثير بعض البيئات الموبوءة أو ضعف الثقافة الدينية أو بسبب الإتجاه إلى الغلو والمبالغة التى اعتبرت من سمات الشعر ومحاسنه فى كثير من الآداب واللغات العهود والأدوار وقد أبدى العارفون لروح الدين والغيارى على الإسلام فى كل زمان ومكان استنكارهم لذلك واعتبروه شيئا دخيلا طارئاً على المديح النبوى " (١)

٣. الثقافة الدينية العامة اللازمة:

إن الإسلام هو الدين الأخير الذى يجمع بين سعادتى الدنيا والآخرة ويتكفل بنجاح الإنسان من المهد إلى اللحد، وإن الإسلام نظام كامل وشامل وله خصائص وميزات لم تتوافر للديانات السابقة والأنظمة الوضعيّه والفلسفات الحضارية القديمة والجديدة، والإسلام يتمثل فى حياة الفرد والجماعة ويشمل جميع نواحيها العلمية والعملية ويقدم للإنسان قدوة للعمل والسلوك ويقدم الإسلام إلى المسلمين تعاليم أساسية لايجوز التخلّى عنها فى أى حال من الأحوال ويركز على دعامة

(١) الرائد ٢ـ١٨ جمادى الأولى ١٧ ٤١هـ من مقال السيد أبى الحسن على الحسنى الندوىؒ العددان ٦ـ٧

العقيدة والإيمان التى هى أصل الأصول كلها ثم تتبعها ثلاث دعائم أخرى لا تتم الحياة الإسلامية إلا بها وهى دعامة العبادات وكل ذلك يستند إلى التوجيهات والتشريعات التى هى مودعة فى كتاب الله وسنة رسوله. ذينك المصدرين الأصليين اللذين يرجع إليهما ويقاس عليهما فى جميع قضايا الحياة ومسائلها ومشكلاتها الفردية والجماعية وفى كل ما يتجدد ويستحدث من الشئون والأوضاع بحكم التطورات العلمية والتقدمات التقنية والصناعية فى العالم الحديث اليوم.

والمسلم مأمور بالتعلم والتفقّه أينما كان وفى أى زمان ومكان، يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح: من يرد الله به خيرا يفقّهه فى الدين. ومن علامات السعادة والتوفيق أن يتعلم المسلم ويتفقّه فى دين الله، يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به"ـ

ولقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس ما فيه طهارة قلوبهم وصلاح أعمالهم وأخلاقهم، وليطهرهم من الأخلاق الذميمة والأعمال الخبيثة ويزكيهم بالأعمال الطيبة والأخلاق الكريمة

التى أعظمها وأساسها توحيد الله سبحانه وتعالى وإخلاص العبادة له فى جميع الأحوال وترك عبادة ما سواه والإيمان به وبرسوله بكل ما أخبر الله به ورسوله عما كان وما يكون. وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كل ما كانت الإنسانية محتاجة إليه وحذر عن كل ما كانت الانسانية غير مفتقرة إليه وبين الحلال والحرام والشرك والتوحيد والواجب والمندوب وأركان الاسلام والإيمان ومبادئ الدين التى يجب الإيمان بها من التوحيد والصلاة والزكاة والحج والصوم والقدر والملائكة والكتب واليوم الآخر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وما إلى ذلك الأحكام المودعة فى كتاب الله وسنة رسوله من حقوق الله وحقوق العباد ومكانة الأنبياء والرسل ووظيفتهم وعلاقتهم بالله وبالناس.

٤ـ القدرة على استخدام الأساليب الملائمة لشخصية الرسول ﷺ

إن الأسلوب وإن لم يكن غاية فى نفسه ولكنه وسيلة لأداء المعانى والتعبير عن الحقائق والمشاعر فاستحق عناية خاصة ولاشك أن ألفاظ اللغة هى واحدة لا تختلف فى ترتيبها ولا تتباين فى نطقها مهما كانت المعانى التى نؤديها والإنسان الّذى ينطق بها ولكن الاختلاف العظيم والفوارق الجمة تأتى من جهة استعمالها وتعاطيها، فإذا أوتى الأديب حظا وافرا من حسن الذوق ودقة الاختيار وقوة الملاحظة استطاع أن ينتقى الألفاظ الشعرية التى تمس الحس وتهزه هزّا وألفاظ الشاعر تتآخى دائما مع معانيه وتتلائم مع أفكاره فالمعنى الجيد والخيال الطريف يحتاج إلى لفظ موفق وأسلوب مشرق وعبارات تفيض رقة وعذوبة وسلاسة وقوة وجزالة وكم من نادر أفسده لفظ مرذول وأسلوب ضعيف

مفككك وأما الأسلوب الناضج القوى والصورة البارعة الممتعة التى تفيض بالجمال والبهاء فانها تستولى على فكر الانسان وأحاسيسه وتمتلك منه مواطن الاعجاب.

إن الشعر العربى كان مبعثه الاستجابة لأحاسيس النفوس من حبّ وبغض والتعبير عن رغباتها من إذاعة المكارم ونشر المحامد وتصوير عاطفة الآلام والآمال. ومن هنا تنوّعت أغراضه وتشعبت فنونه وتناول الغزل والمدح والفخر والهجاء والرثاء والوصف والحماسة والإعتذار ولكل مذهب وفن لغته التى تناسبه واسلوبه الذى ألصق به.

فالاسلوب الأدبى يحرّك المشاعرو يهزّ العواطف يبكى الأديب الناس إن بكى ويطربهم ان غنى، يقول الشاعر ابراهيم فطاّنى:

إنما الشعر روعة الفن تبدو	فى نبيل من البيان وجرس
وشعورى يثير أسمى شعور	وانسجام فى حسّ ذوق وحس
إن تغنّى فالكون يصغى ابتهاجا	أو تباكى أبكى الأسى كل نفس

هذا عمر الفاروق الذى عرف بصلابته وقسوته فى الحق رفع إليه أن الحطيئة ينال من أعراض المسلمين فزجره ونهاه ولكن الحطيئة كان فاحش اللسان هجاء فلم يزدجر فأمر الفاروق بقطع لسانه حتى تسلم منه أعراض المسلمين وفزّع الحطيئة لما يعرفه من صراحة عمر فى الحق وهالته تلك الحقيقة المروّعة فما الذى يملكه للتاثير فى قلب عمر لا شئ إلا أن يلجأإلى الأسلوب القوى المؤثر الملائم لتلك الأهوال والأحوال فقال:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ	زغب الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة	فاغفر-عليك سلام الله- يا عمر(١)

(١) ديوان الحطينة: ص٢٥ -

ويسمع عمر رضى الله عنه "ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ" فيبكى ويعفو عن الحطيئة - فها هو مثلا البوصيرى فى قصيدة الميمية والهمزية يبث رسول الله صلى الله عليه وسلم حبه فى أقوى صورة من صور الغرام الظامئ الذى لا تخمد جذوته فى أطوار الفؤاد أبدا فيقول:

أمن تذكر جيران بذى سلم	مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة	أو أومض البرق فى الظلماء من إضم
يا لا ئمى فى الهوى العذرىّ معذرة	منّى إليك ولو أنصفت لم تلم
محضتنى النصح لكن لست أسمعه	إن المحبّ عن العزّال فى صمم(١)

وإن كان هذا هو الحق أن كل شاعر لا يسهل عليه المديح ولا يملك اختيار الأسلوب الملائم لشخصية خصها الله بأسمى آيات العظمة والاجلال. ويحسن بنا أن ننقل هنا ماقاله ابن قتيبة فى كتابه:

"الشعراء بالطبع مختلفون فمنهم من يسهل عليه المديح ويتعذر عليه الهجاء ومنهم من تسهل عليه المراثى ويتعذر عليه الغزل وقيل للحجاج إنك لا تحسن الهجاء فقال: إن لنا أحلاما تمنعنا من أن نظلم وأحسابا تمنعنا من أن نظلم. وهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيبا وأجودهم تشبيها وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء وقراد وحيه فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع وكان الفرزدق زير (٢) نساء وصاحب غزل وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب وكان جرير عزهاة (٣) عن النساء وكان مع ذلك أحسن تشبيبا" (٤)

قال بعض العلماء،و بنى الشعر على أربعة وهى المدح والهجاء والنسيب والرثاء وقالوا: قواعد الشعر أربعة الرغبة والرهبة والطرب و الغضب فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار

(١)قصيدة البردة: ص٥-(٢) يكثر من زيارتهن (٣) عفيفا (٤) الشعر والشعراء.لابن قتيبة ص ٢٦

والإستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع (١)

وقد طال بنا الكلام فى هذا المقام وذلك بسبب أن الأسلوب له مكانة مرموقة فى إبزاز كوائن النفس وتقديمها بصورة محسوسه وملموسة زيادة فى التحبيب أو التنفير، فإذا كان الأسلوب دقيقا وسهلا كان التأثير عميقا وهكذا وجملة القول فى هذا الصدد أنه لا بد من مراعاة الأسلوب الملائم لشخصية الرسول ﷺ.

(١) العمدة لابن رشيق ١/١٠٠

الباب الرابع

عوامل المدائح النبوية

المبحث الأول:

إن للمدائح النبوية عوامل، عوامل داخلية وعوامل خارجية، العوامل تؤثر على الإنسان أو الإنسان يتأثر بالعوامل فيصدر منه أفعال وأقوال وانطباعات حسب تأثير العامل عليه، فإذا كان العامل قويا كان التأثر به قويا وإذا كان العامل ضعيفا كان التأثر به ضعيفا.

حينما ندرس العوامل الأساسية للمدائح النبوية فى الهند نجد العوامل الأساسية التالية:

١ ـ الإيمان بنبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم:

إن العقيدة لها دورها البارز وتأثيرها العريق العميق فى حياة المسلم وتوجيه حيات إلى ما يؤهله لأداء الوظيفة الملقاة على كاهله والسير على الخطّ المستقيم السليم. فقد عاش الإنسان ولا يزال يعيش حياة صراع تجاذبه الأهواء فى جانب وتتلاعب به الشهوات النفسية والتحكمات الإنسانية فى جانب آخر لم يكن له من حظوظ الحياة ما يرفعه إلى التكفير فيما يهيئ له سعادة ويوفر له راحة نفسية وقد تحكمت عوامل الزمان ومقاييس التفاوت الطبقى والفوارق العنصرية فى تقرير مصيرة وبناء مستقبله، فنالت قوة الحكم والمال والفكر الفلسفى والتصورات المعقدة للحضارة والعلم رواجا فى المجمتع الانسانى وازدهرت فيه عادات وتقاليد توزع الإنسان بين خلايا متعددة من الحكم والسلطة والشرف المزعوم للعرق والدم والسيادة القبلية والنسبية.

إن الايمان بالرسول يُسدى إلى الإنسانية رصيفا فكريا وعلميا

تستطيع الانسانية أن تجد بغيتها إذا سلكته وأما المسلم الذى يؤمن بأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان رسولا وخاتم النبيين أرسله الله لهداية البشرية الى أن تقوم الساعة. وأنه يجب اتباعه وأنه أدى الأمانه ونصح الأمة وبلّغ ما أنزل الله عليه بكل دقة وأمانة كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز.

"يأيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين" (١)

وقد أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم ليتلو الآيات ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، كما أشار إليه سبحانه وتعالى فى محكم تنزيله يقول:

"لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين"ـ (٢)

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بُنى الاسلام على خمس، شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلوٰة وإيتاء الزكوة وحج البيت وصوم رمضان (٣)

الحديث المذكور أعلاه يدل بكل صراحة أن الإسلام يقوم على أُسس متينة راسخة قوية منها الإيمان بالله الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. ومنها الإيمان بأن محمداً صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى كافّة الناس ليهديهم إلى الصراط المستقيم وليبينن لهم ما يجب عليهم من الأعمال ويرشدهم إلى الحق ويبعدهم

(١) المائدة: ٦٧ (٢) آل عمران: ١٦٤ (٣) متفق عليه

عن الضلال.

حين دراسة النبويات فى الهند نجد الإيمان بشخصية الرسول صلى الله عيه وسلم من العوامل الأساسية للمدائح النبوية ونجد لهذا العامل تأثيرا عميقا فى نفوس الشعراء الذين قرضوا أبياتا وقصائد فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بين الشعراء كلهم أننا نؤمن بأن محمداً كان رسول الله أرسله الله لهداية البشرية جمعاء الى أن تقوم الساعة وأننا نثق بأنه كان خاتم النبيين وأنه هو الّذى تُرجى شفاعته يوم القيامة وهو سيد الرسل والأنبياء وسيد ولد بنى آدم وأن الإيمان به كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق ولاشك أن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم هو من أهمّ شروط الاسلام بعد الإيمان بالله عزوجل، فمن لم يؤمن بشخصية محمد صلى الله عليه وسلم كونها رسولا ونبيا لا يمكن أن يدخل فى حظيرة الإسلام ولا يمكن له أن يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بصميم فؤاده الا لسبب مادى دنيوى رجاء الحصول عليه كما يروى عن الأعشى.

المبحث الثانى: -

الحب العميق لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن الحب العميق الذى يكنّه أهل هذه البلاد لنبيهم صلى الله عليه وسلم له قيمة كبيرة فى حياة الشعب المسلم الذى يعانى مشكلات ومعوقات فى السير على درب الاسلام فى ظروف الهند الخاصة وقد صدق الشاعر الهندى البارع الأمير خسرو حيث قال: قاتل الله ذلك اليوم الذى مضى ولم أذق فيه لذّة الحب ولا بارك الله فى الساعة التى مضت ولم تهب فيه نفحات الحب وسحقا للحياة إذا قضيتها فى

تحكيم للعقل والخضوع للمنطق. (١)

ولاشك فى أن حب النبى صلى الله عليه وسلم وإيثاره على النفس والأهل والمال وعلى كل شئ فى الدنيا من دلائل الإيمان كما جاء فى الحديث الصحيح "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين" (٢)

والحقيقة التى لا يكاد ينكرها أحد أن الشعب المسلم الهندى عرف من أول يومه بحبه للنبى صلى الله عليه وسلم رغم كونه بعيدا عن مهبط الوحى ومحط الرسالة الأخيرة ومعقل الإنسانية ولا يمكن أن يعيش مسلم مرتاح القلب ناعم البال إذا حط أحد من شأن النبى صلى الله عليه وسلم أو نال من عظمته وأذكر هنا قصتين رائعتين من تاريخ الهند الاسلامى تدلّان على الولاء الصادق والحب العميق الخالص لنبيهم صلى الله عليه وسلم ويسعدنى فى هذه المناسبة أن أنقل مقتطفات من مقال للعلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوىؒ وهو يقول:

"قصة رواها صحافى معروف عن شاعر كبير فى شبه القارة الهندية كان فى طليعة شعراء الهوى والشباب ومن المُدمنين للخمر والشراب وهو الشاعر أختر شيرانى. يقول الأستاذ شورش كاشميرى فى صحيفته السيارة "Chatan" الصادرة فى لاهور الباكستان.

اجتمع فريق من الشباب والشعراء فى فندق "العرب" فى لاهور مرّة وكان فى الجماعة شباب شيوعيون فى غاية من الذكاء وسلاطة اللسان وتجاذبوا مع الأستاذ أختر الشيرانى أطراف الحديث وصاروا يتناقشون فى موضوعات شتّى وكان الأستاذ الشيرانى قد شرب كأسين من الخمر

(١) الطريق إلى المدينة: ص: ٢١ (٢) صحيح مسلم ٤٩/١

وقد فقد رشده وملكته نشوة الخمر وأخذته رعشة فى الجسم وكان يتكلم كلاما متقطعا غير متزن وكان معروفا بالاعجاب الشديد بنفسه والتيه بها وكان لايعترف بغيره من الشعراء ولست إذكر اليوم جيدا الموضوع الذى كان يدور البحث فيه ولكن إذكر أنه قال قد ظهر فى المسلمين ثلاثة نوابغ عبقريين أولهم أبو الفضل (١) والثانى أسد الله خان غالب (٢) والثالث أبو الكلام آزاد (٣) أما الشعراء المعاصرون فكان لا يعترف لأحد منهم بالمساواة أو المجاراة وقد سأله الشباب الشيوعيون عن الشاعر الكبير فيض أحمد فيض فأعرض عن الجواب وسألوه عن شبير حسن جوش الشاعر المعروف فقال ليس بشاعر انما هو ناظم وهكذا كان موقفه من جميع الشعراء المعاصرين استخفاف أو اعراض أو تبسم أو تنكيت ولما رأى الشباب أنه لا يعترف بقيمة حركة الأدب التقدمى لجأوا إلى موضوع آخر لعله يثيره أو يحرك منه ساكنا فقالوا: يا سيدى مإذا تقول عن النبى الفلانى وكانت عيناه محمرتين وأخذت الخمر فيه كل مأخذ لايملك لسانه ولكنه أفاق وقال ما هذا الهراء؟ لا تتحدثوا الا عن الأدب والإنشاء والشعر والشعراء فعطف عنان الكلام إلى أفلاطون وقال: مارأيك عن مكالماته وسألوه عن أرسطو وسقراط وكان نشيطا للكلام فقال: انه قد خلت حدثونا عن شخصياتنا وحاضرنا، ان أولئك الفلاسفة لو كانوا فى عصرنا لتلمّذوا علينا مالنا ولأولئك حتى ندلى برأينا فيهم.

(١) من وزراء الإمبراطور "أكبر" وصاحب "أكبر نامه" المأثرة العلمية التى تتعبر من الكتب الخالدة فى التاريخ والدستور وتخطيط البلاد. (٢) شاعر اردو يعتبر من أئمة الشعر الأردوى وصاحب مدرسة خاصة كان فى القرن الثانى الثالث عشر الهجرى. (٣) العالم الأديب المعروف ورئيس المؤتمر الهندى الوطنى الأسبق ووزير المعارف فى الجمهورية الهندية سابقا.

وانتهز شاب "شاطر" من هؤلاء الشباب الشيوعيين فرصه نشاطه ومرحه فقال: وما رأيك عن سيدنا محمد؟ وكانما نزلت صاعقة وهبت عاصفة فلم يكد الشاب يتم جملته حتى تناول الشاعر السكران كأس الزجاج وضربها على رأسه قائلا يا قليل الأدب أنت توجه هذا السؤال الوقح الى رجل مذنب معترف بشقائه، مإذا تريد أن تسمع من فاسق؟ وكان جسمه يرتعد وانفجر باكيا وأجهش بالبكاء وأقبل على الشاب الوقح يقول له فى عنف كيف سوّلت لك نفسك يا خبيث أن تذكر هذا الاسم النزيه المقدس "كيف تجاسرت على ذلك يا قليل الأدب يا قليل الحياء لقد كان لكلامك مجال واسع فلما ذا دخلت فى هذا الحمى المقدس تب إلى الله من هذا السئوال الوقح اننى أعرف خبث باطنكم جيدا وعرف الشر فى وجهه وكانه يريد أن يفتك بالشاب ويسطو به أما الشابّ فقط سقط فى يديه وغاب رشده ولم يكن يقدر أنه سيلقى هذه النتيجة الوخيمة وأنه يوقظ فى الشاعر هذا الليث الثائر ويثير فيه هذه الشرارة الكامنة شرارة الإيمان والحنان وشرارة الحمية والغيرة فكأن لا يعرفه إلاشاعر الهوى والشباب وشاعر الغزل والغرام وحاول أن يشغله عن هذا الحديث المثير وأنه يهدئ فيه هذه الثائرة ولكنه لم ينجح ولم تهدأ ثائرة أختر الشيرانى فأمر بإخراجه من المجلس ثم قام بنفسه وبات طول الليل باكيا يقول: لقد بلغ هؤلاء الشباب الملحدون هذا الحد من الوقاحة اوالجرأ ة انهم يريدون أن ينتزعوا منا آخر نعتز به ونعيش عليه من حب وولاء وإخلاص ووفاء، اننى رجل مذنب، لاشك اعترف بذنبى ولكن هؤلاء يحاولون أن نخلع ربقة الإسلام ونخرج من حظيرة الإيمان لا والله لا نرضى بذلك. (١)

(١) الطريق الى المدينة : ص ٨٨ـ٩١

وثانيهما ما يحفظه التاريخ أن المتطرفين من معتنقى آريه سماج (١) أصدروا فى سنة ١٩٣١م كتابا خليعا يزرى بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم ويحط من شأنه ويقلل من قيمته وينال من إجلاله وعظمته، فثارت ثائرة فى أرجاء الهند كلها حتى نهض مسلمان غيوران من ولاية بنجاب اسمهما أمير أحمد وعبدالله وقتلا مؤلف ذلك الكتاب الخليع وناشره حتى هدأت ثائرة المسلمين، وهذا يدل على حبهما الصادق لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، لكنهما قُتلا بعد ذلك شهيدين، فإنا لله وإنا إليه راجعون (٢) وهكذا استطاع الشعب المسلم أن يحافظ على حبه للنبى صلى الله عليه وسلم وإيثاره على نفسه وولده ووالده وعلى كل شئ امتثالا لقول النبى صلى الله عليه وسلم الّذى رواه أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه ممّا سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار (٣)

"ان طبيعة الهنود طبيعة الحب والغرام وإن لغتهم لغه الغزل والهيام فلما انصرف ذلك كله إلى شخصية خصها الله بأعظم معانى الحسن والإحسان وأكبر مظاهر الجمال والكمال جاء بالعجب العجاب وصادفت قوة التعبير وبراعة التصوير وعاطفة الحب والتقدير ولوعة القلب والضمير ممدوحا وحبيبا ألقى الله عليه محبة منه وكساه أجمل لباس من الظاهر والباطن جاءت بكل معجب ومطرب" (٤)

(١) آريه سماج فرقه من الفرق الهندوسية عرفت قديما بعد ائها السافر للإسلام والمسلمين.

(٢) صحيفة بلتز الأسبوعية ١٦/ سبتمبر ١٩٧٨م الصادرة من بومبائى-

(٣) (صحيح مسلم ١/ ٤٩-(٤) الطريق إلى المدينة ٩٩-٩٨-

الفضل فى المديح النبوى يرجع إلى طبيعة الحب والغرام التى توجد فى المسلمين الهنود إزاء النبى صلى الله عليه وسلم كما علل بها بعض الباحثين المسلمين على حد قول الشيخ السيد ابى الحسن على الندوى.

المبحث الثالث: البعد والهجر:

نجد فى الهند عدداً غير قليل من العلماء والأدباء الذين اكتسبوا اللغة العربية دراسة وذوقا وفاضت قريحتهم بالتغنى بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتسنّ لهم زيارة الجزيرة العربية ومهبط الوحى ومهجر النبى صلى الله عليه وسلم ومولده فاستعاضوا عنها بالشعور التعبير فيه عن حنينهم وأشواقهم ولم يزل الشعر بريد القلب فإذا صاحبه البعد والهجر فيأتيان بالعجب العجاب ويفجران منابع القلب والحب ويولد إن المعانى الغريبة ويشعلان المواهب الدفينة الكامنة.

هؤلاء الشعراء والأدباء والعلماء درسوا السيرة النبوية مجملها ومفصلها وقرءوا مثلاً انّ أباطالب كان يدافع عن ابن أخيه حين صدع بأمر الله وسخّر جاهه وسلطانه فى الذود عنه حيث كانت قريش تحسب له ألف حساب وبعد موت أبى طالب أصبحت قريش لاتهاب فى محمد أحداً فأخذت تتفنّن فى إيذائه حتى اضطر إلى أن يذهب إلى الطائف التى تبعد عن مكة ليدعو قبيلة ثقيف إلى الاسلام فلم يكتفوا بالاعراض عن دعوته بل تطاولوا على شخصه الكريم حيث سلطوا عليه سفهائهم وأغروا به صبيانهم فوقفوا له يرمونه بالحجارة حتى سال الدم عن قدميه الشريفتين فجلس يستريح فى ظل بستان لإبنى ربيعة عتبة وشيبة وكما هى عادته رفع يديه إلى السماء يدعو ربه قائلا:

"اللهمّ إليك أشكو ضعف قوتى وقلّه حيلتى وهوانى على

الناس، يا أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّى، إلى من تكلنى، إلى بعيد يتجهّمنى أم إلى عدو ملّكته أمرى، إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحلّ علىّ سخطلك لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

هذا الموقف الحرج والوضع المتألم اللذان واجهها النبى صلى الله عليه وسلم فى الطائف يبعثان على الحزن والأسف مع ذلك انه لم ييأس ثم عاد إلى مكة يستأنف فيها جهاده من أجل نشر الدعوة غير خائف أو بائس، هذه العبارة يمر بها القراء من الشعراء والعلماء والأدباء وهم يعيشون فى بلاد نائية عن مكة والمدينة النبوية فيريدون أن يعبروا عن أحاسيسهم وانطباعاتهم حين قراءة هذه العبارة فتمثل تلك الانطباعات فى صورة القصائد المدحية التى تخرج من قلوب أولئك العشاق الّذين لم يتشرفوا برؤية المحبوب الذى يمر بأوضاع قاسية فتتحرق قلوبهم ويأخذ البعد والهجر بمجامع قلوبهم ويبعثانهم على التغنىّ بأوصاف المحبوب محمد صلى الله عليه وسلم ليروحوا عن أنفسهم بعض ما قاسوا من الشدائد والآلام والكربات. وقديما قال الشاعر: وللناس فيما يعشقون مذاهب، فكان الهجر والبعد من مبعث النبى ومهجره صلى الله عليه وسلم من العوامل الأساسية للمدائح النبوية فى الهند وقد أثرا على شخصية الشعراء الذين قرضوا أبياتا وقصائد فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وسوف نقوم ببيان تأثيرهما حين استعراض القصائد المدحية.

المبحث الرابع: التصوف

يرى بعض الباحثين أن التصوف هو من أحد العوامل الأساسية للمديح النبوى فى الهند وفى العالم العربى. لأن هذا الفن نشأ وترعرع فى أحضان التصوف ولم يعن به غير أصحاب التصوف الا القليل النادر، والدليل على ذلك أن معظم المدائح النبوية الذى يوجد فى الهند والعالم العربى قد كان لصاحبها علاقة وطيدة بالتصوف وبسلاسله المختلفة من السنوسية والشاذلية والمجددية والقادرية والنقشبندية والجشتية وماإلى ذلك من سلاسل التصوف المعروفة فى الهند وفى العالم العربى والاسلامى.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة الأستاذ زكى عبد السلام مبارك فى كتابه: المدائح النبوية فى الأدب العربى بقوله: ولم يعن أحد من القدماء أو المحدثين بتاريخ هذا الفن فى اللغة العربية لأن الّذين أجادوه لم يكونوا فى الأغلب من فحول الشعراء لأ نه لم يطّرد فى التاريخ ولم يكن فناً ظاهرا بين الفنون الشعرية كالرثاء والوصف والنسيب وانما هو فن نشأ فى البيئات الصوفية ولم يهتم به من غير المتصوفة إلا القليل غير أنه مع ذلك جدير بالدرس لأن فيه بدائع من القصائد والمقطوعات ولأن له شمائل غير شمائل المديح ولأن لأصحابه غايات دينية وأدبية خليقة بان تدرس وبأن يرفع عنها اصر الخمول. (١)

ويجدر بنا أن ننقل هنا مقتبسا من كلام السيد أبى الحسن على الندوىّ الذى يؤيد الرأى الذى رأه بعض البآحثين. إنه يقول:

---

(١) المدائح النبوية: ص ١٨

"فقد تحقق عند المطّلعين على الأدب الإسلامى العالمى والذين درسوا آداب اللغات التى تكلمت بها الشعوب الإسلامية فى بلادها وتذوقوا شعرها أن اللغة الفارسية هى أغنى ثروة و أسعد حظا فى المدائح النبوية من غيرها وتليها أردو التى هى سليلة الفارسية وأن ما قيل فى ايران وفى الهند فى هذا الموضوع يمتاز عن غيره قوة وتأثيرا ورقة وعذوبة قد تجلّت فيه العاطفة أقوى وأروع منها فى غيره وقد ابتكر هؤلاء الشعراء معانى وأخيلة وجاءوا بتعبيرات لم يسبقوا إليها ولا يزال السرّ فيه موضوع تفكير الباحثين وعلماء الأدب. وقد علّله بعضهم بالتصوف الذى عاش وازدهر فى إيران والهند وهو معروف باثارة عواطف الحبّ وتغذيتها وتمنيها فقد كان هذا التصوف الّذى رافقه الشعر الإيرانى والهندى فى أكثر مراحل حياته وساهم فى تكوينها وفى توسيعها وتقويتها مصدر الشعر الغزلى الرقيق والأدب الوجدانى العميق فإذا امتلأت الكأس طفحت وإذا طفحت فاضت ولا بد أن يعقب الرى السكر ولا بد أن يعقب السكر التغنى وعبر الشاعر العربى القديم عن هذه الحقيقة فى بلاغة وجمال وأنشد بلسان الحال:

سقونى وقالوا: لا تغن ولو سقوا
جبال سليمى ما سقيت لغنت (١)

ولا شك أن الإيمان بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم حين يتمكن من القلوب فيصير معينا لا ينضب للنشاط المتواصل والعمل الدءوب وإن صدق المحبة يفضى على صاحبه قوة تظهر فى أعماله كلها فإذا تكلم كان واثقا وإذا عمل عملا كان ثابتا وإذا جادل كان واضحا وإذا فكر

(١) الطريق إلى المدينة: ١٠٠

كان مطمئنا لايعرف التردد – يعاشر الناس على بصيرة إذا رآهم على الحق أعانهم وإذا رآهم على الخطأ جانبهم فالمؤمن الّذى يؤمن بنبيه ويحبّه حباً جما لايعرف المداهنة والمجاملة وتكون سيرته مبنية على ركائز ثابتة تراه يدافع عن الإسلام وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ويرد على شبهات المشتشرقين والمستغربين واعداء الدين بكل حيوية ونشاط ويرى الاستماته فى سبيل الله وفى سبيل الذبّ عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من أحلى أمانيّه، فإذا كان شاعرا يفرغ كل مؤهلاته فى المديح النبوى.

المبحث الخامس: المدائح النبوية باللغة العربية.

إن المدائح النبوية باللغة العربية فى الهند تبدو مدينة للمدائح النبوية التى قيلت فى البلدان العربية وقد استفاد شعراء المدائح النبوية الهنود من قصائد حسان بن ثابت الأنصارى وكعب بن زهير وعبدالله بن رواحه وقصيدة البوصيرى وكعب بن مالك وعبد الله بن زبعرى وعباس بن مرداس وما إلى ذلك من الشعراء العرب قديما وحديثا الذين مدحوا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بقصائد وذكروا خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم وشمائله وتحمله الأذى فى بثّ الدعوة الاسلامية وكيفية جهده وجهاده فى سبيل الله، فجعل الشعراء المسلمون الهنود القصائد المأثورة عن الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم نصب أعينهم وجعلوها نموذجا وأسوة لهم لأن المسلمين الهنود ليست اللغة العربية لغتهم الأم بل يتعلمون اللغات المختلفة من الأردية والبنجابية والسندية والغجراتية والتلغوية والتاملية والمليالمية والآسامية والهندية والبنغالية والكشميرية والبوجبورية والمراتية والبلوشية وما إلى ذلك من اللغات

الأخرى فإذا أراد أحد المتضلعين منهم باللغه العربية قرض الأبيات استفاد بدواوين العرب التى قيلت فى البلاد العربية الّتى يُدرّس بعضها فى الجامعات العصرية والجامعات الاسلامية الأهلية والمدراس الإسلامية الذى قررت تدريسه كمادة اللغة العربية فى المراحل العالية فى المقررات الدراسية. هذا وإن كان فيه مجال الاختلاف يبدو من أحد العوامل للمدائح النبوية باللغة العربية فى شبه القارة الهندية ولكل وجهة هو مولّيها.

المبحث السادس: المدائح النبوية باللغة الفارسية

من المعلوم أن الإسلام دخل الهند من طريق الشمال الغربى فى أواخر القرن الرابع وبدء القرن الخامس للهجرة ولما أقام المسلمون حكومة فى الهند جعلوا اللغة الفارسية اللغة الرسمية وكانت اللغة الفارسية لغة الدوائر الحكومية والمصالح الرسمية فراجت اللغة الفارسية وشاعت وأقبل الناس على تعلم اللغة الفارسية وجاء العلماء والشعراء من إيران إلى الهند وانتشرت كتبهم فى أرجاء الهند كلها وقررت الكتب الفارسية فى المدارس والجامعات وكذلك نبغ المسلمون الهنود فى هذه اللغة وجرت مساجلات شعرية بين الشعراء وجعل الشعراء يقرضون أبياتا باللغة الفارسية فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ونقدّم هنا بعض النماذج للمدائح النبوية باللغة الفارسية المترجمة إلى اللغة العربية ليطلع القارئ على مدى معطيات هذه المدائح:

يقول الشيخ السعدى (تـ ٦٩١هـ): "إن اليتيم الذى نشأ أميا وعاش أميا ولم يقرأ القرآن فى كتاب استطاع أن ينسخ مكتبات شعوب كثيرة فتفقد قيمتها وحيويتها

وينشى مكتبة جديدة كانت مصدر العلم والعرفان ومنهل كل رائد وظمآن"ـ

وقال الأمير خسرو (تـ ٧٢٥هـ): إن أنفاسه وأخلاقه قد نفخت الحياة فى العرب الذين كانوا فى الاحتضار وأطفأت فى وقت واحد شعلة أبى لهب الوهّاجة التى كادت تأتى على الأخضر واليابس انه وصل فى خطوتين من هذا العالم إلى ذلك العالم وفى جولة من العالم المادى إلى العالم الروحى"ـ

وقال مولانا عبدالرحمن الجامى (تـ ٨٩٨هـ):

"يامن نسبه عربى ولقبه أمى لقد دان بولائك وخضع لسيادتك العرب والعجم سواء، إن فصاحتك استأثرت العرب وأن ملاحتك ملكت قلوب العجم ما ضرّك أن لاتقرأ ولا تكتب فبفضل جهودك وبعثتك تعلّم الأميّون ونبغ الجاهلون بك، ابيضت صحيفة الأعمال وأشرق نورك الظّلمات فلا ضير أن لا تخط سواداً على بياض أو تضم سواداً إلى سوادٍ"

ومدح الشاعر الإيرانى الملقب بـ عرفى (تـ ٩٩٩هـ) محمد الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

"إنه لا يمكن أن يتغنّى رجل بمدح الملوك والسلاطين ومدح الرسول الأمين سيد الأولين والآخرين فى وقت واحد ومن إساءة الأدب وقلة الذوق أن يجمع الإنسان بين المدحين وأن يكون له

نفسان متقاربان نفس فى مدح سلاطين العجم ونفس فى مدح سيد العرب والعجم"۔

ومدح أسد الله خان غالب من شعراء الفارسية المعدودين الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

"إن بنانه لم يمسك القلم لكنه سطر ما عجزت عنه أقلام التاريخ ما وضع قدمه على الصحراء إلا وتحوّلت إلى جنة خضراء ،حلو كلامه يجعل الكافر مسلما والزنديق مؤمنا أضاء الدنيا بنور الدين وأنقذ المؤمنين من عذاب يوم الدين، حرّر العباد من عبادة الأوثان وعمر العالم ببيت واحد بيت الايمان، أذاب قلوب الأعداء ونفوس القساة الغلاة ولا غرو فحصاة عتبته تذيب الحديد وتلين الشديد، عاكف فى المحراب وقلبه معلق بخلق الله"

والأستاذ مسعود على المحوى أنشد قائلا:

"رفعت الفطرة اللثام عن وجهها وتجلّت بأجمل مظاهرها وفعلت فعل الربيع فكسيت الأرض لباسا أحمر من الزهور والورود، ذلك كله لأجل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، إن نظره يعمل عمل الكيميا فيحول الخزف الأسود الذى لا قيمة له تبراً خالصا وذهبا وهاجا، انه سيد، سيد استطاع من غير جيش وكتائب أن يجعل من التائهين فى البادية ملوكاً يحكمون العالم وأساتذة يعلّمون الأمم.

أمثال تلك القصائد الفارسية التى قيلت فى مدح الرسول الأعظم خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين قد تاثر بها المسلمون فى الهند تاثيرًا بالغا وصارت هذه القصائد من أحد العوامل التى حفزت المسلمين المضطلعين باللغة العربية إلى قرض الأبيات باللغة العربية كأنما ثارت الثائرة فى النفوس وصارت المنافسة تعمل عملها وصارت النفس تناجى وتقول إذا أمكن لشاعر ايرانى أو لشاعر هندى أن يقدم ضريبة الحب والحنان إلى حبيبه باللغة الفارسية فهل لا يليق بك أن تقدم الهدية الى هاديك ومحسنك باللغة العربية أو قد مدحتَ الملوك الأمراء الذين أحسنوا إليك وأعرضت عن أكبر المحسنين الذى كان بك رءوفا رحيما فهذه الأمور كلها كانت حافزة إلى قرض الأبيات فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم باللغة العربية.

الباب الخامس

إطلالة على آداب المدائح العالمية القديمة

الفصل الأول : المدائح فى الآداب العالمية

المدح فن الثناء والإكبار والإحترام قام بين فنون الأدب العربى مقام السجلّ الشعرى لجوانب من حياة الأمم التاريخية إذ رسم نواحى عديدة من أعمال الملوك وسياسة الوزراء وشجاعة القواد وثقافة العلماء فأوضح بذلك بعض الخفايا وكشف عنه بعض الزوايا وأضاف إلى التاريخ مالم يذكره التاريخ فساعد على إبراز كثير من الصفات والألوان لم تكن تعلم لولاه وزاد فى شعرة أناس كثيرين أحاطهم بالرعاية ورفعهم إلى الذروة فجعلهم فى مصاف الأعلام وأغفل زملاء لهم كانوا أحق بالذكر وأجدر بالشهرة ولكنها الحظوظ يوزعها الشعراء فينال الثناء بعضا ويحرم بعضا كما قال يزيد الحارثى :

إذا الفتى لاقى الحمام رأيته لولا الثناء كأنه لم يولد

المدائح فى الآداب العالمية:

منذ فجر التاريخ أحسّ الانسان بالفوارق الإجتماعية بينه وبين أخيه الإنسان وشعر باختلاف المواهب والقيم عند الناس ورأى الأقدار تضع وترفع وتعطى وتمنع لذلك سعى إلى إرضاء من هم فوقه وتحمل حيالهم بالقول فوقف منهم موقف الإحترام والتودد فكانت أقواله تعبر عن المديح وسواء أكان هذا المديح صادرا عن قرارة نفسه أم من أطراف لسانه، فهو يقر بالرئاسة والزعامة لمن يتصور أنهم سبقوه بالغنى والشجاعة والقوة والفهم والذكاء، فهو يشترك مع الناس جميعا فى النظر إلى الزعيم والقائد والوجيه والعالم والغنى والسيد والأمير نظرة

خاصّة ويشترك معهم كذلك فى مديح هولاء حين يعرض له القول أو يتصدّى للحديث والبيان شعراً ونثراً.

ولسنا ندرى كيف كانت أوائل المديح عند الإنسان الأوّل فقد غابت جذورها مع ظلمات التاريخ وبقى شئ يسير على الأحجار القديمة تحمل فى صفحاتها حمداً وثناءاً لبعض الأمم تشيد بالقواد أو الملوك وتتحدث عن الانتصارات والمواهب الموجودة فيهم، وتمنحُهم صفات وألقابا ونعوتا تسمّى فى عرف الأدب بالمديح وأوراق البردى والمسلات والأهرام والقبور تنقل إلينا صيغا كثيرة لهذا المديح اكتشفت على شطآن النيل وفى صحارى مصر وقصور بابل وتماثيل اليونان والرومان ومعابد الهند والصين لا تختلف فى عباراتها عن إعلاء شأن الممدوح من بيان شجاعته وسطوته وسيطرته وقوته وذكائه وعظيم فهمه وعلمه.

وسواء كانت هذه المدائح على ألياف الخيزران أم نسيج الحرير أو أوراق النبات أم الأحجار، فهى تعبر عن نظرة الاحترام.

فقد نشأ الإنسان فى الطبيعة على خوف من القوة والبأس والبطش والهول لذلك مجّد البحر والنهر والرعد والثور والفيل والأسد والمطر والشمس والقمر والنار والهواء والجبل وغيرها فقال عبارات المديح وتوجه بها إلى هذه القوى خاضعا خاشعا معجبا فلمّا أحسّ بوجود الاله خضع لجلاله وانحنى أمام سيطرته وبأسه فجعل لكل شئ إلها أول الأمر، ثم توجه إلى الألهة بصلواته وعبادته وهذه الصلوات والدّعوات إن هى الا مديح وتضرع سواء أكانت فى التشفع أم التماس الخلاص من مرض أو خطر أم كانت مجرد عبادة خالصة أو إحساس عميق.

الأدب المصرى القديم:

فى جدران المعابد بمصر اكتشف العلماء "كتاب الموتى" وقرءوا فيه من الدعوات والعبادات ما يفيدنا فى فهم أدبهم ومديحهم ومنها "السلام عليك أيها الإاله العظيم، جئتك يا الهى متحليا بالحق متخليا عن الباطل فلم أظلم أحدا ولم أسلك سبيل الضالّين ولم أحنث فى يمين ولم تضلنى الشهوة فتمتد عينى لزوجة أحد من رحمى ولم تمتد يدى لمال غيرى لم أقل كذبا ولم أكن لله عاصيا، ولم أسع فى إيقاع بعبد عند سيده".

وفى هذا الدعاء اعتراف باله الحق وخشوع له وخضوع لجلاله وفيه نظرة القدماء إلى الرجل الصالح فى الدنيا ممن يستحق الثواب فهو من لا يظلم ولا يخدع ولا يسرق ولا يكذب ولا يخالف الوعد وهى صفات ظلت على الزمان موضع المدح منذ عهد المصريين إلى اليوم لم تتغير ولم تتبدل، فالفضائل هى الفضائل والمزايا هى المزايا.

وفى الأدب المصرى اكتشف العلماء كذلك على ورق البردى شكاوى الفلاح وقد توجه إلى سيده بقوله: يا سيدى يا عظيم العظماء! يا أغنى الأغنياء! ومن ليس فوقه الاعظيم اعظم وغنى أغنى ... ان لسانك لسان الميزان وقلبك وشفتيك ذراعاه فإذا لم تعدل فمن يكبح الشرّ يايها المدبّر العظيم لا تحرمنّ فقيراً مثلى من ملكه فمال الفقير نفسه ومن اغتصبه كتم نفسه. وفى هذا القول من الخضوع والخنوع ما يشبه أقوال كثيرين عاشوا بعد هذا الفلاح عدة قرون يستجدون الملوك الأمراء والزعماء بمديح يشبه هذه الصيغ كان الزمان لم يتغير أو كأن

المعانى لم تتبدل.

الأدب الصينى القديم:

وفى الآداب الصينية والهندية نجد التمجيد للزعيم الكبير والانسان الكامل والمثل الرفيع، نجد هذه وذلك فى كتبهم الدينية وملامحهم التاريخية مثل كتاب كونفوشيوس الذى يمثل التقاليد التى كانت توجد فى الصين ويصور الشخصيات البارزة التى برزت فى التاريخ وأدت دوراً هاماً وبقيت فى ميادين الحياة وأثرت على الحضارة الصينية القديمة وسكان الصين فى معتقداتهم وتقاليدهم وتغلغلت جذور محا ولاتهم ومساعيهم فى أحشاء العامّة والخاصة.

الأدب الهندى:

"وما هابهارتا" أو "رامائنا" يسيطر على معظم صفحاتهما روح الإكبار والإحترام وتعابير المديح والتقدير وسنلقى بعض الأضواء على محتوياتها فى مكانها إن شاء الله.

الأدب الفارسى:

وكان فى الأدب الفارسى القديم ما لآداب الصين والهند من روعة الحب والإحترام فقد آمن "زرادشت" فى كتابه "الأفستا" بالله واحد عظيم وسطر لقومه صفات الرجل الكامل وبيّن الصلاح والفساد والخير والشر ونهى عن الاعتزاز بالحسب والنسب وانما سابق الشعب إلى العمل والجد.

وفى التوراة والتلمود خشوع وخضوع لملك الملوك وكذلك دعـــوة كذلك إلى تقديس البطولة وإكبار الزعامة وقصص كثير من

الأقوياء وفيها صلوات لإله البشر وفى مزامير داود صلاة تتوجه إلى الله منه ا: أنت مالك كل أمرى لأنك واضعى بيدك فى بطن أمى، أحمدك وأشكرك فقد أتيت بالأعاجيب فى خلقى، كونت عظامى فى الخفاء، وضعتنى على عينك وقدرت أمورى فى كتابك... أنا لا أحصى نعمك فهى أكثر عددا من الرمل وهذا مديح دينى.

الأدب اليونانى:

وفى الآداب اليونانية أساطير تشبه ما جاء عن أمم الأرض فى أساطيرها فهى تعد الآلهة قوى عظيمة سحرية تعدو حدود العقل والخيال معا وتقصى سير الحروب وانتصارات الأبطال وتمجد الشجاعة والبطولة والخلق الراجح وتشيد بالخير والعدل والحق وقد خلف القوم ملامح كبيرة كما خلق الهنود والفرس فاشتهرت" الالياذه" و"الأوديسة" بوصفها للمعارك والمجازر وإبداعها فى رسم الجيوش المحاربة حتى لقد قصرت عنها الأمم فى ذلك فوصفت الالياذه أتباع "أخيل" فى الحرب فشبههم بذئاب فى قلوبها ،بأس شديد عادت بعد أن نهشت وعلا وفى أنيابها بقية من دماء ثم ازحمت على الماء لترتوى فلما امتلأت بطونها وقفت تنفث الرعب، قال هويروس لو رأيت هذه الذئاب فقد رأيت رجال أخيل العظيم قوة ومظهرا حين دعاهم الداعى لهذا القتال المخيف.

وهذا مديح لأخيل ورجاله فى الإليـإذة تقع على مثله فى الأوديسة وفى الشعر الشعبى للإغريق ونثرهم وأناشيدهم ومسرحياتهم فيه المثل العليا كالشرف وسموالخلق والبطولة والكرم وتلمح له شبيها كذلك عند الرومان وملاحمهم اللاتينية فقد وصفوا المعارك والحروب

والأبطال والشجعان وامتدحوا مواقفهم المثيرة ومزجوا ذلك بإشراك عناصر الطبيعة ورسموا ما كان يثير الخوف منها وبسطوا موقف الفرسان من حرب الإنسان والطبيعة.

ولما كان القرن الخامس عشر للميلاد فى الغرب قام الإنكليز برسم الرجال وامتداح الأبطال ونهض الفرنسيون فى الجنوب ينشدون المديح على لسان شعراء التروبادور وهم من المديح شعراء الأندلس من العرب فصوّروا البطولة والشجاعة والكرم ونشأ كذلك فى شمال فرنسا شعراء المغامرة يرسمون البسالة ويصفون الشجاعة فى ملاحم قوية فيها أمجاد الرجال وكرم الأخلاق ولم تتخلف ألمانيا عن فرنسا وانكلترا وأسبانيا فى هذا الميدان وانما نظمت فى مديح الأبطال وسير الزعماء والقواد والملوك ما يشبه الإلياذة والأوديسة.

وظل أدباء الغرب ينسجون على منوالهم أى منوال أجدادهم فى الأساطير ورسم الأبطال حتى كثرت المسرحيات والدواوين فى مديح الزعماء والملوك والقواد والكتاب فقد أحيوا مسرحيات القدماء من اليونان والرومان وأعادوا قصص الفرس والهند فوصفوا البطولة والشجاعة واستفادوا من أشخاص التوراة ومعارك الأمم القديمة وقوّادها.

هكذا نجد أن فن المديح فن قديم يوجد منذ وجد الإنسان على وجه الأرض وأن أمم العالم القديمة من الهنود والفرس واليونانيين والفرنسيين والانكليز يوجد فى آدابهم وكتبهم المديح لإله أو رجل عظيم شجاع وقد كان همّ المادحين فى أكثر مدائحهم أن يجسموا الصفات الطيّبة والمزايا الرفيعة والأخلاق السامية. (١)

---

(١) المديح :ص ١١ـ٥ ـ للسامى الدهان

الفصل الثانى :

المديح فى الآداب العربية فى عصرها الجاهلى والاسلامى

لقد قامت فى قبائل العرب حروب واستقرت بينهم وبين جيرانهم معارك فثارت حرب البسوس قبل الهجرة بنحو قرن ونصف وأتانا شعر كثير نسب إليها وقيل فيها وجاء تنا كذلك أشعار أيامهم وما كان من مديح لأبطالهم وزعمائهم فقد كانت حياتهم تسوّد رئيسا وتملك زعيما وترفع قائدا وكانت الأديان المختلفة عندهم تبعث على العقيدة بوجود إله يذكرونه فى شعرهم ويتوجهون إليه ضارعين خاشعين فكانت الأسباب إذاً متوافرة لخلق المديح وكانت الموضوعات متيسرة فى المديح كما توافرت عند غيرهم من الأمم ولكنها زادت عندهم بسبب الفقر المدقع فى الصحراء القاحلة ونضوب موارد الرزق وفقد الصناعات وندرة البساتين والحياض وقلة المياه. فكثر المحتاجون وقل الأغنياء ولذلك كثر القتال فى سبيل الحياة وتنوعت أساليب البطولة والبسالة من خروج فى الفقر وقتال للاعداء والمغيرين واللصوص وسارت فى القبائل سيرة الكرماء والأجواد والسادة والزعماء والوجهاء والمصلحين. فلما رحلوا قبل البعثة المحمدية إلى الشام وأطراف العراق رأوا عند إخوانهم ملوك العرب ما يشجع على الكسب والترف والنعيم، فعاش شعراؤهم على مقربة من هؤلاء الأمراء يتناولون من هواياهم ويتناولون بشعرهم عطايا وجوائز فكان مديح الملوك وكان المديح السياسى على شكل قبلى ينتصرون للغساسنة حينا وللمناذرة حينا ويضيفونه بذلك الى ديوان المديح قصائد خالدة من غرر الشعر.

نماذج من المدائح:

ونقدم هنا نماذج من المدائح الّتى نقلت إلينا للشعراء المفلقين.

النابغة الذبيانى يمدح النعمان ويعتذر إليه:

أتانى ـ أبيت اللعن ـ أنك لمتنى   وتلك التى تستك منها السامع
مقالة أن قلت: سوف أناله   وذلك من تلقاء مثلك رائع
لعمرى ـ وما عمرى علّى بهيّن   لقد نطقت بطلا علىّ الأقارع
أقارع عوف ـ لا أحاول غيرها   وجوه قرود تبتغى من نجادع
أتاك امرؤ مستبطن لى بغضه   له من عدو مثل ذلك شافع
أتاك بقول هلهل النسج كاذب   ولم يأت بالحق الذى هو ناصع
أتاك بقول لم أكن لأقوله   ولو كبلت فى ساعدى الجوامع
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وهل يأتمن ذو أمّة، وهو طائع
بمصطحبات من لصاف وثبرة   يرون إلالاً، سيرهن التدافع
سما ما تباريح الريح خوصا عيونها   لهن رزايا بالطريق ودائع
عليهن شعث عامدون لحجّهم   فهن كأطراف اللحنّ خواضع
لكلفتنى ذنب امرئ وتركته   كذى العرّ يكوى غيره وهو راقع
فان كنت لإذ والضغن عنى مكذّب   ولا حلفى على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشى أقوله   وأنت بأمر ـ لا محالة ـ واقع
فإنك كالليل الذى هو مدركى   وان خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن فى حبال متينة   تمدُّ بها أيد إليك نوازع
وأنت ربيع ـ ينعس الناس سيبه   وسيف أعيرته المنية قاطع
أبى الله إلاعدله ووفاءه   فلا النكر معروف ولا العرف ضائع
وتسقى إذا ما شئت غير مُصرّد   بزوراء فى حاناتها المسك كانع (١)

(١) جمهرة أشعار العرب لأبى خطاب القرشى

وقال زهير بن أبى سلمى يمدح هرم بن سنان:

وأبيض فياض يداه غمامة   على مُعتَفَيه ما يُغبّ فواضله
أخى ثقة لايهلك الخمر ماله   ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه إذا ما جئته متهلّلا   كأنك تعطيه الذى أنت سائله (١)

ويقول:

وفيهم مقامات حسان وجوههم   وأندية ينتابها القول والفعل
وان جئتهم ألفيت حول بيوتهم   مجالس قد تشفى بأحلامها الجهل
على مكثريهم رزق من يعتريهم   وعند المقلين السماحة والبذل
سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم   فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا
فما كان من خير أتوه فانما   توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطىّ الاوشيجه   وتغرس الا فى منابتها النخل (٢)

وقال الأعشى يمدح المحلق:

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة   إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها   وبات على النار الندى والمحلق
رضيعى لبان ثدى أم تقاسما   بأسحم داج عوض لانتفرق
ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه   كما زان متن الهندوانى رونق
يداه يدا صدق فكف مبيدة   وكف إذا ما ضنّ بالمال تنفق (٣)

وقال تأبّط شرا يمدح ابن عم له:

انى لمهد من ثنائى فقاصد   به لابن عم الصدق شمس بن مالك
أهز به فى ندوة الحى عطفه   كما هز عطفى بالهجان الأوارك
قليل التشكى للمهم يصيبه   كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بمومادة ويمسى بغيرها   جحيشا ويعرورى ظهور المهالك

(١)(٢)(٣) جمهرة أشعار العرب للقرشى

ويسبق وفد الريح من حيث ينتحى   بمنخرق من شدة المتدارك
إذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل   له كالئ من قلب شيحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه   الى سلة من حد اخلق صائك
إذا هزّة فى وجه قرن تهلّلت   نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدى   بحيث اهتدت أمّ النجوم الشوابك(١)

وقال حسان بن ثابت رض يمدح جبلة بن الأيهم

لله در عصابة نادمتهم   يوما بجلّق فى الزمان الأول
يمشون فى الحلل المضاعف نسجها   مشى الجمال الى الجمال البُزّل
والخالطون فقيرهم بغنيّهم   والمشفقون على الضعيف المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم   قبرابن ماريه الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم   بَرَدَى يُصَفّق بالرحيق السلسل
يسقون درياق الرحيق ولم تكن   تدعى ولائدهم لنتف الحنظل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الأنوف من الطراز الأوّل
فلبثت أزمانا طوالا فيهم   ثم ادّركت كأننى لم افعل (٢)

وقال الحطيئة يمدح بغيض بن لأى

نزور امرأ يؤتى على الحمد ماله   ومن يؤت أثمان المحامد يحمد
يرى البخل لا يبقى على المرء ماله   ويعلم أن البخل غير مخلد
كسوب ومتلاف إذا ماسألته   تهلل فاهتز اهتزاز المهند
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره   تجد خير نار عندها خير موقد (٣)

وقال مادحاً

يسوسون أحلا ما بعيدا أناتها   وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد

(١) جمهرة أشعار العرب ـ (٢) ديوان حسان بن ثابت (٣) جمهرة أشعار العرب :للقرشى

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم   من اللؤم أو سدوا المكان الذى سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا   وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدّوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها   وان أنعموا لا كدّروها ولا كدوا
مطاعين فى الهيجا مكاشيف للدجى   بنى لهم آبائهم وبنى الجدّ
ويعذلنى أبناء سعد عليهم   وما قلت الا بالذى علمت سعد(١)

وقال الكميت الأسدى يمدح مسلمة بن عبدالملك:

فما غاب عن حلم ولا شهدالخفا   ولا استعذب العوراء يوما فقالها
وتفضل ايمان الرجال شماله   كما فضلت يمنى يديه شمالها
وما أجم المعروف من طول كرّة   وأمراً بأفعال الندى وافتحالها
ويبتذل النفس المصونه نفسه   إذا ما رأى حقا ابتذالها
بلوناك فى أهل الندى ففضلتهم   وباعك فى الأبواع قدما فطالها
وأنت الندى فيما ينوبك والسدى   إذا الخود عدّت عقبة القدر مالها (٢)

وقال الأخطل ما دحا عبدالملك بن مروان:

نفسى فداء أمير المومنين إذا   أبدى النواجد يوما عارم ذكر
الخائض الغمرة الميمون طائره   خليفة الله يستسقى به المطر
فى نبعة من قريش يعصمون بها   ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر
حشد على الحق عيافو الخنا أنف   إذا المت بهم مكروهة صبروا
لا يستقل ذووالاضغان حربهم   ولا يبين فى عيدانهم خور
شمس العداوة حتى يستقاد لهم   وأوسع الناس أحلاما إذا قدروا
هم الذين يبارون الرياح إذا   قلّ الطعام على العافين أو قتروا
بنى أمية نعماكم مجلّلة   تمت فلا منّة فيها ولا كدر (٣)

الفرزدق يمدح على بن الحسين زين العابدين :

(١) أشعار العرب ' للقرشى ـ(٢) جمهرة أشعار العرب' للقرشى (٣) ديوان الأخطل

هـذا الـذى تـعـرف البطحاء وطأته … والبيـت يـعـرفـه والـحلّ والـحـرم
هـذا ابـن خيـر عبـاد اللـه كلهم … هـذا التقـى النقـى الطـاهـر العلم
وليـس قـولك مـن هـذا بضائره … العـرب تـعـرف مـن أنكـرت والعجم
إذا رأتـه قـريـش قـال قـائلها … إلـى مـكـارم هـذا يـنتهـى الكـرم
يـخص حيـاء ويـغض من مهابته … فـمـا يـكـلـم الاحيـن يبتسـم
يـكـاد يـمسكـه عـرفـان راحته … ركـن الـحطيـم إذا مـا جاء يستلـم
ينشق نـور الهـدى عـن نور غرته … كـالشـمـس ينجاب عن إشراقها القتم
مـن مـعشـر حبّهـم ديـن و بـغضهم … كـفـر وقـربهـم مـنجـى ومعتصم (١)

جرير يمدح عمر بن عبدالعزيز:

إنـا لـنـرجـو إذا مـا الـغيـث أخلفنـا … مـن الـخليـفة مـا نـرجـو من المطر
نـال الـخلافة إذا كـانـت لـه قدرا … كـمـا أتـى ربـه مـوسـى عـلى قدر
أ أذكـر الـجهـد والبـلـوى التى نزلت … أم نـكتـفـى بـالـذى بلغت من خبرى
مـازلـت بـعـدك فـى دار تـعـرّقنـى … قـد طـال بـعـدك اصعادى منحدرى
لا يـنـفـع الـحـاصـر الـمجهـود بادينا … ولا يـجـود لـنـا بـاد عـلى حـضر
كـم بـالـمـواسـم مـن شعثـاء أرملة … ومـن يتيـم ضـعيف الـصوت والبصر
يـدعوك دعـوة مـلهـوف كـأن بـه … مـسّـاً مـن الـجن أو رزءاً مـن البشر
مـمـن يـعـدّك تـكـفـى فـقـد والـده … كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر (٢)

هـذا غيـض مـن فيـض مـن الـمدائح الّتى وصلت إلينا وقد قدّمناها كنمإذج للمدائح فى الأدب العربى.

(١) ديوان الفرزدق ـ (٢) ديوان جرير

الفصل الثالث:

المدائح النبوية فى الأدب العربى

العرب أشعر الساميين فطرة وأبلغهم على الشعر قدرة لاتساع لغتهم للقول وملاءمة بيئتهم للخيال وصفاء قريحتهم وسذاجة معيشتهم وقوة عصبتهم وكمال حريتهم وخلو جزيرتهم مما يصد الفكر عن التأمل ويعوق الذهن عن التفكر، فهم فى الصحراء والسماء فى فضاء من اللانهاية يملأ الذهن والنفس خيالا وجلالا وروعة وهم فوق ذلك ذوونفوس شاعرة وطباتع ثائرة يستفزهم الرغب والرهب ويزدهيهم الطرب والغضب فلم يتركواشيئا يجول فى النفس أو يقع تحت الحسّ إلا نظّموه فكان الشعر ديوان علومهم وحكمهم وسجلّ وقائعهم وسيرهم وشاهد صوابهم وخطأهم ومادة حوارهم وسمرهم وكانوا كلهم يروونه وجلهم يقرضونه عفو البديهة وفيض الخاطر حتى روى عنهم من الشعر الوجدانى ما لم يرو عن أمة من أمم الأرض مثله.

تدلنا كتب السيرة النبوية القديمة على المدائح النبوية فى الأدب العربى وتشيرنا إلى قصيدة الأعشى التى تعد من أقدم القصائد التى مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم، منها: (١)

ألـم تـغتمـض عينـاك ليلة أرمدا … وبـتّ كـمـا بـات السـليـم مسهّدا
ومـا ذاك مـن عشـق النسـاء وإنمـا … تـنـاسيـت قبـل اليـوم خـلّة مُهـدوا
ولـكـن أرى الـدهـر الذى هو خائن … إذا أصـلحـت كـفّـاه عـاد فـأفسدا

(١) راجع للاستزادة سيرة ابن هشام ٣٨٦/١

شبـاب وشيب وافتقـار وثـروة	فـلـلــه هذا الدهـر كيف تـردّدا
ومـا زلت أبغى المال مُذ أنا يافع	وليـداً وكهـلا حيـن ثبـت وامـردا
فـآليـت لا أرثـى لهـا من كـلالة	ولا من وحبّى حتى تـلاقى محمداً
متى مـا تـنافى عند باب ابن هاشم	تُـراحـى وتـلقـى من فواضلـه ندى
بـنـى يـرى مـالا ترون وذكـره	أغـار لـقـمرى فى البلاد وأنـجدا
لــه صدقـات مـا تغب ونـائل	وليـس عـطاء اليوم مـانعـه غدا

ويقـول الـدكتور زكى مبارك معلقا على قصيدة الأعشى المذكور اعـلاه "ولـكـن هـذا لـيـس مـن المدائح النبوية: أى ليس من الفن الذى نـدرسـه فى هذا الكتاب لأن الأعشى لم يقل هذا الشعر وهو صادق النية فـى مـدح الـرسـول صـلـى الـلـه عيه وسلم وانما كانت محاولة أراد بها التـقـرب مـن بـنـى الإسلام وآية ذلك أنه انصرف حين صرفته قريش ولو كـان صـادقا ما تحوّل (١) وكذلك نجد مقطوعة أنشدها بنو النجار فى استقبـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم حينما هاجر النبى إلى المدينة المنورة وهى:

طـلـع البـدر عـليـنـا	مـن ثـنـيـات الـوداع
وجـب الشـكـر عـليـنـا	مـا دعـا لـلـه داع
أيهـا الـمبـعـوث فينـا	جـئـت بـالامـر الـمطـاع
جـئـت شـرفـت المدينة	مـرحبـا يـا خير داع (٢)

أهـدر رسـول الـلـه صلى الله عليه وسلم دم كعب بن زهير المتوفى سنة ٢٤ ٥ه وأرجف الـنـاس بـقـتـلـه حـيـن هـجـاه وأشفق عليه أخوه بجير ونـصـحـه بان يعتنق الاسلام ويتشرف بالمثول بين يدى رسول الله صلى

(١) المدائح النبوية فى الأدب العربى: ص ١٩ (٢) البداية والنهاية: ١١٧/٣

الـلـه عـلـيـه وسـلـم طـالبا عفوه ورضاه، فجاه كعب إلى المدينة المنورة ودخـل فى الإسلام ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم بقصيدته اللامية المشهورة فعفا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وخلع عليه بردته.

ننقل هنا بعض الأبيات التى مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم (١)

وقـال كـل خـليـل كـنـت آملـه	لا ألهيـنـك انـى عـنـك مشـغـول
فقـلـت خـلـوا سبيلى لاأبـا لكم	فـكـل مـا قـدر الـرحـمـن مـفـعـول
كـل ابـن انثى وإن طالت سلامته	يـومـا عـلـى آلة حـدبـاء مـحمول
أنبـئـت أن رسـول الـلـه أوعدنى	والـعـفـو عـنـد رسـول الـلـه مـأمول
مهـلا هـداك الّـذى أعـطـاك نافلة الـ	قـرآن فيهـا مـواعيـظ وتـفـصيـل
لاتـاخـذنـى بـأقـوال الـوشـاة ولم	أذنـب وقـد كـثـرت فـى الأقـاويـل
إن الـرسـول لسيف يستضـاء بـه	مهـنـد من سيـوف الـلـه مسـلـول
فـى فتية مـن قـريـش قـال قائلهم	ببـطـن مـكة لـمـا أسـلـوا زولـوا
شـم الـعـرانـيـن أبطـال لبوسهم	مـن نسج داؤد فـى الهيـجـا سرابيل

ومـن أقـدم مـا قيـل فـى مـدح الرسول صلى الله عليه وسلم قول أبى طالب منها:

إذا اجـتـمـعـت يوما قريش لمفتخر	فعبـد مـنـاف سـرّهـا وصـميمُهـا
وان حـصّـلـت أشراف عبد منافها	وفـى هـاشـم أشـرافهـا وقديمهـا
وان فـخـرت يـومـا فـانّ محمّدا	هـو الـمـصـطفى من سرّها وكريمها
تـداعـت قـريـش غثهـا وسمينها	عـلينـا فـلـم تـظفر وطاشت حلومها
وكـنـا قـديـمـا لانـقـر ظلامة	إذا مـا ثـنـوا صـعـر الـخـدود نقيهـا
ونـحـمـى حـماهـا كل يوم كريهة	ونـضـرب عـن أحـجـارها من يرومها

(١) سيرة ابن هشام ٣و٤ ص:٥٠٣

بنـا انتعـش العود الزواء وانما ... بأكنـافِهـا تندى وتنمى أرومها (١)

ونـنـقـل بعـض الأبيـات من قصيدة أبى طالب الأخرىٰ الطويلة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثـمـال اليتامى عـصـمة للأرامل

كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونـظـعـن إلا أمركم فى بلابل

كذبتم وبيت الله نبزى محمّدا ... ولـمـا نـطـاعن عن دونه وتناضل

ونسلمه حتى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٢)

ابو الوليد حسان بن ثابت الانصارى بالغ فى مدح آل جفنة من ملوك غسان قبل أن يدخل فى حظيرة الاسلام فلما دخل فى الاسلام أنفق مؤهلاته الشعرية كلها فى مدح الاسلام والمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم والذب عن الشريعة الاسلامية، فلما مدح حسان بن ثابتؓ محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أحسن وأجاد ومنها.

وقـال الله قد أرسلت عبدا ... يقـول الحق ان نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدقوه ... فقلتم لا نقوم ولا نشاء

هجوت محمدا فأجبت عنه ... فشركما لخير كما فداء

هجوت مباركا برا حنيفا ... أمين الله شيمته الوفاء

فإن أبى ووالده وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء (٣)

ويقول فى قصيدة أخرىٰ

أغرّ عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد

وضمّ الاله اسم النبى إلى اسمه ... إذ قال فى الخمس المؤذن أشهد

(١) سيرة ابن هشام ١٥٦/١ طبع بيروت ١٩٦٩م (٢) سيرة ابن هشام ٢٠١/١
(٣) ديوان حسان بن ثابت الانصاريؓ وسيرة ابن هشام: ٣و٤ /٤٢١

وشق له من اسمه ليجلّه ... فذو العرش محمود وهذا محمد

نبى أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان فى الارض تعبد

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا ... يلوح كما لاح الصقيل المهنّد

وأنذرنا نارا وبشّر جنة ... وعلّمنا الاسلام فالله نحمد

وأنت اله الخلق ربى وخالقى ... بذلك ما عمرت فى الناس أشهد

تعاليت رب الناس من قول من دعا ... سواك إلٰها أنت أعلى وأمجد

لك الخلق والنعماء والأمر كلّه ... فإياك نستهدى وإياك نعبد (١)

عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجى الأنصارى كان من الشعراء المفلقين وقد وفق لخدمة الإسلام وضحّى بكل رخيص وغال فى الذبّ عن الإسلام والدفاع عن الشريعة حتى استشهد فى غزوة مؤتة، اكتفى هنا على نقل بعض أبياته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم.

روحى الفداء لمن أخلاقه شهدت ... بانه خير مولود من البشر

عمّت فضائله كل العباد كما ... عم البرية ضوء الشمس والقمر

لولم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تنبيك بالخبر (٢)

ومن أبياته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

إنى تفرست فيك الخير أعرفه ... والله يعلم أن ما خانني البصرُ

أنت النبى من يحرم شفاعته ... يوم الحساب فقد ازرى به القدر

فثبت الله ما أتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا (٣)

ومن أبياته فى مدح خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم (٤)

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع

(١) ديوان حسان بن ثابت الانصارى (٢) الاصابة فى تمييز الصحابة ترجمة عبدالله بن رواحة
(٣) أسد الغابة ترجمة عبدالله (٤) أسد الغابة فى ترجمة عبدالله رواحة

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا … به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه … إذا شتغلت بالمشركين المضاجع

ومن أبيات عبدالله بن زبعرى التى مدح بها محمدا صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الشاعر فيها محاسن الإسلام (١)

يا رسول المليك إن لسانى … راتق ما شفقت إذا نابور

إذ أجارى الشيطان فى سنن الغى … ومن مال ميله مثبور

إن ما جئتنا به حق صدق … ساطع نوره مضى منير

جئتنا باليقين والبر والصد … ق وفى الصدق واليقين سرور

أذهب الله ضلة الجهل عنا … وأتانا الرخاء والميسور

وقد مدح كعب بن مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصائد نذكر بعض الأبيات منها (٢)

قضينا من تهامة كل ريب … وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقالت … قواطعهن: دوسا أو ثقيفا

وأنا قد أتينا هم بزحف … يحيط بسور حصنهم صفوفا

رشيد الأمر ذو حكم وعلم … وحل لم يكن نزقا خفيفا

نطيع ربنا ونطيع ربّا … هو الرحمن كان بنا رؤوفا

ومن أبياته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم (٣)

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه … نور مضى له فضل على الشهب

الحق منطقه والعدل سيرته … فمن يحبه إليه ينج من شيب

نجد المقدم ماضى الهم معتزم … حين القلوب على رجف من الرعب

يمضى ويذمرنا عن غير معصية … كأنه البدر لم يطبع على الكذب

(١) جمهرة أشعار العرب ـ (٢) الروض الأنف: ٢ / ٨٢ (٣) سيرة ابن هشام ج ٣، ٤ ص ١٦١

بدا لنا فاتبعناه نصدقه … وكذبوه فكنا أسعد العرب

ومن أبيات عباس بن مرداس رضي الله عنه التى مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

رأيتك يا خير البرية كلها … نشرت كتابا جاء بالحق معلما

ونورت بالبرهان أمرا مدمّسا … وأطفأت بالبرهان جمرا مضرما

فمن مبلغ عنى النبى محمداً … وكل امرئ يجزى بما قد تكلما

تعالى علوا فوق عرش إلهنا … وكان مكان الله أعلىٰ وأعظما (١)

رثى أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيات نذكر منها:

أرقت وبات ليلى لا يزول … وليل أخى المصيبة فيه طول

وأسعدنى البكاء وذاك فيما … أصيب المسلمون به قليل

أصبنا بالنبى وقد رزأنا … مصيبتنا فمحملها ثقيل

فلم نر مثله فى الناس حيا … وليس له من الموتى عديل

أفاطم ان جزعت فذاك عذر … وان لم تجزعى فهو السبيل

فقبر أبيك سيد كل قبر … وفيه سيد الناس الرسول

صلاة الله من رب رحيم … عليه لا تحول ولا تزول (٢)

ونذكر بعض الأبيات من قصيدة محمد بن سعيد البوصيرى المصرى (٦٠٨ـ٦٩٧هـ)

محمد سيد الكونين والثقلين … والفريقين من عرب ومن عجم

نبينا الآمر الناهى فلا أحد … أبرّ فى قول "لا" منه ولا نعم

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته … لكل هول من الأهوال مقتحم

(٣) ابن هشام ٢ / ٦٠ ـ تهذيب ابن عساكر ٢ / ٢٥٥ ـ (٢) جمهوة أشعار العرب

دعا إلى الله فالمستمسكون به ... مستمسكون بحبل غير منفصم
فاق النبيين فى خَلق وفى خُلق ... ولم يدانوه فى علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفا من البحر أورشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم ... من نطقه العلم أو من شكله الحكم
فهو الذى تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك فى محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
والنسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عن ناطق بفم (١)

الشيخ عبدالرحيم بن احمد بن على البرعى اليمانى المتوفى سنة ٨٠٣هـ مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم نذكر بعض الأبيات من قصيدته:

وفى أكناف طيبة هاشمى ... تصرف بالسماحة حيث شاء
أمام المرسلين ومنتقاهم ... حوى الخيرات ختما وابتداء
تناهى فخر كل أخى فخار ... ولن تلقى لمفخره انتهاء
نبى ما رأته الشمس إلّا ... وغضت عن محاسنه حياء
عظيم ان تواضع عن علو ... كبير ليس يرضى الكبرياء
وذلك خير من حملته أم ... ومن لبس العمامة والرداء
رسول الله على الناس قدرا ... وأكرمهم وأرحبهم فناء
ومن لى أن أزورك بعد بعد ... صباحا يا محمد أو مساء
عليك صلاة ربك ما تبارت ... صبا نجد نسيما أو رخاء (٢)

(١) القصيدة البردة (٢) المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية.

جمال الدين محمد بن محمد ابن نباتة المصرى (٦٨٦-٧٦٨هـ) كان عالما صوفيا أريبا من رجال القرن الثامن من الهجرى، ننقل بعض الأبيات من قصائد التى مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وان محمداً لحبيبُ إنس ... وجنّ هم لنعليه فداء
نبى تحمل الأنباء عنه ... جمال الشمس يجلوها الضحاء
وأين الشمس منه سنا ولولا ... سناه ما ألمّ بها بهاء
ولولاه لما حجت وعجت ... وفود البيت ضاق بها الفضاء
أعد لى يا رجاء زمان قرب ... بروضته اعد لى يا رجاء
صفى الله يا أزكى البرايا ... بحبك من عقائدنا الضفاء
عليك من المليك بكل وقت ... صلاة فى الجنان لها أداء (١)

شهاب الدين محمد الحلبى (٧٣٥هـ) كان شاعرا كبيرا وعالما يشار إليه بالبنان، مدح النبى صلى الله عليه وسلم بقصائد ننقل بعض الأبيات من قصيدته البائية.

فهل ترى اسمع الحادين عن كثب ... وهم يقولون لى قف هذه الكثب
وهل صباح أرى فيه قباب قبا ... كأنها بين ساجى نخله شهب
وهل تماط وقد جئت الثنية ما ... بينى وبين المصلى والنقا الحجب
فانظر الحرم السامى بساكنه ... وأمطر الأرض دمعا دونه السحب
هناك تطفأ أشجانى وتبرا جفانى ... وتذهب عنى هذه الكرب
ولا أبالى بفقدانى الحياة وقد ... وجدت ماكنت أرجوه وأرتقب
مغنى به فاض فضل الله وانبعثت ... به إلى الخلق طرا للهدى شعب
وطبقت رحمة الله البلاد به ... كأنها الغيث يسرى وهو منسكب

(١) المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية.

وسار منه هدى لم تبق شارقة … ألا ونور سناها منه مكتسب
مغنى به خير خلق الله كلهم … ومن به بلغت أقصى العلا العرب
محمد سيد السادات أكرم من … علت بمثله فوق الورى الرتب
محمدالمصطفى الهادى الذى شهدت … ببعثه أنبياء الله والكتب (١)

أبو حفص عمر بن على المعروف بابن الفارض (٥٧٦-٦٣٢ هـ) الفقيه الأديب الصوفى لم يقل فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم إلا بيتين وهما:

أرى كل مدح فى النبى مقصرا … وان بالغ المثنى عليه وأكثرا
إذ الله أثنى بالذى هو أهله … عليه فما مقدار ما تمدح الورىٰ (٢)

الشيخ جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصرى المتوفى فى سنة ٦٥٦ هـ له قصائد كلها فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ننقل هنا بعض الأبيات من بعض قصائده :

واصلتنا بطيفها أسماء … حين أرخت ستورها الظلماء
قلت انى ولات حين مزار … زرتنا الدجى وأنت ذكاء
بيننا فى السرى وبينك بيد … وفياف دونها نيهاء
أين أرض العراق يا ربة الحذ … ر وأين الحجاز والبطحاء
مالنا مرتجى سوى وعد مولى … ماجد لا يخيب فيه الرجاء
من إذا قال أو تكفل … فالصدق قرين لوعده والوفاء
مصطفى الله ذى الجلال من الخلق … نبى له علينا ولاء
شهدت بالرسالة الصحف الأو … لى له والنعوت والأسماء
خاتم الأنبياء فاتح باب الرشد … والناس ضلل سفهاء

(١) المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية (٢) ديوان الفارض طبع بيروت ١٩٦٢م

فأتاهم من ربه بكتاب … هو للناس رحمة وشفاء (١)

أبو زيد عبدالرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون (٧٣٣-٨٠٨هـ) المؤرخ الأديب، ننقل الأبيات من قصيدته الوحيدة التى قالها فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

أسرفنى فى هجرى وفى تعذيبى … وأطلق موقف عبرتى ونحيبى
وأبين يوم البين وقفة ساعة … لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وغادروا … قلبى رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعى سافح … فشرقت بعدهم بماء غروبى
يا ناقعا بالعتب غلة شوقه … رحماك فى عذلى وفى تأنيبى
ماهاجنى طرب ولا أعتاد الجوى … لولا تذكر منزل وحبيب
أهفو إلى الأطلال كانت مطلعاً … للبدر منهم أو كناس ربيب
يا سائق الأظعان يعتف الغلا … ويواصل الآساد بالتاويب
متهافتا عن رحل كل مذلّل … نشوان من أين ومس لغوب
فى كل شعب منية من دونها … هجر الأمانى أو لقاء شعوب
هلا عطفت صدورهن الى الّتى … فيها لبانة أعين وقلوب
فتؤم من أكناف يثرب ما منا … يكفيك ما تخشاه من شريب
حيث النبوة أيها مجلوّة … تتلوا من الآثار كل غريب
سرغريب لم يحجبه الثرى … ما كان سر الله بالمحجوب
يا سيد الرسل الكرام ضراعة … تفضى منى نفسى وتذهب حولى
عاقت ذنوبى عن جنابك والمنى … فيها تعللنى بكل كذوب
هب لى شفاعتك التى أرجو بها … صفحا جميلا عن قبيح ذنوبى

(١) المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية.

انى دعوتك واثقاً بأجابتى   يا خير مدعو وخير مجيب
قصرت فى مدحى فان يك اطيبا   فيما لذكرك من أريج الطيب
مإذا عسى يبغى المطيل وقدحوى   فى مدحك القرآن كل مطيب (١)

شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ له قصائد فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم نقل الأبيات من قصيدته الهمزية.

هوى فيه الملامة كالهواء   فلا يطمع لنارى فى الظفاء
أعإذل أن نار الشوق تذكو   ولم يخمد تلهبها بكائى
ويبعد طفوها برياح لوم   ومن جفن لم يطفأ بماء
وذكرى أرض نعمان بها قد   روت عيناى عن ماء السماء
تسلسلت الرواية عن جفونى   على ضعف بها من فرط دائى
لأيام الجفا خبر طويل   ونادرة ليلات اللقاء
قضيت هوى بهجرك يا حبيبى   وعاملت الأحبة بالاداء
وانى وان تشأ قربى فدان   إليك وان نويت نوى فنائى
بقربك لى المسرة فى صباحى   وبعدك لى المساءة فى مسائى
ولا أنسى غداة البين لما   رآنى اليأس منقطع الرجاء
وقد زفت لهم نجب تهادى   كأمثال العرائس للجلاء
فقلت لها خذى جسمى وروحى   بطيبة حيث مجتمع الهناء
منازل طيبة الفيحاء عرفا   منازه طيبة وملإذ نائى
فإن رمدت من الشهيد عين   فأثمد تربها عين الدواء
وإن قنطت من العصيان نفسى   فباب محمدٍ باب الرجاء

(١) نفح الطيب: ٧٥

كريم بالحياء من راحتيه   يجود وفى المحيا بالحياء
ويروى طالب براوعلما   لديه عن يزيد وعن عطاء
وأرجو يا كريم العفو عما   جنته يداى يا رب الحياء
فكعب الجود يا يرضى نداء   لنعلك وهو رأس فى السخاء
ومن بمدحك ابن زهير كعب   لمثلى منك جائزة الثناء
فإن احزن فمدحك لى سرورى   وإن أقنط فحمدك لى رجاء
عليك سلام رب الناس يتلو   صلاة فى الصباح وفى المساء (١)

نقل بعض الأبيات من قصيدة الشيخ عبدالله الشبراوى المصرى (م ١١٩٩)

مقلتى قد نلت كل الأدب   هذه أنوار طه العربى
هذه أنوار طه المصطفى   خاتم الرسل شريف النسب
هذه أنواره قد ظهرت   وبدت من خلف تلك الحجب
هذه أنواره فابتهجى   طربا فالوقت وقت الطرب
ويقينى فيك يا خير الورى   ان حبى لك أقوى سبب
وتدارك ما بقى لى فلقد   ضاع عمرى فى الهوى واللعب (٢)

هناك بيتان للشيخ حسين الدجانى المتوفى سنة ١٢٦٨هـ، ننقلهما :

اليك يا رسول الله وجهت وجهى   فارسيت فى زخار بحر جودك مركبى
فمن رسول الله مثل بنظرة   أزاحم فيها الأصفياء بمنكبى (٣)

الشيخ عبدالغنى النابلسى نختار بعض الأبيات من قصيدة المدحية:

ما للقلوب سوى ذلك الحمى طلب   ولا العيون لها فى غيره أرب

(١) المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية -(٢) ديوان الشعر للشبراوى (٣) المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية

يـا كـعبة تستـجير الطـائفون بهـا ‏ ‏ نـور بـه تـظهـر الاشيـاء وتحتجب
لـه مـزيّة جـود فـى الـوجود نمت ‏ ‏ حتـى على العجم استعلت به العرب
وزاده الـلـه فـى اسـرائـه رتبـا ‏ ‏ رفيـعة خـفـضـت مـن دونهـا الرتب
وقـدر فـى ليـلة المعـراج فـى درج ‏ ‏ نـحو العلا حيث عنه زالت الحجب
وحبـه ديـن أهـل الـلـه قـاطبة ‏ ‏ لهـم بـه نسـب مـافوقـه نسب
وأنـت بـاب العطا والجود يا أملى ‏ ‏ بـل الإلـه عـلى طول المدى يهب (١)

قـد منـا فـى الأوراق السـالفة نماذج من المدائح النبوية فى الأدب العربى للعصور المختلفة، وهذا الاستغراض الخاطف للمدائح النبوية فى الأدب العـربى إن دل عـلى شيئـى فـانـما يدل على وجود ثروة كبيرة لـلمدائح النبوية فى الأدب العربى. وهذه الثروة الأدبية النبيلة توصلنا إلى هذه الحقيقة الكبرى أن معظم الشعراء المسلمين فى كل العصور قرضوا قـصائد وأبياتا فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لتأدية ضريبة الحب والـفـداء ولإبـانة الـحـب الـكامن فى القلوب وكيف لا، فقد كان حب الـرسـول صـلـى الـله عليه وسلم من الإيمان. فلا بد لكل مؤمن أن يحبه ويفصح عما فى قلبه من حب للنبى صلى الله عليه وسلم بقوله المنثور أو المنظوم.

تـلك الـنـمـاذج التـى قـدمنا ها ليست إلاغيضا من فيض وقطرة من بـحـر، بـالنسبة إلى القصائد التى يزخر بها الأدب العربى وقد تولى بعض المؤلفين جمع تلك القصائد المدحية فى الكتاب ترقيقا للشعور و تهذيبا للنفوس وإرهافا للعقول وتعميماً للفوائد.

(١) المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية

الباب السادس

المدائح النبوية فى الهند باللغة العربية

وقبل أن ندخل صلب الموضوع يحلوبنا أن نبحث عن تاريخ دخول الإسلام فى الهند بحثا تتجلّى للقارئ صورة واضحة للحلقة التاريخية الإسلامية فى شبه القارة الهندية التى دفع سكانها المسلمون ضريبة الحب فى صورة المدائح وقد يجد الباحث فيها مثالا رائعا للفداء والشعر البليغ والمديح الرقيق والبيان الساحر والأدب الخالد فنلقى نظرة عابرة على دخول الإسلام فى الهند وانتشاره ومعطياته والحركة العلمية فيها باللغة العربية.

نظرة على دخول الاسلام فى الهند وانتشاره:

أخذت العرب تشد الكرة على بلاد الهند الساحلية فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فزحفوا أول مرة إلى تانه المرفأ الصغير الذى ترقى فيما بعد وأخذت موضعه مدينة عامرة تدعى اليوم مومبائى. ثم نزلوا بعدها بروص من بلاد غجرات ولكنهم لم يتغلغلوا فى أعماق البلاد وانما انحصر نفوذهم فى مقاطعة السند وما جاورها من الأقطار وكذلك البحارون من العرب الذين كانوا يمرون بشواطئها العربية ويتاجرون مع أهلها من قبل بزوغ شمس الإسلام ما توغلوا فى قلب الديار الهندية فانحصرت دائرة نفوذهم فى مليبار ونواحيها من بلاد الشواطئ الغربية فما امتدت أشعة ذلك النور الوهاج إلى داخل هذا القطر الا بعد ما امتلك ناصيته الفاتح محمود الغزنوى (٣٨٨-٤٢١ هـ) وأحلافه (١) وكانت قوافل التجار ترد من اليمن الى بروص وكمبائت وراندير وكندهار من أشهر المرافئ فى الزمن الماضى وكانت مدينة

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٣-٤ - للأستاذ مسعود عالم الندوى دارالعربية ١٣٧٢هـ طبقات ابن سعد: ٦/٨ وتاريخ خليفة ١٦٠/٢ العقد الثمين فى فتوح الهند ص ١٣٧

بروص شهيرة فى صناعة السيوف وقد مدح بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيوف الهند (١)

دخل الإسلام الهند من طريق الشمال الغربى فى أواخر القرن الرابع وبدء القرن الخامس للهجرة ثم تتابعت الحملات وجعل الوعاظ والدعاة والصوفية يردون البلاد وينبثون فى كل صقع منها حتى استأنس الأهالى بدعوتهم وأخلاقهم وأخذوا ينضوون إلى كنف الدين المبين و يلتجئون إلى حظيرته القدسية (٢)

معظم الفاتحين الذين دخلوا الهند وحكموها وأقاموا سوق الضراب والقتال ما كان همهم إلاتوطيد دعائم حكومتهم ولم تكن فى قلوبهم - إلا من رحم ربك - جذوة حب الدين المبين وفيهم من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ومعظمهم لا يعرفون لغة القرآن الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. أول ملك من ملوك الهند الذى حاول إحياء الشريعة المحمدية وشعائر الإسلام والقضاء على البدع والمنكرات والخزعبلات الشيطانية التى تسربت إلى المجتمعات الإسلامية الهندية هو محمد تغلق (٧٢٥-٧٥١ هـ) كان شديداً فى أمور الدين يعاقب تاركى الصلاة ويسعى فى سبيل إحياء مآثر الاسلام وتجديد ما درس من آثاره ثم جاء بعده فيروز تغلق وكان ملكاً عادلا صالحاً أتى فى سبيل إعلاء كلمة الله من الأعمال الجليلة المشكورة وقد وفقه الله للقضاء على البدع والمنكرات ولتشييد المبانى الخيرية والمساجد والمدارس والزوايا ليلتجئ إليها الزهاد والعلماء والمشائخ فيناجوا فيها ربهم وينقطعوا إلى ذكر الله ويخصّوها للعبادة وكذلك

(١) العرب والهند فى عهد الرسالة ص ٤٣ (٢) تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٥

وقف أرضا فى سبيل الله حسب ما ورد به الشرع حتى يصل ريعها إلى من يستحقونه من عباد الله ولا ينقطع عنهم أبد الدهر وجدّد الملك فيروز تغلق ما اندرس أو تهدّم من المساجد أو المنارات والجدران والحياض ورغب أهل الذمة من رعيته فى الإسلام وقام بواجب الدعوة خير قيام وأعلن للجمهور بأن كل من يدخل فى الاسلام من الأهالى ويؤمن بالله تسقط عنه الجزية من فوره فلبغ ذلك مسامع الناس وأخذ فى قلوبهم مأخذا حتى جعلوا يدخلون فى دين الله أفواجا ومن ملوك المسلمين الّذين تولّوا أمر الحكومة المركزية فى دهلى ولم يغفلوا عن فريضتهم الدينية سكندر بن بهلول اللودى (٨٩٤-٩٢٣ هـ) أنه كان عالما صالحا محبا للعلم والعلماء، رتب الأمور على منهاج ساعده على ازدهار الثقافة الاسلامية وتقلص ظل العادات الجاهلية. أما العلماء والمشائخ فما انبرى لخدمة الدين والدعوة إلى الله إلاشرذمة قليلة من مشائخ الصوفية المنبثين فى شرق البلاد وغربها. أولئك المشائخ الّذين تغلغلوا فى داخل البلاد واستوطنوها وارتدوا بأزياء الأهالى وتكلّموا بلغاتهم وتشبّهوا فى أعمالهم ومناهج حياتهم بفقراء الهنادك المنقطعين إلى تعبد آلهتهم حسب معقتداتهم. وبعض العلماء الّذين قاموا بإحياء مآثر الشريعة الإسلامية ومقاومة تيار الزندقة والإلحاد وانبرو المقارعة فتن البدع وتتبع الشهوات والأهواء وبث الدعوة الإسلامية الصافية النقية، كان فى طليعتهم السيد محمد المهدى الجونفورى (٨٤٧-٩١١ هـ) فله مساعى جميله وجهود مشكورة مثمرة فى إصلاح ما فسد من تعاليم الشريعة الإسلامية ثم شاعت المنكرات والبدع فى عهد همايون واكبر وجهانكير، وكان عهد أكبر من أحلك

العهود بالنسبة للإسلام، فقد ابتدأت حكومة أكبر حوالى ١٥٥٦/٩٦٤م وامتدت زهاء خمسين سنة، حاول أكبر توطيد دعائم الحكومة بالقضاء على قوانين الإسلام الملائمة بفطرة الإنسان فألغى الجزية من المشركين سنة ١٥٦٤م وأباح للمسلمين الجدد أن يرتدّوا عن دينهم ويرجعوا إلى أديان آبائهم الأولىٰ وأصدر مرسوما عاماً بمنع ذبح البقرة ومنع المسلمين من تزوج بنات العم والعمة والخال والخالة ومنعهم من الختان وأباح الخمر وبيعها وأباح للبغايا والعواهر ان يتعاطين أشغالهن تحت رقابة الحكومة وأباح الربا والمقامرة وأسقط الاغتسال عن الجنابة وأفتى بجواز نكاح المتعة وأصدر مرسوما ملكيا بمنع اللغة العربية وأوجب سجدة التحية للملك وأوجب على خاصة رجاله ارتداء الملابس الحريرية أثناء الصلاة وألغى بعض أركان الإسلام ومنع الصلوٰة والأذان فى دار الشورى الملكية وحظر على الناس الصوم فى شهر رمضان ومنع الناس من اداء فريضة الحج، عطّل أعياد المسلمين وتحولت المساجد إلى مرابط للخيول، أُبيح للناس أن يأكلوا لحوم النمر والخنازير الضوارى وما إلى ذلك من البدع والمنكرات التى عمّت وراجت فى عهد الملك أكبر وخلفه من بعده جهانكير ١٠١٤-١٠٣٧هـ ولد الملك أكبر فاقتفى إثرأبيه وحذا حذوه فى عدم الاعتناء بالدين. فقيض الله للقضاء على هذه البدع والمنكرات الشيخ أحمد بن عبدالأحد الفاروقى السرهندى المولود ٩٧١-١٠٣٤ هـ فجاهر بالحق وجاهد جهادا مشكورا فى استئصال شافة البدع والمنكرات فى زمن الملك جهانكير فما كان من الملك إلا أن أمر بحبسه فى سجن كواليار فى ولاية مادهيا براديش ثم أطلق سراحه وتلقاه

الملك بالترحاب وأكرم مثواه فانتهز المجدد الفاروقى هذه الفرصة المباركة وطلب إلى الملك إن يصدر أمره فى تحريم السجدة للملك والإذن بذبح البقرة وتعيين القضاة والمحتسبين فى كل بلدة وإعادة بناء المساجد المنهدمة وإلغاء القوانين غير الشرعية فنفذ الملك ما طلبه المجدد السرهندى وحصلت بذلك نهضة الإسلام فى الهند واستبشر المسلمون.

يقول المجدد الفاروقى فى أحد رسائله إلى المير محب الله والرسالة مكتوبة باللغة العربية.

"النصيحة هى الدين ومتابعة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام وإتيان السنة السنية والاجتناب عن البدعة واللامرضية وإن كانت البدعة ترى مثل فلق الصبح لانه فى الحقيقة لانور فيها ولا ضياء ولا للعليل منها شفاء ولا للداء منها دواء، كيف والبدعة إما رافعة للسنة أو ساكتة عنها والساكتة لا بد أن تكون زائدة على السنة فتكون ناسخة لها فى الحقيقه أيضا لأن الزيادة على النص نسخ له فالبدعة كيف كانت،تكون رافعة للسنة نقيضة لها فلا خير فيها ولا حسن فيها. (١)

وكذلك قام أحد معاصرى المجدد الفاروقى الشيخ عبدالحق الدهلوى(٩٥٨ -١٠٥٢ هـ) بأعمال جليلة من إحياء العلوم وعلوم الحديث فى شمالى الهند وألف كتبا كثيرة منها اللمعات فى شرح مشكوة المصابيح باللغة العربية ولا شك أن فضل ذيوع علم الحديث وانتشار السنة الصحيحة يرجع الى الشيخ المحدث عبدالحق الدهلوى، ثم جاء دور الملك عالم كير أورنك زيب

(١) المكتوب التاسع عشر ٢/٣٢ طبع فى مطبعة نول كشور فبرائر ١٩١٣م

(١٠٦٨-١١١٨هـ) فأحيى السنة وقمع البدع والمنكرات وألغى القوانين غير الشريعة وأعاد للدين الحنيف والشريعة الاسلامية نضرته وشبابه ولا يمكن فى هذا الصدد أن نغض الأبصار عن جهود الإمام ولى الله الدهلوى (١١١٤- ١١٧٦هـ) وتلامذته وأنجاله. ويلقى الأستاذ مسعود الندوى الضوء على مآثر الاسلام ولى الله الدهلوى الكريمة فى غاية من الإعجاز والإيجاز فيقول:

"إن بدء الاصلاح الحقيقى فى بلادنا (الهند) كان بجهود الإمام ولى الله الدهلوى ومساعيه المشكورة فإنه هو أول من نقح النظريات القديمة واستعرض تاريخ المسلمين وانتقده انتقاداً وبحث فى أسباب تقهقر المسلمين وزوال ممالكهم واستجلى صورة كاملة لنظام الإسلام ورتبه ترتيبا علميا فأبرز للناس نظاما متصل الأجزاء مرتبط الحلقات (١)

مساهمة علماء الهند باللغة العربية فى مجال العلوم والفنون :

إن تاريخ حركة الثقافة الإسلامية فى الهند الإسلامية طويل وممتع فقد خرجت الهند المسلمة دفعات للأجيال الذين نبغوا فى العلوم والفنون على اختلافها وألفوا كتبا وصنفوا أسفاراً وأن مسلمى الهند لهم صلة وطيدة باللغة العربية وقد ازدانت المكتبات بمصنفاتهم باللغة العربية من التفسير والحديث والفقه والأصول والفلسفة والمنطق والسيرة والتراجم والآداب وبعض الكتب لانظير لها فى مكتبات العالم مثل حجة الله البالغة للامام ولى الله الدهلوى (١١١٤-١١٧٦هـ) وسنتحدث عن الحركة العلمية باختصار فى الصفحات الآتية بإذن الله تعالى.

فقد ألّف الشيخ علاء الدين على بن أحمد المهائمى

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٦٠

(٧٧٦–٨٣٥هـ) تفسير القرآن الكريم باللغة العربية باسم تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشهد إلى القرآن (١) وألف أبو الفيض الفيضى (٩٥٤–١٠٠٤هـ) كتابا فى التفسير باسم سواطع الإلهام وهو تفسير القرآن الكريم لم تستعمل فيه الحروف المنقوطة وموارد الكلام باللغة العربية وهى رسالة غير منقوطة فى الاخلاق (٢) وألف الشيخ القاضى ثناء الله البانى بنى (١٢٢٥هـ) كتابا فى التفسير باسم تفسير المظهرى باللغة العربية (٣) والتفسيرات الأحمدية فى بيان الآيات الشرعية فى التفسير ونور الأنوار فى شرح المنار فى أصول الفقه للشيخ أحمد بن سعيد المعروف بملّا جيون (م/١١٣٠) (٤) ومشارق الأنوار للشيخ حسن بن محمد الصغانى (٥٧٧–٦٥٠هـ) فى الحديث وكتاب الشوارد فى اللغات وشرح القلادة السمطية فى توشيح الدريدية وكتاب الافتعال وكتاب العروض ومصباح الدجى والشمس المنيرة فى الحديث وشرح البخارى ودرة السحابة وشرحها وكتاب الفرائض وكتاب العباب فى اللغة (٥) وكنز العمال للشيخ المحدث على بن حسام الدين المتقى البرهانفورى المتوفى فى سنة ٩٧٥ هـ والشيخ وجيه الدين العلوى الكجراتى صاحب المناقب الفاخرة (٩١١–٩٩٨هـ) له تصانيف عديدة باللغة العربية منها حاشية تفسير البيضاوى فى التفسير

(١) سبحة المرجان ص ٣٩ لمولفه غلام على آزاد البلجرامى (٢) سبحة المرجان ص ٤٦ منتخب التواريخ ص ٥١٤ـ رود كوثر ص ٧٣ـ أبجد العلوم ص ٨٩٧ طبقات أكبرى ٤٧٦/٢ـ(٣) خزينة الأصفياء ٦٨٩/١ ـحدائق الحنفية ٤٥٦ـ اليانع الجنى ٦٧– تراجم علماء الحديث ٢٠٦/١ـ اتحاف النبلاء ص ٢٤٠–مظهر العلماء ص ٤٧ـ مقامات مظهرى ص ٦٥ ـ (٤) حدائق الحنفية ص ٢٣٦ـ أبجد العلوم ص ٩٠٧ـ سبحة المرجان ص ٧٩ـ خزينة الأصفياء ٣٦٥/٧ ـنزهة الخواطر ٩/٦ـ بز تيمورية ص ٢٢٤ ـ (٥) سحة المرجان ص ٢٨ نزهة الخواطر ١٣٧/١، تاريخ الأولياء ٧١١/٢ تذكرة الواصلين ص ٩٦. حدائق الحنفية ص ٢٥٢ أبجد العلوم ص ٨٩ اتحاف النبلاء ص ٢٤٣ـ

وشرح النخبة فى أُصول الحديث، حاشية العضدى، حاشية التلويح، حاشية البزدوى، حاشية هداية الفقه، حاشية شرح الوقاية، حاشية المطول، حاشية المختصر، حاشية شرح التجريد، حاشية الأصفهانى، حاشيه شرح العقائد للتفتازانى، حاشية الحاشية القديمه للمحقق الدّوّانى، حاشية شرح المواقف، حاشية شرح حكمة العين، حاشية شرح المقاصد، حاشية الشمسية، حاشية شرح الجغمينى و شرح الارشاد للقاضى شهاب الدين الدولت آبادى وما إلى ذلك من حواشى مفيدة وممتعة جداً (١)

وألف الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوى (٩٥٨–١٠٥٢هـ) كتابا باسم لمعات التنقيح على مشكاة المصابيح (٢) وألف الملا محمود الفاروقى الجونفورى (م١٠٣٢هـ) الشمس البازغة فى الحكمة وحرّر على الفوائد الغياثية للقاضى عضد الدين الايجى فى المعانى والبيان والبديع شرحا سماه الفرائد شرح الفوائد (٣) والمسوّى فى شرح الموطا للامام مالك، وشرح تراجم أبواب البخارى وحجة الله البالغة للشاه ولى الله الدهلوى (٤) وألف القاضى محبّ الله البهارى (م١١١٩هـ) مسلم الثبوت فى أصول الفقه وسلم العلوم فى المنطق وللشاه ولى الله الدهلوى كتابان نفيسان رائعان باللغة العربية وهما الانصاف فى بيان الاختلاف وعقد الجيد فى

(١) سبحة المرجان ص ٤٥ (٢) سبحة المرجان ص ٥٢، حدائق الحنفية ص ٤٠٩، الاعلام بما فى الهند من الاعلام ٢٠١/٥ اتحاف النبلاء ص ٣٠٣ منتخب التواريخ ص ٤٤٨ رود كوثر ص ٢٩٤ـ(٣) سجة المرجان ص ٥٣ (٤) نزهة الخواطر ٣٨٩/٧ اتحاف النبلاء ٤٢٨ حدائق الحنفية ٤٤٧ مآثر صديقى الجزء الرابع ونزهة الخواطر ١٨٧/٨ـ

أحكام الاجتهاد والتقليد، وألف النواب (١) صديق حسن خان القنوجى (١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ) كتبا عديدة باللغة العربية منها إحياء الميت بذكر مناقب أهل البيت والانتقاد الرجيع فى شرح الاعتقاد الصحيح واكليل الكرامة فى تبيان مقاصد الامامة والإذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة وأبجد العلوم فى بيان العلوم والفنون وتراجم العلماء والأقليد لادلة الإجتهاد والتقليد وأربعون حديثا فى فضائل الحج والعمرة والانشاء العربى وأربعون حديثا متواترة وتكحيل العيون بتعاريف العلوم والفنون والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأخر والأول وتذهيب شرح تهذيب فى المنطق وتخريج الوصايا من خبايا الزوايا والجنة فى الأسوة الحسنة بالسنة وحصول المأمول من علم الأصول والحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون و حسن الأسوة مما ثبت من الله ورسوله فى النسوة وحضرات التجلى من نفحات التجلى فى افتراق الأمم والأديان والدين الخالص فى العقيدة وذخر المحتى فى آداب المفتى والرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكوة، وربيع الأدب ورحلة الصديق الى البيت العتيق والروض البسّام من ترجمة بلوغ المرام والسحاب المركوم فى بيان أنواع الفنون والعلوم والسراج الوهاج فى شرح مختصر صحيح مسلم بن الحجاج والطريق المثلى فى إرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو الهوى وظفر اللاضى بما يجب فى القضاء على القاضى والعلم

(١) نزهة الخواطر ٣٩٨/٧ـ إتحاف النبلاء : ٤٢٨ـ حدائق الحنفية : ٤٤٧ـ مآثر صديقى : الجزء الرابع ونزهة الخواطر: ١٨٧/٨.

الخفاق من علم الاشتياق وعون البارى لحل ادلّة البخارى والعبرة بما جاء فى الغزو والشهادة والهجرة وغص البان المورق بمحسنات البيان والغنة ببشارة الجنة لأهل السنة وفتح البيان فى مقاصد القرآن وفتح العلام لشرح بلوغ المرام وقطف الثمر فى بيان عقيدة أهل الأثر وقصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل وقطع الأوصال ترجمة قصر الآمال ولفّ القماط على بعض ما استعمله العامة عن المعرب والمولد والدخيل والأغلاط ولقطة العجلان لما تمسّ الى معرفة حاجة الانسان والموعظة الحسنة بما يخطب فى شهور السنة ومثير ساكن الغرام إلى روضات دارالسلام ونيل المرام من تفسير آيات الأحكام ونزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار ونشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان والوشى المرقوم فى بيان أحوال العلوم المنثور منها والمنظوم.

وألف السيد مرتضى البلكرامى (م١٢٠٥) كتاب قيما ألا وهو تاج العروس فى شرح القاموس (١) وألف الشيخ محمد أعلى التانوى من رجال القرن الثانى عشر كتابا باسم كشاف فى اصطلاحات الفنون وألف الشيخ عبدالقادر الأحمد آبادى الكجراتى (١٥٧٠-١٦٢٨م) كتبا منها النور السافر فى رجال القرن العاشر واتحاف الحضرة العزيزة بعيون السيدة الوجيزة (٢) وتحفة المجاهدين ألّفه الشيخ زين الدين بن عبدالعزيز المليبارى (م ١٥٨٣م) (٣) والإعلام بأعلام بيت الله الحرام لمؤلفه قطب الدين أحمد بن علاؤالدين (١٥١١م) (٤) وألف غلام على آزاد البلكرامى: سبحة

(١) نزهة الخواطر: ٤٨٠/٧ـ أبجد العلوم ٢٠٨/٣ـ

(٢) Controbution of India to Arbic Literature, P. 149_

(٣) Controbution of India to Arbic Literature, P. 149

(٤) Controbution of India to Arbic Literature, P. 147

المرجان فى آثار هندوستان (١) والشيخ فيض الحسن السهارنفورى (م١٣٠٤هـ) له حاشية على تفسير البيضاوى وتعليقات على الجلالين (٢) كذلك ألف الشيخ حميد الدين الفراهى (٣) (١٢٨٠-١٣٤٩هـ) كتبا عديدة باللغة العربية منها نظام القرآن وتأويل الفرقان بالقرآن والامعان فى أقسام القرآن والرأى الصحيح فى من هو الذبيح وفى ملكوت الله وفاتحة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ودلائل النظام وأساليب القرآن والتكميل فى أصول التأويل والرائع فى أصول الشرائع واحكام الاصول بأحكام الرسول وكتاب العقل وما فوق العقل والاكليل فى شرح الإنجيل وأسباب النزول وتاريخ القرآن وأوصاف القرآن ووفقه القرآن وحجج القرآن وكتاب الرسوخ فى معرفة الناسخ والمنسوخ ورسالة فى إصلاح الناس والازمان والأديان وكتاب الحكمة والقطاس وتفسير بعض سور القرآن.

وألّف العلامة أنور شاه الكشميرى (٤) (١٢٩٢-١٣٥٢هـ) كتبا باللغة العربية منها مشكلات القرآن وفيض البارى بشرح صحيح البخارى والعرف الشذى بشرح جامع الترمذى وأنوار المحمود فى شرح سنن أبى داؤد والاتحاف لمذهب الأحناف وعقيدة الاسلام فى حياة عيسى عليه السلام وتحية الاسلام فى حياة عيسى عليه السلام والتصريح بما تواتر فى نزول المسيح وإكفار الملحدين فى ضروريات الدين وضرب الخاتم على حدوث العالم ومرقاة الطارم لحدوث العالم وإزالة الرين فى الذب عن قرة العينين وفصل الخطاب فى مسألة

(١) حدائق الحنفية ٤٥٤ نزهة الخواطر ٢٠١/٨ اتحاف النبلاء ٣٣٠ سبحة المرجان ص ١١٨
(٢) نزهة الخواطر ٣٦٦/٨ (٣) نزهة الخواطر-(٤) نزهة الخواطر ٨٠/٨ ونفحة العنبر فى حياة الأنور

أمّ الكتاب ونيل الفرقدين فى مسألة رفع اليدين وبسط اليدين لنيل الفرقدين وقد قام العلماء بتدوين الفتاوى العالمكيرية بايعاز من الملك المسلم الغيور أورنك زيب عالمكير، المعروف بالفتاوى الهندية فى البلدان العربية (١) والذين قاموا بتدوين هذا الكتاب القيم هم: الملا نظام البرهانفورى والشيخ جلال الدين المجلى شهرى والمفتى وجيه الدين الكوبامئوى والمفتى محمد أكرم اللاهورى والقاضى محمد حسين الجونفورى والشيخ رضى الدين الباغلبورى والمير السيد محمد القنوجى والملا محمد جميل الجونفورى والقاضى السيد على أكبر سعد الله إله آبادى والشيخ نظام الدين النقوى والعلامة أبو الواعظ الهرغامى البدايونى والشيخ أحمد الكوبامئوى والشيخ محمد غوث الكاكورى والشيخ فصيح الدين الجعفرى البلواروى البهارى والشيخ عبدالفتاح الصمدانى الجونفورى والقاضى عصمت الله اللكنوى والمفتى أبو البركات الدهلوى والقاضى عبدالصمد الجونفورى والقاضى محمد دولت الفتحبورى والشيخ محمد سعيد السهالوى والقاضى السيد عناية الله المونكيرى والشاه عبد الرحيم الدهلوى والشيخ محمد شفيع البهارى والشيخ أبوالخيرالتتوى السندى والملّاوجيه الرب والملا السيد محمد فائق والعلامة أبو الفرح والملا غلام أحمد اللاهورى والملا ضياء الدين والملا حيدر القاضى خان.

(١) أورنك زيب وتدوين الفتاوى العالمكيرية ص ٣١ بر صغير هندوپاك ميں علم فقه ص ٣٤٠ الثقافة الاسلامية فى الهند ص ٦٣ بزم تيموريه ص ٢٤٢ مرآة العالم ص ٢٠ نزهة الخواطر ٢٥٤/٦ اردو دائره معارف اسلامية ١٤٩/١٥ مشاهير جونپور ص ٨٧ تذكرة علماء هند ٢٨٨ مآثر عالمگيرى ص ١٠٧

وقد ألف العلاّمهة عبدالحى الفرنجى محلى (١٢٦٤-١٣٠٤ هـ) (١) كتبا عديدة قيمة باللغة العربية منها التعليق الممجد على موطا الامام محمد والآثار المرفوعة فى الأحاديث الموضوعة وظفر الأمانى شرح مختصر الجرجانى وحاشية حصن حصين وحاشية على الهداية للمرغينانى والسعاية فى كشف ما فى شرح الوقاية وعمدة الرعاية والفلاح المشحون فى انتفاع الراهن والمرتهن والقول الجازم فى سقوط الحج بنكاح المحارم والفلك الدوار فى رؤية الهلال بالنهار والافصاح عن شهادة المرأة فى الإرضاع وتحفة النبلاء فى جماعة النساء والكلام الجليل فيما يتعلق بالمنديل وترويح الجنان بتشريب الدخان وزجرار باب الريان عن تشريب الدخان وردع الاخوان عن محدثات آخر جمعة رمضان وتحفة الطلبة فى تحقيق مسح الرقبة وتحفة الكملة على حواشى تحفة الطلبة وإفادة الخير فى الاستياك بسواك الغير والتحقيق العجيب فى التثويب وسباحة الفكر فى الجهد بالذكر والهسهسة بنقض الوضوء بالقهقهه والقول المنشور فى هلال خير الشهور وقوت المغتذين بفتح المقتدين والقول الأشراف فى الفتح عن المصحف وهداية المعتدين إلى فتح المقتدين وأحكام الفطرة فى أحكام البسملة وتدوين الفلك فى حصول الجماعة بالجن والملك والانصاف فى حكم الاعتكاف ونفع المفتى والسائل لجميع متفرقات المسائل وخير الخبر بأذان خير البشر وإقامة الحجة على أن الإكثار فى التعبد ليس ببدعة وزجر الناس على إنكار اثر ابن عباس والأجوبة الكاملة لأسولة العشرة الكاملة وإمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام

(١) كنز البركات ص ١١ تذكرة علماء فرنگی محلی- الفوائد البهية فى تراجم الحنفية- نزهة الخواطر ٢٣٤/٨ تذكرة علماء هند ص ٢٨٧

وغيث الغمام على حواشى إمام الكلام ونزهة الفكر فى سبحة الذكر وتحفة الاخيار على إحياء سنة سيد الأبرار ورفع الوسواس فى أثر ابن عباس وهداية الورىٰ الى نور الهدى وما إلى ذلك من الكتب النافعة الممتعة، وألف العلامة المحدث عبدالرحمن المباركفورى (١) (١٢٨٣-١٣٥٣هـ) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى فى خمس مجلدات كبار ومقدمة تحفة الأحوذى وابكار المنن فى تنقيد آثار السنن وألف العلامة شبير أحمد العثمانى (٢) (١٣٠٥-١٨٨٧م-١٩٤٩م) فتح الملهم شرح مسلم ونفحة العنبر فى حياة الأنور وألف الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى (٣) (١٣٣٥-١٩١٢-_ ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م) أمانى الأحبار فى شرح معانى الآثار للطحاوى وحياة الصحابة، وألف الشيخ محمد إدريس النّجرامى (٤) (١٢٧٥-١٣٣١هـ) التحقيق الموطا فى تحقيق الصلاة الوسطى وتحفة النبلاء والقول المتين فى التأمين ومواهب القدوس فى أحكام الجلوس والتعليق النقى على رسالة الشيخ على متقى وتحفة الحبيب فى تحقيق الصلاة والكلام بين يدى الخطيب والعون فى نفى ايمان فرعون والتحقيق اليمين فى مجدد المائتين والكلام المسدّد فى رواة موطا إمام محمّد والكلام النفيس فى ترجمة محمد إدريس وتحقيق المرام بترتيب مسند الإمام والأربعين من مرويات نعمان سيد المجتهدين وطريق الفلاح الى الاضطجاع بعد ركعتى الصباح وإلهام الله المتعال فى كراهية سورة الأجنبية للرجال والأصول الشابة للفروج النابتة وحصول المقاصد بترجمة الموارد وتسريح المواقد بتشريح الموارد ونفحة

(١) نزهة الخواطر ٢٤٢/٨ وتذكره علماء مبا ركفور ص ١٤٦ تراجم علماء اهلحديث ٤٠١/١ -(٢) تجليات عثمانى ص ١٤ لمولفه البروفيسر أنوار الحسن أنور-(٣) حيات يوسف لمولفه السيد محمد الثانى الحسنى الرائى بريلوى (٤) نزهة الخواطر ٤٨/٨

الشمائم لأهل العمائم وتعليق التمائم على نفحة الشمائم، البرهان على حكم تقبيل الإبهامين عند الأذان والدرة الذكية فى تائيد مذهب الحنفية والمفاتحة فى المصافحة والمهتدى للمقتدى وإمحاء السيئات بإقامة الصلاة ورفع الاحتمال عن رؤية النبىّ بعد الإرتحال وتطييب الإخوان بذكر علماء الزمان (١) وألّف مولانا خليل أحمد السهارنفورى (١٢٦٩-١٣٤٤هـ) (٢) بذل المجهود فى حل أبى داؤد وألف العلّامة ظهير أحسن شوق النيموى البهارى (م١٣٢٥هـ) آثار السنن مع التعليق الحسن (٣) وألف الشيخ العلامة شمس الحق الدّيانوى (١٢٧٣-١٣٢٩هـ) (٤) عون المعبود على سنن أبى داؤد والتعليق المغنى على سنن الدار قطنى ورفع الابتساس عن بعض الناس واعلام أهل العصر بأحكام ركعتى الفجر والأقوال الصحيحة فى أحكام النسكية وغنية الألمعى وتعليقات على إسعاف الميطا برجال الموطا والنجم الوهاج فى شرح مقدمة مسلم بن الحجاج وتعليقات على سنن النسائى ونهاية الرسوخ فى معجم الشيوخ والنور اللامع فى أخبار صلوة الجمعة عن النبى الشافع وتحفة المجتهدين الأبرار فى اخبار صلوٰة الوتر وقيام رمضان النبى المختار وألف الشيخ العلامة ظفر أحمد العثمانى (١٣١٠هـ ١٩٧٤م) إعلاء السنن فى عشرين مجلدا وألف الشيخ ادريس الكاندهلوى (١٩٧٤م) التعليق الصبيح على مشكوة المصابيح وألف الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى المحدث الكبير العلامة (١٣١٩هـ) كتبا قيمة ومن أهم خدمات الشيخ العلمية إبراز الكتب العلمية القديمة إلى حيز الوجود بالتعليق والتحقيق فقام بتحقيق وتعليق

(١) علماء الهند الإعلام وخدماتهم فى مجال اللغة العربية ص ١٠٢

(٢) تذكرة الخليل لمؤلفه الشيخ عاشق إلهى الميرتى ' نزهة الخواطر ١٣٦/٨

(٣) نزهة الخواطر: ٢٠٦/٨ - (٤) نزهة الخواطر: ١٧٩/٨

كل من الكتب النافعة مثل مسند الحميدى وكتاب الزهد والرقائق للمحدث الكبير عبدالله بن المبارك وسنن سعيد بن منصور والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلانى ومصنف عبدالرزاق ومسند أحمد وما إلى ذلك من الكتب المفيدة وألف الشيخ زكريا الكاندهلوى المحدث الكبير (١٣١٥-١٤٠٢هـ) أوجز المسالك إلى شرح مؤطا اللامام مالك (١٧٩هـ) ولامع الدرارى على جامع البخارى والأبواب والتراجم للبخارى وحجة الوداع وعمرات النبى صلى الله عليه وسلم (١) وألف الشيخ عبيد الله المباركفورى (١٣٢٢هـ) مرعاة المفاتيح فى شرح مشكاة المصابيح (٢) وألف الشيخ محمد أويس النجرامى الندوى (١٩١٤م ١٩٨٦م) التفسير القيم والعقيدة السنية والخير الكثير فى شرح الفوز الكبير وألف المؤرخ الكبير العلامة عبدالحى الرائى البريلوى (١٢٨٦هـ -١٨٦٩م - ١٣٤١هـ- ١٩٢٣م) كتابا باسم نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر فى ثمانى مجلدات كبار وهذا الكتاب يشتمل على تراجم علماء الهند والثقافة الاسلامية فى الهند، والهند فى العهد الاسلامى (٣) والف القاضى أطهر المباركفورى (١٣٣٦هـ - ١٩١٦م) الفتوحات الإسلامية فى الهند (أو العقد الثمين فى فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين) وشرح وتعليق جواهر الأصول فى علم حديث الرسول ورجال السند والهند والهند فى عهد العباسيين وخير الزاد شرح بانت سعاد ومرآة العلم ودروس النبى والعرب والهند فى عهد الرسالة (٤) ذكرنا أن الشيخ القاضى المباركفورى شرح بانت سعاد ولكن من أهم شروح بانت

(١) آپ بيتى (حياتى) لمؤلفه الشيخ زكريا الكاندهلوى - (٢) مقدمة مرعاة المفاتيح : ص٩-

(٣) حياة العلامة عبدالحى لمؤلفه عبدالقوى الباقوى-

(٤) علماء الهند الأعلام وخدماتهم فى مجال اللغة العربية ص ٢٠٩-

سعاد فى الهند هو شرح بانت سعاد باسم مصدق الفضل للقاضى شهاب الدين الدولت آبادى المتوفى فى سنة ٨٤٩ هـ ١٤٤٥م) (١) وألف الشيخ أشرف على التانوى (١٢٨٠ - ١٣٦٢هـ) كتابين باللغة العربية فى فن التفسير وهما وجوه المثانى مع توجيه الكلمات والمعانى وسبق الغايات فى نسق الآيات وألف الشيخ محمد واصف المدراسى (٢) (م١٢٩٠هـ -١٨٧٣م) كتابا باسم حديقة المرام فى تذكرة العلماء الأعلام باللغة العربية وألف الشيخ محمد حسن خان الطوكى (م١٣٦٦هـ) (٣) كتابا رائعاً باسم معجم المصنفين يشتمل هذا الكتاب على تراجم أربعين ألفا من العلماء والكتاب والأدباء والمحدثين والمفسرين والمؤرخين من رجال الهند وكذلك ألف أفضل العلماء الشيخ محمد يوسف الكوكنى كتابا باسم العرب وآبائهم باللغة العربية (٤) والشيخ غضنفر حسين ألف كتابا باسم الإنابة إلى شعر الصحابة (٥) والشيخ العلامة المفكر الاسلامى الداعية السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى (١٩١٤ - ١٩٩٩م) هو صاحب تاليفات كثيرة وجادة وممتعة باللغة العربية نذكرها مؤلفات العلامة باللغة العربية منها ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين والمسلمون فى الهند والصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية والأركان الأربعة فى ضوء الكتاب والسنة ورجال الفكر والدعوة فى الاسلام وإذا هبت ريح

---

(١) سبحة المرجان : ص٣٩ -(٢) علماء الهند الأعلام وخدماتهم فى مجال اللغة العربية ص ١٧٣ -(٣) نزهة الخواطر ٨/٤٦٥ -(٤) علماء الهند الأعلام وخدماتهم فى مجال اللغة العربية ص ٢٣٤ - (٥) علماء الهند : ص٢٣٥ - وقد ذكر المعالى الأستاذ عبدالعزيز الرفاعى فى مقاله شعر الصحابة ، مدى العناية به، أن صديقه الأستاذ الباحث الدكتور عبدالله الجبورى أخبره أن هنا كتاباً طبع فى مد راس بالهند اسمه 'الإنابة إلى شعر الصحابة : الأدب الإسلامى فكرته ومنهاجه : ص١١٦

الايمان ومن نهر كابل إلى نهر اليرموك والقاديانى والقاديانية والصراع بين الإيمان والمادية تأملات فى سورة الكهف والعرب والإسلام والنبى الخاتم وعاصفة يواجهها العالم الإسلامى ومذاكرت سائح فى الشرق الأوسط والطريق إلى المدينة ورسالة التوحيد والقراءة الراشدة (ثلاثة أجزاء) وقصص النبيين للأطفال (خمسة أجزاء) ومختارات (جزءان) وروائع إقبال والسيرة النبوية وقصص من التاريخ والمسلمون فى الهند وللمولف كتيبات نافعة نذكر منها مواساة أو مساواة، كارثة العالم العربى، إسمعى يا مصر! إسمعى يا سوريا! ردّة ولا أبا بكر لها وإلى ممثلى البلاد الإسلامية ومعقل الانسانية والعقيدة والعبادة والسلوك وثورة فى التفكير وأزمة ايمان وأخلاق والعرب يكتشفون أنفسهم وكيف دخل العرب التاريخ والمدّ والجزر فى الإسلام والدعوة الإسلامية فى الهند وتطوراتها وربّانية لارهبانية وحديث مع الغرب وأحاديث صريحة فى أمريكا ونظامان إلهيان للغلبة والانتصار ونحو التربية الاسلامية الحرّة والمسلمون وقصة فلسطين والاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية والإسلام وأثره فى الحضارة وفضله على الإنسانية ونفحات الإيمان بين صنعاء وعمان والنبى الخاتم والدين الكامل وأذّن فى الناس بالحج ودور الحديث فى تكوين المناخ الاسلامى وفضل البعثة المحمدية على الإنسانية والإمام الذى لم يوف حقه منْ الانصاف والاعتراف وأحاديث صريحة مع اخواننا العرب والمسلمين والإسلام والمستشرقون، منهج أفضل للدعاة والعلماء وروائع من أدب الدعوة وفى ظلال البعثة المحمديّة وأضواء على الحركات والدعوات الدينية والأصلاحية ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية فى الهند ودورها ونجاحها فى إصلاح العقيدة ومحاربة الجاهلية الخرافية

والـدعـوـة الى الدين الحنيف الخالص الانتفاضة الاسلامية وما إلى ذلك مـن الـكـتـب الـمـمـتـازة ، وألف الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى (و ١٤٢٩م) كتبا بـالـلـغة العربية مـنهـا الأدب العربى بين عرض ونقد ومنشورات من أدب العرب وفى ظلال السيرة ونقل بعض الكتب الى اللغة العربية منها بين التصوف والحياة وفضائل الدعوة الى الخير والتبليغ لـدين الـلـه وألف الأستاذ واضح رشيد الندوى (و١٩٣٥م) كتابا باسم "تـاريخ الأدب الـعـربى" والشيخ أبو الحسن الندى قائدًا حكيمًا وترجم بـعـض الـكـتـب مـنهـا فضائل القرآن الكريم وألف الأستاذ السيد محمّد الـحسـنـى (و ١٩٣٥م) كتـابـا بـاسم الإسلام الممتحن والاستاذ سعيد الأعـظـمـى الندوى (و١٣٥٣هـ) ألف وترجم الكتب نذكر منها الإمام أحـمـد بـن عـرفـان الشهيـد وأسباب سعادة المسلمين وشقائهم ونظام تـوزيع الثروة فى الإسلام ومسئولية القادة والأحكام فى الدولة الاسلامية والـقـرآن يتـحـدث إليـكـم وأسبوعان فى تركيا ورجال الفكر والدعوة، واعـلام التـاريخ الإسلامى المعاصر فى الهند وشعراء الرسول وساعة مع العارفين.

المديح النبوى بين النثر والنظم

إن المديح النبوى لما كان المراد به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم فهو يشـمـل الـنثـر والـنـظم كليهما ولم يكن النثر أقل حظاً من الشعر فى هذا الـمضمار فوصف أم معبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو من أحلى الـمـدائـح الـنبوية وأغدقه حين سألها زوجها عن الرسول صلى الله عليه وسلم فوصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة:

"رأيت رجلا ظاهر الوضاء ة أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة

ولـم تـزره صـلـعة، وسيما قسيما، فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف وفى صـزفـه صـحـل وفـى لـحيته كثاثة، أزج أقرن،إن صمت فعليه الوقار وإن تـكـلـم سماه وعلاه البهاء فهو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأمـلـحـهـم مـن قـريـب، حـلـو المنطق، فصل، لانزو لاهزر، كان منطقه خـزرات نـظـم ينحدرن، ربعة لابائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غـصـن بيـن غـصـنيـن فهـو أنـضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا، له رفقاء يـحـنـون بـه، وإن قـال أنـصتـوا لـقـولـه وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود وليس بعابس ولا مفنّد (١)

المدائح المنثورة باللغة العربية

إن عـلـمـاء الهند وأدبائها كما تركوا لنا قدرا كبيرا من الشعر باللغة الـعـربية فـى المديح النبوى أثروا المكتبات الإسلامية كذلك بالمؤلفات العربية الدقيقة الرصينة الهادفة المجدية الرشيقة فى السيرة النبوية العطرة، وفى السطور الآتية نقدم أسماء المؤلفين ومؤلّفاتهم حسب الوفيات.

(١) أبـو مـعـشـر نـجـيـح بـن عـبـدالـرحـمن السندى المتوفى فى سنة ١٧٠هـ (٢) كتاب فى السيرة النبوية.

(٢) محمد بن يوسف الدهلوى المتوفى فى سنة ٨٢٥ هـ (٣) رسالة وجيزة فى السيرة النبوية.

(٣) الـقاضى شهاب الدين بن شمس الدين بن عمر المتوفى فى سنة ٨٤٩ هـ (٤) كتاب مصدق الفضل، شرح قصيدة بانت سعاد.

(٤) عبـدالأول بـن الـعـلاء الـحسيـنـى الجونفورى المتوفى فى سنة

---

(٥) سيرة ابن هشام :٥٥/٢ـ البداية والنهاية : ١٦٥/٢.

(٢) نـزهة الـخـواطـر: ٤٦/١ـ(٣) نزهة الخواطر: ١٥٤/٣.(٤) نزهة الخواطر: ٤٤/٢ـسبحة المرجان : ص٣٩ـ

٩١٨ هـ (١) مختصر السير ملخص سفر السعادة.

(٥) القاضى جمال الدين أحمد الكجراتى المتوفى فى سنة ٩٢٩ هـ (٢) تبصرة الحضرة الشاهية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية.

(٦) الشيخ زين الدين على المليبارى المتوفى سنة ٩٢٩ هـ (٣) قصص الأنبياء و كتاب مستقل فى السيرة النبوية.

(٧) الشيخ عبدالوهاب البخارى المتوفى فى سنة ٩٣٢ هـ (٤) شرح شمائل اللترمذى فى السيرة النبوية.

(٨) الشيخ مصلح الدين اللارى المتوفى سنة. ٩٦ (٥) شرح شمائل الترمذى فى السيرة النبوية.

(٩) على المتقى المتوفى فى عام ٩٧٥ (٦) رسالة فى شمائل النبى صلى الله عليه وسلم.

(١٠) الشيخ عبدالعزيز الدهلوى المتوفى فى عام ٩٧٥ هـ (٧) شرح الحقيقة المحمدية.

(١١) السيد الشيخ ابن عبدالله الحضرمى الهندى الأحمدآبادى المتوفى فى سنة ٩٩٠ هـ (٨) العقد النبوى والسرالمصطفوى، كتاب حول معراج النبى صلى الله عليه وسلم.

(١٢) عبدالله السلطانفورى المتوفى فى سنة .٩٩هـ (٩) شرح شمائل للترمذى.

(١٣) الملا عبدالنبى الكنكوهى المتوفى فى سنة ٩٩١هـ (١٠)

(١) نزهة الخواطر:٤/١٦٧ـ (٢) عربى ادبيات ميں پاك وهند كا حصه ص ٣٨٩ـ(٣) نزهة الخواطر: ٤/١١٩ـ(٤) نزهة الخواطر ٤/ ٢٢٤ـ(٥) نزهة الخواطر: ٤/٣٥٥ (٦) مساهمة الهند باللغة العربية فى الأدب الحديث النبوى ٥/١٧ـ(٧) نزهة الخواطر: ٤/١٨٤ (٨) نزهة الخواطر ٤/١٤٧، أضواء على تاريخ الحركة العلمية فى غجرات ص ١٢٩ (٩) مساهمة الهند: ٢/٢٢٠ـ (١٠) نزهة الخواطر ٤/٢١٦

سنن الهدى فى متابعة المصطفى ووظائف النبى صلى الله عليه وسلم.

(١٤) الشيخ وجيه الدين العلوى الكجراتى المتوفى فى عام ٩٩٨هـ (١) الحقيقة المحمدية.

(١٥) الشيخ يعقوب بن حسن الكشميرى المتوفى فى عام ١٠٠٣هـ (٢) مغازى النبوّة.

(١٦) الشيخ طاهر بن يوسف السندى المتوفى فى سنة ١٠٠٤هـ (٣) منتخب من المواهب اللدنية للقسطلانى.

(١٧) الشيخ منور بن عبدالحميد اللاهورى المتوفى فى سنة ١٠١٥هـ (٤) شرح قصيدة البردة.

(١٨) الشيخ محى الدين عبدالقادر الحضرمى الكجراتى المتوفى فى سنة ١٠٢٨هـ (٥)

اتحافُ الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزة

والحدائق الخضرة فى سيرة النبىّ وأصحابه العشرة

والمنتخب المطصفى فى أخبار مولد المصطفىٰ المنهاج الى معرفة المعراج

(١٩) محمد بن فضل الله البرهانفورى المتوفى فى عام ١٠٢٩هـ (٦)

الهدية المرسلة الى النبى صلى الله عليه وسلم

والوسيلة الى شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم

وملخص الشفاء فى حقوق المصطفى للقاضى عياض

وشمائل النبى صلى الله عليه وسلم ورسالة فى المعراج

(٢٠) الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوى المتوفى فى سنة ١٠٥٤ هـ (٧)

(١) نزهة الخواطر: ٤/١٨٤ ـ (٢) نزهة الخواطر ٥/٤٣٩ (٣) نزهة الخواطر ٥/١٨٦ (٤) نزهة الخواطر: ٥/٤١٢ـ(٥) الثقافة الاسلامية ص ٩٠ـ أضواء على تاريخ الحركة العلمية فى غجرات ص ١٣٦ـ(٦) نزهة الخواطر: ٥/٣٥٣ـ(٧) نزهة الخواطر: ٥/ ٢٠٤

مطلع الأنوار العربية فى الحلية الجليلة

وكتاب حول معراج النبى صلى الله عليه وسلم

(٢١) الشيخ أوحد الدين الجالندهرى المتوفى فى سنة ١٠٩١هـ (١)

نظم الدرر والمرجان فى تلخيص سير سيد الانس والجانّ.

(٢٢) الشيخ صلاح الدين بن سليمان المتوفى فى سنة ١٠٩٨هـ (٢)

مولد فى مدح الرسول.

(٢٣) محمد حسين البيجافورى المتوفى فى سنة ١١٠٨هـ (٣)

تحبب الطيب والنساء الى سيد الانبياء.

(٢٤) الشيخ شهاب الدين بن سليمان المتوفى فى سنة ١١٢١ هـ (٤)

مولد الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢٥) محمد شاكر اللكنوى المتوفى فى سنة ١١٣٣ هـ (٥) شرح قصيدة البردة.

(٢٦) محمد أكبر الدهلوى المتوفى فى سنة ١١٣٦ هـ (٦) تلخيص الطب النبوىّ

(٢٧) الشيخ سعد الله بن عبدالشكور السلونى الكجراتى المتوفى فى ١١٣٨هـ (٧)ـحاشية تحفة الرسول صلى الله عليه وسلم

(٢٨) الشيخ حبيب الله القنّوجى المتوفى فى سنة ١١٤٠ هـ (٨)

روضة النبى فى شمائل النبى صلى الله عليه وسلم

(٢٩) الشيخ وجيه الحق الفُلوارى المتوفى فى سنة ١١٥٠ هـ (٩)

---

(١) الثقافة الاسلامية : ص ٩٠، مساهمة الهند : ٣١٩/٣

(٢) Arabic and Persian In Cernatic, P. 55

(٣) نزهة الخواطر : ٢٩٨/٦ (٤) Arabic and Persian in Cernatic P. 54

(٥) نزهة الخواطر : ٣١٥/٦ (٦) نزهة الخواطر : ٢٨٢/٦ـ(٧) نزهة الخواطر : ٩٧/٦، أضواء على الحركة العلمية فى غجرات: ص ١٤٢ ـ(٨) نزهة الخواطر : ٦٢/٦

(٩) مساهمة الهند فى ترويج اللغة العربية: ٢٢٤/٣

شرح شمائل النبى للامام موسى بن سورة الترمذى

(٣٠) محمد هاشم بن عبدالغفور السِندى المتوفى فى سنة ١١٧٤هـ (١)

بذل القوه فى سنن النبؤة.

(٣١) أبو الحسن بن محمد صادق السِندى الصغير المتوفى فى سنة ١١٨٧هـ (٢)

مختار الأطوار فى أطوار المختار

(٣٢) القاضى نظام الدين البيجافورى المتوفى فى سنة ١١٨٩ هـ (٣)

إنباء الأذكياء بتحبيب الطيب والنساء إلى سيد الأنبياء

(٣٣) النواب محمد محفوظ خان الفاروقى المتوفى فى سنة ١١٩٢هـ (٤)

قرة العين فى فضائل رسول الثقلين

(٣٤) الشيخ ولى الله بن غلام البرهانفورى المتوفى فى سنة ١٢٠٧هـ (٥)

التنبيهات النبوية فى سلوك الطريقة المصطفوية

(٣٥) الشيخ أسلم بن يحيى الكشميرى المتوفى فى سنة ١٢١٢هـ (٦)

تعليق على قصيدة البردة للبوصيرى

(٣٦) الشاه رفيع الدين الدهلوى المتوفى فى سنة ١٢٣٣ هـ (٧)

كتيب فى الميلاد النبوى

(٣٧) محمد غوث شرف الملك بهادر بن الشيخ ناصر الدين المتوفى فى سنة ١١٣٨هـ (٨)

---

(١) نسخة خطية بمكتبة رضا ، رامفور ونسخة خطية بمكتبة دارالعلوم بديوبند

(٢) مساهمة الهند ٣٢٢/٣ (٣) Arabic and Persian in Cernatic P. 90

(٤) نزهة الخواطر : ٣٤٨/٦ (٥) نزهة الخواطر : ٥٢٨/٧ (٦) نزهة الخواطر : ٥٥/٧

(٧) تذكرة علماء هند : ص ١٩٤ (٨) Arabic and Persian in Cernatic P. 315

النجم الوَقّادُ فى شرح قصيدة بانت سعاد

(٣٨) الشيخ عبدالعزيز الدهلوى المتوفى فى سنة ١٢٣٩ هـ (١)
المقالة المختصرة فى معراج النبى صلى الله عليه وسلم
و عزيز الاقتباس فى فضائل أخيار الناس

(٣٩) محمد بهادر على خان المتوفى فى سنة ١٣٠٣هـ (٢)
أمير السير فى حال خير البشر

(٤٠) الشيخ عالم على المراد آبادى المتوفى فى سنة ١٢٥٩ هـ (٣)
كتاب فى السيرة

(٤١) الشيخ عبدالقادر الرامفورى المتوفى فى سنة ١٢٦٥ هـ (٤)
شرح وتعليق على الشمائل للامام الترمذى

(٤٢) الشيخ عبدالله بن عبدالقادر المدراسى المتوفى فى سنة ١٢٦٧ هـ (٥)
شرح أسماء النبى صلى الله عليه وسلم

(٤٣) الشيخ ولى الله اللكنوى المتوفى فى سنة ١٢٧٠ هـ (٦)
كشف الأسرار فى خصائص سيد الأبرار

(٤٤) الشيخ على سجاد الفلواروى المتوفى فى سنة ١٢٧١ هـ (٧)
كتاب صغير فى فضائل النبى صلى الله عليه وسلم
وفى الصلوٰة على النبى صلى الله عليه وسلم

(٤٥) السيد هادى بن مهدى اللكنوى المتوفى فى سنة ١٢٧٥ هـ (٨)
إثبات النبوة.

---

(١) مساهمة الهند ٣٦٢/٣ (٢) Arabic and Persian in Cernatic P. 445 -(٣) تذكرة علماء هند ص ٢٦١ -(٤) نزهة الخواطر : ٢٩٤/٧ (٥) نزهة الخواطر : ٣٠٢/٧ (٦) نزهة الخواطر : ٥٢٨/٧ -(٧) نزهة الخواطر : ٣٣٢/٧ (٨) نزهة الخواطر : ٥٣٠/٧ -

(٤٦) عبدالحكيم الغجراتى المتوفى فى سنة ١٢٧٥ هـ (١)
كتاب صغير فى إثبات المعجزة

(٤٧) الشيخ قطب الدين الدهلوى المتوفى فى سنة ١٢٧٩ هـ (٢)
الطب النبوى

(٤٨) القاضى صبغة الله المدراسى المتوفى فى ١٢٨٠ هـ (٣)
الأربعين فى معجزات سيد المرسلين
رسالة صغيرة فى السير والمناقب
ورسالة كبيرة فى السير والمناقب
والمطالعة البدرية شرح الكواكب الدرّية و شرح قصيدة البردة للبوصيرى

(٤٩) الشيخ عبدالوهاب المدراسى المتوفى فى سنة ١٢٨٥هـ (٤)
أكمل الرسائل لرجال الشمائل

(٥٠) السيد على كبير الإله آبادى المتوفى فى سنة ١٢٨٥ هـ (٥)
ضياء القلوب فى سير المحبوب

(٥١) الشيخ عبدالحليم الفرنغى محلى المتوفى فى سنة ١٢٨٥ هـ (٦)
نور الايمان فى آثار حبيب الرحمن صلى الله عليه وسلم

(٥٢) الشيخ عبدالله المدراسى المتوفى فى سنة ١٢٨٨ هـ (٧)
تحفة المحبين لمولد حبيب ربّ العالمين

(٥٣) السيد نصير الدين البرهانفورى المتوفى فى سنة

---

(١) نزهة الخواطر : ٢٤٦/٧ -(٢) نزهة الخواطر : ٣٨٨/٧
(٣) Arabic and Persian in Cernatic P. 491
(٤) Arabic and Persian in Cernatic (٥) نزهة الخواطر : ٣٣٤/٧
(٦) تذكرة علماء هند : ص ٢٨٤ -(٧) نزهة الخواطر : ٣٠١/٧

١٢٩٣هـ (١) ذريعة الاستشفاع فى سير السيد المطاع۔

(٥٤) الشيخ محمد فاضل بن أبى بكر السعدى الكجراتى السورتى المتوفى فى سنة ١٣٠٢هـ (٢)
معين الفاضل فى شرح الشمائل۔

(٥٥) الشيخ عبدالرحيم الدهلوى المتوفى فى سنة ١٣٠٥ هـ (٣)
رحمة الرحيم فى ذكر النبى الكريم

(٥٦) الشيخ أحمد بن صبغة الله المدراسى المتوفى فى سنة ١٣٠٧هـ (٤)
التاريخ الأحمدى

(٥٧) السيد محمد بن أحمد السرنديبى المتوفى فى سنة ١٣١٦هـ (٥)
منحة السرنديف فى مولد الحبيب

(٥٨) الشيخ عبدالأول الصديقى الجونفورى المتوفى فى سنة ١٣٣٩هـ (٦)۔ إنجاح السئول بذكر شيب الرسول

(٥٩) الشيخ بركة الله الفرنغى محلى المتوفى فى سنة ١٣٤٣هـ (٧)
شرح شمائل النبى للترمذى

(٦٠) محمد عبدالواحد الغازيفورى المتوفى فى سنة ١٣٤٣هـ (٨)
تحفة الأتقياء فى فضائل سيد الأنبياء

(٦١) محمد على أكرم الآروى المتوفى فى سنة ١٣٤٤ هـ (٩)
كتاب فى السيرة النبوية۔

(٦٢) المفتى محمود بن القاضى بدرالدولة المدراسى المتوفى فى

---

(١) تذكرة علماء هند ص ٥٢١ (٢) نزهة الخواطر : ٨/٢٥٠۔(٣) نزهة الخواطر : ٨/٢١
(٤) Arabic and Persian in Cernatic P. 523۔(٥) مساهمة الهند : ٣/٣٣٠ (٦)
مساهمة الهند : ٢/٢٣١ (٧) مساهمة الهند ٣/٣٢٧
(٨) معجم المطبوعات : ٢/١٦٨٣ (٩) Arabic and Persian in Cernatic P. 546

سنة ١٣٤٥ هـ (١) المقامة البدرية فى ميلاد خير البرية

(٦٣) القاضى عبيد الله بن صبغة الله المدراسى المتوفى فى سنة ١٣٤٦ (٢)۔ كتاب فى السيرة النبوية

(٦٤) الشيخ أبوبكر بن محمد الجونفورى المتوفى فى سنة ١٣٥٩ هـ (٣)
سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

(٦٥) أشفاق الرحمن الكاندهلوى المتوفى فى سنة ١٣٧٧هـ (٤)
شرح الشمائل للترمذى

(٦٦) الشيخ طلحة بن محمد الطوكى الحسنى المتوفى فى سنة ١٣٩٠ هـ (٥)۔ مدينة عصر الرسول وعصر الصحابة

(٦٧) الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى المتوفى فى سنة ١٤٠٣ هـ (٦)
حجة الوداع وعمرات النبى صلى الله عليه وسلم

(٦٨) محمد اسماعيل المدراسى الندوى
ترجمة عربية للسيرة النبوية للعلامة الشبلى النعمانى

(٦٩) سماحة الشيخ أبو الحسن على الحسينى الندوى المولود فى والمتوفى فى سنة ١٩٩٩م .
السيرة النبوية

(٧٠) فضيلة الشيخ محمد ناظم الندوى
ترجمة عربية لخطبات مدراس للعلامة السيد سليمان الندوى باسم السيره النبوية

(٧١) الأستاذ صفى الرحمن المباركفورى

---

(١) نزهة الخواطر : ٨/٣٠١ (٢) نزهة الخواطر : ٨/٧ (٣) مساهمة الهند ٢/٢٣٣
(٤) مساهمة الهند ٢/٢٣٣ (٥) نزهة الخواطر : ٨/٢٠٣
(٦) هندوستان ميں عربى علوم وفنون كے ممتاز علماء اور ان كى علمى خدمات ص ١٤٦

الرحيق المختوم فى سيرة النبى المعصوم

(٧٢) الدكتور مقتدى حسن الأزهرى

ترجمه عربية للسيرة النبوية للعلامة القاضى سليمان المنصور فورى

المدائح المنظو مة باللغة العربية

ألقينا نظرة على الحركة العلمية فى الهند فى مجال اللغة العربيه وآدابها وفى مجال المدائح النبوية المنثورة آن لنا أن نبدأ البحث عن المدائح النبوية فى الهند باللغة العربية.

اول شاعر هندى با للغة العربية:

دراسة الكتب القديمة الأدبية والتاريخية تدلنا على أن هارون بن موسى الملتانى هو أول شاعر هندى تولّى قرض الأبيات باللغة العربية، وقد كان هذا الشاعر من موالى الأزد كما يروى لنا أبو دلف العجلى المتوفى فى سنة : ٢٢٦هـ وأن أسرة هارون قد استوطنت ملتان وبها ولد هذا الشاعر ونشأ وترعرع (١)

ويقول الجاحظ (المتوفى فى سنة ٢٥٥ هـ) أن هارون الملتانى كان شاعرا مطبوعا وعدّ من الشعراء المولّدين ولقبه بالشاعر الملتانى (٢) وذكر الجاحظ أن هارون الملتانى كان يتردد كثيرا على الشاعر الأموى الكبير الكميت (المتوفى فى سنة ١٢٦ هج و لذلك يبدو أن هارون الملتانى قد وافته المنية فى النصف الأول من القرن الثانى من الهجرة (٣)

ونذكر هنا بعض الأبيات للشاعر الهندى الأول

(١) رجال السند والهند (ص ٢٦٣ (٢) كتاب الحيوان ٧/٧٥

(٣) مجلة الجامعة السلفية أغسطس ١٩٨٣م شوال ١٤٠٣ هـ مقال الدكتور حامد على خان

ولما أتانى أنهم يعقدونه	بقائم سيف فاضل الطول والعرض
مررت ولم أحفل بذلك منهم	إذا كان أنف الفيل فى عفر الأرض
وحين رأيت السيف يهتز قائما	ويلمع البرق بالبلد المفضى
وصار كمخراق بكف حذور	ويصرفه فى الرفع طوراً وفى خفض
وأقبل يفرى كل شئ سماله	وصرت كانى فوق مزلقة وحض (١)

إن تاريخ الشعر العربى فى شبه القارة الهندية يرجع إلى القرن الأول من الهجرة النبوية حسب بيان الجاحظ (ت ٢٢٦ هـ) أما تاريخ المدائح النبوية فالمتتبع لأحداث السيرة وتاريخ الآداب العربية فى الهند لايجد لها أثرا واضحا ملموسا ولم تنشر الكتب المؤلفة فى السير والآداب والثقافة مثل إعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام للعلاّمة عبد الحى الحسنى و١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م - ت ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م) والثقافة الاسلامية فى الهند، والهند فى العهد الإسلامى للعلامة نفسه، والعقد الثمين فى فتوح الهند ورجال السند والهند للقاضى أطهر المباركفورى (و١٣٣٦هـ - ١٩١٦م - ت ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) وماإلى ذلك من الكتب التى ألفت فى تاريخ الهند الثقافى إلى بداية المدائح النبوية فى شبه القارة الهندية قبل القرن الثامن من الهجرة النبوية.

حسب دراستى لتاريخ المدائح النبوية فى الهند باللغة العربية يبدو أن المدائح النبوية يبتدئ تاريخها فى الهند من القرن الثامن من الهجرة النبوية.

مو قف الإسلام من الشعر:

من القضايا العلمية الدقيقة التى لفتت أنظار الباحثين قديما وحديثا

(١) كتاب الحيوان ٧/١١٦

موقف الإسلام من الشعر وهل من الممكن استخدام الشعر للكفاح والمنافحة عن الإسلام وردّ كيد الأعداء فى نحورهم ولقضايا الحياة والكون والمجتمع الإنسانى والإسلامى، وهل يجوز تطويع الشعر لصالح الإسلام والمسلمين الذين يعانون اليوم على المستوى الإقليمى والعالمى من ظروف قاسية ويواجهون حروبا تفرض عليهم وصراعات تبدو فى صفوفهم الداخليه وتمهد الطريق نحو التمزق والانشقاق وتبدد طاقاتهم المعنوية والمادية والنيل من تميزاتهم الإسلامية التى هى مفخرة الإنسانية ومعجزة الإسلام أم لا يجوز قرض الأشعار وإنشادها بل يجب طرحها وتركها ونبذها.

الذين يذمون الشعر ويرفضونه باتا يستدلون بقول الله تعالى : هل أنبّئكم على من تنزّل الشياطين، تنزّل على كل أفاق أثيم، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاؤن ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الّذين آمنوا وعملوا الصلحت وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون (١) وبقوله تعالى : وما علّمنٰه الشعر وما ينبغى له إن هو الا ذكروقرآن مبين (٢) وبقوله تعالى : وما هو بقول شاعر، قليلاً ما تؤمنون (٣) وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً (٤)

هذه هى كل الدلائل أو جُلّها التى يستندون إليها المرجفون من أن الإسلام حارب الشعر والشعراء ومادام نزه الله سبحانه وتعالى نبيه عن الشعر فهذا دليل على مدى امتهان الإسلام للشعر وعلى شدة عداوة الإسلام للشعر

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ – ٢٢١ (٢) سورة يٰس : ٣٦ (٣) سورة الحاقة : ٦٩

(٤) أبوداؤد : كتاب الأداب

والشعراء ولكل ما يمت إلى الشعر والشعر بصلة ما.

إذا أمعنا النظر فى الدلائل التى يستدلون بها المغرضون نرى أن الدلائل من القرآن والحديث النبوى الشريف واردة فى شعراء المشركين الّذين كانوا يحاربون الله ورسوله ويكيدون للإسلام كيداً ويهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجمون على مبادئ الإسلام وتعاليمه الصافية النقية.

"القرآن الكريم لايهاجم الشعر من حيث هو شعر وانّما يهاجم شعرا كان يؤذى الله ورسوله وأما الشعر الّذى يقف إلى جانب الدعوة يدافع عن حماها ويذود عن مبادئها فليس من المعقول أن الاسلام ينهى عنه، بل قد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعجب بالشعر ويقول حين يسمع روائعه" انّ من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة (١)

"ليست هناك خصومة بين الدين والفن، لقد نظر الإسلام إلى الشعر كفن لا يمكن الاستغناء عنه وكدعامة من دعائم الدعوة والهداية وكلون من ألوان المتعة للقلب والوجدان التى لا يستغنى عنها الإنسان، ولم يكن الشعر رجسا ولا فسوقا فى الإسلام بل كان سحرًا و حكما ولكن الإسلام حدّد موقعه من الشعر فى دائرتين، الدائرة الأولىٰ الزام الشعر بأن لايخرج عن حدود الإسلام والدائرة الثانية توظيف الشعر فى التربية والتوجيه، وأما الشعر الّذى يخالف التصور الإسلامى فقد نبذه الإسلام وحرّمه كشعر المديح الكاذب والهجاء الفاضح والفخر الجاهلى والشعر القبلى والغزل الفاحش والشعر الوثنى والشعر الّذى هاجم الدعوة والإسلامية" (٢)

(١) أدب الدعوة الإسلامية : ص ١٨

(٢) الأدب الإسلامى فكرته ومنهاجة ص ١١٩ و ١٤٣

"إن رسالة الشعر قبل مبعث النبى الاكرم صلى الله عليه وسلم كانت قد تحرّفت فى غالب أمرها عن الوضع الكريم الذى يليق بالإنسانية المهذبة العاقلة والخلق القويم الذى تصلح عليه الحياة ويستقيم به أمر المجتمع فكان يصف المرأة أقبح وصف ويهتك الحرمات ويخرق الحجب والأستار ويثير العصبية ويوقد الحمية ويحرض الناس على الاقتتال والتناحر ويبعثهم على التقاطع والتدابر والتنافر فكان بهذه السمت وبهذه الروح من معاول الهدم وأسباب الدمار الّتى منيت بها الحياة العربية، ثم جاء الإسلام بدعوة الإخاء المساواة، ودعوة العفة فى القول والفعل والأدب الّذى يليق بالمسلم فحرّم على الناس الفواحش ما ظهر منها وما بطن وحذّرهم من باطل القول وزور ومن سئ الظن وخداعه وغروره ودعا أولياء ه وأتباعه الى أن يتعدوا عن كلّ رزيلة ومن كل موبقة وأن يكفوا عن القول والفعل إذا كان فى ذلك ما يؤذى نفس مسلم" (١)

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يحضّ حسّان بن ثابتؓ على نظم الشعر وإنشاده وقد اتّخذ كعب بن زهيرؓ الشعر وسيلة إلى استرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ما قدم عليه وأنشد قصيدته التى يطلب فيها الصفح عن إساء ته فتهلّل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلع عليه بردته، وهذا إن دلّ على شئ فانما يدل على حبّه صلى الله عليه وسلم للشعر إذا كان هادفاً بنّاءً ا لا يخرج عن حدود التصور الاسلامى بل نرى عكس ذلك أن الإسلام ربط الأدب بالحياة والشعر فأغلق على الشعراء تلك الأبواب الّتى اعتادوا السيرفيها وفتح لهم أبوابا جديدة لم يألفوها.

(١) الحياة الأدبية فى عصرى الجاهلية وصدرالإسلام ص ٣٠٦ - ٣٠٥

إن الإسلام لم يحطّ عن شأن الشعر ولم يقلّل من قيمته بل زاده شأنا وأعطاه مكانة مرموقة رفيعة عالية وألبسه لباس النقاء والصفا والعفاف ونصب له منبراً فى المسجد النبوى فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب لحسان بن ثابت الانصاريؓ منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما وينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:إن الله يؤيد حسّان بروح القدس مانافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).

وكان حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم، يكافح عن الإسلام والرسول والعقيدة الإسلامية والتعاليم السمحة للشريعة قال ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة: فضل حسان على الشعراء بثلاث : كان شاعر ا لأنصار فى الجاهلية وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النبؤة وشاعر اليمن كلها فى الإسلام. (٢)

وقال قائل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: أهج القوم الّذين يهجوننا فقال إن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا ليس عنده ما يراد من ذلك ثم قال ما يمنع القوم الذين يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم فقال حسانؓ أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يسرّنى به مقول بين بصرى وصنعاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمّى ؟ فقال يا رسول الله لأسلنّك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين فقال أئت أبا بكر فانه أعلم بأنساب القوم منك فكان يمضى إلى أبى بكر رضى الله عنه ليقفه على أنسابهم فكان يقول كف فلانة وفلانة وإذكر فلانة وفلانة

(١) أسد الغابة : ٣/ ٥ (٢) الأغانى : ٤/ ١٣٦

فجعل يهجوهم. (١)

فلم يكن الإسلام كارها للشعر أبداً بل حوّله إلى معطيات هادفة وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال : أهجوا بالشعر ان المؤمن يجاهد بنفسه وماله . (٢)

ويقول ابن خلدون : انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبؤ ة والوحى وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه وفأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ولم ينزل الوحى فى تحريم الشعر وحظره وسمعه النبى ﷺ وأثاب عليه. (٣)

ميزاتُ المدائح المنظومة

وليس شعر المدائح النبوية بدعا من القول ولكنه لون من الشعرفيه مميزات الشعر وخصائصه وإذا كان الشعر بصفة عامة ينفرد عن النّثر بخصائص معينة فان المدائح النبوية يشترك معه فى هذه الخصائص ويلتقى معه فى هذه الميزات وتلك جنبا بجنب بدون أن يتخلف عنه قيد شبرة.

الشعر يتميز عن النثر بأنه لغة العاطفة والوجدان ويتفق شعر المدائح النبوية مع الشعر بصفة عامة فى هذه الميزة فهو ينفذ إلى قلب السامع ويتجه إلى ضمير القارى دون أن تقف دونه الحواجز أو تحول فى طريقه عقبات وعرا قيل وشعر المدائح النبوية أكثر نفوذا إلى قلب السامع وأشد تاثيرا فى وجدان القرّاء، ذلك أن العاطفة الدينية تاثيرها على البشر وللشعور الإسلامى أثره فى الإنسان وشعر المديح مرتبط بالعاطفة

(١) أسد الغابة : ٣/٥ (٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣) مقدمة ابن خلدون : ص ٤٣٧

الدينية، متصل بالشعور الإسلامى فهو أقدر على تحريك العواطف وأقوى على إثارة الوجدان وأمر آخر يتميز به الشعر عن النثر، ذلك أن الشعر لايتناول الفكرة بالتحليل والتفصيل ولكنه يعرضُها عرضا مجملا وشعر المديح النبوى يشارك الشعر بصفة عامة فى هذه الميزة والمزيّة وكذلك الشئ الّذى يتميز به الشعر عن النثر بصفة عامة ويشترك معه شعر المديح النبوى الإسلامى فى هذه المزية ذلك أن للشعر موسيقاه المعبرة ورنينه المؤثر وجرسه المنتظم وذلك من شانه أن يساعد الكلمة على النفاذ إلى القلوب ويعاونها فى السيطرة على النفوس ويأخذها بيدها إلى الوجدان.

وهناك خصائص ينفرد بها شعرالمدائح دون ما سواه فالروح الإسلامية نجدها مفعمة فى المدائح النبوية، ذلك أنّ هذا اللون من الشعر لا تخرج موضوعاته عن بيان خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته ومجاهداته فى سبيل نشر الرسالة السماوية الأخيرة ومواجهته صلى الله عليه وسلم المصائب والمعاناة، والدعوة إلى الله وابراز معالم الإسلام وتوضيح مآثر الدين، فالروح العالية الإسلامية تسيطر على الشاعر والمشاعر الدينية الرفيعة التى تعمل عملها فى العقول والقلوب وينطق الشاعر بالمديح النبوى الصادر عن عاطفة إنسانية نبيلة وحب عميق لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وميزة أخرىٰ ينفرد بها شعر المديح عن الشعر بصفة عامة هى سهولة اللفظ و سيولة التعبير، ذلك أن هذا اللون من الشعر يخاطب عامة المسلمين فكان لزاما على شعر المديح النبوى أن يختار العبارات السهلة والألفاظ الواضحة ليكون أقرب الى الفهم وأسهل فى الحفظ وأقدر على التأثير.

وميزة أخرى يختص به شعر المديح دون سواه ذلك أنه يستوحى أفكاره ومعانيه من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وليس فى وسع شاعر المديح أن يتخطى الدائرة التى أحاطه بها الشرع بل انه ليجد نفسه وقد انجذبت إلى ذلك التيار الدينى القوى فلا يستطيع الانحياز عنه ولا يبغى عنه بديلا:

يقول سماحة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوىؒ: "إن المديح النبوى يفوق شعر المديح والوصف وقصائد المدح والرثاء كمّا وكيفا وقامة وقيمة وذلك لأسباب نفسية واقعية تحليلية وطبيعية وعقلية فان المديح النبوى تقترن به العقيدة المتغلغلة فى الأحشاء المسيطرة على الأعصاب وقوى الفكر والشعور العميق بالسعادة والتوفيق والأمل فى النجاة والمغفرة فى بعض الأحيان والزلفى عند الله والرجاء فى الشفاعة وكل ذلك كافل بإثارة المواهب الدفينة وتدفيق القريحة الخامدة وإثارة المعانى والحماس البيانى مَع رِقة الشعور الإنسانى فإن الشاعر إذا كان مدفوعا من داخل نفسه مسوقا من إيمانه متجردا عن الأغراض الخسيسة والمنافع المادية متجاوبا لقلبه وروحه غرف من بحر لا ساحل له واقتنص نجوماً كانت فوق متناول يده، هذا بالعكس من المدائح الّتى قيلت فى ملك أو أمير أو فاتح أو غنى فقد ارتبطت به مطامع و آمال فى بعض الأحيان أو مخاوف فى أحيان أخرى وصدرت عن اقتراح مطلب وأملاها مقتضى الوقت ومصلحة الزمان وشتان بين هتاف الخارج ونداء الضمير وبين تحقيق رغبات المتملقين المقترحين أو الوصول إلى غايات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية وبين تحقيق رغبة الضمير المؤمن القاهرة من غير عنف أو قسوة وبين شكر واعتراف بجميل ناله هذا الشاعر من الممدوح أو أمل فيه فى المستقبل وبين شكر واعتراف

بكل شعرة من شعرات جسمه وبكل جارحة من جوارحه بما أنعم الله به عليه عن طريق هذا النبى من نعمة الإيمان وكرامة الإنسان ولم يزل ولا يزال بين الجمال والكمال وبين الاشارة به والتغنى والاهتزاز لهما داخليا والإعلان لهما خارجيا صلة قوية عميقة خالدة وتفاهم من غير مخطط أومؤامرةمصطنعة مدبرة". (١)

و يستطرد قا ئلا:

"ومن الفوارق الكبيرة بين شعراء المديح العام وشعراء المديح النبوى والنبويات أن انطباع شاعر المديح لممدوحه وتعبيره عن مظاهر عظمته ومحاسنه وحبه لمن يرثيه من الملوك والأجواد والشجعان والفاتحين والقادة والنابغين من الحكام أو العلماء أوالصالحين يبقى محصورا فى نطاق حياته وفى حد ذاته لا شأن له ولا دافع إليه بعد وفاته أو بعد ما انتهى هذا الشاعر الراثى من رثائه ولا شان له ببلده الّذى ولد فيه أو مات فيه ودفن وقضى فيه حياته ومحاسن فقد كان هذا الممدوح أو المرثى بشراً من البشر كانت كل الفضائل التى امتاز بها مقرونة مرتبطة بذاته وحياته انتهت بحياته ولم يكن لبلده ومولده ومهجره دور فى تاريخ تغير مسيرة الإنسانية وانقاذ البشرية ولم تقترن به ذكريات الدعوة و الإصلاح والجهاد والكفاح والإيثار على النفس والفداء والأخوة الصادقة والإنسانية إلى الجنة والحنين إلى الشهاد وإيثارالنبى على النفس والأولاد. (٢)

فقد أضفت هذه الميزات والمميزات على شعر المدائح النبوية سمات معينة، فجعلته رقيق الحاشية، سامى المعنى، جزل الأسلوب،

(١) جريدة الرائد العددان ٦ـ٧ ، ٢ـ١٨ جمادى الأولى ١٤١٧هـ ١٦ سبتمبر ١٩٩٦م
(٢) جريدة الرائد العددان ٦ـ٧ ، ٢ـ١٨ جمادى الاولى ١٤١٧هـ ١٦ سبتمبر ١٩٩٦م

واضح الفكرة، رائع التصوير، فيجد القارى والسامع فيها حرارة الايمان وصدق الشعور وسلاسة البيان وعذوبة الألفاظ وروعة التصوير وعبقرية التعبير مع البساطة فى الأسلوب والوضوح والجمال والدقة والروعة والبلاغة والجزالة والسلاسة والعذوبة بالاضافة إلى جودة السبك والتئام الكلمات وكمال البيان ومتانة النسج ودقة الصوغ مع كمال البهاء والجلالة والنضارة.

الباب السابع

شعراء المدائح النبوية فى الهند باللغة العربية

الفصل الأول: شعراء المديح القدامى

إن فن المديح النبوى برز كفنّ من الفنون فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وازدهر هذا الفن على مرّالدهور و كرّ الأيام وتسابق فيه الأدباء والشعراء من العرب والعجم وكل من أدلىٰ دلوه وأخذ نصيبه حسب المؤهلات اللغوية والأدبية وسلك مسالك متنوعة فى التعبير عما يجيش فى خاطره من عواطف الإجلال والإكبار تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم.

الآثار الأدبية لعلماء الهند و أدبائها المتمثلة فى النظم تدل على قدرتهم على قرض الشعر وذوقهم الأدبى النزيه واقتدارهم على أساليب اللغة العربية. والجدير بالذكر أن معظم العلماء والأدباء لم يهتمّوا بقرض الأبيات ولم يعتنوا به كعنايتهم بالعلوم الدينية ولو نال هذا الفن اهتمامهم كالفنون الأخرى لكانت لمدائحهم المكانة المرموقة فى الآداب العربية كشعراء العرب الفحول.

الموضوعات الرئيسية الّتى يحتوى عليها شعر علماء الهنود لا تتعدّى حدود الحمد والمديح النبوى العام والترحيب والتهنئة والوصف والرثاء والوعظ والحماسة والغزل على قلّة هذه الثروة الأدبية.

دراسة تاريخ المدائح النبوية فى الهند تدلّ على أن المديح النبوىّ كان موضوعا مفضّلا ومحببا لدى الأدباء والشعراء إزاء أغراض الشعر الأخرى الّتى تناولوها فى شعرهم. والقصائد التى عثرنا عليها ونقوم بدراستها فبعضها طويلة وبعضها قصيرة تتناول جوانب مختلفة لشخصية النبى صلى الله عليه وسلم.

القاضى عبدالمقتدر الكندى الدهلوى

٧٠٣هـ - ٧٩١هـ

نشأته وحياته:

ولد القاضى عبدالمقتدر ابن القاضى ركن الدين التانيسيرى فى تانيسر (١) سنة ٧٠٣ من الهجرة النبوية، ينحدر القاضى من سلالة القاضى شريح بن الحارث الكندى التابعى الشهير وقاضى الكوفة فى عهد عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما، جدّه سليمان - أحد الرجال المشهورين دخل الهند فى عهد قطب الدين الخلجى وولى القضاء فى المنطقة الشمالية من الهند واشتغل بها حتى مات، وولى مكانه ابن القاضى ركن الدين القضاء وكان فقيها حنفيا متعصبا لمذهب أبى حنيفة وقد جرت المناقشة بين الشيخ نظام الدين الدهلوى أحد كبار الصوفية فى الهند (ت٧٢٥) فى مسألة السماع وبين القاضى ركن الدين هذا والد الشيخ عبدالمقتدر التانيسرى وعقد مجلس خاص لتحقيق هذه المسألة. نريد أن نقدم كيفية هذه المناقشة ليقف القارئ على تلك العصبية التى كان كبار العلماء منغمسين فيهاإلى الأعناق فى ذلك الوقت، يذكر المؤرخ "فرشته" فى كتابه تاريخ فرشته قائلا:

"التفت القاضى ركن الدين إلى الشيخ نظام الدين وقال: ما دليلك

---

(١) تانيسر بالفوقانية والألف والنون المكسورة والتحتانية الساكنة والسين المهملة المفتوحة آخرها راء بلدة مشهورة بين دهلى ولاهور فى وسط الشارع: سبحة المرجان ص ٣٧.
راجع للوقوف على ترجمة القاضى نزهة الخواطر ٢/٦٧ سبحة المرجان ص: ٣٠ أخبار الأخيار: ١٤٧ - أبجد العلوم ٣/٨٩٢ - تذكرة رحمان على: ١٣٣ حدائق الحنفية: ٢٩٩

على جواز السماع والغناء فاستدل الشيخ بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: السماع مباح لأهله (١) فأجاب القاضى مالك والحديث أنت رجل مقلد تقتدى بأبى حنيفة فأت بقول من أقواله حتى تراه فقال الشيخ سبحان الله العظيم أنا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطالبنى بقول من أقوال أبى حنيفة" (٢)

نشأ القاضى عبدالمقتدر الكندى بدهلى على الخير والصلاح وترعرع فى أحضان العلم والمعارف وتتلمذ على العلماء الجهابذة فى عصره أمثال الشيخ شمس الدين يحيى الأودى تلميذ الشيخ ظهير الدين البكرى والشيخ فريد الدين الشافعى الذى كان شيخ الإسلام بأود وكان الشيخ شمس الدين يحيى من العلماء الكبار فى عصره، يقول تلميذ الشيخ نصير الدين الأودى فى أستإذه:

سألت العلم من أحياك حقا فقال العلم شمس الدين يحيى

برع القاضى عبدالمقتدر الكندى فى الأدب والإنشاء والشعر والعلوم العالية فصار كوكبا درّيا أنار الآفاق باللوامع القدسية كان يحضر القاضى أيام حصوله العلم فى حضرة الشيخ نصير الدين محمود الأودى الدهلوى سنة ٧٥٧هـ ويذكر المطالب العلمية وكان الشيخ يحبّه ويستحسن أبحاثه ويحرضه على تشمير الذيل فى تحصيل العلوم المعروفة. وبعد ما انتهى عن الدراسة قضى أيامه فى التدريس والإفادة وخرّج علماء أكفاء متضلّعين بالعربية أمثال الشيخ أحمد بن محمد

(١) هذا قول من أقوال الغزالى جاء فى كتابه إحياء علوم الدين كالفتوى ولعل المورّخ فرشته قد أخطأ حيث عدّه حديثا وقد التبس الأمر على حضرة المستدل نفسه.

(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص: ١٧ نقلا عن مقالة "علم الحديث فى الهند" للأستإذ المحقق السيد سليمان الندوى، مجلة الضياء: ٤،٣

التانيسرى أحد أدباء الهند المفلقين وفضلائها البارعين والشيخ القاضى شهاب الدين الدولت آبادى. وكان القاضى يقول فى حق تلميذه شهاب الدين يأتينى مَن جلده علم ولحمه علم وعظمه علم.

كان القاضى أحد الرجال المشهورين بالفضل والكمال وقد حصل له جاه عظيم فى الدولة الخلجية وملك ضياعا وعقارا ببلدة تانيسر

توفى القاضى واستقر عند مليك مقتدر فى ٢٦ من محرم سنة ٧٩١هـ (١٣٨٩م) وعمره ثمان وثمانون سنة وضريحه بدهلى قريبا من الحوض الشمسى.

شعره: القاضى ركن الدين خلف إبنا متضلعا باللغة العربية، غائصا فى بحر الفصاحة والبلاغة، متمكنا من ناصية المعانى والبيان، مقتعداً غارب البحور والعروض مفلقا فى ميدان اختيار الكلمات العذبة السلسة بارعا فى علوم الشعر وفنونه.

القصيدة تحتوى على أحد وتسعين بيتا، والقصيدة مع جودتها لم تنقل فى كتب الأدب والتاريخ إلا ناقصة ولا تكاد توجد كاملة إلافى بعض المجاميع الأدبية ومع هذا كانت مصحفة مغشوشة فرجع الأستإذ الفاضل المحقق إمتياز على عرشى الى مظانها وصححها. فله جزيل الشكر على هذه الخدمة الجليلة المضنية.

هناك قصيدتان معروفتان بلامية العرب وبلامية العجم أما القصيدة المعروفة بلامية العرب فهى للشنفرى (١) من ثمان وستين بيتا وهذه القصيدة تنطق بلسان البادية الأولى وحياة التشرد والصعلكة ومناسبة هذا النص أنه كان قد دخل الغيظ نفس النشفرى فى أحد الأيام فأضرمها

(١) هو ثابت بن أوس الأزدى من أهل اليمن وهو معدود من العدائين الّذين لا تلحقهم الخيل. ولقب بالشنفرى لعظم شفتيه وعاش صعلوكا ولصّا مرهوب الجانب ومأواه الجبل، روى أنه حلف ليقتلن مائة رجل من بنى سلامان فقتل تسعة وتسعين ثم احتالوا عليه فأمسكه رجل منهم ثم قتله فمرّ به رجل آخر منهم فرفس جمجمته فدخلت شظية منها برجله فمات فتمت القتلى مائة.

فغادر الأهل والأصحاب وراح يضرب فى الفيافى ولا أنيس له سوى السهام ووحوش الصحراء ثم نظم قصيدته يعتب على قومه ويفضل وحوش الصحراء عليهم ثم يفخر بنفسه ثم يسترسل فيصف الوحوش والليل والنهار وما إلى ذلك من مظاهر الطبيعة وفيها يقول:

أقيموا بنى عمى صدور مطيكم
فإنى إلى قوم سواكم لأميل

فقد حمت الحاجات والليل مقمر
وشدت لطيات مطايا وأرحل

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلىٰ متعزل

لعمرك ما فى الأرض ضيق لا
سرى راغبا أو راهبا وهو يقفل

والقصيدة الثانية المعروفة بلامية العجم فهى للطغرائى (١) فهى من عيون الشعر ومختاره قالها ببغداد يندب الزمان ويشكو الإخوان أثناء عطلة له من العمل، يقول فى مطلعها:

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل
وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرع
والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل

(١) هو أبو اسماعيل الحسين بن على الملقب بمؤيد الدين الأصبهانى المعروف بالطغرائى. نسبة إلى مهنته أول حياته فقد كان يكتب الطغراء بخط خاص فيها نعوت السلطان وألقابه. ولد بأصبهان من أسرة فارسية ثم تقلب فى ظل آل سلجوق حتى وزرللسلطان مسعود السلجوقى بالموصل وصار ينعت بالأستاد ويلقب بالمنشئ، فلما نشبت الحرب بين السلطان مسعود وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من هذان وكان النصرة لثانيهما أخذ الطغرائى أسيرا ثم أغراه وزيره نظام الدين بقتله وبعض حسدته من رؤس الكتاب فرماه عنده بالإلحاد فقتل ظلما سنة ٥١٥هـ

حب السلامة يثنى عزم صاحبه
عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا
فى الأرض أو سلّما فى الجو فاعتزل

ودع غمار العلا للمقدمين على
ركوبها واقتنع منهن بالبلل

رضا الذليل بخفض العيش مسكنة
والعز تحت رسيم الأينق الذلل

انّ العلا حدّثتنى وهى صادقة
فيما تحدث أن العز فى النقل

لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى
لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

غالى بنفسى عرفانى بقيمتها
فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

أعدى عدوّك أدنى من وثقت به
فحاذر الناس واصحبهم على دخل

وحسن ظنّك بالأيام معجزة
فظن شرا وكن منها على وجل

إن القصيدة اللامية للقاضى عبدالمقتدر الدهلوى التى بين أيدينا عارض بها القاضى لامية العجم للطغرائى (ت ٥١٥هـ) واشتهرت قصيدة القاضى اللامية "بلامية الهند" ومن الثابت الذى لامراء فيه أن هذه

القصيدة دليل باهر على اقتداره على اللغة العربية وتذوقه الأدب العربى الرفيع واستخدام الكلمات والتراكيب للمعانى والأحاسيس التى أراد الإفصاح عنها، فجاءت القصيدة صورة حية للحب والغرام لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم والشاعر فى المديح والنسيب صادق التعبير دقيق فى التصوير والشعر عامر الأبيات متين القافية والوزن مختار اللفظ يغلب فيه الفصاحة والبلاغة والموسيقى تجذب إليها القلوب وتستمع إليها الآذان مع السذاجة الفطرية الحلوة. تفوق القصيدة فى سلالة الألفاظ وعذوبة الكلام ومتانة الأسلوب وقوته وجزالته مع مراعاة أن لاتنقلب الجزالة حوشية وإعرابا وتعقيداً. ومن أساس الجودة الفنية أن تؤدى المعانى فى رفق ويسر وقلة فضول وقد تأسّست القصيدة على هذا الأساس الفنى. وأبيات القصيدة تصور حياة الشاعر ونفسيته وبيئته وعصره، فالشاعر هو صاحب موهبة فنية فى نفسه وعقله يمثل البيئة فى جدّها ولهوها وفرحها وحزنها أتم تمثيل.

استهلت القصيدة بذكر الأطلال ووصف الديار حسب مذهب أغلبية الشعراء الجاهليين لايشذ عن ذلك الا القليل النادر، وقد صار الكثير من المخضرمين والإسلاميين على هذا النهج فاكثروا من بدء قصائدهم بوصف الأطلال والديار والغزل ولم يشذ عن ذلك إلا أبو نواس (١) الذى دعا إلى بدء القصيدة بذكر الراح قائلا:

وصف الطلول بلاغة القدم

فاجعل صفاتك لابنة الكرم

(١) ابو على الحسن بن هانئ تخرج فى الشعر على أبى أسامة وهو من الطبقة الأولىٰ من الشعراء المولدين، أجاد فى جميع أنواع الشعر غير أن كثرة مجونه حطت من قيمته، مات فى سنة ١٩٦هـ وولد فى سنة ١٤٥هـ.

وتبعه ابن المعتز (١) قائلا:

أف من وصف منزل ... بعكاظ فحومل

غير الديح رسمه ... بجنوب وشمأل

نلاحظ فى القصيدة أن الشاعر حاول كل المحاولة أن يتجنّب الألفاظ المتروكة العويصة القليلة الاستعمال، لأن استخدام مثل هذه الألفاظ يقللّ من قيمة القصيدة الأدبية ويجعلها ألغازا أدبية علمية لايرتاح القلب حين سماعها بل المسامع تنفر منها والنفوس تشمئز، وقد أجاد الشاعر الأديب صفى الدين الحلّى (٢) حين قال:

إنما الحيزبون بالدردبيس ... والطخا والنقاخ والعطلبيس

لغة تنفر السماع منها ... حين تروى وتشمئز النفوس

وقبيح أن يذكر النافر الوحـ ... ـشى منها ويترك المأنوس

أين قولى هذا كثيب قديم ... ومقالى عقنقل قدموس

إنما هذه القلوب حديد ... ولذيذ الألفاظ مغناطيس

قد طال بنا الكلام فى ذكر أوصاف القصيدة وميزاتها التى لاتبلغ شاؤها إلا قصيدة أحمد بن محمد التانيسرى وقصائد غلام على آزاد البلجرامى وفيض الحسن السهارنفورى وقصيدة فضل حق الخير آبادى وما إلى ذلك من القصائد لبعض الشعراء المفلقين الهنود والآن نبدأ القصيدة.

(١) هو أمير المومين أبو العباس عبدالله بن الخليفة المعتز ولد فى سنة ٢٤٩هـ فى بيت الملك وموئل الخلافة وربى فى باحة النعيم وموطن الجلالة فنشأ نبيل النفس دقيق الحس قوى الشعور بالجمال تأدب على شيوخ الأدب فى عصره كالمبرد وثعلب توفى سنة ٢٩٦هـ مخنوقا.

(٢) هو عبدالعزيز بن سرايا بن على الشهرى بصفى الدين الحلى الناظم الناثر شاعر عصره على الإطلاق أجاد القصائد المطوّلة والمقاطيع، ولد فى ربيع الآخر ٦٧٧هـ وتوفى سنة ٧٥٠هـ

يقول الشاعر فى مستهل القصيده اللامية:

ياسائق الظعن فى الأسحار والأصل ... سلّم على دار سلمى فابك ثم سل

عن الظباء التى من دأبها أبداً ... صيد الأسود بحسن الدلّ والنجل

وعن ملوك كرام قد مضوا قددا ... حتى يجيبك عنهم شاهد الطلل

دار إذا رحلت عنها سُليم غدت ... مها المهامه فيها لامها الكلل

أضحت إذا بعدت عنها كواعبها ... أطلالُها مثل أجفان بلامُقل

إن الظباء الّتى أصبحن رافلة ... فيها لها حَوَر صينت عن الحول

حذا الشاعر فى مستهل القصيدة حذوا مدارس الشعراء الأقدمين فى ذكر الأطلال والديار كما نرى فى قصيدة امرء القيس (١) فى مستهل قصيدته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحو مل

ويقول زهير ابن أبى سلمى (٢) فى مستهل قصيدته:

أمن أم أو فى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدرّاج فالمتثلم

ويبد أطرفة بن العبد (٣) قصيدته بقوله:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

---

(١) هو الملك الضليل ذو القروح جندح بن حجر الكندى ولد فى بيت كريم، فأبوه سليل الملوك من كنده وملك بنى أسد و أمّه أخت كليب ومهلهل ابنى ربيعة فشب فى حجر النعيم ودرج فى مهد السراوة، فنشأ نشأة الغواية يشرب الخمر ويغازل النساء ويعشق اللهو، مات سنة ٥٦٠م.

(٢) هو زهير بن أبى سلمى المزنى المضرى نشأ فى بيت شعر إذ كان أبوه شاعرا و أخته سلمى شاعرة وتخرج على خاله بشامة بن الغدير الشاعر وعلى أوس بن حجر فكان من فحول الشعراء الجاهليين وأعفهم قولا وأكثرهم تهذيبا لشعره.

(٣) هو طرفة بن العبد البكرى أحد فحول شعراء الجاهلية مات أبوه وهو صغير وربّاه أعمامه فنشأ ميالا إلى البطالة واللهو والخمر، هو من أوصف الناس للفاقة ولذات الشباب وكان يمثل الغريب من اللفظ وقد اشتهر بالوصف والحكمة

ويقول عنترة (١) فى قصيدته:

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

يادار عبله بالجواء تكلم ... وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

وتستهل قصيدة لبيدٌ (٢) بقوله:

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبّد غولها فرجامها

وجلا السيول عن الطلول كانها ... زبر تجد متونها أقلامها

بدأ القاضى الكندى الدهلوى قصيدته يذكر دار سلمى والبكاء والسؤال والأطلال وقد أجاد فى اختيار الألفاظ الحلوة والمعانى السهلة والتعبيرات المألوفة المأنوسة. وقد أشار إلى ميزات النسيب التى لا بد من وجودها فى القصيدة ـ الناقد البصير ابن رشيق حيث يقول:

أن يكون حلو الألفاظ رسلها قريب المعانى سهلها غير كز ولا غامض وأن يختار له الكلام ما كان ظاهر المعنى رطب المكسر شفاف الجوهر يطرب الحزين ويستخف الرصين (٣)

والهدف من بدء القصيدة بالنسيب وذكر الأطلال وبُكاء الديار والشوق والحنين لكى تنشط نفس الشاعر وينفتح لذلك حسّه ويقبل على القصيدة بكل ما فيه من رغبة ونهم.

ثم يصف الشاعر جمال المرأة الأعرابية بقوله:

فدى فؤادى أعرابية سكنت ... بيتا من القلب معموراً بلا حِوَل

من نور وجنتها من حُسن غرّتها ... من طيب طرّتها من طرفها الثمل

---

(١) هو عنترة بن شدّاد العبسى أمه حبشية وكان أبوه يعده فى صفوف العبيد إلى أن أبلى فى حرب عبس مع طئ وكان سببا فى نصرة قومه، هو فارس الشعراء، اشتهر بالحماسة والفخر والغزل.

(٢) هو لبيد بن ربيعة العامر المضرى أدرك الإسلام. وكان شاعرا مجيدا شهد له النابغة حين سمع معلقته بأنه أشعر هوازن وقد أجاد فى الفخر والرثاء وهو من المعمرين توفى سنه ٤١ هـ.

(٣) العمدة لابن رشيق ٢/ ١١٠

بخيلة بوصال المستهام بها … والجود فى الخود مثل البخل فى الرجل
كأنها ظبية لكن بينهما … فرقا جليا بعظم الساق والكَفَل

فى الأبيات المذكورة الغزل مقصور على المرأة ووصف جمالها فلم يتجاوز إلى الغلمان كما حدث فى العصر العباسى متأثرا بالثقافة الإيرانية.

ثم يذكر الشاعر أن الوصول إليها صعب جداً لأنها قد حفظت بالبيض والسمر فى أعلى ذرى الجبل، لكن الشاعر طرقها فجأة فى الليل وجرت المحادثة والمحاورة بين الشاعر والأعرابية وقد أجاد الشاعر فى تصوير المحادثة تصويراً بارعا دقيقا فى غاية من البساطة والسذاجة.

إذ يقول:

طرقتها فجأة والليل فى جدل … والذئب فى كسل والقوم فى شغل
قالت لك الويل هلاخفت من أسد … له براثن كالعسّالة الذُّبُل
فقلت إنى مليك صيده اسد … وصيدى غيرى من ظبى ومن وعل
قالت فما تبتغى لامنع، قلت لها … كلا فانى عفيف القول والعمل
و إنى رجل من معشر سحبوا … ذيل التبتّل والتقوى على زُحل
لايطمعون ولاكن كان ديدنهم … اعطاء ما ملكوا كالعارض الهطل
أسد إذا سخطوا أفنوا عدوّهم … قوم إذا فرحوا أعطوا بلا ملل
ما قال قائلهم يوما لواحدهم … لوكنت من مازن لم تستبح إبلى

قد برزت براعة الشاعر الفنية فى توليد المعانى وتصوير الحال وإظهار العفاف والمنعة والحمية والسخاء والسخط، وقد كان الشاعر موفقا كل التوفيق فى إختيار الألفاظ التى تناسب الوضع النفسى والبيئة المذعورة الموجودة المخيفة.

وبعد ما ينتهى الشاعر من التشبيب يعطف عنان الكلام إلى النصح

الذى فيه خير الدنيا والآخرة والذى هو المطلوب من كل رجل يؤمن بالله وبرسوله وباليوم الآخر لكل مسلم ومسلمة ليصعد إلى الدرجات العليا وينفذ نفسه عن الوقوع فى حفرة النيران والشعل، فالرجل فى معظم الأحوال يغترّ بكثرة الآمال وشمس عمر تميل إلى الغروب فى كل ثانية من ثوانى الحياة ويعيش الإنسان فى الغفلة والموت يعدو فى أثره.
فلا بد للانسان أن يقتنع بقليل من العيش ويغتنم الفرص المتاحة له، ولا ينهمك فى لذات الدنيا الدنيئة فان الدنيا ليست لها قرار على وضع واحد وهى لصاحبها وقد ضرب الشاعر مثلا بقوله من عزّبزّ (١) وهاكم تلك الأبيات الرائعة

ياطالب الجاه فى الدنيا تكون غدا … على شفا حفرة النيران والشعل
يا أيها الطّفل أنت الطفل فى أمل … وشمس عمرك قد مالت الى الطفل
يا من تطاول فى البنيان معتمدا … على القصور وخفض العيش والطول
لأنت فى غفلة والموت فى أثر … يعدو وفى يده مستحكم الطيل
فاقنع من العيش بالأدنى تكن ملكا … إن القناعة كنز عنك لم يزل
فلا يغرن دنياكم فان بها … من عزّ بزّ فكن منها على وهل

واسترسل الشاعر فى بيان تلك الشيم التى يرتفع به الانسان الى ذرى المجد إلى أن وصل الى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وشمائله فقال:

محمد خير خلق الله قاطبة … هو الّذى جلّ عن مثل وعن مثل
له المزايا بلا نقص ولا شبه … له العطايا بلا منّ ولا بدل

(١) ان المثل لعبيد بن الأبرص وقيل هو لجابر، وذلك أن المنذر بن ماء السماء لقيه يوم بؤسه مع صاحبين له فقال لهم اقترعوا فاقترعوا فقرعها جابر فخلى سبيله وأمر بقتل صاحبيه فقال جابر: من عزّبزّ، والمعنى أن الغنيمة لمن غلب، جمهرة الأمثال ص: ١٩٥، الأمثال للميدانى ٢١٩/٢، وفرائد اللآلى ٢٨٧/٢، كتاب الأمثال لأبى خير، ص: ١٠٧.

لـه الـمـكـارم أبهى من نجوم دجى	لـه الـعـزائـم أمـضـى من قنـا البطل
له الـفـضـائل أجدى من عصا كسرت	لـه الشـمـائل أحلى من حبى العسل

ثـم ذكـر الشـاعـر جـلال الـنبـى صـلـى الـلـه عليـه وسلم وجمالـه ومـجهـوداته المتواصلة الدؤوبة المتنائية الأطراف فى سبيل نشر الرسالة السماوية الأخيرة وفضل الرسالة المحمدية على الإنسانية التائهة الهائجة المائجة وشجاعته النادرة وعزمه القوى وعدله القويم وإسعافه المتواصل وزهـادتـه الـغـريبة، ثـم يـرجـو الشـفـاعة يوم تقوم الساعة فيقول فى آخر القصيدة:

يـا سيـد الـمرسلين المكرمين أدم	شـفـــاعة لـعبيـد ضـــارع وجـل
أردت مـدح نبـى الـلـه مـجتهدا	حتى عـجـزت فـقـال العقل لى فقل
يـاعبـد مـقتـدر أوصـاف سيدنـا	تـعـلـو عـلـوا عـن التـفصيل والجمل

مـن حسـن الـحـظ أن الـقـصيـدة لا يوجد فيها هنات مدحية تخلّ بـالـقصيدة الإسـلامية، وهـذا يـدل عـلـى سـلامة الفطرة الشعرية للشاعر واعتصامه بالكتاب والسنة وهذا من منن الله الكبيرة الموجبة للشكر فان الأقدام تزلّ ولا تكاد تثبت فى ميدان المديح.

أحمد بن محمد التها نيسرى

٧٣٢هـ - ٨٢٠ هـ

نشأته وحياته:

ولـد الـعـلامة أحـمـد بن محمد التهانيسرى بدهلى فى حدود سنة ٧٣٢هـ ونشـأ بهـا فـى الأوسـاط العلمية ونهل من معين العلم الصافى ونميره الفياض العذب حتى شهد له الناس بالفضل والكمال.

تـلـمّذ على العالم الكبير العلامة عبد المقتدر ابن القاضى ركن الدين الـدهـلـوى الشريحى الكندى التهانيسرى ولازمه مدة من الزمن وصحبه فـى حـلّـه وتـرحـاله حتى صار نسخه ثانية لأستاذه فى التضلّع من العلوم الـعـربية والـدينية وصارت له يدٌ بيضاء فى الفقه والأصول والعربية وفاق أقـرانـه فـى الـعـلـوم والـفـنـون وعد من أدباء الهند والمفلقين وفضلائها البارعين.

كـان رجـلا فـاضلاً صـالـحـا ذا ذهـن ثـاقـب وفكر صائب. مقتنعاً بـالـكـفـاف زاهـداً فـى الـدنيا وزخرفتها مبتهلا إلى الله متّصفا بالسجايا الـكـريـمة قـلّما يأتى الزمان بمثل هذا الجوهر العالى ويجود بمثله العالم الّذى يشبه اللآلى.

صـحـب الشيخ نصيرالدين محمود (١) مدة من الزمن واستفاد من صحبته ما قدّر الله له أن يستفيد من ذلك السراج الوهّاج

(١) هـو نـصيـر الـديـن مـحـمـود بـن يـحيى بن عبداللطيف الحسينى اليزدى الأودى ولد بأرض أ ود ونشـأبهـا ولـمـا بـلـغ التـاسعة من عمره توفى والده فتربى فى حجر أمّه، قرأ على الأساتذه البارعين فى عـصـره مـنهـم عبدالكريم الشروانى وافتخار الدين محمد الكيلانى، كان محافظا على السنة النبوية لا ينحرف فى شئ منها. أخبار الأخيار: ٨٧- ٨٠

ولما دخل الأمير تيمور الهند وسمع نبذاً من فضائله وشم عرفا من صنادله رغب فى الملاقاة وتعطش إلى الموافاة وبعد ما عاينه متحليا بفضائل أبهىٰ من النجوم الزاهرة ومتصفا بشمائل أعطر من الأزهار الناضرة اختاره للمجالسة واصطفاه للمؤانسة.

خرج من دهلى فى فتنة الأمير تيمور سنة ٨٠١ هـ وكان الأمير يريد أن يستصحبه إلى سمرقند فأبى وخرج من دهلى، لأن رونق دهلى لم يبق على حالها وتجاوز النسج عن منوالها، مهاجراً إلى كالبى وسكن بهذا المصر الجامع واشتغل بتدريس العلوم والعبادة حتى انتقل إلى أشرف الحضرات فى سنة ٨٢٠ هـ ودفن فى داخل قلعة كالبى (١)

شعره:

القصيدة الدالية للشيخ أحمد بن محمد التانيسرى المحتوية على أحد وأربعين بيتا تدل على أنه كان من الشعراء المفلقين النابغين والمتضلّعين من اللغة العربية وتدلّ على اقتداره على ناصية اللغة العربية وألفاظها وتراكيبها واستعمالها فى القصيدة حسب مقتضى الأحوال.

بدأ الشاعر قصيدة بالغزل والتشبيب وذكر الديار كعادة شعراء العرب الأقدمين، لأن اكثر شعراء العرب وأروع قصائدهم وأبرع آثارهم يتصل بالمرأة وبوصف حسنها وبشهادة جمالها وبإعلان الفرح بقربها والألم والحزن على بعدها وبذكر تأثيرها على النفس وما تجود به من وصل أو توزّعه على صرعاها من دلال وصدر من اعتداء وهجران وكانت المرأة العربية ذات تأثير ساحر على عقل الرجل وقلبه وعواطفه ومشاعره يقتحم الصعاب ويخوض الغمرات ويركب الأهوال لأجلها، لذلك كان الشعراء لايفتأون يردّدون ذكرها فى كل مناسبة للقول

(١) نزهة الخواطر: ٣/٩-٨، سبحة المرجان ٣٨-٣٧،

يفتتحون بها أشعارهم ويبدأون قصائدهم ويقفون على أطلالها باكين ويلمون بمنازلها متشوقين.

ولقد كان من شعرائهم من يحدث عن المرأة حديث الّذى تتملكه الشهوة وتستبد به الصبوة فيصور محاسن جسمها من أرداف وأعجاز ووجه وعيون تشبه عيون المها ويعمد إلى كل ما يثير العاطفة والمشاعر فيلحّ عليه إلحاحاً شديداً مثل مُهَلهَل الذى لقب بأنه زير نساء ومثل امرء القيس الّذى أفحش فى غزله وابتذل ولم يتورّع عن ذكر أسماء المحبوبات فى وصف فاحش وغزل ما جن وكذلك النابغة الذُبيانى الذى أسرف فى الفحش وبالغ فى تكشيف المرأة والنفإذ إلى أدق المواطن وأكثرها سترا واستخفاءً. على أن هناك من شعراء العرب من غلب عليه الطبع العربى والأنفة البدوية فذكر المرأة وأضاف إليها ما يجب أن يتوفر لها من ستر وحصانة ومن عزّة ومنعة كعلقلمة وأمثالهم.

بدأ الشاعر قصيدته بقوله:

أطار لبّى حنين الطائر الغرد	وهاج لوعة قلبى التائه الكمد
وأذكرتنى عهودا بالحمى سلفت	حمامة صدحت من لاعج الكبد
باتت تؤرّقنى والقوم قد هجعوا	من بين مضطجع منهم ومستند
ما زار طرفى غمض بَعد بُعدكم	ولاخيال سرور دار فى خلدى
ليت الهوى لم تكن بينى وبينكم	وليت حبل ودادى غير منعقد
كانت لنا لب أيام وغرتها	ولّت سراعا على رغمى ولم تعد
عشنا بها وعيون البين راقدة	والقلب فى جذل والدهر فى رفد

ثم يعطف الشاعر عنان القلم عن النسيب ويشرع فى تمهيد المخلص فيقول:

بقيت فرداً وراح الناس كلهم	كالسيف يقى بلا إغماده الفرد

لاعيش بعد ليلات اللوى رغدا ... ولا وصول إلى ذات الحمى بيدى
خلّ الأحاديث عن ليلى وجارتها ... وارحل إلى السيد المختار من أدد
وليس فى الدين والدنيا وآخرتى ... سوى جناب رسول الله معتمد

ثم يذكر الشاعر تلك السجايا الكريمة والشيم النبيلة والشمائل الخُلقية الّتى اتّصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول:

برّ رؤوف رحيم سيد سند ... سهل الفناء رحيب الباع والصفد
رب الندى والجدى والصالحات معا ... طفلاً وكهلا وفى شب وفى مرد
بالعلم مكتنف بالحلم متصف ... باللطف ملتحف بالبرّ متّسد
بالخلق مشتمل بالرفق مكتحل ... بالحق متصل بالصدق منفرد

ثم يذكر الشاعر فى أبيات القصيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم معتصم بالشرع ومنتقم للدين فى الله مجتهد وبالفقر مفتخر وبالزهد مشتهر وبالشكر متّزر وبالحمد منجرد والعدل والفضل والبذل من شيمته الذكية الطاهرة وهو أفضل الناس قاطبة وأكرمهم بلا نزاع ثم فدّى الشاعر نفسه وأهله وذويه وماله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر الحجاز بكل لهفة وحسرة بالغتين ثم يرجو شفاعته من الله يوم القيامة ثم يرجو الله أن يصلى ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه وصحبه ومن أحبهم إلى يوم القيامة، فيقول:

يا ربّ صلّ وسلِّم دائما ابداً ... على النبى نبى الحق والرشد
محمد أحمد الهادى لأمته ... إلى الصراط صراط غير ملتحد
وصحبه وذويه الطاهرين ومن ... أحبهم شغفا فى الغيب والعند
ما لاح برق وما سحّ الغمام على ... رُبى الفلا فكساها حلّه القشد
وما تغرّد غريد على فتن ... غض الأرومة مخضلّ وملتبد

هكذا انتهت القصيدة المليئة بالحب العميق والغرام اللاعج للنبى

صلى الله عليه وسلم. والقصيدة كلها شاهدة على حسن اختيار الألفاظ والتراكيب للشاعر، التى يناسب شخصية النبى صلى الله عليه وسلم فلا إفراط فيها ولا تفريط، والشاعر ليس حاطب ليل يأتى بكل غث وسمين فى سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بل ينخله نخلا ويذكر الأوصاف التى تليق بجناب الرسول وتثبت بنبؤته ورسالته وتجعله عبدالله ورسولا له مبشرا ونذيرا وبشرا امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبدالله ورسوله.

أبيات القصيدة بعيدة عن تلك الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية الّتى تطغى على جمال المعنى وحسن التعبير والعواطف النبيلة والأحاسيس الصادقة والجمال الطبعى والسذاجة العربية.

القصيدة جديرة بأن تعد من أروع القصائد وأبدعها التى قيلت فى أرض الهند، فنصاعة الألفاظ وجزالة التركيب ورشاقة المعنى وسلاسة البيان وروعة التصوير وعبقرية التعبير وخلو القصيدة عن العيوب المخلّة بالفصاحة والبلاغة تضفى على القصيدة لونا خاصا من الجلالة والروعة.

الأقلام جديرة بأن تزل فى المديح وخاصة فى المديح النبوى وقد زلت الأقلام فى هذا الميدان، لكن الشاعر لم يأت بشئ فى القصيدة الذى يخل بالعقيدة الاسلامية، فله منا جزيل الشكر على اعتصامه بالكتاب والسنة والاستمساك بعروة كتاب الله وسنة رسوله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[1]

الشيخ عبدالحق الدهلوى

٩٥٨هـ - ١٠٥٢هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ عبدالحق بن سيف الدين فى شهر محرم الحرام سنة ثمان وخمسين وتسع مائة بمدينة دهلى وقرأ القرآن على والده فى شهرين أو ثلاثة أشهر ثم تعلّم الكتابة والإنشاء فى شهر واحد وقرأ أجزاء من گلستان وبوستان وديوان الحافظ وقرأ ميزان الصرف والكافية فى الصرف والنحو على والده وقرأ الكتب الدراسية كلها وله اثنان وعشرون عاما.

إنه حفظ القرآن فى سنة واحدة ثم حج وأقام بمكة المكرمة فى سنة ٩٩٨هـ ثم حج مرة ثانية ورجع إلى الهند فى سنة ٩٩٩ هـ

أخذ الحديث بمكة المكرمة عن الشيخ عبدالوهاب بن ولى الله المتقى والقاضى على بن جار الله القرشى المخزومى المكى وبالمدينة المنورة عن الشيخ أحمد بن محمد بن أبى الحزم المدنى والشيخ حميد الدين بن عبدالله السندى المهاجر وأجازوه إجازة عامّة وأثنوا عليه.

كان من المحدثين الكبار فى الهند، بل إن الهند لم يكن بها علم الحديث منذ فتحها أهل الإسلام بل كان غريبا كالكبرتب الأحمر حتى منّ الله تعالى على الهند بإفاضة هذا العلم على بعض علمائها كالشيخ عبدالحق بن سيف الدين الدهلوى، وهو الّذى أحيى علم الحديث فى شمال الهند وجعل خزائنه فى متناول الناس ليأخذوا منها ما شاءوا وكان سعيه مشكوراً بفضل الله وتوفيقه وله منّة فى أعناق مسلمى الهند

لاتنكر ولا تنسى، نشر علوم الحديث اثنين وخمسين سنة كوامل بحيث لم يتيسر ذلك لأحد من العلماء السابقين فى ديار الهند.

إنّه درّس وأفتى وصنّف (١) وشرح الكتب ونقل معانيها من العربية إلى الفارسية وكشف عن إشاراتها الباهرة ولطائفها الزاهرة بالعبارة الجليلة.

كان رجلا عبقريا قلّما يجود بمثله الزمان فى سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع فى المعقول والمنقول والإطلاع على مذاهب السلف، كان دائم الاشتغال مكبّاً على المطالعة فى دياجير الليالى حتى أنه قد احترقت عمامته غير مرة بالسراج الّذى كان يجلس أمامه للمطالعة، فما كان يتنبّه له حتى تتصل النار ببعض شعره، وقد أطنب فى مدحه القاضى على بن جار الله المكى بقوله:إنه الفرد العلم فى القطر الهندى وإنه ممن أعلى الله همته فى الطلب ووفّقه للسعى فيما يوصل إلى بلوغ الأدب وخدم العلم الشريف وضرب فيه بالسهم الأعلى والقدح المعلّى.

توفى يوم الإثنين لسبع بقين من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وألف بدهلى ودفن بها قريبا من الحوض الشمسى (٢)

شعره:

إنّه كان من المحدثين الكبار بالهند بل هو الّذى قام بإحياء علوم

---

(١) مؤلفاته: مؤلفاته باللغة العربية والفارسية تبلغ إلى مائة كتاب من أشهر مؤلّفاته باللغة العربية لمعات التنقيح فى شرح مشكوة المصابيح.

(٢) راجع للوقوف على ترجمته: نزهة الخواطر: ٢١٩/٥، سبحة المرجان ص: ٥٢ ـ تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص: ١١٧، هندوستان ميں عربى علوم وفنون كے ممتاز علماء ص: ٢٩، والحطة بذكر الصحاح الستة وحدائق الحنفية ص: ٤٠٩، منتخب التواريخ ص: ٤٤٨، رودكوثر، ص: ٢٩٤، إتحاف النبلاء ص: ٣٠٣. حياة الشيخ عبدالحق، تذكرة الشيخ عبدالحق.

الـحـديث وأحلّها مكانة لائقة بها ولم يكن من الشعراء المجيدين الذين أتـحفوها بقصائدهم الغراء فى المدائح النبوية صلى الله عليه وسلم، لكنه كان من عادة العلماء الهنود وديدنهم أنهم يريدون أن يساهموا مساهمة ولـو ضئيلة فـى المديح النبوى شعرا إذا أمكن لهم قرض بعض الأبيات لإرواء غليل الـحـبّ لـلـنبى صـلـى الله عليه وسلم وللقيام فى صفوف الشعراء الّذين قدموا المدائح على مرّ العصور والأيام بل على مرّ القرون.

وأرى أن الشيخ عبدالـحق الـمـحدث الدهلوى كان من العلماء الّذين كان لهم بعض القدرة على قرض الأبيات فى المديح النبوى.

أربعة عشر بيتا قـدمـه لـنـا الشيخ المحدّث الدهلوى فى المديح الـنبوى، والأبيـات كلها تحتوى على الصفات التى كان النبى صلى الله عليه وسلم متحلّيا بها، استمعوا إلى كلامه يقول:

رسـول كـريـم نبـى نبيـه — رفيـع شـفيـع عـزيـز وجيـه

بشيـر نـذيـر سـراج مـنيـر — رحيـم فـخيـم عـظيـم خـطيـر

ثم يذكر الشاعر المعجزة الّتى أكرم الله بها صلى الله عليه وسلم

نـطـق الـحـجـر لـجـلالـه — صـلـوا عـلـيـه وسـلـمـوا

نسـخ الـمـلـل بـظهـوره — صـلـوا عـلـيـه وسـلـمـوا

الأبيـات كـلهـا تنبئ عن الحب الّذى كان كامنا فى قلب الشاعر و تـنـمّ عـن الإخلاص للرسول ولدينه صلى الله عليه وسلم وأنه كان ممن يـعـرف مـكانة الرسول العلمية ومكانة الشريعة الإسلامية وأنه يؤمن بأن الـرسـول كـان خاتم النبيين وأن شريعته خاتمة الشرائع فلا نبى بعده ولا شريعة بعدها.

الشيخ صلاح الدين بن سُليمان

١٠٥١هـ - ١٠٩٨هـ

نشأته وحياته:

ولـد الشيخ صـلاح الـديـن بـن سليمان بن صادق إبراهيم بن خان شيخو بن الشيخ عبدالقادر بن حسين كُتّى بن حسن زارى بن عبدالله فى كـايـل بـنـى نم سنة ١٠٥١ من الهجرة النبوية. كان الشيخ صلاح الدين سـليـل أسـرة دينية علمية انحدرت من السلاسة العربية التى هاجرت من مـصـر سنة ٢٣٢-٥٤٦-٨٤٦ م تـحـت رعـاية الشيـخ محمد خـالجـى واستوطنت كايل بتى نم فى ولاية تاملنادو حاليا.

قـرأ الشيخ صـلاح الـديـن الكتب الدراسية على والده العالم الكبير الشيخ سـليـمـان بـن صـادق إبراهيم (١٠٠٠-١٠٨٩هـ) وتتلمذ على علماء عصره وجد واجتهد حتى برع فى العلوم والفنون وتضلّع من اللغة العربية والتاملية.

إنـه أفـاد و استـفـاد وألّف (١) حتـى لـحـق بـالرفيق الأعلى فى ٢١/رجب المرجب سنة ١٠٩٨ من الهجرة. (٢)

شعره:

كـان شاعرا كبيرا مطبوعا لكننى ما استطعت الحصول على قصائد الشيخ رغم السعى الحثيث فى سبيل الحصول عليها.

---

(١) من مؤلفاته باللغة العربية: عمدة الحجاج، ومولد فى مدح الرسولّ

(٢) Arabic and Persian in Cernatic ومـجـلة البعـث الإسـلامى عدد: ٤/ذوالحجة ١٤١٨هـ ابريل ١٩٩٨م مقال الدكتور محمد صلاح الدين العمرى. ص: ٥٣

الشيخ حسن الدهلوى

١٠١٨هـ - ١١٠٣هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ العالم الفقيه الزاهد حسن بن أبى الحسن الحسينى النارنولى بنارنول فى حدود سنة ١٠١٨ه وقرأ القرآن والرسائل المختصرة بالفارسية ثم اشتغل بتعليم الصبيان واسترزق به زمانا ثم سافر إلى جونفور وقرأ العربية أياما على بعض العلماء من أهل تلك البلدة ثم سار إلى لكنؤ وقرأ العلم على الشيخ عبدالقادر العمرى اللكنوى ثم رجع إلى بلدته نارنول واتخذ الطريقة الملامتية من الفقراء وأقام بنارنول اثنتى عشرة سنة ثم ذهب إلى دهلى وأقام هناك مدة حياته.

إنه كان ماهرا فى علم التفسير والحديث والأصول والعربية انتهت اليه الإمامة فى العلم والحلم والتواضع والمهابة والوقار لم يزل يشتغل بالرياضة والمجاهدة ولا يختلط بأهل الدنيا ولايتركهم أن يختلطوا به وكان يتكلم لهم على طريق الملامتية ليتنفروا عنه.

مات يوم السبت لثمان بقين من شعبان سنه ثلاث وماتة والف (١١٠٣ه) (١)

كان الشيخ متمكنا من اللغة العربية نثرا وشعرا وقد عثرنا على عدة أبياته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وهى

يا رسول الله جُدنى باللقاء
إن تغب عنى فقد جاء القضاء

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٦/٧٠-٦٩

يا سحاب الجود يا بحر العطاء
مرحبا يا نور عينى مرحبا
يا مسيح الخلق قد أحييتنا

هذه الأبيات كلها تدل على علو كعبه فى اللغة العربية وحبّه العميق للرسول صلى الله عليه وسلم.

الشيخ صدقة الله بن سُليمان

١٠٤٢هـ - ١١١٥هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ صدقة الله بن سليمان بن صادق ابراهيم بن خان شيخو بن الشيخ عبدالقادر بن حسين كتّي بن حسن زارى بن عبدالله فى كايل بتى نم سنة ١٠٤٢ من الهجرة النبوية كان ينحدر الشيخ صدقة الله بن سليمان من تلك السلالة العربية التى هاجرت من مصر سنة ٢٣٢هـ - ٨٤٦م فى قيادة الشيخ محمد خالجى واستوطنت كايل بتى نم سنة ١٠٠٠ من الهجرة النبوية وتوفى سنة ١٠٧٩ من الهجرة. كان الشيخ سليمان من العلماء الكبار فى عصره وقد فاق الشيخ أقرانه فى اللغة العربية والفقه. وكان من الشعراء الكبار المتضلعين فى اللغة العربية تدل على طول باعه ونبوعه وتمكنه من اللغة العربية.

الشيخ صدقة الله بن سليمان قرأ الكتب الدراسية على أبيه الشيخ سليمان بن صادق إبراهيم العالم الكبير ثم تلمذ على الشيخ الكبير المخدوم عبد القادر الذى يقول فيه:

وقد كان فى الفقه شيخ معظم	جواد سخى أفقه القوم أعملا
وعلمنى فقها وألبسنى عما	مة وقميصا بالاجازه مكملا

درس الشيخ صدقة الله العلوم الدينية كلها فصار فى العلوم والفنون كلها اماماً لكنه تخصص فى اللغة العربية وآدابها حتى ذاع صيته وفاق أقرانه وصار يشار إليه بالبنان. قد حفظ الشيخ معظم امثال اللغة العربية وتعبيراتها حتى صار عمدة فى اللغة العربية وآدابها.

وقد مدحه أخوه شهاب الدين بن سليمان بقوله:

عجبت لتخميس رزين مؤقر	لوترية للشيخ شيخ المشهر
بصاد ودال ثم قاف وهاء ها	مضافا لها اسم الله ذاك المؤقر
ووشّحه بالالتزام وغيره	وفيه من التخميس مافيه فافخر
ولم يردهر مثله فى العبارة	ألا فاعجبوا يا قوم من ذى المعبّر
وذاك لإخبار النبى كمسلم	وصاحبه والحاكم المتبحّر
وفى علم فقه كالنواوى ورافع	وفى علم تفسير القرآن كحيدر
لعلم المعانى والبيان وبدعه	كصاحب تلخيص وسكاكى السرى
وفى علم نحو سيبويه زمانه	وفى الصرف يزرى أخفشا والزمخشرى
وفى وضع رأى إن اراد كشافعى	وأحمد والنعمان مالك مفخر
وفى حكمة بستى عصر وفى الـ	كلام معرى به كل جوهرى
كمحى لدين فى التصوف والصفا	وشبلى جنيد يافعى وكالسرى
وفى حسن تأليف غزالى عصره	وفى الجود مثل الحاتم المتبشر
وفى طاعة مثل البنانى ومالك	وفى عفه كابن اليسار وجعفر
وفى الحكم يزرى أحنفا وابن ضمضم	وفى حسن وجه كالحرير المنور
وأوصافه الحسناء بحر مطول	عليه سلام من عبيد محقر

الشيخ صدقة الله بن سليمان كان من نوادر الزمان فى الذكاء والفطنة والعلوم والفنون ولما زار الشيخ دهلى عاصمة الدولة المغولية تاثربه الملك المغولى المسلم الغيور أورنك زيب عالمكير حين سمع عن الشيخ وتبحّره فى العلوم الدينية واللغة العربية وألحّ عليه أن يشرفه بقبول منصب قاضى القضاة للمنطقة الجنوبية للهند، لكن الشيخ اعتذر من قبول هذا المنصب وأشار عليه أن يبوء الملك هذا المنصب ولده الشيخ محمد لبى عالم، فقبل الملك المغولى أورنك زيب مشورته

وجعل ابنه قاضى القضاة للمنطقة الجنوبية وبقى الشيخ محمد لبى عالم على هذا المنصب العظيم حتى وافته المنية سنة ١١٣٠ من الهجرة النبوية.

قد زار الشيخ صدقة الله الحرمين الشريفين وأقام هناك سنتين كاملتين ودرّس هناك وأفاد وقد ألقى دروسا أمام طلبة العلم شرح المنهاج للشيخ ابن حجر المكى.

كان الشيخ من المولفين الكبار (١) وقد استوطن الشيخ صدقة الله فى أواخر أيام حياته كيلا كارى حيث وافاه الأجل فى اليوم الخامس من شهر صفر المظفر سنة ١١١٥ من الهجرة. (٢)

قد أثنى على الشيخ صدقة الله تلميذه الشيخ محمود طيبى قائلا:

وكان رحمه الله بدر الصدور وصدر البدور قدوة العباد وأسوة الزهاد وحسن الخلق والأوصاف ووسيع الرفق والألطاف محل المشكلات ومسل المعضلات، طامث المبكرات وباحث المسرات، مظهر الكنوز ومفسر المرموز ومبكت المعطلين ومنكت المبطلين، متبحراً فى الفروغ والأصول ومتمهرا فى المنقول والمعقول ولم يخل شيئا من البلاغات الأدبية والبراعات العربية والأحاديث النبوية ودقائق الآيات القرآنية وحقائق العلوم الربّانية إلا أن يكون له فيها جنان طائل ولسان قابل وبنان حائل (٣)

وكذلك مدحه الشيخ سعيد على بقوله:

(١) مؤلفاته باللغة العربية:
توضيح الدلالة فى تصحيح الجلالة، استدعاء الأعلام إلى دعاء عتبة العلام، تقطيف الجانى إلى تصريف الزنجانى، الحواشى على البيضاوى والدميرى والدر المنثور وطب الأزرق وتخميس وتذيل على القصيدة الوترية وتخميس البردة لكعب بن زهير وتخميس البردة للبوصيرى

(٢) Arabic and Persian in Carnatic. Page 51-69

(٣) مناقب الشيخ صدقة الله. ص ٣١٦

ان أقبلت فى زمانى رحمة الله ... لأهلها فحقيق صدقة الله
تاج لأهل فنون العلوم والحكم ... مكلل بالمعالى صدقة الله
ثمن الجنان وما فيها يداً بيد ... أرى مدائح طاها صدقة الله
حاز الحيا والتقى بالزهد ملتصقا ... مستردياً بوقار صدقة الله
دينا تزوجه دنياه طلقها ... حبّا وبغضا ثلاثا صدقة الله
كم من تصانيف من نثر ومن نظم ... قد زفها بحروف صدقة الله
لو قيل فى محفل العلماء أيكم ... أتمّ علما لقالوا صدقة الله
تلك العلوم وحيد الدهر منفرد ... فى عصره وإمام صدقة الله
نجل الولى سليمان الذى بوضو ... ء نار مكة أطفا صدقة الله
ها أن أحمد شمسا والشهاب صلا ... حا قد أضيف لدين صدقة الله
لاحت همومهم بالله واعتلقت ... وأهالهم وعلاهم صدقة الله (١)

شعره: كان الشيخ صدقه الله من الشعراء الكبار المفلقين المطبوعين فله تخميس البردة لكعب بن زهير وتخميس البردة للبوصيرى ولكننى – مع الأسف الشديد– لم أتمكن من الحصول على قصائد الشيخ فى المديح النبوى رغم تجشم العنت الشيد فى سبيل الحصول على قصائد الشيخ رحمه الله.

(١) Arabic and Persian in Carnatic. Page 69

الشيخ شهاب الدين بن سليمان

١٠٤٥هـ - ١١٢١هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ شهاب الدين بن سليمان بن صادق ابراهيم بن خان شيخو بن الشيخ عبدالقادر بن حسين كتّى بن حسن زارى بن عبدالله فى كايل بتى نم سنة ١٠٤٥هـ وهو من سلالة عربية هاجرت من مصر سنة ٢٣٢هـ - ٨٤٦م تحت زعامة الشيخ محمد خالجى وألقى عصا التسيار فى كايل بتى نم فى ولاية تاملناد وحاليا.

قرأ الشيخ شهاب الدين الكتب الدراسية على والده الشيخ سليمان (١٠٠٠ - ١٠٧٩هـ) وتتلمذ على العلماء المبرزين الموجودين فى عصره حتى فاق أقرانه فى اللغة العربية والعلوم الشرعية.

توفى رحمه الله سنة ١١٢١هـ (١) وترك لنا ثروة علمية أدبية ودينية باللغة العربية والتاملية. (٢)

شعره:

كان شاعرا مطبوعا وكتابه فى مولد الرسولؐ يحتوى على أربع مائة وخمسة وتسعين بيتا فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولكننا لم نتمكن من الحصول على هذا الكتاب رغم المجهودات المتوالية فى سبيل الحصول على تلك القصيدة.

(١) Arabic and Persian in Carnatic. Page 54

(٢) مؤلّفه باللغة العربية: كتاب مولد الرسولؐ وهذا الكتاب يحتوى على أربع مائة وخمسة وتسعين بيتا فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

السيّد بركة الله عشقى المارهروى

١٠٧٠هـ - ١١٤٢هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ الشريف بركة الله بن أويس بن عبدالجليل بن عبدالواحد الحسينى الواسطى البلكرامى ثم المارهروى أحد المشائخ المشهودين سنة سبعين وألف (١٠٧٠هـ) ببلكرام ونشأ بها وقرأ الكتب الدرسية على الشيخ مربى بن عبدالنبى الحسينى البلكرامى ثم لازم الشيخ لطف الله الحسينى البلكرامى وأخذ عنه الطريقة وصحبه من ريعان شبابه إلى أوان الكهولة ثم سار إلى كالبى فأجازه الشيخ فضل الله بن أحمد الكالبوى إجازة عامّة فى الطرق المشهورة فسار إلى مارهره وسكن بها.

كان مؤلفا (١) مات يوم عاشوراء سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف بمارهرة. (٢)

(١) من مؤلفاته: رسالة فى الحقائق ورسالة فى الآداب سمّاها، "چهارأنواع" ورسالة فى الأمثال الهندية على لسان الحقائق والمعارف تسمى بالعوارف الهندية ورياض عشق مزدوجة وله ديوان الشعر الفارسى وديوان الشعر الهندى المسمّى بـ بيم بركاس

(٢) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٦/٢٥٢-٥١

شعر ٥:

السيد بركة الله المارهروى المعروف بـ عشقى المارهروى كان شاعرا مطبوعا باللغة الفارسية والهندية والعربية، ديوانه باللغة الفارسية والهنديه يدلّ على براعته فى فن القريض، قد عثرنا على "السلام" للسيد بركة الله المارهروى باللغة العربية فى مسجد أفلاطون بحىّ فاضل فوره بمدينة أورنك آباد بولاية مهاراشترا (الهند)

إنّ هذا الفن فن "السلام" الذى يقصدبه مدح الرسول صلى الله عليه وسلم برز لأول مرّة كفنّ فى الهند فى كلام السيد بركة الله عشقى المارهروى حسب دراستى فى ميدان المدائح النبوية بالهند باللغة العربية. وفى هذا الفن يشتمل عجز البيت على السلام دائما وفى بعض الأحيان يبدأ الشاعر صدر البيت كذلك بالسلام. وفى السلام يخاطب الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ويسلم عليه فى الشطر الثانى من الشعر والقصدمنه الإفصاح عن انطباعات الحبّ التى يكنّها الشاعر فى خاطره نحو حبيب الله وصفيه محمد الرسول صلى الله عليه وسلم، والمضامين التى يشتمل عليه "السلام" لاتختلف عن المحتويات التى يشتمل عليها القصائد فى الغالب، فالفارق الوحيد بين القصائد والسلام هو وجود "السلام" فى الشطر الثانى من كل بيت من أبيات السلام، ثم رأينا فى العصور الآتية هذا الفن عند بعض الشعراء.

يقول الشاعر فى بداية السلام:

يا شفيع الورى سلام عليك ... يا نبىّ الهدى سلام عليك
خاتم الأنبياء سلام عليك ... سيد الأصفيا سلام عليك
أحمد ليس مثلك أحد ... مرحبا مرحبا سلام عليك

واجب حبّك على المخلوق ... يا حبيب العلى سلام عليك
مهبط الوحى منزل القرآن ... صاحب الاهتدا سلام عليك

ثم يشير الشاعر إلى بعض معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمته ومكانته العليا ودرجته الرفيعة التى يحتلها بين الأنبياء، فيقول:

طلع منك كوكب العرفان ... أنت شمس الضحى سلام عليك
ليلة اسرى به قالت الأنبيا ... مرحبا مرحبا سلام عليك
كيف شق القمر باشارته ... معجز الادّعا سلام عليك
اشفع يا حبيب يوم الجزا ... أنت شافعنا سلام عليك
هذا قول غلامك عشقى ... منه يا مصطفى سلام عليك

هذا السلام لابأس به من حيث اللغة والدلالة وإن دلّ هذا السلام فقد يدل على حب النبى صلى الله عليه وسلم فى قلب الشاعر الجريح.

الشّاه ولى الله الدهلوى

١١١٤هـ - ١١٧٦هـ

نشأته وحياته:

ولد قطب الدين أحمد بن عبدالرحيم بن وجيه الدين العمرى المعروف بولى الله الدهلوى يوم الأربعاء لأربع عشرة خلون من شوال سنة أربع عشرة ومائة وألف (١١١٤هـ) فى أيام عالمكير فى أسرة عريقة فى المشيخة والعلم، فكان أبوه الشيخ عبدالرحيم من وجوه مشائخ دهلى وأعيانهم. قرأ الكتب البدائية والدراسية على والده الشيخ عبدالرحيم وكان يختلف أثناء الدراسة إلى إمام الحديث فى عصره الشيخ محمد أفضل السيالكوتى واستفاد منه كثيرا فى علوم الحديث، ثم اشتغل بالتدريس نحواً من اثنتى عشرة سنة ثم اشتاق إلى زيارة الحرمين الشريفين فرحل إليها سنة ١١٤٣هـ وأقام هناك سنتين كاملتين واستفاد من علماء الحرمين وتتلمذ على الشيخ أبى طاهر محمد إبراهيم الكردى المدنى فى المدينة المنورة، وعاد إلى الهندسنة ١١٤٥.

كان الشاه ولى الله الدهلوى من نبغاء الزمان الذين يشار إليهم بالبنان ويندر وجود أمثالهم، فقد كان له باع طويلٌ فى علوم الفقه وعلى المذاهب الأربعة وأصحابهم والاطلاع على مأخذ المسائل ومنازع الحجج والدلائل، وعلم الحديث والأثر مع حفظ المتون وضبط الأسانيد والنظر فى دواوين المجاميع والمسانيد، وعلم تفسير القرآن الكريم وأصول الحديث وأصول الفقه وعلم العقائد وأصول الدين.

كان بيته فى الهند بيت علم الدين وهم كانوا مشائخ الهند فى

العلوم النقلية بل والعقلية وأصحاب الأعمال الصالحات وأرباب الفضائل الباقيات لم يعهد مثل علمهم بالدين علم بيت واحد من بيوت المسلمين فى قطر من أقطار الهند وإن كان بعضهم قد عرف بعض علم العقول وعدّ على غير بصيرة من الفحول ولكن لم يكن علم الحديث والتفسير والفقه والأصول ومايليها إلا فى هذا البيت.

أما أعماله الجليلة فيمكننا أن نقسمها إلى قسمين: قسم يتعلق بتنقيح النظريات والفكر والآراء وانتقاد التاريخ والممالك المسلمة المنثبة فى مختلف بقاع الأرض من لدن عصر التابعين إلى العصر الّذى عاش فيه الإمام، فهو أول رجل عبقرى- فى مانعرف- فرق بين تاريخ الإسلام والمسلمين ونظر فى تاريخ المسلمين من جهة مقدار التوافق بين حياتهم وبين تعاليم الاسلام وعقائده، فهل كان المسلمون مثلا متمسكين بالإسلام، داعين إلى الحق الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم أم التبس عليهم الأمر فأدخلوا فى حياتهم ومنهاج أعمالهم ونظام حكوماتهم أشياء لم تكن فى الإسلام فى شئ وهذا موضع دقيق تزل فيه الأقدام وتلتبس فيه الطرق ويستبهم فيه وجه الصواب، ثم أنعم الشاه ولى الله الدهلوى فى الأسباب الجوهرية الأساسية التى أفضت بالمسلمين وبملوكهم وعلمائهم إلى تنكب المحجة البيضاء والعدول عن الطريق المستقيم وتأمّلها تأملا دقيقا فاستخلص من دراسته الطويلة ومثابرته على البحث أن مرجع تلك الاسباب المختلفة التى أشار اليها فى ثنايا مؤلفاته وتناولها بالنقد بوجه خاص فى كتابه إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء إلى سببين جوهريين فى الفصل السادس من الكتاب، تحول نظام الحكم من الخلافة الى الملك وإنعدام روح الاجتهاد وإغلاق باب التحقيق واقتناع حملة العلم بالتقليد الجامد.

وقسم آخر يتعلق بمذهبه المعتدل فى الفقه وإطلاق سراح العقول من ربقة التقليد الأعمى والإمعان فى النظم الإسلامية ومناهجها وطرقها ثم هو لا يقتصر على التنبيه على مواطن الضعف والوهن فى تاريخ المسلمين وانتقاد بعض آراء من تقدمه من الأئمة والعلماء وتنقيح نظرياتهم ومذاهبهم بل يتقدم خطوة أخرى ويعرض آراء ه وأفكاره الناضجة ومن أهم ماتكلم عنه فى كتبه هو مذهبه المعتدل فى الفقه وذلك أنه لايتعصب لمذهب ولا يندد بغيره وإنما نظر فى جميع المذاهب الفقهيه وآراء الأئمة ومجتهداتهم واستعراضها استعراضا واطلع على حججهم ودلائلهم فأخذ فى كل باب بماراه أوفق للحديث فى نظره وأبلغ فى الحجة فلا يرى الحق والصواب منحصرين فى مذهب من مذاهب الفقهاء. كذلك لايتعصب على مذهب مخصوص حتى لايأخذ بقول من أقواله وإن وافق النصوص واطمأن إليه خاطره ومن ثم تجده يأخذ بمذهب أبى حنيفة فى مسألة ويستند إلى قول الشافعى فى أخرى وكذلك ينحو نحو المالكية والحنابلة فى غير واحد من المسائل، فمذهبه فى الفقه مذهب التحقيق والأخذ بالدليل من غير تعصب لمذهب أو عليه.

وقد بين وجهة نظره فى هذا الشأن بوجه خاص فى رسالته الصغيرة "الإنصاف فى بيان سبب الاختلاف" وإن كانت مؤلّفاته الأخرى أيضا تشتمل على بحوث وآراء فى هذا الباب منها ماجاء فى التفهيمات الإلهية.

كان الإمام ولى الله الدهلوى رجلا عبقريا ولو سبق به الزمان وكان فى القرون المتقدمة لعد من كبار الأئمة المجتهدين فى الإسلام. وبعض كتبه لم ينسج على منوالها خصوصا الفوز الكبير فى أصول التفسير

وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء والإنصاف فى بيان سبب الاختلاف وحجة الله البالغة، فهو نسيج وحده لم يؤلف مثله أحد من علماء العرب والعجم فى مدة خمسة عشر قرنا وموضوعه بيان حقائق الدين وأسرار الشريعة مع التوفيق بين العقل والنقل وشرح نظام الدين والسياسة.

كان مؤلفا بارعا وكتبه كلها نافعة وممتعة (١) توفى شيخ الإسلام ولى الله الدهلوى يوم السبت سلخ شهر الله المحرم سنة ست وسبعين ومائة وألف (١١٧٦هـ) بمدينة دهلى (٢)

شعره: كان الشاه ولى الله الدهلوى متضلّعا من اللغة العربية صاحب طريقة مبتكرة بين الجمود الذى أصيب به الأدب العربى منذ

---

(١) مؤلفاته باللغة العربية: حجة الله البالغة، المسوّى شرح الموطّا للإمام مالك، الإنصاف فى بيان سبب الاختلاف، عقد الجيد فى أحكام التقليد، تأويل الأحاديث فى رموز قصص الأنبياء، الأربعين، حسن العقيدة، النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر وما إلى ذلك من الكتب النفيسة من التفهيمات الإلهية، فتح الخبير بما لابد من حفظه فى علم التفسير، الإرشاد إلى مهمات الإسناد، الدر الثمين فى مبشرات النبّى الأمين، تراجم أبواب البخارى وشرحه، البدور البازغة، الخير الكثير.

(٢) نزهة الخواطر ٦/٤١٠، أنفاس العارفين، حدائق الحنفية ص: ٤٤٧ شاه ولى الله كے سياسى مكتوبات، شاه ولى الله اور ان كى سياسى تحريك، الفرقان شاه ولى الله نمبر، هندوستانى مفسرين اور ان كى عربى تفسيرين، تاريخ الدعوة الاسلامى فى الهند، تجديد واحيائے دين، تشكيل جديد الهيات اسلاميه، اصول فقه اور شاه ولى الله، تذكره شاه ولى الله، الانصاف فى بيان سبب الاختلاف، تقديم حجة الله البالغة، أرمغان شاه ولى الله، شاه ولى الله اور ان كا فلسفه عمرانيات ومعاشيات، مجله الرحيم، ولى الله، مسلمانوں كا عروج وزوال، جهود اهل الحديث فى خدمة القرآن الكريم، دائـرة معارف اسلاميه امير الروايات، تعارف مخطوطات دار العلوم ديوبند، محاسن موضع القرآن، ماهنامه الاصلاح، تاريخ التفسير، تذكرة المفسرين، افكار شاه ولى الله،علم حديث ميں پاك وهند كا حصه، هندوستان ميں مسلمانوں كا نظام تعليم وتربيت، جائزه تراجم قرآنى، شاه ولى الله محمد دهلوى، تاريخ دعوت وعزيمت حصه پنجم، اليانع الجنى، القول الجلى، مقدمه فتح الرحمن، شاه ولى الله كے اجداد گرامى، ملفوظات شاه عبدالعزيز، مجموعه مكتوبات شاه ولى الله، حياتِ ولى، شاه ولى الله اور ان كا فلسفه، شاه ولى الله اور ان كا خاندان، شاه ولى الله اور ان كا نسبى وفكرى خاندان، آثار الصناديد، مجلة البعث الإسلامى، عربى ادب ميں هندوستان كا حصه، حضرت شاه ولى الله كى قرآنى فكر كا مطالعه.

عقود من السنين، يقول العلامة الداعية المفكر الاسلامى السيد أبو الحسن على الحسنى الندوىؒ:

"إن الأدب العربى أصيب بالجمود والتعطل من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر وما وجد فيه من يبتكر طريقا جديدا إلا عبقرين اثنين أولهما ابن خلدون (١) وثانيهما الإمام أحمد بن عبدالرحيم الدهلوى (٢) ومن نعم الله تعالى ومننه على الشاه الدهلوى هو تمكنه من الفصاحة فى اللغة العربية والربط الخاص بالفنون الأدبية فى النظم والنثر كأنما الاعجاز أو السحر من رقة اللفظ ومعناه وصفاء المورد ومغناه (٣) وكتابه حجة الله البالغة لأكبر دليل وشاهد عدل على اقتداره على اللغة العربية واستخدامها للتعبير عن مهمات الأمور وغوامضها ودقائق الأمور ومحاسنها بدون تكلف ولاتحبير.

عثرنا على قصيدتيه الهمزية والبائية فى مدح سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم. أما القصيدة الهمزية فهى تشتمل على خمسة وأربعين بيتا والقصيدة البائية تتألّف من مائة وسبعة بيت.

ذكر الأطلال ووصف الديار والشوق والحنين والبكاء والعويل فى بداية القصائد كان من أهم مذاهب الشعراء الأقدمين لايشذ عن ذلك إلا القليل النادر كعمر وبن كلثوم فى معلقته التى بدأها بذكر الراح و كتابّط

(١) هو أبوزيد عبدالرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون (٧٣٣-٨٠٨هـ) تأدّب على أبيه وبرع فى الفقه والعربية وتبحّر فى التاريخ حتى أصبح فيه قريع دهره ونسيج وحده، كان رجلا فاضلا حسن الخلق جم الفضائل ظاهر الحياء، وقور المجلس، خاص الزى، عزوفاعن الضيم، صعب المقادة، خاطبا للحظ، متقدما فى فنون عقيلة ونقيلة، سديد البحث، كثير الحفظ، بارع الخطّ، يقول عن كتابته ابن خلدون نفسه، كان أكثرها يصدر عنى الكلام المرسل بدون أن يشاركن أحد ممن ينتحل الكتابة فى الأسجاع لضعف إنتحالها وخفاء المعانى فيها على أكثر الناس بخلاف المرسل فانفردت به يومئذ وكان مستغربا عند من هم أهل هذه الصناعة.

(٢) مقتطف من تقديم مختارات من أدب العرب، الجزء الأوّل.

(٣) اليانع الجنى فى مسانيد الشيخ عبدالغنى

شرا فى قصيدته اللامية المشهورة وما إلى ذلك من الشعراء المخضرمين والإسلاميين. وفى الهند درسنا قصيدة القاضى عبدالمقتدر الكندى (٧٠٣-٧٩١هـ) وأحمد بن محمد التانيسرى (٧٣٢ - ٨٢٠هـ)، والقصائد الأخرى للشعراء الآخرين الّتى سندرسها، تبدأ بذكر الاطلال والديار والنسيب، لكن الشاه ولى الله الدهلوى (١١١٤-١١٧٦هـ) كما كان مبتكرالطريقة الجديدة فى العلوم والفنون كان صاحب طريقه مبتكرة فى العقيدة، بانه لم يبدأ قصيدته بذكر الديار والأطلال والبكاء والعويل ولم يكتف على هذا بل بين سبب الإعراض عن طريقة المتقدمين من الشعراء، وهذا إن دلّ على شئى فقد يدلّ على عبقرية الشاعر ونبوغه واعتلائه محلّ الصدارة فى هذا المضمار فى الهند لأن كما قيل الفضل للمبتدئ ولو فاق المقتدى، إنه رفض رفضا باتا تلك التقاليد التى سلكها الشعراء فى القصيدة كابراً عن كابر وحسبوها أجزاء لازمة لا يجوز الانحياز عنها وصارت سمة للشعراء النابغين المتفوقين البارزين المبرّزين لم يسلك الشاه ولى الله الدهلوى مسلك الشعراء الجاهليين ولم ينهج منهجهم بل رفضه رفضا باتاء وفى ذلك يقول:

إذا أخبرت يوما عن ضياء … فلا تلهج ببدر أو ذكاء
وإن تمدح بجود أو سموّ … فلا تنظر بجود أو سماء
ولا تذكر أخاطيّ ومعنا … إذا كلمت فى معنى السخاء
ولا تنسب أخا باس لليث … ولا ذا الرفق للريح الرخاء
وإن بنيت فى المنظوم وجداً … فحاشا أن تشبب بالنساء
فتلك شرائع للشعر قدما … وقد نسخت بختم الأنبياء

فسبب رفض مسلك الشعراء القدامىٰ عند الشاعر سبب شرعى إسلامى، فإن الإسلام لا يسمح بوصف المرأة وجمالها ومحاسنها من

الأرداف والأعجاز والعيون والخدود والسيقان والنحور والأعناق وصفا يثير العواطف والمشاعر ويحدث فى نفس الإنسان ثوراناً يبعثه على إتيان المعاصى والدخول فى حمى الشريعة الإسلامية، فلا بد من أن يتورع الشاعر عن أمثال هذه التقاليد غير الإسلامية الّتى تأباها الفطرة السليمة ولا يرتضيها العقل والنقل ولو كان عفيفا فى القول والعمل وفى ذرى التبتل والعفاف والتقوى.

الشاعر يشق طريقا جديدا فى القصيدة ويذكر الديار لكن ديار الرسول صلى الله عليه وسلم لا ديار المرأة، فيقول:

فهلا قلت إذ حاولت مدحا	بيأس أو سخاء أو سخاء
أرى طيفا يذكرنى عهودا	بطيبة حيث مجتمع الرجاء
أثم به وبيضا من وميض	تألق فى البقيع وفى قباء
أحس به نسيما من فتوح	تنسّم من كدىّ أو كداء
تذكّرنى أحاديث التصافى	مقامات بثور أو حراء
تشوقنى لأحوال تقضّت	بسلع أو نواح بيرحاء

من الحقائق المعترف بها أن ألفاظ اللغة لا تختلف فى ترتيبها ولا تتباين فى نطقها مهما كانت المعانى الّتى تؤدّيها والإنسان الّذى ينطق بها ولكن الاختلاف العظيم والفوارق الجمة تأتى من جهة استعمالها وتعاطيها فإذا أوتى الأديب والشاعر حظا وافراً من حسن الذوق ودقة الاختيار وقوة الملاحظة استطاع أن ينتقى الألفاظ الشعرية الّتى تمس الحسّ وتهزّه هزّا وتدخل القلوب دخول الحبيب الأليف دون أن تكدّ فكرا أو تثقل على سمع.

فقد أوتى الشاعر ولى الله الدهلوى حظاً وافرا من حسن الذّوق ودقة الاختيار وقوة الملاحظة فى انتقاء الألفاظ ووفق الى المعانى

الجيدة والأخيلة الطريفة والألفاظ المونقة والأساليب المشرقة والعبارات السلسة التى تفيض رقة وعذوبة وقوة وجزالة يرقص لها الفؤاد وتهتز له الجوانح.

يقول الشاعر:

تصورت الديار فهام قلبى	وهيج ذكرها من بكائى
روت عندى شمائل عن حبيب	فأبكتنى وزادت من عنائى
أيا قلبى بأحزانى تقطّع	فلاسلوان لى بعد النواء
وياصدرى بآلامى تشقق	فلا أرضى لنفسى بالبقاء
فهل من مشترى روحى بروحى	يروّحنى بوعد من لقاء
يبشرنى بنعم بعد بؤس	وإسعاد لها بعد الشقاء
وقالوا اخرج تنزه فى مروج	لتسلو من تباريح البلاء
وما عذر المشوق إذا تلهّى	خلى القلب فى شرع الوفاء
بحب الحب قد أمسى رَهينا	فما بال الحدائق والفضاء
ومن قاسىٰ أذى من ماء عين	فهل يغنيه شيئا عين ماء

يرى الباحث فى أبياته العواطف النبيلة والأحاسيس الصادقة والخيال الفياض والحب العميق والهيام اللاعج بألفاظ نابضة بالجمال والإشراق مع مراعاة الجناس والطباق فى بعض الأحيان.

قد اجتنب الشاعر فى القصيدة الألفاظ الغريبة والتعبيرات المليئة بالزخارف اللفظية والمحسّنات البديعية التى تطغى على جمال المعنى ورقة الشعور، ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو أهله من محامد ومعالى ومناقب، فيقول:

تعالى الله لا تحسبه فردا	يفوق الناس طراً فى العلاء
ولكن الحقائق قد تداعت	ممثلة أمام الأتقياء

وفـى أمـر الشـفـاعة حين يدعـى ... لهـا مـن بـعـد عـذر الأنبيـاء
فيـرحـمـهـم بـدعـوتـه جـميـعـا ... ويـكـرمهـم بـأصـنـاف الـعـطـاء

ويقول فى قصيدة أخرىٰ بائية:

ومعتصم المكروب فى كل غمرة ... ومنتجع الغفران من كل تائب
ملاذ عباد اللـه ملجأ خوفهم ... إذا جاء يوم فيه شيب الذوائب
إذا ما أتوا نوحا وموسى وآدما ... وقدها لهم أبصار تلك الصعائب
فما كان يغنى عنهم عند هذه ... نبى ولم يظفرهم بالمآرب
هناك رسول اللـه ينحو لربّه ... شفيعاً وفتاحاً لباب المواهب
فيرجع مسروراً بنيل طلابه ... أصاب من الرحمن أعلى المراتب

ثم ذكر الشاعر شمائل الرسول الخُلقية والخِلقية وكُلها مقتبسة من الأحاديث والسيرة النبوية الصحيحة، وكذلك ذكر تلك المصائب الّتى واجهها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى تبليغ رسالات الله إلى الناس، فقال:

وآذاه قوم من سفاهة عقلهم ... ولم يذهبوا من دينه بمذاهب
فما زال يدعو ربّه لهداهم ... وإن كان قد قاسىٰ أشدّ المتاعب
وما زال يعفو قادرا عن مسيئهم ... كما كان منه عند جذبة جاذب
أتانا مقيم الدين من بعد فترة ... وتحريف أديان وطول مشاغب

وقد نعى الشاعر على الذين يشركون بربهم ويحرفون دين ربّهم ويطرون فى وصف النبى ويجعلون الحياة الدنيوية همهم الوحيد فقال:

فيا ويل قوم يشركون بربهم ... وفيهم صنوف من وخيم المثالب
ويا ويل قوم حرفوا دين ربهم ... وأفتوا بمصنوع لحفظ المناصب
ويا ويل من أطرىٰ بوصف نبيه ... فسماه ربّ الخلق إطراء خائب
ويا ويل قوم قد أباد نفوسهم ... تكلف تزويق وحب الملاعب

وذكر الشاعر بعد ذلك منن الله الكبيرة على الإنسانية فى صورة رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم فقال:

فأدركهم فى ذاك رحمة ربنا ... وقد أوجبوا منه أشد المعاتب
وأرسل من عليا قريش نبيه ... ولم يك فيما قد بلوه بكاذب
ومن قيل هذا لم يخالط مدارس ... اليهود ولم يقرأ لهم خط كاتب
فأوضح منهاج الهدى لمن اهتدى ... ومنّ بتعليم على كل راغب
وأخبر عن بدء السماء وعن ... مقام مخوف بين أيدى المحاسب
وعن حكم ربّ العرش فيما يعنهم ... وعن حكم تروى بحكم التجارب
وبشر من أعطى الرسول قياده ... بجنّة تنعيم وحور كواعب

ثم ساق الشاعر الدلائل على صدق قول الرسول وخلود الشريعة الإسلامية قائلا:

وأقوى دليل عند من تمّ عقله ... علىٰ أن شرب الشرع أصفى المشارب
تواطى عقول فى سلامة فكرة ... على كل ما يأتى به من مطالب
سماحة شرع فى رزانة شرعة ... وتحقيق حق فى إشارة حاجب
مكارم أخلاق وإتمام نعمة ... نبوة تأليف وسلطان غالب
نصدّق دين المصطفىٰ بقلوبنا ... على بينات فهمها من غرائب
براهين أوضحت صدق قوله ... رواها ويروى كل شب وشائب

إن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخالدة هى القرآن الكريم لكن الله تعالى أنعم عليه صلى الله عليه وسلم ببيّنات واضحة وبمعجزات باهرة غير القرآن الكريم، منها المعجزات الّتى جاء ت فى كلام الشاعر والّتى عبّر عنها بقوله:

من الغيب كم أعطى الطعام لجائع ... وكم مرة أسقى الشراب لشارب
وكم من مريض قد شفاه دعاؤه ... وإن كان قد أشفى لوجبة واجب

ودرّت لـه شـــاة لدى أمّ معبد … حـليبـا ولا تسطاع حلبة حـالـب
وقد ساخ فى أرض حصان سراقة … وفيـه حديـث عـن براء بن عـازب
وقد فاح طيبا كف من مس كفه … ومـا حلّ رأسا جسّ شيب الذوائب
وكلّمه الأحجار والعجم والحصى … وتـكليـم هـذا الـنوع ليس برائب
وحنّ لـه الجذع القديم تحزّنا … فـإن فـراق الحبّ أدهى المصائب
وأعجب تلك البدر ينشق صدره … ومـا هـو فـى إعجازه من عجائب

ثم أشار إلى حادث الإسراء والمعراج وصفات النبى صلى الله عليه وسلم وشجاعته النادرة يوم السباسب وبعد ذلك تدرّج الشاعر إلى ذكر أوصاف الصحابة رضى الله عنهم الّذين نشروا دين المصطفى الذى أنزله الله تبارك وتعالى على نبيه، وفى الأخير يذكر حبه العميق للرسول صلى الله عليه وسلم بقوله الذى يخرج عن القلب المتدفّق بالهيام والغرام:

فـمـن شـاء فـليذكر جـمـال بثينة … فـمـن شـاء فـليغـزل لحب الزيانب
سـأذكر حبّى للحبيب محمد … إذا وصف العشاق حب الحبائب
وأذكـر وجـدا قـد تـقـادم عهده … حـداه فـؤادى قبل كون الكواكب
ويـبدو محياه لعينىّ فى الكرى … بـنـفسـى أفـديّـه إذا والأقـارب
ويدركنى فى ذكره قشعريـرة … من الوجد لا يحويه علم الأجانب
وألفى لروحى عند ذلك هـزّة … وأنسـا وروحـا دون وثبة واثـب
وصلى عليك الله يا خير خلقه … ويـا خيـر مـأمـول ويـا خير واهب
فـأشهـد أن الله راحم خلقه … وأنّك مفتاح لكنز المواهب
وأنك أعلى المرسلين مكانة … وأنت لهم شمس وهم كالثواقب
وأنت شفيع يوم لاذو شفاعة … بـمعنـى كـمـا أثنى سواد بن قارب
وليس ملوما عنّى صب أصابه … غليل الهوى فى الأكرمين الأطائب

وهكذا تنتهى هذه القصيدة الغراء للشاعر البارع الحكيم. القصيدة من البداية إلى النهاية ألفاظها قد تآخت مع جزالة معانيها وفخامة

أسلوبها وجمال أدائها قد تجلّت فى أبهى مظاهرها وأروع صدرها. لا توجد فيها ألفاظ ينبوعنها السمع وتأباها الفطرة السليمة ويتجلّى هذا لمن له ذوق عربى فى فهم الألفاظ والتعبيرات الّتى من أجلها سيقت وبنيت والأهداف الّتى رميت إليها والقصيدتان مملوءتان بروح الإيمان العميق والحب الصادق الممتزج باللحم والدم.

أدّى الشاعر فى القصيدة رسالة الشعر الحقيقية فإن رسالة الشعر الحقيقية لا تعرف الفحش ولا تحب الجهر بالسوء كالتشبيب بالنساء وهتك الأعراض وكشف الأستار وإثارة النفس وذكر الخصومات وتحريك كوامن الأحقاد والضغائن وإيجاد روح العصبية والحمية الجاهلية. فأبيات القصيدة كلها معانيها مستمدة من روح الإسلام وتعاليمه الكريمة وآدابه القويمة المنبثقة من الكتاب والسنة النبوية.

ولا نجد كلمات فى القصيدة تخل بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وكيف لا، فإن الشاعر هو من العلماء البارعين والمحدثين النّابغين يعرف الفرق بين الخالق والمخلوق والعابد والمعبود والمُرسَل والمُرسِل فلا يطرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كما أطرت النصارىٰ فى مدح عيسى عليه السلام بل يعطى كل ذى حق حقه من الإجلال والإكرام وبمدح الرسول بما هو أهله فى حدود كتاب الله وسنة رسوله لا يحيد عنها قيد شعرة.

والقصيدتان رائعتان فى الأسلوب والمعنى ولهما وقع فى النفوس وتأثير فى القلوب والعقول.

عبدُ السّلام الهزاروى

١٠٩٠هـ - ١١٧٧ هـ

نشأته وحياته:

من مواليد السند فى القرن الحادى عشر من الهجرة النبوية وهو الشيخ عبدالسلام الحنفى السندى أحد العلماء المبرزين فى الفقه والأصول والعربية. وُلد ونشأ بأرض الهند وقرأ بعض الكتب الدراسية على الشيخ عباس بن الجلال السندى وسائر الكتب الدراسية على الحكيم عثمان بن عيسى البولكانى ولما بلغ رتبة الكمال ولى القضاء بمدينة برهانفور وولّاه عادل شاه البرهانفورى فاستقل به مدّة وكان يدرس ويفيد وله شرح على مختصر الوقاية. (١)

شعره: القصيدة الميمية فى المديح النبوى تدل على قدرة الشاعر على قرض الأبيات بأسلوب يمتاز بالبراعة الفنية مع مراعاة الأساليب السلسة والتراكيب السهلة والمعانى الرشيقة.

هذه القصيدة الميمية التى بين أيدينا نقدم بعض الأبيات منها على سبيل النموذج، يقول الشاعر:

هو النبّى الذى عمّت شفاعته ... يروى الأنام بحوض ماءه شيم
قد سبّح الحجر القاسى براحته ... والجذع حنّ وبدر الأفق منقسم
قد طبق الأرض هديا منه فانقلمت ... قواعد الجهل لما أرست الحكم
ذاك الّذى هدت الأكوان طلعته ... فالجن تحمده والعرب والعجم
قد كان ما ترقى الأنام له ... لذاك كان به النبياء قد ختم
هو الرسول أضاء العالمين به ... رسم الضلالة والبدعات منهدم
ذاك الّذى أشرقت أرض الزمان به ... شمس المراتب بحر الجود محترم
يعطى العفاة فيغنيهم بنائله ... يعتطون منه فتعطى منهم وهم
يغنيك مجدك عن نعت ونعتك ذا ... من أجل ذكراكم طالب له الكلم

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام ٥/ ٢٤٥

غلام على آزاد البلجرامى

١١١٦هـ - ١٢٠٠ هـ

نشأته وحيا ته:

ولد غلام على بن السيد نوح الحسينى الواسطى فى الخامس والعشرين من صفر يوم الأحد سنة ستة عشر ومائة وألف (١١١٦هـ) بمحروسة بلكرام وقرأ الكتب الدراسية بداية ونهاية على السيد طفيل محمد الحسينى الاترولوى البلكرامى وأخذ اللغة والسيرة النبوية وسند الحديث المسلسل بالأولية وحديث الأسودين وإجازة أكثر كتب الأحاديث والشعر العربى والفارسى عن جهة الأم السيد عبد الجليل البلكرامى وأخذ العروض والقوافى ونبذا من فنون الأدب عن خاله السيد بن السيد عبدالجليل البلكرامى.

وفى سنة ١١٥٠هـ صمّم السفر الى الحرمين الشريفين بدون أن يخبر عنه أهله وذوية وحجّ وزار سنة ١١٥١هـ وقرأ صحيح البخارى على الشيخ محمد حياة السندى بالمدينة المنورة وأخذ عنه إجازة الصحاح الستة وسائر مقروءاته وصحب الشيخ عبدالوهاب الطنطاوى المصرى المتوفى سنه ١١٥٧هـ وأخذ عنه علوما واستفاد منه ماشاء الله ثم رجع إلى الهند سنة ١١٥٢هـ وسكن بأورنك آباد (١)

كان عالما كبيرا لم يكن له نظير فى زمانه فى النحو واللغة والشعر

(١) أورنك آباد مدينة صناعية كبيرة ضاربة فى القدم يبلغ تاريخ بعض المبانى الأثرية لها إلى ألفين سنة تقريبا، اتخذها الملك أورنك زيب عاصمة للمنطقة الجنوبية إبان ولايته. عدد سكان هذه المدينة قد يبلغ إلى مليون نسمة وفيها مساجد ومدارس ومعاهد دينية إسلامية ومن جامعاتها الكبيرة جامعة أنوار العلوم الإسلامية التى أسسها الشيخ عبدالغفور الندوى سنة ١٩٦٧م. وهى تابعة لندوة العلماء بلكناؤ الهند.

والبديع والتاريخ والسير والأنساب، زاهداً فى الدنيا وزخرفها والدليل على ذلك أن النواب نظام الدولة ناصر جنك لماّ تولّى رياسة الدكن سنة ١١٦١هـ ألحّ عليه بقبول منصب الإمارة فأبى وقال: مثل هذه الدنيا مثل نهر طالوت غرفة منها حلال والزيادة عليها حرام.

توفّى رحمه الله تعالى سنة مائتين وألف (١١٢٠هـ) بمدينة أورنك آباد (١) بعد ما ترك لنا ثروة علمية وأدبية ممتعة (٢)

شعره: كان شاعرا بارعا قادراً على الكلام باللغات العربية والفارسية والسنسكرتيه وهو حسّان الهند ومدّاح النبى صلى الله عليه وسلم بلا مراء والحقيقة الّتى لا يختلف فيها اثنان أنه وفق لمدح النبى صلى الله عليه وسلم فأوجد فى مدحه معانى كثيرة نادرة وأجاد فيها بحيث لم يتفق مثلها لأحد من الشعراء المفلقين وأبدع فى قصائده المدحية مخالص لم يبلغ مداها فرد من الفصحاء المتشوقين ومنحه الله تعالى القدرة على النظم بحيث ينظم قصيدة كاملة فى يومٍ واحد بل فى بعضه وكلما يتوجه إلى النظم تحضر المعانى لديه صفا صفا وتتمثل بين يديه فوجاً فوجاً.

لا شكّ أنه أشعر شعراء الهنود المفلقين على قلة عدد المفلقين واعلى مكانةً فى الشعر راسخ القدم فى الكتابة، فحاز السبق فى مضمار الشعر والكتابة وفاق فى الشعر الأولين والآخرين ولم يبلغ شاؤه أحد من

(١) راجع: نزهة الخواطر ٦/٢١٣-٢٠٨، سبحة المرجان فى آثار هندوستان ص: ٣٠٩-٢٩٨، ترجمة آزاد فى مقدمة السبعة السيارة.

(٢) مؤلّفاته باللغة العربية: ضوء الدرارى شرح صحيح البخارى من أوله إلى آخر كتاب الزكوة، سبحة المرجان فى آثار هندستان، تسلية الفؤاد فى قصائد آزاد، شفاء العليل، مرآة الجمال قصيدة نونية فى وصف أعضاء المعشوقة من الرأس إلى القدم، السبعة السيارة ومظهر البركات فى سبعة مجلدات.

الشعراء الهنود المفلقين بل ما استطاع أحد منهم أن يضاهيه أو يضارعه. فهو فريد دهره فى هذا الميدان ولم تنجب الهند شاعرا أشعر منه ولا مادحاً أمدح منه ولا متغزلا أغزل منه ولا ناعتا أنعت منه ولا مبدعا أبدع منه فى الفنون الشعرية.

إبان قراءة القصيدة ترى فيها جزالة اللفظ وفخامة المعنىٰ ورشاقة التركيب ورصانة الأسلوب وفصاحة الألفاظ، ترى فيها الجناس والطباق والاستعارة والكناية والمجاز، ترى فيها معانى مبتكرة وألفاظاً متخيرة وجواهر متلائلة بحيث لم يحم حولها السابقون وقصر عنها اللاحقون.

إنه مبدع فى المديح ومجيد فى التشبيه ومفلق فى توليد المعانى ترى فى قصيدته شلالا ينحدر من أعلى ذرى الجبال الشامخة فيه الروعة والجلال والجمال وفيها صور بديعة للخيال والأطياف وفيها العذرية والسلاسة والسهولة والرقّة.

وله غزل رقيق تتضاءل فيه عزة الملك أمام سلطان الحبّ فيكون أتم جلالا وأشد روعة يبدو وأن الشعر يتكلم والمعنى يتمثل أمامنا فى صورة حسية قشيبة رائعة.

إنه جمع بين تعمق فى الفكر وتفوق فى الخيال وبين دقة فى التصور وقوة فى التصوير وامتاز بتوليد المعانى واستقصائه حتى لا يترك فيه بقية لغيره وقد طالت قصائده من غير تكرير ولا سقط وقلّما ترى شاعرا يسلم على الطول وتتساوى أجزاء قصيدة فى الحسن والقوة مع البراعة النادرة فى الوصف والتشبية والقدرة الغريبة فى التمثيل والتخييل. بحور قصائده مليئة باللآلى والعقيان وقوافى أفكاره مزدانة بالجواهر والمرجان.

وهاكم بعض عبقات أبياته فى الغزل:

برق أضاء من الزوراء يشجينى … يا ربّ ماله يَبكى ويُبكينى
أنى لسان يؤدى شكر أنعمه … بالماء والنار يروينى ويورينى
هويت حسناء أسعى فى إراحتها … وتلك فى غاية الايذاء توذينى
لايذهب الغل ماء المزن من كبدى … بل ماء ياقوته اللمياء يروينى
لا أبتغى أن ترانى ملأ مقلتها … لحظ قليل من العينين يكفينى
مالاح منى قصور فى محبتها … بأى ذنب وقاها الله تقلينى
تكفّ عنى بين الناس مقولها … لكنها برموز العين تسلينى
إنى لشمع قبيل الصبح محتضر … ما سرعة الأجل الموعود تبقينى
تبكى وتذكرنى بعد الوفاة فهل … بكاؤها بعد ما ثويت يجدينى

ويقول:

لواحظها التى تعمى الرمايا … سهام لاتدافع بالتروس
ومن لدغته طرتها تقضّى … هلاك المرء لدغ القطربوس
تلوث ذيلها بدمى فقالت … دم الشهداء مسك فى اللبوس
مواعدها هباء أو سراب … تؤكدهنّ بالقسم الغموس

إن المدائح النبوية الّتى جرت على ألسنة الشعراء فى الهند قد صدرت عن طبعهم الصادق مجرّدة عن المطامع الدنيوية الحقيرة التافهة وهذه المدائح ثروة أدبية من أغنى الثروات الأدبية والإنتاج الشعرى، هذا مما لا شكّ فيه، والأمر الثانى الّذى لا مراء فيه أنه ما استطاع أى شاعر أن يرقى بفنه الشعرى فى فن المديح النبوى إلى الدرجة الّتى رقيها حسان بن ثابت رضى الله عنه والأمر الثالث الّذى نودّ أن نذكره أن غلام على آزاد البلجرامى هو حسّان الهند لم يبلغ شاؤه كثير من الشعراء المفلقين والمكثرين فهو من أكبر شعراء المديح وأكثرهم قصيدة وشعراً

فى شبه القارة الهندية وقد بلغ عدد أبياته إلى ألفين وخمس مائة أبيات تقريباً.

جُلّ قصائد غلام على آزاد البلجرامى فى المديح النبوى لم تخرج عن الأسلوب الجاهلى القديم المعبّد فقد بدئت بالنسيب والتشبيب الذى تعوّد عليه الشعراء الجاهليون فى المعلقات وغير المعلقات ونحن نقدم هنا الأبيات من القصائد المختلفة الّتى بدأها الشاعر بالنسيب. فقال:

لمحت إلىّ بعينها الكحلاء … فمرضت طول العمر بالسوداء
ولقد ثملت بلحظة سمحت بها … من نرجس ريّان بالصهباء
ما للعواذل هل أطيق قطيعه … عن بانة هى أعرقت بحشائى
ضاءت غدائرها بنور جبينها … فيهن حس الليلة القمراء
والثغر فى فمها وميض كامن … يبدو إذا بتسمت على الحضراء
أو أقحوان يرتوى من ريقها … أوجوهر فى الحقة الحمراء
ولقد أتتنى ليلة فحسبتها … ماء الحيوة يسيل فى الظلماء

ويقول فى قصيدة أخرى:

يا قوم ملقى على الوعساء مقتول … هل فى القبائل أهل النجد مسئول
قولوا لنا كيف هذا الأمر منكم … وعن بصائركم لم يخف مجهول
إنى لأعرف أعرابية قتلت … متيما دمه المسفوح مطلول
لكننى أين وسعى أن أبوح به … هذا دم من لسان الخلق مغسول
فرغت عن ذبح صيد لاحراك به … ففيم حبلك فوق الخدّ مسدول
قالت أتحسبنى للمرء قاتلة … وإنما قاتل العشاق عُقبول

ويقول فى قصيدة أخرى:

خرجت أدمعى من المقل … واستفادت زيادة الطلل

جهـدت فـى ارتـواء غـلتــه	أذهبــت عــنــه مـنة السبـل
طـلـل سـار منـه صـاحبـه	نـقلة الشمـس حـرة الـحمل
مـنـزل ليـس فيــه عـا مــرة	كـفـؤاد خـلا عـن الـجـذل

وفى قصيدة أخرى يقول:

رَمت أسمـاء قلبى فى الصلاء	تشـمّـم منـه رائـحة الشـواء
طـلبـت عـنـاية منهـا فسلّت	عـلـى أمـنيتـى سيف الإبـاء
جفـت قلبى فقرر خاطرى أن	أفـوّضـه إلـى بعـض الظـمـاء
فـقـالـت كعبة واللـه هذا	فـلا تـجـعـلـه ملعبة النسـاء

شرع الشاعر بعد النسيب فى بيان صفات الرسول صلى الله عليه وسلّم بأنّه برهان ربّ العالمين وخير من وطئ الأرض وخير من صعد السماء ثم أشار إلى بعض المعجزات الّتى صدرت على أيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتسبيح الحصٰى فى كفه وإثمار النخيل فى العام الّذى غرسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وانشقاق القمر، فيقول:

بـرهـان ربّ العـالـمين حبيبـه	فـى الأمة الأمية الـعـربـاء
هـو خير من وطى التراب وخير من	صـعـد السـمـاء وخيـرة الشرفاء
نطق المسيح بـمهـلـة وبكفـه	صـمّ الحـصـى سبّحن كـالأحيـاء
غرس النخيل فأثمرت من عامها	بـعتـاق ممـلـوك من الصـلحـاء
رجعـت ذكـاء إلى القـفاء بأمره	وانشـق صـدر البـدر بـالإيمـاء

فى خضـم القصائد اشتهرت إحدى قصائده بلامية الهند وهى من أروع قصائده وأبدعها بدأها الشاعر كعادته بالنسيب ثم عطف عنان القلم عن التغزّل وشرع فى تمهيد المخلص بقوله:

فـانظر الى من تجلّى فى مظاهره	سبحـانـه وتـعـالـى منتهى الأمل

غرست لـلـه تسبيحا وأرقب أن	أنـال أثـمـاره فى أقصر المهل
بـجاه من أثـمرت أشجاره عجلا	عـونـا لـلعبد عتيق حـار فى العمل
هـو الّـذى دلّنـا لـطفا على شجر	يـفيد فـى كـل حين يـانع الأكل

ثـم يبدأ ذكـر صـفـات الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته العليا ومننه على الإنسانية جمعاء فيقول:

مـحـمـد زينة الأفـلاك عـنـصره	ووشـىّ أردية الأسـحـار والأُصُـل
فـوق الـعباد وبعـد الرب مـرتبة	وجـوهـر نـزه عـن وصـمة المـثل
تبـارك الـلـه بـدر لا مُـحاق لـه	وخـاتـم فـصّـه نـور بـلا حـول
لاغـرو إن أخـر الـخلّاق بعثـه	هـو المقدّم فى المعنى على الرسل
الـحـمـد لـلـه رب الـعطّول شرّفـنا	بـأشرف الـخلق هادى أشرف السبل
جـلا عروسا من الدين الجميل على	منـصة الـدهـر فـى حـل وفى حلل

ثـم يـقـول بأن شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم نسخت الأديان كـلهـا وذلك لأن طـلاوة البحر تمحو رونق الوشل فالإسلام هو دين الله الأخير والرسول صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء فلا نبؤة بعد نبؤته ولا شريعة بعد شريعته، يقول:

جـاء ت فـعـطـلـت الأديـان ملّتـه	طـلاوة البحـر تـمحـو رونـق الوشل
مـا أحـضـر الـدين والآفـاق موطئـه	والسهـم غـايتـه قصوى من الأسل

شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم بلغت مشارق الأرض ومغاربها والشرائع الأخرى بلغت إلى بعض الأقطار، فشبه الشاعر الدين الذى جاء بـه الـرسـول صـلى الله عليه وسلم بالسهم والأديان الأخرى بالأسل فان السهم قصير من الأسل لكنه يصل إلى حيث لا يصل إليه الأسل، ثم قال:

خـصّ الإلــه بـأوفـى الأجـر أمّتـه	وانـمـا عـمـلـوا لـلـه فـى الطفل

فى هذا الشعر تلميع إلى ما رواه البخارى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم ما بين صلوٰة العصر إلى مغرب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا فأنتم الّذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ألالكم الأجر مرّتين فغضب اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملا وأقلّ عطاءً قال الله تعالى فهل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا، قال الله تعالى فإنه فضلى أعطيته من شئت.

والقصائد الأخرى غير هذه القصيدة تشمل نفس المضمون الّذى اشتملت عليه القصيدة اللامية وغيرها من القصائد، وقد أجاد الشاعر فى بيان السجايا للنبى الكريم صلى الله عليه وسلم ووفق فى حسن اختيار الكلمات والألفاظ الملائمتين لبيان الخصائص الكبرى لذات الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول فى إحدى قصائدة:

رسولنا المصطفىٰ نور الهدى يده   يد الاله إله االإنس والجان
هذا النبىّ أمين وابن آمنة   وقد هدانا إلى يمن وإيمان
بداهة الأمر فى علياه حاكمة   والشمس صورتها تصوير برهان
أشار فانشق صدر البدر مؤتمرا   والإلتيام لحمرى خارق ثانى
كذلك تمزيق كسرى من خوارقه   وما مضى مثله شق إيران

فاضت عيون لطاف من أصابعه   غاضت بحيرة أرض ذات طغيان
وان تكلم ظبى وهوذ ونفس   فليس شادى الحصىٰ من جنس حيوان
شدا من الشاة لحم بعد ما ذبحت   وفيه غائلة من بعض نسوان
مازاغ فى ليلة الإسراء ناظره   فكيف يرنو إلى أطواد عقيان

وفى إحدى قصائدة يبين نفس المضمون فى الألفاظ الأخرى وينعى على الّذين لم ويقبلوا على دعوة الرسول الكريم الإلهية ورفضوها رفضا باتا ونبذوها وراء ظهورهم لأن هذه الدعوة لم تكن مؤسسة على تقاليد آبائهم من الشرك والوثنية وعبادة الأصنام والأوثان والنذر لغير الله تعالى والاستمداد بغير الله والاستقامة من المخلوق والذبح له والأمور الّتى لم ينزل الله بها من سلطان، فيقول فى أسلوبه الرائع:

سرى ليلا إلى فلك محيط   ونور سوح يثرب بالسكون
ولولا نوره الأعلى مقاما   لما ظهرت خفيات الشيون
لقد فاضت أصابعه زلالا   رويا فارتوت غلل العطون
وما قبل القساة هداه جهلا   وما فازوا بصادقة الظنون
وان لم تقبل الأحجار نبتا   فليس النقص من قبل الهتون
أبوا أن يقرءوا السبع المثانى   وفاهوا بالخلاعة والمجون
وشتت رعبه شمل الأعادى   فصيرهم كمنفوس العهون
بل الغاوون صاروا مثل عصف   تغيره الحرارة فى البطون

وفى إحدى قصائده يعبر عن حبه الصادق للنبى صلى الله عليه وسلم بقوله:

غبار نعليه كحل فى بصائرنا   جنابه مستطاب منتهى الطلب
مدينة المصطفى دامت مكرمة   كم من كرام بها من مدركى الصحب

تبدو من القلم الهندى مدحته ... كمثل سكرة تبدو من القصب

وفى قصيدته البائية يأتى الشاعر بباقة أزهار الشيم النبوية فى غاية من اللباقة يتجلىّ فيه جمال ذوقه الأدبى بحيث تهتز له القلوب وتترنّح له الأعطاف، وهذا من ميزات الأديب الموفق، فيقول:

محمد فاتح البرايا ... وإن أتانا على العقيب
جماله فائض بنور ... وخلقه فائح بطيب
دعاؤه جاء بالغوادى ... وكفه جاء بالصبيب
قد ارتقى فى السماء حقا ... وحلّ بالمنزل الرحيب
لقيمة اللحم خاطبته ... ودرّت الشاة بالحليب
نظمت فى مدحه جمانا ... وهذه شيمة الأديب

ويقول فى قصيدة أخرى مشيرا إلى عظمة الرسول ﷺ وفضله على الرسل كلهم وإلى الدعوة التى قام بها خلال ثلاثة وعشرين عاما فى مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب وهو الّذى أنار سبل الخير والهداية وأرشد الناس إلى الله وحده وإلى عبادته والسجود له والإيمان به والاستعانة منه.

هو أفضل الرسل الكرام جميعهم ... وأجلّهم قدرا و أرفع منصبا
هو صاحب التبليغ أوتى حكمة ... آتى أولى الألباب دينا أصوبا
وولاد هذا النور من أم القرى ... وإلى القيامة فى حضانة يثربا
بدر تلألأ فى نهاية دورة ... وأنار بالضوءّ المقدّس غيهبا
لله غيم فيضه متواتر ... ما شام طرف منه برقا خلبا
صفى عن الأكدار أفئدة الورى ... وأزال عن وجه المناهل طحلبا

إن مصدر الانقلاب ومصدر السعادة التى نتمتع بها وتتمتع بها

سكان المعمورة هو ولادة محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته الّتى جاء بها، فلولا شريعته السمحة الواسعة الخالدة مع الزمان لما سعدت الإنسانية ولا زالت تتيه فى متاهات الظلم والطغيان وعبادة النفس والمال والجاه والأصنام والأوثان وما ارتفعت الإنسانية إلى ذرى المجد والعظمة ولم تخرج من حياة الخمول والهوان والعزلة.

إن من سعادة المسلم بل من واجبه أن يتقدم بالتحيات الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويقدم إليه ضريبة الحبّ والهيام وهدية الإجلال والتكريم وتحفة الحب والتعظيم، ضريبة يقدمها طوعاً واختياراً ويتشرف بتقديمها ويعترف بتقصيره فى جنب مجهوداته الّتى بذلها لإسعاد البشرية، فخرفت الإنسانية إلى أرض واسعة وآفاق مشرقة وأجواء فسيحة وظلال وارفة من البيئة التى كانت تشبه بركة الأسماك وبئر الضفادع. تحارب الشرك والوثنية والظلم والجهالة والفقر والأمية والفوضى والانحلال الخلقى.

من حسن سعادة الحظ للشاعر غلام على آزاد البلجرامى أنه وفق للمديح النبوى ووفق لأن يعتبره سعادة كريمة عظيمة حصلت له من غير كلفة ومشقة. وفى هذا يقول:

حصّلت بالمدح الكريم سعادة ... هذا أخصّ عبادة الشعراء
توصيف غيرك بعد مدحك مشبه ... بيتا تضمن وصمة الإقواء

ومن الحقيقة التى لامراء فيها أن غلام على آزاد البلجرامى مع كونه شاعرا مفلقا فائض القريحة لم يمدح الحكام والأمراء إلا ببيتين وفى ذلك يروى لنا الشاعر نفسه حكاية فى كتابه سبحة المرجان، فيول:

" فى أواخر سنة تسعة وخمسين ومائة وألف (١١٥٩هـ)

حصلت الموافقة بينى وبين النواب نظام الدولة ناصر جنك خلف النواب نظام الملك آصف جاه فأحبنى حبا عجز القلم عن بيانه ورفعنى مكانا ما حام أحد حول أركانه وكان لا يدعنى فى الظعن والإقامة ولا يمل من صحبتى خيا من أزمنة الاستدامة حتى فاز بمرتبة الشهادة وذهب راتعاإلى مسارح السعادة سنة أربع وستين ومائة وألف.

وكان رحمه الله يوما راكبا على الفيل كأنّ البرق أومض من شامة أو طفيل وكنت أيضا راكبا على فيل عجاب كأنّى طلعت جبلا وهو يمرّ مرّ السحاب وكنا نطوى سواء السبيل ونتحدث بملح الأقاويل كأن كل كلمة منها ياقوتة أو زمرد ، من ذلك حديث صحيح ورد فى فضل أُحُد، أعنى هذا جبل يحبّنا ونحبّه، فاقتبست من الحديث النبوى وأظهرت ما انطوى بيننا من الإخلاص المعنوى وقلت:

هو ناصر الإسلام سلطان الورى   أبقاه فى العيش المخلد ربُّه
حاز المآثر والمناقب كلها   جبل الوقار يحبنا ونحبُّه

وما نظمت قط فى مدح غنى إلّا هذين البيتين، هذا وأنا يومئذ بأورنغا باد ولا زالت فائقة على البلاد ثابتا فى مقام الفقر والغناء، مجتمعا كالمركز فى دائرة الإنزواء (١)

له فى المديح النبوى طرائق يختارها حسبما يملى عليه خاطره فاستمع إلى بعض الأبيات من قصيدته الغرّاء، يقول:

رسول الله مستند البرايا   أفاد الدين والدنيا فخارا

(١) سبحة المرجان: ١٢٢

أجل اللولؤ الغالى سحابا   وأسنى السيد العالى نزارا
رأى، هو فى جبين العرش نورا   وموسى فى جبين الطور نارا
وقطع لحظه بدرا مضيئا   كأن مهنّدا قطع الخيارا
هو الشجر الرطيب يريك نورا   دع النار الضعيفة والعفارا

إنه يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بألفاظ يبدو أنّها وضعت للمديح النبوى لا لغيره وهذا من براعة الشاعر فى اختيار الألفاظ، دليل على عبقريته وقدرته على اللغة العربية بل دليل على تلك القوة الإيمانية والنفس المؤمنة والأحاسيس الصادقة والقريحة المتدفقه بالحيوية والنشاط، الّتى يتمتع بها الشاعر المؤمن القوى فى الصلة بالله وبرسوله وبشريعته الّتى جاء بها لإنقاذ الانسانية من الهلاك والدمار، يقول فى قصيدته الأخرى الطنانة، الفريدة فى النمط:

أشرف الأنبياء قاطبة   ناشر الشرع ناسخ الملل
حجة الله فى بريئته   مثبت الحق قاطع الجدل
ناصح حسن خلقه عمم   حيث أنجى العدى من الفلل
جنة للعيون طلعته   هو نار الهدى على الجبل
فاق ضوء الضحى وصاحبه   والخيال السريع فى العجل
بات بالعرش ضيف خالقه   وتعشى بأنفس النزل
يده مزنة مباركة   غسلت نقش صفحة البخل
أنبت الله فى حديقته   شجرا فيه أطيب الأكل
شيم الشمس كيف أضبطها   هل يصان الشعاع بالجبل

إنه مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون هذا المديح ذخرًا لآخرته ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

فهذا المديح لا يمكن أن يكون للحصول على بعض الأموال، بل هو لدفع ضريبة الحبّ فيقول:

نسجت كابن زهير برد مدحته — لقد غدا قلم الاستاذ منوالى
جعلت تعريفه ذخرا لآخرتى — ومدح خير البرايا خير أعمالى

مما لا شك فيه أن الشاعر صرف كل مؤهلالة الشعرية وطاقاته الفنية ومواهبه المتاحة من الله سبحانه وتعالى فى مديح الرسول صلى الله عليه وسلم وأجاد فيه فصار نسيج وحده فى هذا المضمار وصار من الشعراء الكبار الّذين لا توجد فى كلامهم شائبة العجمة ولوثة الأعجام وجدير بأن يُعد من الأدباء الكبار الذين تركوا آثاراً علمية وثروة أدبية ضخمة للأجيال القادمة وقمين بأن يوازن كلامه بكلام الشعراء العرب الأقحاح وحريّ بأن يكتب اسمه فى تاريخ المدائح النبوية العالمى بأسمى آيات التقدير والإجلال والعظمة والإفتخار، لأنّ الشاعر عرض المتاع كله الذى كان فى يده بغاية من الإخلاص يقول الشاعر مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مدحتك إخلاصاً ووجهك مقصدى — وإن كنت مشغولا بحسن التغزل
عرضت متاعا كان فى يد قدرتى — وإنى لأرجو منك حسن التقبل

ويقول فى قصيدة أخرى:

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها — وشرف الناس إذ سوّاك إنسانا
هذا مديحك مولانا بلاريب — واها على المتبنى أنه خانا
مقالتى يشذ الإخلاص عاطره — أهدى إليك من الأشعار ريحانا
عليك منا تحيات مقدسة — ما فجر الله سبحانا وجيحانا

وفى القصيدة الأخرى يعترف الشاعر بتقصيره فى المديح النبوى

ويظهر عجزه فى هذا الميدان لأن الإنسان مهما بالغ فى مدح الرسول لا يمكن له أن يوفى حقه. يقول الشاعر:

باع البراعة عن ثنائك قاصر — وجبينها متتابع الرحضاء
مإذا يقرّب فى ثنائك واصف — أثنى عليك الله حق ثناء

وفى الأخير أقدم شعرا من قصيدته الميمية شعرا يستحق أن يسير به الركبان وهو شعر ساذج سلس. يقول الشاعر:

ما كان يعرف ألواحا ولا قلما — وكان يعرف ما فى اللوح والقلم

يستحق الشاعر بأن يشهد له بالإجادة وإلا بداع فى المديح النبوى كأبرز أبنائها وشعرائها ويستحق كل تعظيم وتقدير، فقد أبدع الشاعر فى الوصف ودقة التصوير وحسن الملاحظة والختام وصوغ الألفاظ وتلوين الفكر باللون العجيب. فهو قويّ اللفظ عذب الأسلوب مشرق الديباجة متين السبك سلس البيان رائع التركيب نزيه المعنى. ومن حسناته أنه هجر الحوشى والغريب والمبتذل من الألفاظ والتعبيرات وكثر التلميح فى أشعاره إلى القرآن والحديث، وجمال السبك وعذوبته وإحكامه وجزالة الأسلوب وقوته وكثرة الروائع الأدبية التى تحل الشاعر مكانة مرموقة رفيعة بين الشعراء المجيدين.

والقصائد كلها مليئة بالقوة والروعة والعاطفة الإيمانية الّتى صحبت الشاعر فى كل بيت من القصائد بتأثير ثقافة القرآن والحديث النبوى والسيرة النبوية.

قد وقعت الهنات من الشاعر فى المديح النبوى. والهنات ليست بهيّنات، فقد استغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم والاستغاثة بغير الله لا يجوز فى الشريعة الإسلامية المطهرة فقد قال الشاعر:

أغِـث يــا رسـول الـلـه آزاد زاده　　ومـيـض بسـلـع لاح نــار البـوادر
جـنـابك غيـث يستغيث بـه الورى　　وإنـى لـعـود يـصطلى فى المجامر

ويقول:

أغـث آزاد يــا مـولـى الـمـوالـى　　وكـن عـونـا لـه يوم القـفـول

ويقول:

ولـيــس لـلـعـبـد مستـجـار　　سـواك يــا أحسـن الـرقيـب

نعوذ بالله من أمثال هذه الهنات وندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الّذين يؤمنون به ولا يشركون به ونعوذ بالله من الجور بعد الكور، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الثانى : شعراء المديح المتقدّمون

السيّد باقر مرتضى الشافعى الويلورى المدراسى

١١٥٨ هـ - ١٢٢٠ هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ باقر مرتضى فى ويلور، مدراس (شنائى حالياً) فى ولاية تامِلنادو فى ١٤ رجب المرجب سنة ١١٥٨ من الهجرة النبوية وقد هاجر أجداده من العراق إلى الهند سنة ٣٠٠ من الهجرة وقد وردوا الهند تُجّارا فى جنوبى الهند وقد تأثر سُكّان تلك المنطقة بحياتهم النبيلة وسلوكهم المستقيم وأخلاقهم الطيبة الحسنة فتركوا دين آبائهم ودخلوا فى حظيرة الإسلام بدون قسر أو إكراه.

فى القرن الحادى عشر من الهجرة قد استطاع الملك المُعولى أورنك زيب أن يضم إمارات جنوبى الهند إلى سلطنته، كانت من تلك الإمارات، إمـارة بيجافور الإمارة العادلشاهية، فانفصمت عروة الإمارة للحروب الطاحنة التى كانت تجرى بين الإمارة العادلشاهية وبين المرهتة أحيانا وبين الملك المغولى أورنك زيب والإمارة العادلشاهية حينا لأخر فعمّت البلوى وأخيفت الطرق وانتشرت الفوضى وجعل سكان هذه المنطقة يهاجرون إلى المناطق المجاورة لهذه المنطقة وكان من بين المهاجرين من بيجافور والد الشيخ باقر آگاه السيد محمد مرتضى الّذى كان من العلماء المبرزين والّذى قد استقر فى بيجافور للحصول على الرزق لكنه اضطر الى الهجرة من بيجافور إلى ويلور

حيث ولد السيد باقرآغاه سنة ١١٥٨ﻫ

قرأ السيد باقر آغاه الكتب الدراسية على والده وعلى علماء عصر المبرزين فى العلوم والفنون والآداب العربية حتى فاق أقرانه فتأثر به محمد على والاجاه أمير منطقة أراكات وأسند إليه أموراً مهمة نظرا إلى نبوغه فى العلوم والفنون ورتب له راتبا شهريا مقداره مائتا روبية. وفى سنة ١١٨١ﻫ عينه والاجاه رئيس القوات الحكومية لمنطقة نات رنغار، مع هذه المسئوليات الحكومية الباهظة التى ألقيت على كاهله كان السيد باقر آگاه يلقى محاضرة أمام الطلاب الوافدين على مواضيع شتى من الشريعة والأدب والفنون والعلوم والمسائل العامة والمعارف الأدبية والدينية.

قد تتلمذ الشيخ باقر آغاه على عمه الشيخ حبيب الله والعالم الكبير الشيخ أبى الحسن القربى ثم سافر إلى ترجنا بلّى لتلقى العلوم العربية هناك وقرأ على العالم الكبير والأديب البارع الشيخ ولى الله فبرع فى علوم الفقه والتفسير والحديث واللغة فصار فقيها بارعا ومحدثا كبيرا ومفسرا قديرا وأديبا يشار إليه بالبنان.

فى نهاية الدراسة ترك الشيخ باقر بن مرتضى القرأة على الأساتذة الأجلاء واشتغل بمطالعة الكتب وتفقه وأحكم أصول الفقه والكلام ونظر فى الحديث والتفسير وبرز فى ذلك على أهله وتأهل للفتوى والتدريس وهو دون العشرين. واستعان بكثرة المطالعة وبسرعة الحفظ وفوة الإدراك والفهم، وكان يحضر المجالس والمحافل فيتكلم ويناظر ويفهم الكبار ويأتى بما يتحير منه أعيان البلدة.

وهو أول من نقل العلوم الدينية من اللغة العربية إلى اللغة الهندية بناحية مدراس، وكان له اليد الطولى فى معرفة النحو والصرف واللغة وأمّا الكلام وعلم التوحيد والعقائد فقد اعترف الناس بفضله فى

استحضار الأصول وتطبيق المنقول بالمعقول.

كان السيد باقر مرتضى من المؤلفين الكبار باللغة العربية (١) فقد ترك ثروة ضخمة علمية و أدبية، مات رحمة الله لست عشرة خلون من ذى الحجة سنة عشرين ومائتين وألف (١٢٢٠ﻫ). (٢)

شعره:

كان باقر آگاه بن مرتضى الويلورى من الشعراء المبرزين المفلقين باللغة الأردية والفارسية والعربية، إنه بدأ يقرض الأبيات فى سنه المبكر، وقد كانت تلوح ملاح النبوغ والذكاء والفطنة على جبينه منذ نعومة أظفاره وبعد ما بلغ أشده، برز فى ساحة الشعر كأحد الشعراء المفلقين أمثال الشاه عبدالعزيز الدهلوى ١١٥٩ - ١٢٣٩ﻫ والشاه رفيع الدين الدهلوى ١١٦٣-١٢٣٣ﻫ والشاعر الكبير والأديب البارع، المؤرخ البصير غلام على آزاد البلكرامى ١١١٦-١٢٠٠ﻫ، الذى كانوا يضارعونه فى قرض الأبيات باللغة العربية وقد جرى النقاش العلمى والأدبى بين باقر بن مرتضى الويلورى والشاعر الكبير غلام على آزاد البلكرامى فى قضايا أدبية وشعرية.

كان باقر من الشعراء المفلقين المكثرين وله قصائد عديدة فى المديح النبوى زاخرة بالمعانى الجمّة والتراكيب الفخمة والأساليب

---

(١) مؤلفاته باللغة العربية:

تنوير البصر والبصير فى الصلوة على النبى البشير النذير، نفائس النكات فى إرساله عليه السلام إلى جميع المكونات، القول المبين فى ذرارى المشركين، الدر النفيس فى شرح قول محمد بن إدريس، النفحة العنبرية فى مدح خير البرية، العشرة الكاملة فيها عشر قصائد على منوال المعلقات السبع، مقامات على نهج مقامات الحريرى، الشمامة الكافورية فى وصف المعاهد الويلورية، الخطفة العقابية للفارة المسكينة، المقامة الترشنا فلية، المقامة الآركاتية، المقامة الحيدرآبادية وله رسائل بليغة جمعها فى شمائم الشمائل فى نظام الرسائل، ديوان الغزل والنسيب، حواشى على تفسير ابن كثير.

(٢) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ١٠٤/٧

الرشيقة والكلمات المناسبة وسنقدم الأبيات المختارة من قصائده الرائعة الّتى تدل على براعة الشاعر فى القريض وامتلاكه ناصية اللغة العربية كأبنائها ومهارته فى فن المديح، يقول الشاعر فى إحدى قصائده الهمزية:

بشير منذر هاد أمين ... سراج شاهد بدر ذكاء
له بيت رفيع فى المعالى ... يكون له على العرش اعتكاء
ضياء منه روح أو جساد ... وظل منه أرض أو سماء
تحير فى جمالك كل راءٍ ... كأنك قد خلقت كما تشاء
كما لك لا يماثله كمال ... علاءك لا يطاوله علاء
وجودك مصحف الأسرار حقا ... وبعض الآى منه الأنبياء
تفجّر من يمينك للبرايا ... عيون لا يكدرها الدلاء
وكيف يطيق مدحك نطق مثلى ... عليك صلاة ربّك والثناء

فى إحدى قصائدة يشير الشاعر إلى سجايا الرسول صلى الله عليه وسلم الكريمة ومعجزاته الخالدة وشمائله النبيلة، فيقول:

مستندا لخلق وبرهانه ... ملتحدا لخلق ثمال الورى
لين من قابله قسوة ... أمن من قاتله بالقنا
سامح من كافحه كالو ... قارب من باعده بالقلا
بشرّ من أنذره جاهلا ... واصل من هاجره بالجفا
أوضح كالشمس براهينه ... شيّد كالمجد منار الهدى
لاذبه الظبية من جائر ... خاطبه الضب كأهل الحجى
قرّ لديه جمل جامح ... وهو من المالك يشكو الأذى
جاء إليه شجر راسخ ... ممتثلا وهو سريع الخُطىٰ

فى القصيدة البائية بين الشاعر جهوده صلى الله عليه وسلم فى

تثبيت دعائم الاسلام ورفع منارته وتشييد مبانيه قائلا:

محمد نصب الاعلام حجّته ... لدفع دين الهدى بالخفض للنصب
صارت بحبل متين لانفصام له ... خيام أخباره ممدودة الطنب
راع المصاقع بالآيات فاعترفوا ... بالغىّ والعىّ بعد المنطق الذرب
ما زال ينصحهُم بالحق فاشتغلوا ... عن سمعه ونعوا فى الوحى بالشغب
فقال ان لم يصدقه العدى حسدا ... فالسيف أصدق انذارا من الكتب

ومن قصيدة الشاعر التائية نقدم الأبيات التالية الّتى تشير إلى مكانة الرسول العالية بين الأنبياء والمرسلين.

وله التقدم والعلو وان أتى ... بجساده فى آخر الدورات
كم أنبأ الكتب القديمة أنه ... بالبينات وبالهداية يأتى
كم بشّرت أهل الرساله أنه ... ختم الهداة بأشرف الدعوات
لما راه المسلمون مخصّصا ... أتباعه بخصائص القربات
يا ملجأ الكونين فى الدارين يا ... خير الأنام وسيد السادات
يا من تشبثت الكرام بذيله ... وترصدوا لنواله كعفاة
شاهدت أصناف الخلائق كلهم ... أمّوا جنابك من جميع جهات

ويقول الشاعر باقراً آگاه فى إحدى قصائدة مادحاً الرسول صلى الله عليه وسلم:

محمد المبعوث للخلق رحمة ... ومرشدهم لطفا إلى خير ملة
هو الشمس فى أوج الوجود ضياءه ... يمدّ ظلالا مرّة بعد مرّة
ولولا سنا برق خفا منه لاختفت ... خبايا شيرن الذات فى محض غيبة
ولولا هداه للعوالم لانطوت ... إلى أبد الآباد فى جنح ظلمة
تجلّى على الأنظار طوراً بكثرة ... تخلّى عن الأسرار حينا بوحدة

ونجد فى القصيدة الثائية الأبيات التالية فى مدح الرسول صلى الله

عليه وسلم:

مصباح مشكوة الوجود محمد   لظهوره سر قديم محدث

من ضوئه العقل المقدم يهتدى   من ورده الروح المعظم يغنث

مفتاح أبواب الكلام ونطقه   بسرائر الكنز الخفىّ محدّث

أعطيت أمتك الكرام مكانة   علياء ما كادت ترام وتورث

أنت الذى تعلى منار فخارهم   أنت الّذى لهم العطية تقعث

نجد بعض القصائد للشاعر باقر آگاه بدأها بالتشبيب جريا على عادة الشعراء القدامى الجاهليين، منها القصيدة الجيمية، بدأها الشاعر بالتشبيب قائلاً:

أ أومض البرق من تلقاء منعرج   أمن انجلى ثغرها البسّام بالبلج

شكوت من صدغها حالى لطرّتها   هربت من عقرب جهلا إلى عمج

فى طرفها حمرة الصهباء من خلدى   ومن سويدائه ما فيه من دعج

سلّت علىّ حسام اللحظ فاتكة   وأغمضت عن دمى المطلول بالغنج

لاحت نهارا فأضحىٰ من ندى خجل   حراً لهجيد كليل مقمر ثلج

سرت بداج فخال الناس غرّتها   صبحا ومالوا إلى الإطفاء للسرج

بعد هذا التشبيب المليح تدرج الشاعر الى مدح الرسول ﷺ بأبيات منها:

محمد كشف الأشجان نفحته   وأنقذت كل محزون من الحرج

عادت قلوب العدى من صدع دعوته   ما بين منصدع منها ومنزعج

من سيفه كلّ غيراء قد انعكست   شكل الفتوح يرى منها بلا عوج

دعا الأنام فأرقاهم برحمته   من الحضيض إلى عال من الدرج

ونقدم بعض الأبيات من قصيدة الشاعر الدالية فى مدح الرسول ﷺ

محمد خير من تحلّى   بحلية الحسن والرداد

هو الرؤف الرحيم يرجو   نداه كالطائع المعادى

يفوح من خلقه شميم   يعطر العشب كالجساد

يلوح من وجهه ضياء   بصير الشمس كالسواد

اذا حبا أصبحت غيوث   لفيض جدواه كالصوادى

أمدّ أنفاسه البرايا   فأيقظتهم من الرقاد

وأسلمتهم من البلايا   وأنقذتهم من الفساد

وأكرمتهم بعيد هون   وقربتهم من البعاد

عليك تسليم ربنا ما   أتى نسيم الحمى بجادى

من خلال دراسة قصائد الشاعر العديدة يتبدّى لنا واضحاً بأن الشاعر قد تفنّن فى المديح النبوىّ بالأساليب المتنوعة و بالتعبيرات المختلفة وقد ظهرت فى القصائد عبقرية الشاعر ومهارته فى فن المديح النبوى ويبدأ فيها ذوقه الرفيع وجمال قريحته الرائح وفكرته الجيّاشة وخياله النزية وأداة التعبير الفنية فى تصوير المعانى الذهنية والحالات النفسية فى صور حسية بحيث تخاطب الحس والوجدان وتصل إلى النفس من منافذ شتى.

نُقدّم بعض الأبيات من قصيده الشاعر السينية كنموذج يقول الشاعر:

كنز العلوم محمد فى سرّه   صارت عقول الرسل مثل حراس

قام الملائكة فى فناء جلاله   متأدّبين كهيئة الأغراس

ان بان معناه كما هو شأنه   لم يبق شك فيه للنسناس

أبدى طريق الحق فصل خطابه   فبحا الأنام به عن المسماس

وأفاض ضوء هداية برهانه   فى ظلمة الطغيان للشمّاس

من فاز منه بالحماية لم يخف   كسفينة من بطشة الهرماس

يا من خيال جماله فى مهجتى … يبدو على العلّات كالوسواس
ما عشت أصرف فى مديحك فكرتى … وأجيد فى تحبيره أنفاسى

والقصيدة العينية بدأها الشاعر بقوله:

أمن يمن أنفاس روح تنسّمت … أم الدهر من ريّا بثينة ضائع
أمن طور سينين البوارق أشرقت … أم ابتسمت ممّا تمنّاه والع
أيا برق لا تلمع ببرقة لعلع … أما بان فيها من زفيرى طوالع
ألا يانسيم لا تطلع طويلعاً … أما فيه من آهى رياح زعازع
أكابد جمرا فى ضميرى كأنّما … أحاطت بنارا الأبرقين الأضالع
ومذ طاح قلبى فى البدائع تائها … تلقاه من سرّ الغرام بدائع

وبعد عدّة أبيات يمدح الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً:

عليك صلوٰة اللـه يا من لحسنه … قد انعقدت فى كل دور مجامع
عليك صلوٰة اللـه يا من لذكره … لأهل الصفا فى النشأتين صوامع
عليك صلوٰة اللـه يا من لنوره … هيا كل أعيان الوجود مطالع
عليك صلوٰة اللـه يا من لسرّه … تبدّت على أهل الغرام روائع
عليك صلوٰة اللـه يا من لطلعه … قد انتشرت فى كل عهد طلائع
عليك صلوٰة اللـه يا من لعلمه … سوابق أنظار العقول توابع
عليك صلوٰة اللـه يا من جلاله … على مطلع الآفاق كالشمس طالع
عليك صلوٰة اللـه يا من تضمّنت … شريعته مالم يخله الشرائع
عليك صلوٰة اللـه يا من تجمّعت … من الرحمة المهداة فيه ودائع
عليك صلوٰة اللـه يا ذرّ شارق … عليك سلام اللـه ما درّ هامع
عليك صلوٰة اللـه يا جنّ حندس … عليك سلام اللـه ما حن ساجع

وفى القصيدة الكافية يمدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيات منها:

محمد الهادى الذى ضوء دينه … أعاد كنور البدر جنح الممالك
بدا من محيّاه المضى بوارق … لكل ضليل فى الغواية هالك
أتانا من المولى بخير صحيفة … هدانا إلى العقبى بخير المسالك
ثوى منزلا فى مقعد الصدق بعدما … أنار الهدى فى ناظرى كل سالك

وقد مدح الشاعر الرسول ﷺ بالقصيدة اللامية نقدم منها بعض الأبيات:

محمد شرف الأكوان بعثته … ودينه نسخ الأديان كالدول
فى آخر العصر أبدى من هدايته … برقا وكان سناه أوّل الأول
تقدّم الكل معناه ومنظره … ابان للناس فحوى آخر العلل
لولاه لم يك موجودا إلى أبد … لأجله خلق الإنسان من عجل
أتى بوحى بديع معجز ظهرت … آياته الغرّ بالتفصيل والجمل
كم جدّلت كلمات الله من جدل … فى شأنه وأماليه عن الجدل
من لم يقابله بالإذعان قابله … بالمشرفية والعسّالة الذبل
تهزّ فى قلبهم كالشوق خاطرة … تجول فى صدرهم كالميل فى المقل
كأنها النّهر والأكباد صادية … تجرّ عنه فأرواها من الغلل
طارت قلوب العدى من بأسه فرقا … كالأرض ضاقت عليهم فسحة الأجل

إن من وظيفة الأديب أن يهيئ للألفاظ نظاما ونسقا وجوّا يسمح لها بأن تشع أكبر شحنتها من الصور والظلال والإيقاع وأن تتناسق ظلالها وإيقاعاتها مع الجو الشعورى الذى تريد أن ترسمه وألا يقف عند الدلالة المعنوية الذهنية وأن لا يقيم اختياره للألفاظ على هذا الأساس وحده وان يكن لا بد منه فى التعبير ليفهم الآخرون ما يريده (١)

إن وظيفة الأديب التى أشار اليها الأستاذ السيد قطب فى السطور

(١) النقد الأدبى : سيد قطب ص ٤٣

السالفة نجدها تماما فى قصائد الشيخ باقر المدراسى، فقصائده تؤثر على نفس القارئ والسامع ويجد لها الإيقاع فى القلوب والنفوس لأن الشاعر قد أشاد بعظمة الإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأجاد فى المديح بذكر أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم وشيمه ومواقفه الحاسمة فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ومجهوداته فى سبيل الدين لإعلاء كلمة الله ورفع منارتها وتثبيت دعائمها وإرساء قواعدها وقد وفق الشاعر فى إختيار الكلمات كل التوفيق للإفصاح عما يريده من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بالألفاظ الجزلة والمعانى الرشيقة والتعبيرات البديعة والأساليب الأدبية الرائعة، وفى نهاية المطاف نقدم بعض الأبيات من القصيدة الواوية بدأها الشاعر قائلا بالتشبيب.

لقد فتنت قلبى بثينة بالزهو ـ ولم تدرما قاسيت من شدّة الشجو
تخلت لطفا فى رناها وإنّما ـ أشارت إلى قتل المتيّم بالبغو
أتت بعد أزمان إلىّ تذلّلا ـ لتنظر ما أبقت من البدن النضو
إلى أين أشكو من قساوة طبعها ـ أراقت دمى جورا وطنتة كاللهو

وبعد هذه الأبيات يبدأ الشاعر مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً:

محمد الهادى الذى شاؤ فضله ـ تنزّه عن قيد النهاية والبدو
وحيد غدا من وحدة الذات صادراً ـ فأنّى له فى جملة الكون من كفو
أتى بكتاب جلّ برهان نظمه ـ فدان له أهل الحضارة كالبدو
بأصبوعه ينجو العطاش من الصدى ـ ومن تفله يربو الأجاج على الحلو
هو السرّ من سفر الوجوه وغيره ـ يشابه حرفاً مستزادا من الحشو

وفى إحدى قصائده يعترف الشاعر بتقصيره فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لا يمكن لواصف وصف الرسول صلى الله عليه

وسلم مهما بلغ فى ملكة التعبير مكانتها العالية وفى الذوق الأدبى محلّه الفائق: فيقول:

ثنائى على أعلى جنابك حوبة ـ فواحسرتا لولا سترت عواريا
مديحك فى كتب الاله مسطّر ـ فأين أنا منه وماذا بيانيا
ولم يستطع آگاه وصفك إنما ـ أبان من القلب الشجىّ تصابيا
إليك من الصب الأسيف تحية ـ لأشجانه ما كنت باللطف حاليا

قد وجدنا بعض الأبيات المضادّة المتناقضة مع الشريعة الإسلامية أثناء الدراسة فى بعض القصائد، منها قول الشاعر:

مولاى خذ بيدى آگاه مرحمة ـ والطف به كرما فى شدة الكرب

ومنها قول الشاعر:

غياث البرايا ملاذ الورى ـ مفيض العطايا اذا ما حبا

ومنها قول الشاعر:

قد استسهلت أمرى ولم تدر أننى ـ سأخبر عن حالى غياث البرية
مسهّل أعسار وحلّال مشكل ـ ومسعف حاجات وكشاف غمة

ومنها قول الشاعر:

تعطف على بالى فقد زاد بثه ـ تلطّف بأحوالى فقد طال كربتى
أزل يا طبيب الروح والجسم علّتى ـ أقل يا شفيع الإنس والجن عثرتى

ومن المعلوم أن هذه الأمور التى ذكرها الشاعر فى بعض أبياته لا يقدر عليها الّا الله عزّوجل فلا يجوز وصف الرسول بها مهما كانت الظروف وقد حذرنا الاسلام من الغلو والإطراء فى المدح، أعاذنا الله منها.

الشاه رفيع الدين الدهلوى

١١٦٣هـ - ١٢٣٣هـ

نشأته وحياته:

ولد الشاه رفيع الدين عبدالوهاب بن ولى الله بن عبدالرحيم العمرى الدهلوى بمدينة دهلى سنة ١١٦٣ ﻫ ونشأ بها وقرأ على صنوه الكبير الشيخ عبدالعزيز الدهلوى الكتب ولازمه مدة من الزمن حتى برع فى العلوم والفنون.

كان من نبغاء العصر وقد اعترف بنبوغه وفضله علماء الآفاق وكان درسه مرجع العلماء وطلّاب العلم لأن الشيخ عبدالعزيز الدهلوى أقامه مقامه فى التدريس بعد ما أصيب بمختلف الأمراض والأسقام.

كان محدّثا كبيرا ومتكلّما أصوليا يندر وجود أمثاله، إذا تكلّم فى أى فن من الفنون يبدو للسامع أن رياسة ذلك الفن قد انتهت إليه فاذا تكلم فى فن آخر يظهر للسامع أن صاحب هذا الفن لا يوجد سواه فى هذا العصر، فكان فريد عصره ونادرة دهرة وكان منهلا عذبا ونميراً فائضا للعلماء والدارسين.

كان يتمتع بدماثة الأخلاق وحسن العشيرة، يلوح على وجهه علائم الهمم ومخائل الذكاء والفطنة كان حريصا على اتباع السنة النبوية جامعا بين العلم والعمل والعبادة والتقوى، زاهدا فى الدنيا مقبلا على الله كأنه كان ملكا فى صورة البشر على حدّ قول السر سيد احمد خان إنه ترك ثروة علمية (١) بعد ما توفى سنة ثلاث وثلاثين ومأتين

(١) مؤلفاته: أسرار المحبة، رسالة فى العروض، ورسالة فى إثبات شق القمر ورسالة فى شرح أربعين وحاشية على مير زاهد وتكميل الصناعة.

وألف بمدينة دهلى (١)

شعره:

كان الشيخ رفيع الدين الدهلوى (١١٦٣- ١٢٣٣ ﻫ) آية من آيات الله فى العلوم الإسلامية والعلوم العربية، والرسالة الّتى كتبها صنوه الكبير الشيخ عبدالعزيز الدهلوى (١١٥٩-١٢٣٩ ﻫ) إلى الشيخ أحمد بن محمد الشروانى تلقى ضوءاً واضحا على شخصية الشيخ رفيع الدين الفذّة. ونص الرسالة كمايلى:

هذا وأن الأخ الفذ البذ المتخلق من طيب الخلال بما طاب ولَذّ، الّذى هو شقيقى فى ا لنسب ولحيقى فيما يظن بى الكرام من فنون العلم وشجون الأدب وهو تلوى فى السن وصنوى فى الصناعة والفن قد رباه الله بمنح ألطافه على يدى ومن بتكميله على لما زارنى من مقامه بعد ما اغترب شطرا من أيامه أتحفنى برسالة وجيزة بل جوهرة عزيزة تحتوى على نكت مخترعه، هو أبو بجدتها وتنطوى على فقر مخترعة لم يسبق إلى أسوتها مسوقة لتفسير كلام الله المجيد فى آية النور وكشف القناع عن وجوه تلك المعانى المقصورات من الإعجاز فى القصور ولعمرى لقد أتى فى هذا الباب بالعجيب العجاب وميز القشر عن اللباب ونور مصابيح زجاجات القلوب وروح الأرواح ببديع الأسلوب (٢)

فالشيخ الدهلوى مشهور بالبراعة الفنية فى اللغة العربية والشاهد كذلك مشهود بعلو كعبه واقتداره على اللغة العربية، ومن دلائل نبوغه فى اللغة العربية تلك القصيدة العينية التى عارض بها قصيدة الشيخ أبى

(١) راجع: نزهة الخواطر ٢٠٤/٧ وآثار الصناديد ٨١/٢ والكتب المؤلفة فى ترجمة والده الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالى.

(٢) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام ٢٠٥/٧-٢٠٤

على ابن سينا العينية التى تعرف بقصيدة الروح ومطلعها:

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع

فأجاب عنها الشيخ رفيع الدين الدهلوى بقصيدة أولها

عجبا لشيخ فيلسوف ألمعى ... خفيت لعينيه منارة مشرع

وفى هذه القصيدة ستة عشر ومائة (١١٦) بيت (١)

أما القصيدة التى بين أيدينا فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فهى تحتوى على ثلاثين بيتا وكل بيت من القصيدة يحتوى على نفائس الكلام وغرره بتعبير دقيق رقيق وبأسلوب جذّاب خلّاب مملوء بأحاسيس صادقة وانطباعات قلبية لا تعرف رياء ولا مداهنة ولا صيتا ولا سمعة بل الهمّ الوحيد الانخراط فى أسلاك الّذين تشرّفوا بدفع ضريبة الحب إلى الشخصية الجبارة التى وصفها شاعر الرسول حسان بن ثابت رضى الله عنه بقوله النادر الموجز المعجز:

أحسن منك لم ترقط عينى ... وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مُبرءاً من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

لم يقلّد الشيخ رفيع الدين أسلوب الشعراء الجاهليين فى القصيدة ببدئها بالنسيب والغزل والتشبيب بل سلك أسلوبا نادرا مباشرا فى المديح النبوى. والقصيدة كلها عبارة عن بيان واقعة الإسراء والمعراج من البداية الى النهاية بايجاز. يقول الشاعر فى بداية القصيدة:

يا أحمد المختار يا زين الورى ... يا خاتما للرسل ما أعلاكا

هل كان غيرك فى الأنام من استوى ... فوق البراق وجاوز الأفلاكا

واستمسك الروح الأمين ركابه ... فى سيره واستخدم الملاكا

عرضت لك الدنيا وداعوملة ... نسخت ببعثك طامعين رداكا

(١) جلاء العينين ١٤٨ – ١٥٥

فرددتهم فى خيبة عن قصدهم ... الله صانك عنهم ووقاكا

واخترت من لبن وخمر فطرة إلا ... سلام بالهدى إليك هداكا

فعدت لك الرسل العظام ترقبا ... فعلوت مغبوطا لهم مسراكا

وأمّمتهم فى القدس بعد تجاوز ... منهم بأمر الله إذ ولّاكا

القصيدة ألفاظها سهلة وسلسلة عذبة ورشيقة بعيدة عن التوغّل فى المعانى والتكلف فى صناعة الألفاظ الّتى تسبب التعقيد الذى يحطها عن مكانتها الأدبية الرفيعة ولا يبقى لها كبير قيمة فى الأدب.

ثم يصورلنا الشاعر تلك المنزلة الرفيعة الّتى نالها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى المعراج فيقول:

أد ناك ربك فى منازل قربه ... جلّى لك الأكوان ثم حباكا

وأتم نعمته عليك فلم تسل ... أن توثر الإنفاق والإمساكا

ألقى إليك كنوز أسرار سمت ... من حيطة الأفهام إذ ناجاكا

وسألت فينا العفو منا شفاعة ... فأجاب ربّك قد وهبت مناكا

حتى اذا تم الدنو تسترت ... منك الهوية فى سنا مولاكا

فلك المناصب والسيادة للورى ... وخلافة الرحمن يا بشراكا

القصيدة تمتاز بقوة التأثير وقدرة الايحاء لان الشاعر لم يجعل القصيدة سُلّما إلى الأغراض المادّية وذريعة إلى المنافع الشخصية بل قرضا لإبراز معالم الشريعة وبيان حادثة الإسراء والمعراج التى كانت بمثابة منعطف خطير فى تاريخ الدعوة الإسلامية وكانت تلك الرحلة المباركة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومن المسجد الأقصى إلى ماشاء الله أن يصل إليه الرسول الكريم كانت بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم بمثابة الانتقال من المحنة إلى المحنة ومن سنن الله تعالى فى خلقه أن تأتى الفرج بعد شدة وأن تاتى المنحة بعد

المحنة وأن يأتى النجاح بعد كفاح وأن يأتى النصر بعد جهاد وقد اجمعت كل هذه المعانى فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم يقول الشاعر:

أعطاك تخفيفا وتيسيرا إلى	دين قديم محكم لقواكا
وسواه من نعم جسام ما لها	عدّ وحدّ ينتهى أولاكا
فرجعت مسروراً لها فى لمحة	وجميع خلق الله قد هنّاكا
أجريت دين الله بعد نضوبة	ومحوت رأس الجهل والإشراكا

وهكذا تنتهى القصيدة وفيها الرونق والبهاء والرشاقة والمتانة لم تطفح عليها الصنعة ولم تصطبغ بالتكلف بل جاء ت على سجيتها بالبديهة والارتجال وبالأسلوب السهل الواضح العذب من الرقة والسلامة والسهولة والقصيدة رائعة فائقة.

القصيدة كلها معناها مستوحاة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الكريم التى جاء ت فى بيان حادث الإسراء والمعراج.

لا يوجد فى القصيدة شئ يخل بالعقيدة الاسلامية الصحيحة وقد وفق الشاعر إلى الحق والصواب والاعتدال فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم -

الشاه عبدالعزيز الدهلوى

١١٥٩هـ - ١٢٣٩ هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ عبدالعزيز بن ولى الله بن عبدالرحيم العمرى الدهلوى ليلة الخميس لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة تسع و خمسين ومائة وألف (١١٥٩ هـ) كما يدل على تاريخ ولادته لقبه المورّخ لمولده "غلام حليم" فى عاصمة الدولة المغولية دهلى، قرأ الكتب الدراسية على والده حتى حصلت له ملكة راسخة فى العلوم ولمّا انتقل أبوه الشاه ولى الله الدهلوى إلى جوار رحمة الله فى سنة ١١٧٦ هـ أخذ العلوم عن الشيخ نور الله البرهانوى والشيخ محمد أمين الكشميرى وأجازه الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البهلتى وحفظ القرآن الكريم.

كان رحمة الله آية من آيات الله فى الفضل والذكاء والعلم والفهم وسرعة الحفظ، اشتغل بالدرس والإفادة وله خمس عشرة سنة فدرس وأفاد و قد تخرج عليه العلماء الأفاضل وقصده طلاب العلم من أرجاء البلاد كلها تهافت الطمآن على الماء.

وقد اعتراه الأمراض والأسقام فى عنفوان شبابه فأصيب بالمراق والجذام والبرص والعمى ونحو ذلك حتى عدّ منها أربعة عشر مرضا مفجعا وهو ابن خمس وعشرين سنة لكنه مع ذلك يدرس ويصنف ويفتى ويعظ ومع هذه الأمراض المؤلفة والأسقام المفجعة كان لطيف الطبع حسن الحاضرة جميل المذاكرة فصيح المنطق مليح الكلام ذا تواضع وبشاشة وتودد لا يمكن الإحاطة بوصفه ومجالسته، هى نزهة الأيمان والأذهان والعقول بما لديه من الأخبار التى تنشف الأسماع

والأشعار المهذّبة للطباع والحكايات كأنه قد عرفها بالمشاهدة ولم يكن الأمر كذلك ولكنه كان باهر الذكاء. قوى التصور، كثير البحث عن الحقائق والدقائق، كان الناس يقصدونه ليستفيدوا من علمه والأدباء ليأخذوا من أدبه ويعرضوا عليه أشعارهم والمحاويج يأتونه ليشفع لهم عند الولاة ويواسيهم بما يمكنه والمرضى يلوذون به لمداواتهم وأهل القلوب والسلوك يأتونه ليقتبسوا من أشعة أنواره والوافدون من الأرجاء النائية من العلماء والمشائخ ينزلهم فى منزله ويفضل عليهم بما يحتاجون إليه ويسعى فى قضاء أغراضهم ووفاء حاجاتهم وإذا جالسه شخص وله فى بعض مسائل الشريعة شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار ويجمع بين الضب والنون فلا يفارقه إلا وهو عنه راض.

إنه بلغ من الكمال والعظمة بحيث كان الناس فى أقطار الهند يفتخرون باعتزائهم إليه. كان بارعا فى تحسين العبارة وتحبيرها والتأنق فيها وتحريرها حتى عدّه أقرانه مقدما من بين حلبة رهانه وسلموا له قصبات السبق فى ميدانه وله مزايا أخرى نادرة منها فراسته التى أقدره الله بها على تأويل الرؤيا فكان لا يعبّر شيئا منها الّا جاء كفلق الصبح. والحاصل فيه أن الله تبارك وتعالى قد جمع فيه من صنوف الفضل حتى صدق عليه قول الشاعر:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا   لدى المجد حتى عد ألف بواحد

كان حربا عواناً على الشيعة فألف كتبا قيمة فى الرد على عقائد الشيعة المنحرفة وأزاح عن عقائدهم الباطلة بالدلائل المفحمة التى لم تستطع طوائف الشيعة الردّ عليه وإبطال حجته ودحض دلائلة مع شدّة حرصهم على ذلك لإرساء قواعد الشيعة فى نفوس الشعب المسلم فى

الهند لأن زمام الحكومة كان فى أيدى الشيعة وقتئذ وكانوا يجبرون السنّيّين على اعتناق عقائد الشيعة بالإغراء تارة وبالتهديد تارة أخرى وبالايذاء وصب جبال الظلم والمصائب تارة ثالثة.

كان محدّثا بارعا ومفسرا كبيرا وأصوليّا عظيما ترك ثروة ضخمة للكتب النافعة (١) توفى رحمه الله فى سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف منا الهجرة بعد صلاة الفجر يوم الأحد لسبع خلون من شهر شوال بدهلى (٢)

شعره: كان الشاعر عبدالعزيز الدهلوى نسيج وحده فى النظم والنثر وقوة التحرير و غزارة الإملاء وجزالة التعبير وكلامه عفو الساعة وفيض القريحة ومسارعة القلم ومسابقة اليد.

نقدّم بعض النماذج لكلامه المنثور الّذى يدلّ على اقتداره على الكتابة باللغة العربية والتعبير البليغ للأحاسيس الّتى تجيش فى صدره.

يقول فى رسالته إلى الأمير حيدر بن نور الحسين البلكرامى: (٣)

"سألتم عن حال هذا المحب فهو فى سقم واصب ليلا ونهارا وكرب يزعجه سرّا وجهارا وقرار زائل وقلق حاصل وذلك لإجتماع أمراض، كل منها بانفراده يكفى لإزعاج الرجل وإكماده، منها: قبض البواسير واحتباس الرياح فى المعدة والأمعاء، ومنها فقد ان الإشتهاء إلى حد.

أياما وليالى لا يذوق طعم الغذاء ومنها صعود الأبخرة إلى القلب فيحاكى حالة الانزهاق والاختناق وربما تصعدإلى الدماغ فتحدث شقيقة ثاقبة وصداعا لذاعا كأنها ضربات الدقاق وإلى الله المشتكى

(١) مؤلفاته: توجد مؤلفات الشيخ عبدالعزيز النادرة باللغة الفارسية منها: تحفه اثنا عشريه، بستان المحدثين وفتح العزيز تفسير القرآن الكريم وعجالة نافعة.

(٢) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٢٩٧/٧، اليانع الجنى، آثار الصناديد ٢/ ٥٥ والكتب المؤلفة فى ترجمة الشيخ الشاه ولى الله الدهلوى وقد سبقت الإشارة إليها فى الأوراق السالفة.

(٣) الإعلام: ٣٠٠/٧

وهو المستعان، فهذه لا يسع النطق ببنت شفة فضلا عن إملاء كتاب أو إنشاء صحيفة خطاب"ونقدّم رسالته الأخرى كنموذج لكتابته المنثورة:

"وبعد فقد وصل إلينا كتابكم مرة بعد أخرى و كرّة بعد الأولى وكان فيه عدم الشفاء الكلى لقرة عينى فلانّه وهذا مما شوش خواطرى ندعو الله سبحانه أن يشفيها عاجلا كاملا، معلوم أنّ إخوانكم كلهم فيهم مادة سوء القنية كانت تغلبهم فى أيام الصبا فلما كبروا زالت عنهم وما عرضت لأحد منهم الا وقد أوصيت أن يمشى بين اثنين ويهادى بين الرجلين يستحلل المادة المترهلة ونزول الأخلاط المورمة وهذا التدبير كثيرا ما يقع مفيد او فائدة بينة عاجلة ينبغى أن يراعى هذا الأمر حيثما أمكن وأينما يتصور والله هو الشافى ويقرأ عنى السلام أخوانكم كلهم ووالدتكم الماجدة وخواجه محمد أمين ويقرأ الشيخ محمد أمير بعد السلام أن فى قدم والدكم نشبت شوكة تورّمت بها القدم وتقيحت حتى احتاجت الى الشق فشقت ولم تبرأ بعد فهو منتظر لقدومك فان أمكن فهو الأولى (١)

أمامنا بعض الأبيات فى المدح والوصف للشيخ الدهلوى التى تدل على حسن اختياره للألفاظ وإيثار التراكيب المأنوسة على الكلمات الغريبة التى تأباها الفطرة السليمة الأذواق الرفيعة.

فإنه قال عدة أبيات فى تقريظ المناقب الحيدرية للشيخ أحمد بن محمد اليمنى (٢)

رأيت وريقات تدل بنشرها   على فضل تحرير اليه يسنّد
وممدوحه فى ذلك الطرس حيدر   سمّى أمير المؤمنين المؤيّد
ولا غرو إن فاه الكرام بمدحه   اذا الفضل محمود ومنشيه أحمد

(١) آثار الصناديد: ٥٨/٢   (٢) آثار الصناديد: ٥٨/٢-٥٩

له قدم فى النثر عالٍ وإن أبوا   عليه براهين البراعة تشهد
وفى نظمه لطف وحسن سلاسة   يذل لديه كُلّ نظم ويحسد
فدام على مرّ الدهور علاؤه   يزيد على الأكياس طرّا و يزيد

وقال عدة أبيات فى وصف دهلى عاصمة الهند (١)

يا من يسائل عن دهلى ورفعتها   على البلاد وما حازته من شرف
ان البلاد إماء وهى سيّدة   وأنّها درّة والكل كالصدف
فاقت بلاد الورىٰ عزا ومنقبة   غير الحجاز وغير القدس والنجف
سكانها خير أهل الأرض قاطبة   خلقا وخلقا بلا عجب ولاصلف
فيها مدارس لوطاف البصير بها   لم تنفتح عينه الاعلى الصحف
كم مسجد زخرفت فيها منارته   لوقابلته شموس الضحو تنكسف
لاغرو ان زينت الدنيا بزينتها   كم من أب قد علا بابن ذوى شرف
وماء جون جرى من تحتها فحكى   أنهار خلد جرت فى أسفل الغرف

أما قصيدته الميمية فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فتمتاز بصدق اللهجة والخلو عن التعقيد والألفاظ الحوشية والبعد عن سخف القول وهجر الحديث والهمجية، والحب العميق للرسول صلى الله عليه وسلم.

بدأ الشاعر قصيدته بالتشبيب سالكا مسلك القدماء فى الشعر العربى فقال:

ألا يا عاذلى دم فى ملامى   فانّى لا أحول عن الغرام
فجفنى ساهر مادمت حيا   وقلبى هائم والدمع هام
فيا ريح الصبا عطفا ورفقا   إلى ذاك الحمى بلّغ سلامى
وقل يا أهل ودّى فى هواكم   مضى شهرى وأيّامى وعامى

(١) آثار الصناديد: ٥٩/٢ - ٦٠

وصرت ببعدكم كالعود جسمي   عـلـى نـار ودمعى فـى انسجام

إلام تـظـاهـرون عـلـى كـئيب   كسيـر الـقـلـب صبّ مستهـام

إلام الهـجـر والإعـراض عـنـى   وحتـام التـمـادى فـى الـخـصـام

غـرامـى ثـابـت غـض طـرى   وحبـكـم عـلـى طـرف الثمـام

نسيتم عهـد كـم يـا أهـل ودّى   كـأنّـا مـا التقينـا فـى مـقـام

فـان عـدتـم لـوصـل والتئـام   فـأهـلا بـالـعـنـاق وبـالـلـزام

أبيات التشبيب احتوت على انطباعات قلبية وأحاسيس صادقة وصارت خير سلّم للمديح النبوى واستغرق السلم نصف القصيدة المحتوية على الحب والغرام اللذين أثرا على القلب وصار يهيم وأثرا على العين فصارت تسكب الدموع لكى تجمد وأثرا على الجفن فصمّم على أن لاينام طول الدهر ومضى الشهر والعام والأيام فى هوى أهل الود حتى صارت الحياة منغّضة مليئة بالأوزار والآلام والآمال والمصائب والعقبات والعوائق واللوعة والشدائد.

بعد هذه الكلمات التمهيدية أقبل الشاعر على مدح الرسول ﷺ بقوله:

وإن جـرتـم عـلـى فـلـى غيـاث   بـبـاب الـمـصـطـفـى خيـر الانـام

تـوجـهـى ولـه استـنـادى   وفيـه مـطـامـعـى وبـه اعتصـامـى

أجـرنـى سيـدى من ضيـم سقـم   أشـد عـلـى من وقـع الـحسـام

صبـرت عليـه حتى عيل صبرى   وكـاد يـذيقـنـى طـعـم الـحـمـام

فـمـدحك رقيتى وشفـاء دائى   اذا مـا خـضـت فـى لـجـج السقـام

مـواهبك التـى لا نـقـص فيهـا   بهـا ربيـت مـن قبـل الـفـطـام

فمـن لـى بـعـد مـا وهنت عظامى   اذا اشتـد الـبـلاء سـواك حـامـى

وان أك ظـالـمـا عـظـمـت ذنوبى   فـحبك سيـدى مـا حـى الأثـام

فـقـد أعـطيـت مـالـم يـعـط خلق   عليك صــــلاة ربك بـالسلام

مدح الشاعر رسول الأنام صلى الله عليه وسلم بألفاظ موجزة واقتصر على بيتين فى المدح، والبيتان الموجزان يلقيان الضوء على شمائل الرسول كلها الّتى جاءت مفسّرة مبينة فى كتب السيرة والشمائل والخصائص. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ربّاه الله تعالى وأدّبه أحسن تأديب وأخير تربية قبل الفطام وبعده وأعطاه الله من العلم والمعرفة والخلق العظيم مالم يعط خلق. فقال:

مـواهبك التـى لا نـقـص فيهـا   بهـا ربيـت مـن قبـل الـفـطـام

فـقـد أعـطيـت مـالـم يـعـط خلق   عليك صــــلاة ربك والسلام

فى هذه القصيدة جاءت بعض الكلمات الّتى لا يجوز استعمالها للمخلوق. ولو كان نبيا. كقول الشاعر:

وان جرتم على فلى غياث بباب المصطفى خير الأنام

ومن المعلوم أن دعاء الأنبياء والأولياء والإستغاثة بهم والنذر لهم ونحو ذلك من الأعمال لا يجوز إلا لله تعالى.

وللشاعر تخميس على قصيدتى والده الشاه ولى الله الدهلوى الهمزية والبائية.

والتخميس على القصيدة ليس بأمر هين، بل هذا يتطلب مواهب باهرة وقدرة علمية أدبية كبيرة وقد كان الشاه عبدالعزيز من المتضلّعين باللغة العربية نثرا وشعرا فى العصر الذى كانت اللغة الفارسية الرسمية للبلاد وكان جلّ همّ العلماء والكتّاب التمهّر فى اللغة الفارسية الرسمية لأغراض يطول شرحه. كان الشيخ كثير الاطّلاع على دواوين الشعراء القدامى قوى الإلمام بأساليب الشعر ومحاسنه ومعائبه، موفقا فى اختيار الكلمات الملائمة والألفاظ الرشيقة والمعانى الدقيقة والتعبيرات المأنوسة والأساليب الجزلة الّتى تضفى على القصيدة رونقا وبهاءً.

يبتدئ التخميس بقوله

أيا من دام شغلا بالثناء ووصفا بالضياء وبالبهاء
ولا تغررك أضواء السماء إذا أخبرت يوما عن ضياء
فلا تلهج ببدر أو ذكاء

ثم يقول

أبانت برق يثرب لى حدوداً وجلّت عند أحداقى خدوداً
ونار الشوق قد زادت وقوداً أرى طيفا يذكرنى عهوداً
لطيبة حيث مجتمع الرجاء

ثم يقول:

نسيم الصبح لم يهبب بفوح ولا أسلو بأشجار وروح
ولا كربى يزائلنى بنوح فهل من مشترٍ روح بروح
يروّحنى بوعد من لقاء

وكيف تطيق أن تسلى حزينا يبيت يصيح أو يبكى حنينا
ولم يألف لوحشته قرينا بحبّ الحبّ قد أمسى رهينا
فما بال الحدائق والفضاء

هداك الله عن سبل الضلال وعن سرد الكواذب فى المقال
فلا تمدح خيالات الرجال وان لا بدّ تمدح ذا معال
فحسبك مدح خير الانبياء

سجاياه وإن شاعت وذاعت وفاقت كل مكرمة وراعت
فلا تحسبه نفسا قد أطاعت ولكن الحقائق قد تداعت
ممثلة أمام الأتقياء

وفى المعراج آيات وبشرى اذا استخلى له الأفق المعلى
فناجاه وقرّبه وأدنى وفى أمر الشفاعة حين يدعى

لها من بعد عذر الأنبياء

به نور الرسالة قد تلالأ وصوب الفضل منه قد توالى
تراه على الشفاعة إذ تمالا كأنبوب برحمته تعالى
وما الأنبوب إلّا قبس ماء

قد أطلت فى نقل الأبيات وما بعثنى على هذا إلّا رشاقة الأسلوب ومتانة السبك وجزالة المعانى وروعة البيان الّتى امتزجت بلحمة الأبيات وسُداها فى غير كلف وصنعة.

اما تخمسيه على قصيدة الشاه ولى الله الدهلوى البائية فيبتدئ بقوله:

غمومى نديمى والبلاء مصاحبى وسقمى كآسى والمنايا مشاربى
تشابه من فوقى وتحتى مصائبى كأن نجوما أومضت فى الغياهب
عيون الأفاعى أو رءوس الأقارب

ثم يقول:

فلم يبق لى فى الجسم عظم ورمة ولا فى احتمال الصبر عزم وهمة
ولا من خليل فيه عهد وذمّه اذا ما أتتنى أزمه مدلهمة
تحيط بنفسى من جميع جوانب

ثم يقول:

لقد عمّ أصناف الخلائق رفقه وتمّ على الأفلاك والرسل حقه
نبى كريم باسم الوجه طلقه ومن أخبروا عنه بأن ليس خلقه
بفظ وفى الأسواق ليس بصاحب

ثم يقول:

فأيده الأملاك حتى سباهم ومنّ عليهم راضيا بفداهم
ولم ينتقم منهم ولكن عفاهم فما زال يدعو ربه لهداهم
وإن كان قد قاسى أشدّ المتاعب

ثم يقول:

رأى فى طباق الأرض آثار ربّه　　وعاين فى الأفلاك أسرار ربّه

وأدرك فوق السبع أقدار ربّه　　وشاهد فوق الفوق أنوار ربّه

كمثل فراش وافر متراكب

وفى الأخير يقول:

ولورام كل الخلق مدحا جنابه　　لما بلغوا مقداره ونصابه

فلا غرو من صبّ إذا العىّ نابه　　وليس ملوماً عىّ صَبّ أصابه

غليل الهوى فى الأكرمين الأطائب

أساس التخميس ولبناته تفوح منها رائحة الفصاحة والبلاغة وقد وفق الشاعر فى اختيار الألفاظ الّتى تلائم لتعبير المعانى الدقيقة فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم خلقا وخُلقا والمعجزات الّتى صدرت منه والمجهودات الّتى بذلها الرسول فى بث الدعوة الاسلامية فى بيئة مظلمة فى أحلك الظروف وأحرج الأوقات. فانه شيّد صرح التوحيد وأعلى منار العلم وأوضح منهاج الهدى وحدّث عما يكون وأبطل تقاليد الجاهلية وجلّى سخافتها وأدنى عباد الله من الله ولقّن الناس الرشد والسداد وحذّرهم عن الدمار والشرك وبشر الّذين أعطى الرسول قيادهم بجنّات تنعيم وحور كواعب وأنذر الّذين لا يرعون بالوعظ عن سوء كسبهم ولا يهتمون صلاح أحوالهم وقلوبهم، من النار ووخامة العاقبة.

المفتى إلٰهى بخش الكاندهلوى

١١٦٢هـ - ١٢٤٥هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ الفاضل العلّامه إلٰهى بخش بن شيخ الاسلام بن قطب الدين بن عبد القادر الحنفى الصديقى الكاندهلوى سنة اثنتين وستّين ومائة وألف (١١٦٢هـ) من الهجرة النبوية بقرية كاندهله على بعد ست وثلاثين ميلا من دهلى ونشأ فى مهد جدّه لأمه الشيخ محمد المدرس الكاندهلوى وقرأ الرسائل المختصرة على والده وتعلم الخطّ والحساب منه ثم سافر إلى دهلى وقرأ العلم على الشيخ عبدالعزيز بن ولى الله العمرى الدهلوى ولازمه مدّة وبايعه وأخذ الطبّ عن والده وجدّه ثم استقدمه نواب ضابطه خان وولّاه الإفتاء فاستقلّ به زمانا ولما توفى ضابطه خان رحل إلى بوفال وولى الإفتاء بها فاستقام عليه مدّة ثم رجع إلى بلدته.

والشيخ إلٰهى بحش الكاندهلوى هو من أجداد الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى الدهلوى والعلّامة المحدث محمد زكريا بن يحى الكاندهلوى لأمهما، وقد توفى الشيخ إلٰهى بخش بعد ما ترك لنا مؤلفات قيمة (١) فى سنة خمس وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٥هـ) بكاندهله- (٢)

شعره: عثرنا على عدّة أبيات للشيخ إلٰهى بخش الكاندهلوى نقدمها للقراء:

(١) الملهمات الأحمدية، جوامع الكلم، شيم الحبيب فى ذكر خصائل الحبيب، شرح حضرات الخمس، تكملة المثنوى المعنوى.

(٢) إعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٧/٨٢-٨١

يا شفيع العباد خذ بيدى   أنت فى الاضطرار معتمدى
ليس لى سواك، أغث   مسنى الضرّ سيدى سندى
ليس لى طاعة ولا عمل   بيد حبّك فهو لى عتدى
يا ليتنى كنت تراب طيبتكم   فالتمثت النعال ذاك قدى
فأصلى عليك بالتسليم   متحفا عند حضرة الصمد
وعلى الآل كلهم أبدا   بالغًا عند منتهى الأمد

نجد فى هذا المديح عدّة أبيات تخل بالعقيدة الإسلامية التى تدّل عليه السنة والقرآن الكريم، كقول الشاعر:

يا شفيع العباد خذ بيدى   أنت فى الاضطرار معتمدى
ليس لى سواك، أغث   مسنى الضرّ سيدى سندى

الإستغاثة لا تجوز إلّا بالله العزيز الحميد الّذى له ملك السماوات والأرض، وفى الأبيات السالفة يستغيث الشاعر بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهذا لايجوز.

الشيخ ضياء الدين المدراسى

۰۰۰۰ - ۱۲۵۱هـ

نشأته وحياته:

الشيخ الفاضل الكبير ضياء الدين بن نعيم الدين العمرى المالوى أحد العلماء المبرزين فى الهيئة والهندسة والشعر والتصوف وغيرها أخذ الطريقة عن الشيخ أبى الليث بن أبى سعيد الشريف الحسنى البريلوى واستفاض عن الشيخ رء وف أحمد الأحمدى الرامفورى.

مات لست خلون من محرم سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف من الهجرة. (١)

شعره: دراسة المديح النبوىّ للشيخ ضياء الدين المدراسى توصلنا الى هذه النتيجة بأن الشاعر متضلع من اللغة العربية وهو شاعر مطبوع يستخدم الألفاظ والتراكيب حسب ما تملى عليه قريحته الشعرية. وأسلوب القصيدة سهل رائع يأخذ بمجامع القلوب وتترنح له الأعطاف.

بدأ الشاعر قصيدته الدالية بقوله:

محمد المحمود خير مهاجر   به حسن الحسنى به سعد السعد
به ختم النبيين كلهم   إلى الخلق لا ياتى نبى له بعد
كما لاته جلت عن الحصر جملة   فما سدّها حد ولا جمع العد
واعجازه القرآن مازال نقطة   ولا خف مشدود ولا قصر المد
ولا يمكن الاتيان منا بمثله   فويل لمن يشقى عن الدين يرتد

وبعد تلك الأبيات يشير الشاعر إلى مكانته العليا ودرجته الرفيعة

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٢٤٩/٧.

فيقول:

وسلمت الأنعام والطيور والحصى ... عليه كذا الأشجار والحجر الصلد
وصلّى بجمع الأنبياء لفضلهم ... فسار إلى الأفلاك والشوق يشتد
له فتحوا الأبواب ينتظرونه ... تزين كل والثريا له القصر
دعاه الله الخلق يطلب قربه ... دنا منه شوقا والسرادق منقد
فذاك مقام فاق كلّا شرافة ... فما ناله حرّ ولا رامه عبد
رأى النار والجنّات كلا بعينه ... بكل عجيب فى العوالم يعتد

الشيخ أمين الدين الكاكوروى

١١٦٤هـ - ١٢٥٣هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ العالم الكبير المحدث أمين الدين بن حميد الدين بن غازى الدين بن محمد غوث الكاكوروى أحد الرجال المشهورين فى العلم والمعرفة لتسع عشرة خلون من ربيع الثانى سنة أربع وستين ومائة وألف من الهجــــرة النبوية بكاكورى ونشأ بها، وقرأ النحو والصرف وبعض رسائل المنطق ومختصر المعانى والفرائض الشريفية وخلاصة الحساب على والده حميد الدين، وقرأ شرح الشمسية وشرح التهذيب للدوانى مع حاشيته لليزدى وشرح العقائد على صنوه الكبير القاضى نجم الدين ثم سافر إلى شاهجهان فور وقرأ منار الأصول وشرح السلّم للعلاّمة عبدالعلى اللكنوى على العلاّمة المذكور وصاحبه إمام بخش ثم رجع إلى بلدته وسار نحو سنديله وقرأ شرح السلم للقاضى مبارك والمطول ومير زاهد رساله ومير زاهد مُلا جلال وهداية الفقه على الشيخ محمد أعظم السنديلوى وقرأ شرح السلم لحمد الله والتوضيح مع حاشية التلويح وشرح هداية الحكمة للشيرازى والشمس البازغة على حيدر على بن حمد الله وبعد ذلك قرأ على صنوه نجم الدين تحرير الأقليدس وشرح الچغمينى ثم سافر إلى سورت وأدرك بها الشيخ أبا سعيد بن محمد ضياء الشريف الحسنى البريلوى فسافر معه إلى الحرمين الشريفين ووصل الى مكة المباركة لليلتين بقيتا من ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائة وألف فحج، ثم سافر إلى المدينة المنورة وأقام بها ستة أشهر وادرك بها الشيخ أبا الحسن بن محمد صادق السندى فقرأ عليه

مقدمة ابن الصلاح وصحيح البخارى والمصابيح وأجازه الشيخ المذكور إجازه عامّة وأعطاه ثبته ولما مات الشيخ أبو الحسن المذكور لخمس بقين من رمضان قرأ على الشيخ محمد سعيد صقر شطراً من سنن أبى داؤد وسنن ابن ماجه ثمّ رجع إلى مكة المباركة وقرأ الجزرية على ميرداد المكّى ثم سافر إلى الطائف وأقام بها زمانا ثم رجع إلى الهند ودرّس وأفاد أخذ عنه جمع كثير من العلماء.

توفى لثمان بقين من محرم سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف (١٢٥٣هـ) بكاكورى ودفن عن والده. (١)

شعره: له عدّة أبيات فى المديح النبوى نقدمها للدارسين وهى كما تلى:

سبحان ربّى قد وصلت بطيبه … بعد اشتياقى أن أزور بتربة
لأحمد المختار أرسل خاتما … للأنبياء نحو البرية كافّة
قد زرت أرجو أن أكون مشفّعاً … عند الغنى ذى الاقتدار و رفعة
إذ جاء فى الأخبار قال لزائر … من زار قبرى وجبت بشفاعتى

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٧/٩٦–٩٥

الشيخ نصير الدين الدهلوى

٠٠٠٠ – ١٢٦٦هـ

نشأته وحياته:

الشيخ العالم الكبير المجاهد نصير الدين بن نجم الدين الحسينى السونى بتى الدهلوى، كان من نسل الإمام ناصر الدين الحسينى السونى بتى من جهة الأب وأما من جهة الأم فكان سبط الشيخ رفيع الدين بن ولى الله العمرى الدهلوى ولد ونشأ بمدينة دهلى وقرأ على الشيخ إسحاق بن محمد أفضل العمرى الدهلوى وعلى غيره من العلماء وتزوج بابنة الشيخ إسحاق، ثم أخذ الطريقة عن الشيخ محمد آفاق العمرى النقشبندى ولازمه مدة وهاجر عام ١٢٥٠هـ مع ركب عظيم من المجاهدين وأقام بالسند مدة ثم وصل إلى "ستهانه: مركز المجاهدين من أصحاب السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد واختاره أميراً وبايعوه على الجهاد، كان رحمه الله صاحب همة عالية ونفس قوية، كثير الدعاء آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر محييا للسنة.

توفى فى نحو سنة ست وخمسين ومائتين وألف (١)

شعره: للشاعر قصيدة نونية فى المديح النبوى نقدم منها الأبيات التالية:

حبيب الله خير الخلق طراً … كدرّ الوسط فى عقد الجمان
عزيز ذو المكارم والمعالى … رفيع القدر مرتفع المكان
له قلب كمصباح منير … وللقرآن سيرته معانى
أمين صادق فى كلّ أمر … كريم مكرم فى كل شان
إمام الخلق من شرف وجود … شفيع الناس فى بر وجان

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٧/٥٥١

الشيخ فيض أحمد البدايونى

١٢٢٣هـ - ١٢٧٤هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ الفاضل فيض أحمد بن غلام أحمد بن شمس الدين بن محمد على العثمانى الأسدى البدايونى، أحد الفضلاء المشهورين فى عصره سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف بمدينة بدايون وقرأ العلم على خاله فضل رسول بن عبدالمجيد البدايونى، وولّى الانشاء ببلدة إله آباد وأخذ عنه السروليم مور حاكم الولاية الشمالية المتحدة.

كان من المؤلفين الكبار (١) توفى سنة أربع وسبعين ومائتين وألف (٢)

شعره: عثرنا على قصيدته اللامية القصيرة فى المديح النبوى، منها الابيات الآتية

ملك الورى بكماله وهب الهدى لرجاله	سمح العلى لعياله قطر الندى بنواله
برع العوالم كلها ملك المكارم كلها	جمع المحاسن جمعها بجماله وجلاله
خرق الحجاب فلا هناك حاجب وممانع	شرب الكؤس على الكؤس مسرة بوصاله
بلغ الأقاصى والآدانى رشح بحرفيوضه	أسف على أسف على متكبر وضلاله

(١) من مؤلفاته بالعربية: حاشية على شرح هداية الحكمة للشيرازى وحاشية على كتاب الفارابى.

(٢) الاعلام: ٤١٩/٧

الشيخ فضل حق الخير آبادى

١٢١٢هـ - ١٢٧٨هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ فضل حق بن فضل إمام بن محمد أرشد فى قرية خير آباد بمديرية سيتا فور فى الولاية الشمالية بالهند سنة ١٢١٢هـ - ١٧٩٧م فى أسرة علمية عريقة فى الفضل. فكان والده الشيخ فضل إمام الخير آبادى من نبغاء الدهرانفرد بالإمامة فى صناعة الميزان والحكمة فى عصره ولم ينازعه فى ذلك أحد من نُظرائه (١)

قرأ الكتب الدراسية على والده وتفنن عليه فى الفضائل وأخذ الحديث عن الشيخ عبدالقادر ابن ولى الله الدهلوى. (٢)

كان أحد العلماء المبرزين فى العلوم والفنون فكانت جماعة من الطلاب تفد اليه من أقصى أرجاء الهند للاستفادة فدرّس وأفاد وأجاد وقد انتفع به طلبة العلم فى العلوم الحكمية والعلوم العربية.

وقد شهد بنبوغه أحد العلماء المشهورين النواب صديق حسن خان القنوجى بقوله:

انه كان إمام وقته فى العلوم الحكمية والفلسفية بلا مدافع غير أنه وقع فى أهل الحق ونال منهم على تعصب منه وكان السبب فى ذلك قلة

(١) توفى الشيخ فضل إمام الخير آبادى سنة ١٢٤٣هـ، ومن مؤلفاته: المرقاة فى المنطق وتلخيص الشفاء للشيخ الرئيس، حاشية على مير زاهد رساله، وحاشية على مير زاهد ملا جلال، نزهة الخواطر ٤١٢/٧

(٢) كان الشيخ عبدالقادر أحد العلماء المبرزين فى المعارف الإلهية وكان يتمتع بالجمع بين العلم والعمل والزّهد والتواضع وحسن السلوك ومن أعظم مآثره ترجمته للقرآن الكريم باسم موضح القرآن، توفى سنة ١٢٣٠ من الهجرة بدهلى. الإعلام ٣٢٦/٧.

الخبرة منه بعلوم السلف وطريقتهم فى الدين واتباعهم للادلة الواردة من سيّد المرسلين مع ميل الى البدع، قد رأيت فضل حق بدهلى فى زمان الطلب وهو كهل فى المسجد الجامع وقد أتى هناك لصلاة الجمعة وزيّه زيّ الأمراء دون العلماء. (١)

كان والده الشيخ فضل حق مؤظّفا فى الدولة الانجلزية بدهلى فتوظف فضل حق بدهلى فى ديوان الإنشاء، ثم اتهم بالخروج على الدولة الانجلزية فقبض عليه ونفته الحكومة الانجلزية بعد إخفاق الثورة الهندية سنة ١٨٥٧م ببضعة أشهر الى جزيرة انديمان الموبوءة فى خليج البنغال جنوبى ميناء كلكتا الشهير.

قد من الله عليه إذ أودع فيه مؤهّلات وخصائص جعلته من عباقرة الرجال الذين قلما يجود الزمان بأمثالهم، فقد حفظ القرآن الكريم فى أربعة أشهر فقط وقرأ فاتحة الفراغ وله ثلاث عشرة سنة وفاق أهل عصره فى الجدل والميزان والحكمة واللغة والشعر وما إلى ذلك من العلوم الأخرى.

ألّف العلامة فضل حق كتبا عديدة (٢) مفيدة وممتعة وترك لنا ثروة علمية ضخمة فى علم الخلاف والجدل والحكمة واللغة ومن منن الله عليه أنه وفق للكتابة باللغة العربية فإن معظم إنتاجه يوجد بلغة الضاد وقد كان المعاصرون له من أبناء الهند المبرزين يكتبون باللغة الفارسية أو الأردية، ويظهر من مؤلفاته أنه كان رجل العصر فى الفطنة والذكاء.

(١) أبجد العلوم: ٣٤٥/٣

(٢) مؤلفاته: الجنس الغالى فى شرح الجوهر العالى، والهدية السعيدية فى الحكمة الطبيعية والروض المجود فى حقيقة الوجود وحاشية على تلخيص الشفاء وحاشية على الأفق المبين للسيد باقر داماد وحاشية على شرح السلم للقاضى ورسالة فى تحقيق العلم والمعلوم ورسالة فى تحقيق الأجسام ورسالة فى تحقيق الكلى الطبعى ورسالة فى التشكيك وفى الماهيات وتاريخ الثورة الهندية ورسائل فى الردّ على الشيخ إسماعيل الشهيد الدهلوى فى إثبات امتناع نظير النبى صلى الله عليه وسلم.

توفى رحمه الله فى المنفى لا ثنتى عشرة خلون من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف ١٢٧٨هـ - ١٨٦١م ودفن بها، وحيداً بعيداً عن أحبابه وخلّانه وذويه وأقرانه، ولله الأمر من قبل ومن بعد. (١)

شعره: كان العلامة فضل حق الخيرآبادى من المتضلعين باللغة العربية كتابة وخطابة وكان له شغف شديد باللغة العربية وإيثاره اللغة العربية فى التأليف على اللغات الأخرى لأكبر دليل على حبه العميق للغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية. ومعظم إنتاجه المنثور والمنظوم باللغة العربية يدل على علو كعبه وامتلاكه ناصية اللغة العربية

كلامه المنثور والمنظوم يغلب عليه أسلوب الحريرى (٢) من المبالغة فى الصنعة والإفراط فى تدبيج اللفظ والتفريط فى جانب المعنى كما سيطر عليه حب الطباق والجناس والمحسنات البديعية ونقدم هنا نموذجاً من نثره المقفىّ المسجوع ليقف القارئ على كلامه المنثور المحتوى على السجع والصناعة اللفظية والنوارد اللغوية، يقول:

" أما بعد فان الدنيا دار غرور ما لها قرور بل قرورها مرور وظلها حرور ولا يوازى همومها سرورها ولا يوازن خيورها شرورها ولا تتكافأ معافاتها وآفاتها ولا تتأوى أفراحها وأتراحها ولا محنها وراحتها ولا يتلا فى سمومها نعيمها ولا سمومها نسيمها ولا ضنكها رضاءها ولا

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٤١٢/٧، آثار الصناديد ٩٥/٢ عربى علوم وفنون كى ممتاز علماء: ص ٢١، وحدائق الحنفية: ص ٤٨٠، تذكرة المصنفين: ص ٨٩، وحكماء اسلام ٣٣١/٢ وابجد العلوم ٢٤٥/٣، الأعلام للزركلى، ٢٢٢/٧، وكحالة: ١٩٩/١١ وسركيس ص: ٨٥٣، والآداب العربية فى الهند: ص ٤٥١، وحركة التاليف باللغة العربية ص ٢٠٦، مجلة البعث الإسلامى ص ٦٧، شوال ١٤١٦هـ فبراير مارس ١٩٩٦م.

(٢) هو محمد بن القاسم بن على البصرى (٤٤٦ - ٥١٦هـ) عربى من بنى حرام ولد بقرية يقال لها المشان ونشأ بالبصرة وتخرج على فضلائها وكان فى أول أمره يبيع الحرير أو يصنعه فلقب بالحريرى، وصرفه عن ذلك شغفه بالعلم حتى برع فيه وسمت منزلته واستطارت شهرته فى وقوفه على أساليب العرب.

زعزعها رخائها، ترياقها ثمالها ونقصانها كمال عاقبة عافيتها أوصاب وحلواها وسلواها علاقم أوضاب، أولها حبور وآخرها ثبور وصفائها غبار وبقاء ها عبور وأهلها بور وقصورهم قبور وكل من غمر فيها مرموس وكل من عمّر فيها مطموس وكل من الورى وإن ثرى فإن مصيره إلى الثرى، مباديها آمال ومنى وعواقبها آجال ومنى، ما فيها من صفوعيش الا ويكدّره نوازل الأحداث وما عليها من ذى نفس ونفس إلا ومبواه منازل الأجداث، ألا إن البقياء مستحيلة فإن الدنيا مستحيلة، لا يغنى عن حوالها وتغير أحوالها حيلة، فصبا وشباب وشيبة وتباب وأتراف وأتراب ولهو واتراب ثم فقروا ترابشم قفروتراب يتمتعون ثم يمنون ويمنعون، فكل ما يمنّون به أنفسهم منون وكل ما يظنون يزيحه اليقين وريب المنون فانما للمنون ما يمنون وللخراب ما يبنون وللترك أموالهم والبنون، لا يغنى فائقا عند فواقفه بنفسه فواق، ولا يقيه عن فراقه أبناء أنسه وإنشاء جنه واق، ولا يجديه عند بُلوغ التراق وحضور القابض والراق آس ولا راق، لا يفيد المرء عند صمامه حميم ولا يزيد العمر عند تمامه تميم، والناس لأجل الأمل للأجل ناسون ولعلل يواسون حولا يرقون أو يأسون ثم عند الناس ماسون ثم لايقاس ما يقاسون مائلون فيالمون ولا يعلمون فسوف يعلمون. أرى الموت لقيام الكرام ويخص الخاصة بالاخترام، فكم اغتال مثبلا وعدلا يعقب عديلا وكريما بدلا لم تخلف بديلا، سنة الله الّتى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا. كلا بل السّامة طامة عامة، طامة للعامة والسامة ، بل لا تذر هامّة وهامة، كل من عليها فان، فما لبنات من ثبات ولا لحيوان من دوام ولا تابيد لأوابد بل ليست الخوالد بخوالد فما نشأ مثنى الاهوى وما أنشئ بناء الاخوى وما زهر نجم إلاهوى وما نجم زهر إلا ذوى ولمّا لم تدم

بسائط العناصر على حال بل لا يزال يستحيل بعضها بعضا كالنار هواء والهواء ماءً والماءُ أرضا فالمركبات الّتى منها تخلق البلى والخلوقة أخلق وأسرعها إلى البواد ما اتفق اجتماعه من ما اختلف من المواد وأقربه إلى الفناء ما خص بالنفس الداهية المجرّدة السنية والبنية الواهية المطردة الدنيئة فالنفس متطلّعة إلى الانسلال والبنية متسرّعة إلى الانحلال فلا بد له من الهد والا ضمحلال، وما له بالاحتيال عن الاغتيال محيص ومحيد. فلن يجد عندما يفيد وما يفيد ولن يقيه ما يتردّى اذ يتردى فاذا جاء ه الردى لن يستطيع له ردّا، فالقضاء حكم حتم لا يحوله حول وحزم فانما سمى الموت يقينا لأنه حق جزم فليس أمره لبشر مقدورا وإنما هو أمر الله، وكان أمر الله قدرا مقدورا، بل ما من صفو أو تكدير أو قدر أو تقدير إلّا وهو بتقدير عزيز قدير لا بتدبير وتقدير. وإنما القضاء لا يرد فالرضاء به أردؤ الإنسان كما قال عز من قائل "خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا" لكنه سبحانه خص خواص عباده بالاستثناء وكرمهم بذكرهم فى أثناء آيات كلامه بالإثناء وأعد حسن الجزاء بإزاء حسن المعزاء ووعد الأجر الجزيل من أضاء الصبر الجميل وأصاب من أناب إليه وتاب عند خطب ناب فما أصاب من جزع بما أصاب فمن نحب نحبا لن يعفى نحبا ولن يدفع نحبا ومن تجمل بالاصطبار وتحمل عند الإختبار وتأسّى بالاعتبار فقد قاسى بكبار الاختيار فى حسن الاختيار، والجزع ينقلب عجزا وزعجا والصبر يستوجب فرحا ويعلى درجا، ومن قاسى و بالا وبيلا لم يجد سوى التجلد سبيلا، ومن لم يستطع جلدا عندما كابد كبدا لم يفلح أبداً فاصبر صبراً جميلا وإن كان رزء أصابك جليلا، فان الوالد إذا ترك مولوده لا يترك له مجلود، واذا لم أزل مذ أنبئت بمنعاته أتلهّف على

مسعاته و ندبنى خبر وفاته إلى أن أند به بصفاته، فبا لله أى خير ذهب به الوفاة وأى خير ذهب وفات وأىّ بارّ باووا وأى سار ساروا وأى ضار ضاروا. فقد كان من الثقات الأثبات والدّهاة الهراة يعامل بالمصافات ويجامل بالمواساة، ويتعدّى عن التعدّى والمعاداة، متعوّدا بأحسن العادات متردّدا بالالتفات والسعادات مواظبا على العبادات والباقيات الصالحات. فلو أباح الشارع بالتوجع والتضجع مكروبا كان الندب إلى ندب مثل ذلك الندب المندوب مندوبا. لكن الحمد الله على أنه خلف خلفا أعلى منه زلفا وأسنىٰ منه شرفا وإلا فجّع الناس أنفسهم عليه أسفا، فكيف يكون حال المولى الداهية فما أصابه من الداهية فالبشر على الهلع مفطور ولو أنه رزين صبور، لكن الحيوة الدنيا عن أهل الزَور والزُور زَورٌ وزُور وأنت تعلم يا مولاى أن الصابر ماجور وأن الجازع مأزور، فسلّم الأمر إلى القادر المقدور واصبر على ما أصابك إن ذلك لمن عزم الأمور، خلف الله عليك بخير وأبقاك ووقاك كل ضرر وضير والسلام. (١)

الرسالة الطويلة التى نقلناها فى الأوراق السالفة هى رسالة عزاء كتبها إثر وفاة والد صديق حميم، ورسالة العزاء تطلب بل تطالب الألفاظ الواضحة الأسلوب والمعانى البعيدة عن الكلف بالبديع والعناية باللفظ، لكنها حشدت بالزخارف اللفظية والمحسنات البديعية الّتى يأباه الفطرة السليمة، إنه يتلاعب بالألفاظ تلاعبا تضيع المعانى والأفكار فى طيّاتها وتطغى الألفاظ والتراكيب الموزونة على الأحاسيس والإنطباعات المؤلفة فى مثل هذا الموقف الحرج.

والرجل الّذى غلب الجناس والطباق والمحسنات البديعية على طبعه ومزجت بلحمه ودمه ونماها بالتحبير والتحرير والمران وأصبحت

(١) آثار الصناديد ٢/ ٩٧ – ٩٩

هذه الأمور طبيعة ثانية له لا يرجى منه نثر أبى عثمان عمرو الجاحظ (١) وابن خلدون (٢) وشعر البحترى (٣) والطغرائى (٤)

وما جاوز الاعتدال والانصاف فى النقد حينما قال النواب صديق حسن خان القنّوجى البوفالى فى كتابه حول شعر العلامة فضل حق الخير آبادى بل أصاب وأجاد ولله درّه :

" وله نظم رائق وشعر فائق لولا أنه أكثر فيه من التجنيس الّذى ينبو عنه السماع وتأباه الطباع (٥)

والأبيات الّتى نسوقها شاهدة على قول العلامة صديق حسن خان القنّوجى:

أتى من تباشير الصباح بشير   ببشر بشير بالصبوح يشير

شفى نسما أشفت عليل نسيمه   فلم يبق إلّا فى الجنون فتور

ونورت الخضراء نوراً وزهرة   وزهر الجوارى تختفى وتنور

وقوله من الشعر المسجوع:

هل من مبلغ عن ولهان مشتاق   عنا وعنى فى أطواق أتواق

مسلسل الدمع يروى عنه مسندة   وصدقا، أحاديث أشواق بأسواق

من لا يرى الإثم فى نكث اليمين ومن   يمين فى كل ميعاد وميثاق

عدل القوام يظن الظلم معدلة   ويرتجى الأجل فى تقتيل عشاق

(١) هو أبو عثمان عمر الجاحظ ولد بالبصرة ونشأ بها وهى يومئذ مهد العلم ومنتدى الأدب فأكبّ على الدرس وجدّ فى التحصيل وأخذ عن جها بذة اللغة والرواية كالأصمعى وأبى عبيدة، وأغرم بالمطالعة إغراماً شديداً فلم يقع فى يده كتاب إلا إستتم قراءته واستوعب مادته، نقل الجاحظ الكتابة إلى طور جديد فى الأسلوب والغرض ونهج للمترسلين والمصنفين طريقة فى الإنشاء، توفى الجاحظ سنة ٢٥٥ من الهجرة. من أحسن مؤلفاته: كتاب الحيوان والبيان والتبيين وكتاب البخلاء

(٢) سبقت ترجمته (٣) هو أبو عبادة الوليد بن عبدالله الطائى (٢٠٦ – ٢٨٤ هـ) عربى ولد بمنبج بين حلب والفرات ونشأ فى البادية فغلبت عليه فصاحة العرب، وروى عن كثير من العلماء كأبى العباس المبرّد أنه أعاد للشعر ماذهب من بهجته وروعته وصارت له طريقة خاصة فى الجزالة والعذوبة والفصاحة. (٤) سبقت ترجمته (٥) أبجد العلوم ٣/ ٣٤٥

ولـه بـعـض المراثى الرائعة الّتى جاء ت عفو البديهة ، فيض الخاطر غير مسـجـوعة ولا مـقطوعة ولا ممنوعة يستحسنها الطباع ويتلذّذ بها السماع وهو قوله:

عـلا زفيـرى ودمـع العيـن يـنحدر	وبـلّنـى الـدمع والأحشـاء تستعر
مـا لـى أوارى أوارى وهو مستعر	بيـن الـحشـا وهـل الـنيـران تستتر
مـا لى أرى الليل ولا ينجاب ظلمته	كـأنـمـا ضـلّ فيهـا الشمس والقمر
كـأن ليلـى يوم الـفـصـل متصل	فـمـالـه دونـه صبح ولا سحر (١)

أمـا قـصـائـده فـى مـدح النبى صلى الله عليه وسلم فلم تخل بقيود الـصـنـعة مـن الـجـنـاس والطباق وغريب الألفاظ والمحسنات البديعية ومراعاة النظير وغيرها من وسائل التجميل والتحبير والتذييل.

مـن حسنات العلامة فضل حق الخير آبادى إيثاره اللغة العربية على اللـغـات الأخـرى لـلنتاج العلمى والأدبى ومن حسناته تفضيل المدائح النبوية على المدائح والمراثى فى إنتاجه الشعرى، فمعظم إنتاجه الشعرى يشـمـل المدائح النبوية، وإن دلّ هذا على شئ فقد يدل على حبّه العميق لـذات الـنبى صلى الله عليه وسلم ويدل على حسن استخدام الكفاء ات الشعرية وإعطائها المحل اللائق بها، فما الّذى يكون أحسن من المديح الـنبـوى، مـديـح الـرسـول صـلـى الله عليه وسلم الّذى كان أرأف بأمته وأشـفـق عـليـهـا، فـكـان من واجب أفراد أمته أن يقدم إليه ضريبة الحبّ والـحـنان وهدية المحبة والعرفان بالجميل ويصرف فيه مؤهلاته العلمية والأدبية كلها لكى تكون الهدية مزدانة بلآلى الالفاظ وجواهرها.

الـقـصيدة الـدالية فـى الـمـديـح الـنبـوى يشـتـمـل على خمسين بيتا والقصيدة الميمية تشمل اثنين وتسعين بيتا.

(١) حركة التأليف باللغة العربية ص: ٢٠١ – ٢٠٦

أما الـقـصيدة الـدالية فـقـد بـدأهـا الشـاعر بالنسيب جريا على عادة الشعراء الأقدمين من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين قائلاً :

لا تـنـصـبغ بهـوى بيض الأمـاليد	فـاخـمـر الـموت فى أجفانها السود
فـى غمز ألحاظها فتك الأسود وان	حـاكيـن ريـم الغلا بالطرف والجيد
قـد خـاب من غازل الغزلان يأملها	وبـاد مـن رام أنـس الـريم فى البيد
دع الـمـراشف واستـعـذ بهن ففى	تـلك الـعـذاب عـذاب غيـر مـردود
كم فى هوى الحور من حور وكم بهوى	نـواعـس الـطرف من هم وتسهيد
فـلا يـروقـنك ليـن فـى مـعـاطفهـا	إن الـقـلـوب لـمـن أقسى الجلاميد
يـبـكـى الـمشـوق بـعبـرات مورّدة	مـا فـى ميـاسـمهـا من حسن توريد
إن الـعـقـائـل يـعـقـلـن العقول ولا	يـعـقـلـن مـقـتولهن المهلك المودى
أشـفـارهـن شـفـار بـل أحدّ ظُبـا	ومـرسـل الـصدغ أحبـول التقئيد
فيهـن قبـل التـصـابى ذل مبتهل	وبـعـد صيـد المعنّى عزّة الصيد
قـد صادنى نابل يرمى بلا خطأ	ويـلاه مـن عامد فى قتل معمود

وهـكـذا استـغـرق الـنسيب ستة وثلاثين بيتا من القصيدة المحتوية على خمسين بيتا.

ثم يسترسل فى النسيب بقوله:

سبـقـت فـوادى بـفـؤديها فليس له	فـاد وان كـان يـفـدى كـل مصفود
هـنـدية هـنّـدتـنـى ثـم هـندت الأ	سيـاف ظـلـمـا لـقتـلـى أى تهنيد
عـنّـت فعنّت فؤادى واحتفت وشفت	منّـت فـمـنّـت بـإنـجـاز المواعيد

حتى وصل إلى قوله فى النسيب.

شـفت مقامى من حمر الشفاة ومن	عـذب الـرضـاب بـعـنـاب وقنديد
رشـفت وارتشفت خمر الرضاب كما	سـقيتهـا وسـقتـنـى مـاء عـنـقـود
ثـم انتشينـا فـلا نـدرى أذلك من	خـمـر الـمـراشف أم من خمر راقود

وطبت روحا بريّاها وناظره … بحسنها وسماعاً بالأناشيد
ثلاثة هى طيب العيش ما جمعت … إلّا لمرء سعيد الجدّ محسود
وصل الغوانى وكاس البابلى ورنّا … ت الأغانى بضرب الوتر والعود

ثم تطرف الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

ما أطيب العيش لولا أن مرجعه … عما قريب إلى قبر ويلحود
صرّفت ريعان عمرى فى هوى و ودّ … وما لذلك من عذر وتمهيد
فلا ملاذ سوى خير الورى جمعا … فى الخلق والخُلق والإنسان والجود
ولذيا نجيد بمغناه الرحيب تفز … فكم بمغناه من جود لمنجود
جداه نقد لمن يأتيه معتفيا … فكم هناك من قود لمنقود
ماضى الحدود مراعيها يجود على … المحدود عفوا بعفو غير محدود
أحمى الصناديد مأوى الناس مفزعهم … إذ يفزعون لأهوال من صناديد
هو الشهيد عليهم والشفيع لهم … فى يوم هول شديد الهمّ مشهود
إن زاد آدم قدراً عند مولده … فكم أبٍ يعتلى قدرا بمولود

الشاعر مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فى قصيدته بأعلى الصفات وأفضلها. فلا غرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الناس جميعا فى الخلق والخلق، ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم شفيعا للأمم كلها يوم الهول الشديد يوم القيامة.

ثم يقول الشاعر:

اختاره الله محبوبا وأرسله … لرحمته والإرشاد وتسديد
لأمّة قد تمنّى الرسل لو حسبوا … منها على ما روى أهل المسانيد
فاق النبيين طراً فى الكمال وفى … الجمال والعزم والإجمال والسود
فلا يدانيه موسى فى العروج ولا … فى اليمن عيسى وفى الملك ابن داؤد
ولا ابن يعقوب حسنا والخليل قرى … ونوح عزما لدى نصح وتهديد

مما لا شك فيه أن الله اختاره محبوبا وأرسله لهداية الناس جميعا إلى أن تقوم الساعة وقد فاق الرسول صلى الله عليه وسلم النبيين جميعهم فى الجمال والعزم والكمال والسؤدد، والرسول صلى الله عليه وسلم يفوق موسى وعيسى وسليمان ويوسف وابراهيم ونوحا عليهم السلام والصلاة فى العروج واليمن والملك الحسن والضيافة والعزم. وهذا لأن الله تعالى خلع عليه الصفات كلّها الّتى اتصف بها جميع الأنبياء من لدن آدم إلى عيسى عليه الصلوة والسلام وهذا من منن الله وأفضاله على خاتم النبيين وأفضل المرسلين وسيد وُلد آدم، حامل اللواء وشفيع جميع الأمم يوم القيامة عليه الصلوة والسلام.

الحقيقه التى لا بُدّ من الاعتراف بها أن هذه القصيدة تدل على علو كعب الشاعر وتضلّعه من اللغة العربية وقدرته على استخدام مفردات اللغة العربية لكن حسب التكلف والتكلف ، فى إتيان المحسنات البديعية من الطباق والجناس جنت جناية على القصيدة وجعلتها شبه ألغاز ونرى هذا التقيد والالتزام فى بداية القصيدة خاصّة حيث تفنّن فى ذكر النسيب. أمّا الأبيات التى مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم فليست مكبلة بقيود المحسنات بل جاء ت على سجيتها إلا بعض الأبيات الّتى قد مسّها شئ من التجنيس الّذى يقلّل من قيمة الإنتاج الأدبية .وفى نهاية القصيدة يقدّم أزكى المديح وغرره بقوله:

أنشدتك فاقبل مدحتى كرما … حتى أفوز بإنشادى بمنشودى
أهدى إليك مديحا كله غرر … ونيل نولك بالتقصيد مقصودى
عليك أزكى صلاة الله ما صدحت … فى مورق البان ورقاء بتغريد

وأما القصيدة الميمية فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فتبتدئ بالأبيات التالية:

فـؤادى هـائـم والـدمـع هـامـى   وسهـدى دائـم والـجـفـن دامـى
فـقـلـب مـا فـتـى بـجـوى ولـوع   ولـوع فـى اضـطـراب واضـطـرام
وطـرف أرمـد يـوذيـه غـمـض   وليـل سـرمـد سـاجـى الـظـلام
طـويـل لا يـقـاس بـه زمـان   فسـاعـتـه كشهـر بـل كـعـام
كـأن كـواكـب الـجـوزاء نيطـت   بـأجـفـان دوام بـالـدوام
حـمـامـى حـاضـر والوجد بـاد   وجسـمـى ذابـل والشوق نـامـى
سـرى فـىّ الـغـرام فصار غـرمـا   وذاك الـغـرم مـن أو هـى الـغـرام
مـرامـى نـظـرة مـن ذات لـحظ   مـصيـب ليـس يـخـطى فى المرامى

الـقـصـيـدة الميمية تحتوى على اثنين وتسعين بيتا والنسيب والغزل يـحـتـويـات عـلـى خمسين بيتا من القصيدة وفى نهاية النسيب بدأ يمدح النبى صلى الله عليه وسلم.

شـفيـع الـخـلـق أحـمـدهـم جميعا   حـمـيـد الـخـلـق مـحـمـود المقام

والقصيدة كلها مكبّلة بقيود الصنعة. يقول الشاعر:

سـمـا من فى السماء والارض فخرا   فـلـيـس لـه سـمـى أو مسـام
مشـاع الـفـضـل منقسم العطـايا   ومـا لـلـفـضـل فيـه من انـقـسام
فـلـيـس لـه عـديـل فـى اعتـدال   وعـدل أو قسيـم فـى الـقـسـام
مـحـى وحـمـى أبـاطيلا وحـقـا   فـمـا أعـلاه مـن مـاح وحـام
حـمـى وسـمـا فـمـا حـام وسـام   يـليـه فـى بـنـى حـام وسـام

فى بعض الأبيات أشار الشاعر إلى بعض معجزات النبى ﷺ. فقال:

شـواهـد صدقـه حـجـج رواهـا   مـسـلـسـلـة إمـام عـن إمـام
كـلام بهـائـم وحـنـيـن جـذع   ونـطـق حـصـى وتسبيـح الـطـعـام
بـمـولـده هـوى ايـوان كسرى   وأشـرف مـا بـنـاه عـلـى انهدام
فـعـاد بـصـدعـه كسـرى كسيرا   وألـصـق أنف كسـرى بـالـرغـام

بـدا نـور فبـصّـر دور بُـصـرى   لأعـيـن قـاطـنـى البـلـد الـحـرام

الـقـصيدة كلها تلفت نظر الباحث الناقد إلى التزام الجناس والطباق واستـخدام الألفاظ الغريبة الحوشية للشاعر، مع أن هذه القصيدة الميمية هـى مـن أجـود قـصـائده وأروعها وأشهرها، فإذا كانت القصيدة الرائعة مـكـتـظة بالألفاظ الضخمة والتراكيب الفخمة والمحسنات البديعية فما بـال تـلـك الـقـصـائد التى هى دون هذه القصيدة، وعلى رغم هذه وتلك فـالقصيدة تـحـتـوى عـلـى أحـاسيس صادقة وعواطف نبيلة وانطباعات قلبية.

مـن الـواضـح الـمـعلوم أن الاستغاثة لا تجوز الا بالله الذى هو ربّ السـمٰوٰت والارض وربّ العالمين لكن الشاعر أتى به للرسول صلى الله عليه وسلم، إذ قال فى القصيدة الميمية:

هـمـام يستـغـاث لـكـل هـم   فـيـكـشف كـل هـم بـاهـتـمـام

وقال فى القصيدة الدالية:

لا شك أنّك غوث الخلق أجمعهم   ولا تبـالـى أبـاطيـل الـمـنـاكيـد

رحـم الـلـه الـشـاعـر وغـفـر لزلاته ويوفق كل مسلم لما فيه خيره فى الدنيا والاخرة، إنه سميع مجيب.

الفصل الثالث : شعراء المديح المتأخرون

الشيخ محمد يعقوب النا نو توى

۱۲٤۹هـ - ۱۳۰۲هـ

نشأته و حياته:

ولد الشيخ محمد يعقوب بن مملوك على الصديقى النانوتوى لثلاث عشرة مضين من صفر سنة تسع وأربعين ومائتين وألف (۱۲٤۹هـ) بنانوته ودرس الكتب الدراسية وحفظ القرآن الكريم وقرأ الرسائل المختصرة بالفارسية ثم سافر إلى دهلى مع والده سنة تسع وخمسين وقرأ عليه الكتب الدراسية المعقولة والمنقولة ثم درس وأفاد بدهلى وأجمير وفى الفتنة العامّة بدهلى سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف (۱۲۷۳هـ - ۱۸۵۷م) اعتزل ببيته وفى سنة سبع وسبعين ومائتين والف (۱۲۷۷هـ) سافر إلى الحجاز فحج وزار ولما رجع إلى الهند ولّى التدريس فى دارالعلوم بديوبند فدرس بها مدة عمره وأخذ عنه خلق لا يحصون بحد و عدّ وسافر إلى الحجاز مرّة ثانية سنة أربع وتسعين ومائتين والف (۱۲۹٤هـ) فحج وزار.

كان من كبار العلماء ظهر تقدمه فى فنون منها الفقه والأصول والحديث والأدب، توفى لثلاث خلون من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاث و مائة وألف (۱۳۰۲هـ) بنانوته (۱)

شعره: لم يكن الشيخ محمد يعقوب النانوتوى من الشعراء المفلقين بل كانت تميل قريحته إلى الشعر أحيانا، وقد أثر عنه بعض الأبيات فى مدح السلطان عبدالحميد العثمانى وبعض الأبيات فى مدح

(۱) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام : ۸/۵۵۰

النبى صلى الله عليه وسلم ونتقل هنا بعض الأبيات التى قالها فى مدح السلطان عبدالحميد الثانى، يقول:

الوعظ ينفع لو بالعلم والحكم   فالسيف أبلغ وعاظ على القمم

لولاه ما بلغ الدنيا لآخرها   وآض كل وجود الدهر فى العدم

والسيف للضيم إعداء بهيبته   كالبدر يجلو الدجى بالنور فى الظلم

بهمة الملك المنصور منتصر   سيف لشرب دم الكفار كل ظمى

أكرم به ملكا للمسلمين غدا   ذى الجود والفضل والإحسان والكرم

لولم يكن معشر الإسلام نصرته   للدين ما كنتم فى الأمن والسلم

لولاه لم يبق للاسلام من شرف   وصرتم لأبى لحم على وضم

خليفة السلف المنصور دائمة   من آل عثمان خير الناس كلهم

الناس فى طينة فى الأصل واحدة   وقدرهم لعلى الأقدار فى الهمم

حرية النفس للانسان جوهرة   فقيمة المرء يعلو منه فى القيم (۱)

وله قصيدة محتوية على ستة أبيات فقط فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وليست لها قيمة أدبية كبيرة إلاّ أنها تنم عن الحب الكامن فى قلب الشاعر رحمه الله تعالى، يقول الشاعر:

يا ربّ صلّ على النبى محمّد   يٰس وطه ذى المكارم أحمد

بأبى وأمى ذا الرسول الأكرم   نفسى الفداء وما ملكت يدى

اليوم يا أملى ويا كُلّ المنى   وشفاعتى ونجاح نفسى فى الغد

أنت الكريم رؤفنا ورحيمنا   يا سيدى يا سيدى يا سيدى

فبحبّه أرجو النعيم بجنّة   وحظيت فى الدنيا بعيش أرغد

فى فرحة من حبّه ومسرّة   لازلت مذ ادعى باسم محمد

(۱) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الاعلام : ۸/۵۵۱ - ۵۵۰

الشيخ فيض الحسن السهارنفورى

١٢٢٨هـ - ١٣٠٤هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ فيض الحسن بن على بخش بن خدا بخش القرشى السهارنفورى فى أسرة علمية فى حدود سنة ١٢٢٨هـ كان والده على بخش أحد العلماء الأفاضل المشهورين وكثير الدرس والإفادة، قرأ المختصرات على والده ثم سافر إلى رام فور وتتلمذ على العلّامة فضل حق (١٢١٢هـ - ١٢٧٨هـ) الخير آبادى وعلى غيره من العلماء ثم سافر إلى دهلى وأخذ الحديث عن الشيخ أحمد سعيد بن أبى سعيد العمرى الدهلوى (١) ثم صرف عمره فى الدرس والإفادة وولى التدريس فى آخر عمره فى الكلية الشرقية بلاهور.

كان الشيخ فيض الحسن السهارنفورى من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماً، لم يكن فى عصره أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب. كان مفرط الذكاء جيد القريحة قوى الحفظ سريع الكتابة، حسن المحاضرة، كثير المحفوظ بالأدب والشعر إنتهت إليه رئاسة

(١) هو أحد المشائخ المشهورين ولد غرة ربيع الثانى سنة سبع عشرة ومائتين وألف (١٢١٧هـ) بمدينة رام فور وقرأ بعض الكتب الدراسية على المفتى شرف الدين ثم سافر إلى دهلى وأخذ عن الشيخ فضل إمام الخير آبادى والشيخ رشيد الدين الدهلوى وكان يختلف فى أثناء تحصيله إلى الشيخ عبدالقادر والشيخ رفيع الدين والشيخ عبدالعزيز أبناء الشيخ ولى الله الدهلوى، اتهم بإفتاء الخروج على الحكومة سنة ١٨٥٧م فسافر إلى الحرمين الشريفين وحصل له جواز السفر بشفاعة رئيس الأفاغنة وتشرف بالحج والزيارة وسكن بالمدينة المنورة وتوفى بالمدينة المنورة يوم الثلاثاء بعد صلاة الظهر لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة سبع وسبعين ومائتين وألف (١٢٧٧هـ) ودفن بالبقيع، الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٤٧/٧.

الفنون الأدبية فى عصره له مصنفات ممتعة (١) توفى لاثنتى عشرة خلون من جمادى الأولىٰ سنة أربع وثلث مائة والف من الهجرة (٢)

شعره: كان الشيخ السهارنفورى من الشعراء المفلقين فى الهند ويوجد جلّ كلامه فى المديح والمراثى. وترك لنا الشاعر ديوانه المفعم بدرر الأبيات وغررها، ودراسة القصائد يبرز مكانة الشاعر المرموقة فى هذا الميدان. كلامه يشبه كلام الشعراء الأقدمين من العرب الذى لا يوجد فيه لوثة الأعجام، وكلامه يدل كذلك على تمكنه من اللغة العربية وتمكّنه من استخدامها لأغراض كيفما شاء، وهو من الشعراء المكثرين لا المقلين أمثال غلام على آزاد البلكرامى والعلّامة فضل حق الخير آبادى.

قصائده تحتوى على الرثاء ومدح بعض الوجهاء ومديح النبى صلى الله عليه وسلم، وقد غلب عليه أسلوب أستاذه العلّامة فضل حق الخيرآبادى وتأثّر به تأثراً بالغا حيث حشد فى شعره الزخارف اللفظيّة وصبغه بالمحسنات البديعية الّتى تطغى فى بعض الأحيان على حسن التعبير وجمال المعنى ورشاقة الأسلوب وجزالة الألفاظ ومتانة السبك.

يقول الشاعر مادحا النواب شاهجهان بيكم وقد ملأ قصيدته بالزخارف اللفظية والمحسّنات البديعية.

منّت فمنّت بالوصال فمنت ... يا ليتها ضنّت به ما ضنّت
نفسى تحن على الصدود ولا أبت ... إلا مطاوعة لها ما جنّت

(١) مؤلفاته: حاشية على تفسير البيضاوى وحاشية على تفسير الجلالين وحاشية على مشكوة المصابيح وشرح بسيط على ديوان الحماسة وشرح بسيط على المعلقات السبع ومصنف جليل فى الأنساب وأيام العرب والتحفة الصديقية و رسالة فى شرح حديث أم زرع وديوان شعر مشتمل على قصائد غراء.

(٢) الإعلام بمن فى الهند من الأعلام: ٣٨٩/٨.

جُنّـت بهـا ولـو أنها مـا مسّهـا ... مـا مسّهـا مـن حبّهـا مـا جنّـت
سـمـعـت بـمـا قال الوشاة فقطعت ... أسـآبهـا وإلـى الأعـادى حنّـت
أكـرم بهـا مـن خـلّة لـو أنّهـا ... فـطـنـت ومـا ظـنّـت بهـا مـا ظنّـت

معـظـم قـصـائده فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم يبتدئ بالغزل والنسيب جريا على عادة الشعراء القدامى وبعد التشبيب، الشاعر يمدح النبى صلى الله عليه وسلم.

فيشبب فى إحدى قصائده.

بليـت ولـم يكـد يبلى شبابـى ... فـنيـت ولـم يـزل عنّـى حبـابـى
أحـب نـواعـمـا وأحيد عـمّـا ... يـراد فـلا أحيـد عن التصـابـى
ألاعبهـن ثـم أبيـت ليـلـى ... عـلـى لهـو يجـاريـه كـعـاب
أقبّـل ثـم أرشف مستـلـذا ... ومـا شـئ ألـذ مـن الـرضـاب
لهوت ومـا صحوت وعدت ألهو ... ولا ألهـو وقـد صـفـرت وطـابـى
فهـل دائـى كـدائـى إذ عـرانـى ... وهـل قـلـب كـقـلـبى اذا طحـا بى

ثم يمدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:

ومـا كـاذبـت نـفـسـى مذ تمنت ... وليـت الـصـدق لـى فـى ذا الكذاب
لعـمـرك طـالمـا أو جفت فيهـا ... فـلا خيـلـى نـفـدن ولا ركـابـى
أرانـى غيـر صـاح عن هـواهـا ... فـأنـى أوبـتـى ومتـى مثـابـى
فلا أنـا ابتـغـى مـرضـاة ربّـى ... ولا أنـا أتـقـى يـوم الـحـسـاب
فـان لـم يهـدنـى ربّـى ويـرحـم ... رسـول الـلـه يدركنـى عـذابـى
أيـا مـن هـمّـه دفـع البـلايـا ... ويـا مـن دأبـه فك الـرقـاب

وقصيدة أخرى يبدأها كذلك بالتشبيب قائلا:

إذا حنّ سلمـى ليـس عنهـا بـرائح ... فيـا حبهـا زدنى جوى فى جوانحى
أرى حبّهـا روحى وقد سيط من دمى ... فـمـا رمـت حيـا ليـس عنى ببارح

كأن فؤادى جذوة من جذى الفضا ... وعيـنـى غـرب من غروب النواضح
شربت كئوس الحب تترى ولم أبل ... فهـا أنـا أزرى كـل سكران طـافح
ولـولا الهوى مـا كـنت صبّا متيما ... ولـو لا الهـوى ما طوّحتنى الطوائح
تـركـت لهـا أهـلـى وسهـلى فاننى ... كبـئـر بـقـفـر بـلـقـع وهـى نـازح

ثـم فـى نهـايـة الـقـصـيدة يذكر سجايا الرسول صلى الله عليه وسلم الكريمة بقوله:

أخـاف مـقـامـى عـنـد ربّى وأرتجى ... شـفـاعـة حبّـى يـوم كـشـف الـقبـائح
شفيع كريم جلّ عن وصف واصف ... ويـقـصـر عـمـا فيه إطـراء مـادح
هـو الـعـروة الـوثـقـى ومن يعتصم بـه ... يجد عصمة من قاصم الظهر فاضح
ومـن ضـلّ عنه ضلّ عن سنة الهوى ... ولـمـا يـصـب مـن رأيـه غير راجح
عـلـيـه صـلـوة الله طلّا و وابلا ... مـدى الـدهـر ما غيث الورى بالدوائح

ويقول فى قصيدة أخرى وبدأها كذلك بالنسيب قائلا:

يـقـول حبيبى قـد صحوت عن اللهو ... وما تبت عن لهوى ولغوى فما صحوى
عـلـى أىّ شـئ أدعـى حسن سيرتى ... وحسو الطلا دهرى وصيد المها طهوى
بـلـغـت التى خمس وستون رأسها ... وفـى المنـفـس انى أجـدر الناس بالزّهو
أميـل الـى بيض الـحـسـان وإن أصل ... إليهـن لا أظـفـر بـمـرّ وّلا حـلـو
وكيف مـفـازى بـالنسـاء وإننـى ... ضعيف نـحـيف واهـن الـعـظم والعضو
لـحـى الـلـه شيبى شبّ فيه صبابتى ... فـأهـوى إلـى مـالـم أكن قبله أهوى

ثم يمدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:

فـدع ذكـر ما ألقاك فى هوّة الهوى ... وخـذ بـالذى يلقيك فى ذروة الذرو
فـلـذ بـشـفـيـع الـمـذنـبـين محـمّـد ... جـمـيـل الـسـجـايـا منبع الصدق والصفو

أمـا بعض القصائد فبدأه الشاعر بالمديح النبوى بدون ذكر النسيب كقصيدته الكافية بدأها بقوله:

يـا ابن الذبيحين وابن العواتك ... ويا مصرخ الصارخين الضرائك
أجرني لك الخير من عدو عاد ... أعذني لك الله من فتك فاتك
فإن لم تجرني وإن لم تعذني ... فاني لمود واني لهالك
سلكت صراطا سويّا قويّا ... اذا ضلّه سالك فهو هالك
أعز البرايا أغرّ العطايا ... كريم السجايا سليم العرائك

وكذلك القصيدة القافية فبدأها الشاعر مباشرة بالمديح النبوى بقوله:

دارى بعيد ولا طريق ... وان طريق فلا رفيق
دون النبى الندى المرجى ... اذ ليس لى دونه شفيق

وكذلك القصيدة الذالية بدأها الشاعر بالمديح النبوى مباشرة بقوله:

يا من يلوذ به الكرام ولاذوا ... مالى وراءك ملجأ وملاذ
لا يرتجى جود الغوادى مرتع ... من بعد ما أرواه منك رذاذ
حملت وزرا من ذنوب جمة ... إن حطّ عن حاذى يخف الحاذ
لا ينبغى لك أن تصيبك زلّة ... إذ أنت معصوم وأنت معاذ

القصائد كلها تحتوى على ألفاظ رشيقة ومعان دقيقة وقد وفق الشاعر لاستيحاء معانيه وأفكاره من كتاب الله عزّ وجلّ ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سجّل الشاعر فى القصائد المدحية مآثر الدين ووضّح جمال الاسلام وصوّر شخصية النبى صلى الله عليه وسلم تصويراً بارعا كما دلّت عليها السنة النبوية والقرآن الكريم، يقول فى إحدى قصائده مادحا النبى صلى الله عليه وسلم:

فدع ذكر ماألقاك فى هوّة الهوى ... وخذ بالذى يلقيك فى ذروة الذّرو
فلذ بشفيع المذنبين محمد ... ومن لاذعن صدق به فاز بالنجو
نبى الهدى خير الورى كاشف الدجى ... جميل السجايا منبع الصدق والصفو
كريم النشأ تخبو اللظى عند ذكره ... فلا يشتوى لحم على جمر من يشوى
له اسم وذكر بارك الله فيهما ... فخذ بهما إن شئت تظفر بما تنوى

أطاعت له الأيام طوعا ورغبة ... كأن ليس فيها مبدأ الغيظ والشجو

ويقول مادحاً النبى صلى الله عليه وسلم فى قصيدة أخرى:

أصلّى على خير الأنام وسيد ... الكرام وختم المرسلين محمد
ملاذى ومنحاذى كهيفى ومعقلى ... وغوثى وغيثى ثمّ حبّى وسيّدى
هو الجود كل الجود لاجود دونه ... فطوبى لمن يرجوه من هالك رد
هو الغيث كل الغيث لاغيث مثله ... فيروى لمن يدعوه من ظمى صد
كريم ندى الكفين لا غيث مثله ... يغيث الورى لولاه ما كان من ندى
رءوف بكل من مقيم وظاعن ... حفىّ بكل من مغير ومنجد
فما عنده من سائل وهو سائل ... ولم يعده من مجتد وهو يجتدى
لقد كان فيه خير ما كان فى الورى ... فما بالغت فيما حكت أم معبد

الشاعر يفدّى نفسه وماله وأمّه ووالده وعرضه رسول الله ﷺ بقوله:

فديت وهل عندى مفدّى مكرّم ... سواك وأرجو فديتى منك فى غد
بأهلى وجيرانى وأمّى ووالدى ... ونفسى وولدى من ردىّ وجيّد
وعرضى وما عرضى علىّ بهيّن ... وأصلى وأصلى محتد أى محمّد
تعلم رسول الله أنك عروتى ... وعروة من خاض الهوى غير مهتد
فخذ بيد منّى وجُد بشفاعة ... على وأيدنى وأنت مؤيدى

قلت فى البداية أن كلامه يغلب عليه التحسينات البديعية والصنعة، ولا نريد أن نظلمه فله بعض القصائد وكذلك بعض الأبيات فى بعض القصائد أرق لفظا وأدمث أسلوبا. وقد برزت عذوبة الأسلوب ومتانة السبك فى إنتاج الشاعر وكذلك وشيت بعض القصائد بألوان من الجزالة فى مواضع خاصة استدعتها مضامين القصيدة، كما امتاز بعض القصائد بالزهد فى المحسنات وألوان التزيين الفنى، لأنّ الجزالة قد تنقلب حوشية وتعقيداً وخاصّة عند الشعراء الّذين يحافظون على الجزالة

ويتكلّفون الألفاظ اللغوية الكثيرة البعيدة فى قصائدهم.

نرى بعض الأبيات فى القصائد لا تتفق الشريعة الاسلامية منها قول الشاعر:

أغثنى أنت غوث مستغاث ... وغثنى أنت غيث ذو الضباب
أتيتك مستغيثا مستغيثا ... بقلب فارغ يحكى جرابى
إليك المستغاث فان تغثنى ... والا فالتباب على التباب

ومن المعلوم أن الاستغاثة لايجوز إلا بالله كما دلّ عليه الكتاب والسنة وأقوال العلماء.

ومما لا شك فيه أن فيض الحسن السهارنفورى يحتل مكانة مرموقة بين أصحاب النبويات فى الهند، وله باع طويل فى اللغة العربية واطلاع واسع على الآداب العربية من النظم والنثر وذاك السبب الوحيد لأجله نرى أسلوبه فى الشعر يجمع بين السلاسة والجزالة وبين القوة والعذوبة وبين حرارة الحب وتدفق البيان وبين الألفاظ العذبة والعاطفة الحارّة وبين الخيال الصادق والفكر الرفيع وبين تخير الالفاظ وحسن التاليف وبين إلتيام الكلمات وجودة السبك وبين كمال البيان وجمال الرونق وبين متانة النسج وإحكام الصنعة وبين النظام الباهر والنسق الغريب وبين كمال الروعة ودقة الصوغ وبين صدق الشعور وروعة البيان التى تأخذ بمجامع القلوب والنفوس والمشاعر.

والجدير بالذكر أن كلامه يضاهى كلام الشعراء العرب ويفوق كثيرا من الشعراء الهنود فى الجزالة والعذوبة والفصاحة والبلاغة. وكلامه يشهد له براعته فى فنون اللغة العربية وامتلاكه ناصية اللغة وتضلعه من اللغة العربية. ويؤخذ عليه إيثار جانب اللفظ على جانب المعنى فى بعض الأحيان ولكن هذا ليس بلحن كبير للشاعر الّذى نشأ وترعرع بعيداً عن دار العروبة ومهدا اللغة العربية ومهبط الوحى ومهجر النبى صلى الله عليه وسلم.

شعره:

هو من أحد كبار الأدباء فى الهند ومن البارعين فى الأدب والإنشاء وقرض الشعر باللغة العربية والفارسية، وكان حافل القريحة، حاضر البديهة، مليح القول مداعبا، مفرط الذكاء، سريع الإدراك قوى الحفظ، جيد المشاركة فى العلوم والفنون.

عثرنا على عشرين بيتا للمفتى محمد عباس اللكنوى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم، منها قوله:

حبيب الله خير المرسلين   عظيم الخُلق ساد الناس لينا
بل عن مثله عقمت نساء   وأن الله يفعل ما يشاء
به دين الهدى فى الناس راجا   وفى القرآن سمّاه سراجا
له خلق كريح المسك فاحا   وأن الله أعطاه كفاحا
هو الداعى عليه الله صلّى   هو الهادى ومن عاداه ضلا

الأبيات تشهد أن الشاعر يتلاعب بالألفاظ وأنه قد رضع بلبان التجنيس ومن أكبر الدلائل على هذا القول تسمية الكتاب الّذى أخذنا منه تلك الأبيات بـ "اجناس الجناس الملقب بالمرصّع، وهذه الأبيات تدل كذلك على نبوغه فى اللغة العربية. لكن حب الجناس قد غلب على طبع الشاعر وهذا يقلل من قيمة الشعر الأدبية. وهنا ننقل بعض الأبيات فى غير مدح النبى صلى الله عليه وسلم، يقول الشاعر:

ومحقور كبق أو كدود   يسلّطه على ملك كدُود
وأسود جالك ضخم كفيل   يذلّله لمعدوم الكفيل
يناديه الورى ولهم لغونا   ومنه الى المآرب يبلغونا
وطائفة حنينهم انطوى فى   حشاهم حول بيتك للطواف

له باب رفيع من ثوى به   فان له جوائز من ثوابه
وآى فى البحار وفى الصحارى   لو استقصيت فيها الخرص حارا
بديع مبدع السبع الطباق   رءوف رازق ذو البسط باق
محيط باسط الأرض المهاد   وفيها منه للاسلام حاد

كان من الشعراء المفلقين فى الهند لكن جلّ أبياته توجد باللغة الفارسية فى مناقب الأئمة وأهالى البيت الأطهار.

النواب صديق حسن خان القنّوجى

١٢٤٨هـ - ١٣٠٧هـ

نشأته وحياته:

ولـد الشيـخ صـديـق حسن بن أولاد حسن بن أولاد على الحسينى البخـارى الـقنّوجى البوفالى يوم الأحد لاحدى عشرة بقين من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٨ هـ) ببـلـدة بانس بريلى موطن جده لأمه المفتى محمد عوض العثمانى البريلوى ثم جاء مع أمه الـكـريـمة إلى قنوج موطن آبائه الكرام فلما طعن فى السادسة من عمره توفّى أبوه.

قـرأ بـعـض أجـزاء الـقـرآن ومبـادئ الفارسية ومختصرات الصرف والـنـحـو والبلاغة والمنطق على أخيه أحمد حسن بن أولاد حسن وأقام شهـورا فـى فرخ آباد وفى كانفور وقرأ النحو والمنطق والفقه والحديث على أساتذتهما قراءة غير منتظمة.

ثم سافر سنة ١٢٦٩هـ إلى دهلى فاعتنى به المفتى صدر الدين صدر الـصدور وأستاد الأساتذة فى دهلى وأنزله فى بيت السرى الفاضل نواب مصطفى خان وكان بيته ملتقى العلماء والشعراء والفضلاء والوجهاء من كـل طبقة فاستفاد بصحبتهم فى العلوم والآداب وحسن المحاضرة وقرأ على المفتى صدر الدين الكتب قرأة منتظمة وأجازه إجازة خاصة وكتب له شهادة بالتحصيل.

ثـم سـافـر لـلاسـتـرزاق إلـى مـديـنـة بوفال فولاه الوزير جمال الدين الدهلوى تعليم أسباطه ثم سافر سنة ١٢٨٥ هـ للحج وانتسخ هناك بعض الكتب المبسوطة وقرأ كتب السنّة على محدثى اليمن ثم رجع إلى بوفال

وولـى نظارة المعارف فيها سنة ١٢٨٦هـ ثـم ولى النظارة بديوان الإنشاء فى أوائل شعبان ١٢٨٧هـ وخلع عليه ومنح لقب "خان"

كـان صـديـق حسن خان بحكم منصبه يتردد إلى نواب شاهجهان بيـكـم ملكة بوفال ويمثل بين يديها فألقى الله فى قلبها محبته فقربته إلى نـفسهـا وكـانـت أيما مات زوجها النواب باقى محمد خان قبل سنوات وقـد اقتـرحـت عليها الحكومة الانجلزية بالزواج ليكون زوجها بجوارها ليسـاعـدهـا فـى شـئـون الـحكومة والإمارة. فتزوّجت به لما علمت من شـرف نسبـه وغزارة علمه واستقامة سيرته سنة ١٢٨٧هـ وجعلته معتمد الـمهام سنة ١٢٨٨هـ ولـقبتـه الـحكومة البريطانية بالهند سنة ١٢٨٩هـ نواب والاجاه أمير الملك سيد محمد صديق حسن خان بهادر وخلعت عليه بالخلع الفاخرة.

واتهـم بـالـخـروج عـلـى الـحكومة الإنجلزية فانتزعت منه ألقاب الإمـــارة والشرف التى منحته إياها الحكومة الإنجلزية سنة ١٣٠٢ من الهـجـرة ثم منع فى العام المقبل من التدخل فى إدارة الحكومة، ثم ردت الحكومة لقب الإمارة "نواب" فى سلخ ذى الحجة سنة ١٣٠٧هـ.

كـان غـاية فـى صفاء الذهن وسرعة الخاطر وعذوبة التقرير وحسن الـتـحـريـر وشـرف الـطـبـع وكـرم الأخلاق وبهاء المنظر وكمال المخبر وشـدة الـحيـاء وكثـرة التواضع. كان دائم البشر حلو المنطق مقلّا من الـكـلام غير جاف ولا عبوس، كثير العلم، قليل الغضب، عفيف اللسان، مشـغـول الـفـكـر بالمطالعة والتأليف، منصفا يعرف لأقرانه ولكثير ممن يـخـالـفه فضلهم، كثير التعظيم لأهل العلم، شديد الاعتناء باقتناء الكتب النّادرة ونشر علوم السنة وكتب السلف.

والشـئ الـذى صـار من ديدنه أنه كان يقوم قبل الفجر فاذا صلّى

اشتغل بتلاوة القرآن والدعاء والذكر وقراءة جزء من الحصن الحصين للجزرى حتى اذا ارتفعت الشمس اشتغل بسماع أخبار الإمارة وطلبات رجال الإدارة ساعة ثم يقبل على التأليف ومطالعة الكتب من غير أن يضيع دقيقه حتى ينتصف النهار ويدخل الظهر فيتغدّى ويقيل ساعة ثم يصلى الظهر ويشتغل إلى المغرب بالأمور الإدارية وقد يركب للنزهة قبل المغرب فيتفرّج قليلا ثم يصلى المغرب ويسمع الأخبار المهمة الّتى حملتها البرقيات والملتقطات من بعض مقالات الجرائد والصحف ثم يدرس فى كتاب من كتب القرآن والسنة ويحضره بعض أبنائه وخاصة طلبة العلم ويحضر بعض الشعراء والأدباء فيتذاكر معهم فى الشعر والأدب ويتساجل فى اللطائف الشعرية والنكت الأدبية ثم يصلى العشاء وينصرف الى النوم والرّاحة.

كان من المؤلفين الكبار فى الهند يبلغ عدد مؤلفاته باللغة العربية والفارسية والأردية الى مائتين واثنين وعشرين كتابا (١)

توفى فى الليلة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع

(١) من مؤلفاته باللغة العربية: إحياء الميت بذكر مناقب أهل البيت، والانتقاد الرجيح فى شرح الاعتقاد الصحيح وإكليل الكرامة فى تبيان مقاصد الإمامة والإذاعة لما كان وما يوكن بين يدى الساعة، وأبجد العلوم فى بيان العلوم والفنون وتراجم العلماء والاقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد وتكحيل العيون بتعاريف العلوم والفنون والتاج المكلّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأوّل وتذهيب شرح تهذيب فى المنطق وتخريج الوصايا من جنايا الزوايا، والجنة فى الأسوة الحسنة بالسنة وحصول المأمول من علم الأصول. والحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون، وحسن الأسوة مما ثبت من الله ورسوله فى النسوة، والحطة بذكر الصحاح الستة، وخبية الأكوان فى افتراق الأمم على المذاهب والأديان، والرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكوة، ورحلة الصديق إلى البيت العتيق، والروض البسّام من ترجمة بلوغ المرام، والسحاب المركوم فى بيان أنواع الفنون والعلوم، والسراج الوهاج فى شرح مختصر صحيح مسلم بن الحجاج وما إلى ذلك الكتب النافعة راجع مآثر صديقى الجزء الرابع

وثلاث مائة وألف بعد ما أصيب بمرض الاستسقاء. (١)

شعره: كان الصديق حسن خان البوفالى القنّوجى من المؤلفين الكبار فى الهند، فقد ألف باللغة العربية كتبا قيمة لها قيمة علمية كبيرة وكذلك كان من المولعين باللغة والشعر والأدب وكان من دأبه كل يوم بعد صلاة المغرب المذاكرة مع الأدباء والشعراء فى الشعر والأدب والمساجلة فى اللطائف الشعرية والنكت الأدبية.

كان شاعرا باللغة الفارسية والأردية والعربية، ومع تضلعه من اللغة العربية كان مقلاً فى ميدان الشعر بل لا يوجد كلامه فى الشعر غير القصيدة العنبرية فى مدح سيد البرية، وهذه القصيدة الوحيدة تدلّ على قدرته على قرض الأبيات والإبانة عن الأحاسيس الصّادقة والإنطباعات الكامنة فى صورة الشعر.

القصيدة العنبرية تحتوى على سبعين بيتا وبدأها الشاعر بالأمنية التى تنقلب فى خلده معرضا عن التشبيب الذى جرت عليه عادة الشعراء الأقدمون بقوله الملئ بالحب والحنين إلى زيارة الحرمين الشريفين.

اخترت بين الأماكن الغبراء	دار الكرامة بقعة الزوراء
هل لى مكان فيه أطلب راحتى	من دونها فى البرّ والدّاماء
ما فضلها فوق المواضع كلها	الا لعرف فاح فى الأرجاء
قلبى يطير إلى طيور مروجها	وإلى جوار رياضها الغنّاء
كيف الوصول إلى منازل طيبة	فيها لمفتقر حصول رجاء
لو كان أدنى جذبة نبوية	لوصلت ثم بأسرع الاناء
إنى عشقت على إقامة طابة	فمتى أفوز بجنة الدنياء

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام ٢٠٢/٨ ومآثر صديقى، وابقاء المنن بالقاء المحن، تذكره علماء هند ص ٢٥ وتراجم علماء حديث، هندوستانى مفسرين اور ان كى عربى تفسيرين، هندوستان ميں عربى علوم وفنون كے ممتاز علماء ص ٦١.

ليس البلوغ بأرضها فى قدرتى   شتان بين الهند والزوراء
إن بات جسمى نازحا عن أرضها   فالقلب فيها عمدة الوكلاء
ولقد ثملت بنفحة أنسية   من روضة محفوفة ببهاء
نفسى الفداء لتربة قدسية   فيها نبى سيد البطحاء

ثم ذكر الشاعر حادث الإسراء والمعراج الذى كان بمثابة منعطف كبير فى ميدان الدعوة الاسلامية الّتى مرّ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بأصعب المراحل وأقساها.

طوبى لها من حيث حلّ بسوحها   نور تجلّى فوق سبع سماء
فازت بمعراج البراقع ذاته   هذا لعمرى أعظم النعماء
لم يلق فى هذا الذهاب كآبة   ولعاد فى آن مع السرّاء

ثم ذكر الشاعر فضل الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آدم عليه الصلوة والسلام ، يقول الشاعر:

ثبتت نبوّته وآدم جدّنا   قد كان فى أسر الثرى والماء
أو فى أمارات النبوة أنه   أعيى المصاقع عمدة العرباء
لم يخلق الله القدير عديله   فى رتبة وفضيلة وضياء
نور إلهى تجلّى رحمة   حتى أنار حنادس الغبراء
ماذا يقرب فى مديحك مادح   عجز الموصف عن بيان ثناء
أنت الّذى أثنى عليك الله فى   سفر كريم كاشف الأشياء

بعد هذه الأبيات ذكر الشاعر أحوال رؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام بقوله:

قد كنت مشتاقا إلى لقيائه   متقيدا بسلاسل الأهواء
حتى لقيت جماله بين الكرى   وظفرت بالنبراس فى الظلماء
ومثلت مبتهلا لديه وراجيا   نيل العناية عمدة السراء

نظر الكريم إلى الفقير عطوفة   نظر العطوفة شيمة الكرماء
فجعلت أجمع رحمة من نظره   وطفقت أقطف وردة النعماء
ليس التعجب إن ظفرت برؤية   بعد التمادى وانقطاع رجاء
فالصب أحيانا يقر عيونه   نيل المنى من غادة الدهناء

ثم فى الأخير يرجو من الله شفاعته رسوله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فيقول:

يا أيها الشمس الرفيع مكانه   ضاءت بنورك ساحة الترباء
المع علىّ عناية وعطوفة   وأنر حنادس مهجتى السوداء
ولك الشفاعة والمكانة فى غد   ولأنت أكرم معشر الشفعاء
وعظيم رجوى أن تكون مشفعى   فى عفو زلّاتى بيوم جزاء
وسواك مالى فى القيامة شافع   أنت المخلص لى من الباساء

رغم كون الشاعر متضلّعا من اللغة العربية لا تحتل قصيدته الهمزية فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مكانة أدبية مرموقة وهذا لأنّه لم يكن شاعرا مطبوعا باللغة العربية ولكنه أراد أن ينخرط فى سلك المادحين للرسول صلى الله عليه وسلم بقرض الأبيات باللغة العربية، وهذا لا يعنى أن القصيدة ليست لها أى قيمة فى ميدان العلم والأدب وأنها لا تستحق أى عناية من قبل الدارسين بل تستحق هذه القصيدة عناية الباحثين لأنها قيلت بأرض الهند التى ليست اللغة العربية لغة سكانها ولأنها تنم عن الحب الكامن فى قلب الشاعر الذى يعيش بعيداً عن مكة والمدينة محطّة الرسالة السماوية الأخيرة ومعاقل الإسلام والمسلمين. والقصيدة وإن لم يكن عليها رونق أسلوب أبناء اللغة العربية وبهائه لكنها تشمل الألفاظ العربية الفصيحة مع شئ من الروعة البيانية ويمتاز أسلوبه بالخلو عن التعقيد والتكلف وبالسهولة والوضوح بشئ

ليس البلوغ بأرضها فى قدرتى	شتان بين الهند والزوراء
إن بات جسمى نازحا عن أرضها	فالقلب فيها عمدة الوكلاء
ولقد ثملت بنفحة أنسية	من روضة محفوفة ببهاء
نفسى الفداء لتربة قدسية	فيها نبى سيد البطحاء

ثم ذكر الشاعر حادث الإسراء والمعراج الذى كان بمثابة منعطف كبير فى ميدان الدعوة الاسلامية الّتى مرّ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بأصعب المراحل وأقساها.

طوبى لها من حيث حلّ بسوحها	نور تجلّى فوق سبع سماء
فازت بمعراج البراقع ذاته	هذا لعمرى أعظم النعماء
لم يلق فى هذا الذهاب كآبة	ولعاد فى آن مع السرّاء

ثم ذكر الشاعر فضل الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آدم عليه الصلوة والسلام ، يقول الشاعر:

ثبتت نبوّته وآدم جدّنا	قد كان فى أسر الثرى والماء
أو فى أمارات النبوة أنه	أعيى المصاقع عمدة العرباء
لم يخلق الله القدير عديله	فى رتبة وفضيلة وضياء
نور إلهى تجلّى رحمة	حتى أنار حنادس الغبراء
ماذا يقرب فى مديحك مادح	عجز الموصوف عن بيان ثناء
أنت الّذى أثنى عليك الله فى	سفر كريم كاشف الأشياء

بعد هذه الأبيات ذكر الشاعر أحوال رؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام بقوله:

قد كنت مشتاقا إلى لقيائه	متقيدا بسلاسل الأهواء
حتى لقيت جماله بين الكرى	وظفرت بالنبراس فى الظلماء
ومثلت مبتهلا لديه وراجيا	نيل العناية عمدة السراء

نظر الكريم إلى الفقير عطوفة	نظر العطوفة شيمة الكرماء
فجعلت أجمع رحمة من نظره	وطفقت أقطف وردة النعماء
ليس التعجب إن ظفرت برؤية	بعد التمادى وانقطاع رجاء
فالصب أحيانا يقر عيونه	نيل المنى من غادة الدهناء

ثم فى الأخير يرجو من الله شفاعته رسوله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فيقول:

يا أيها الشمس الرفيع مكانه	ضاءت بنورك ساحة الترباء
المع علىّ عناية وعطوفة	وأنر حنادس مهجتى السوداء
ولك الشفاعة والمكانة فى غد	ولأنت أكرم معشر الشفعاء
وعظيم رجوى أن تكون مشفعى	فى عفو زلّاتى بيوم جزاء
وسواك مالى فى القيامة شافع	أنت المخلص لى من الباساء

رغم كون الشاعر متضلّعا من اللغة العربية لا تحتل قصيدته الهمزية فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مكانة أدبية مرموقة وهذا لأنّه لم يكن شاعرا مطبوعا باللغة العربية ولكنه أراد أن ينخرط فى سلك المادحين للرسول صلى الله عليه وسلم بقرض الأبيات باللغة العربية، وهذا لا يعنى أن القصيدة ليست لها أى قيمة فى ميدان العلم والأدب وأنها لا تستحق أى عناية من قبل الدارسين بل تستحق هذه القصيدة عناية الباحثين لأنها قيلت بأرض الهند التى ليست اللغة العربية لغة سكانها ولأنها تنم عن الحب الكامن فى قلب الشاعر الذى يعيش بعيداً عن مكة والمدينة محطّة الرسالة السماوية الأخيرة ومعاقل الإسلام والمسلمين. والقصيدة وإن لم يكن عليها رونق أسلوب أبناء اللغة العربية وبهائه لكنها تشمل الألفاظ العربية الفصيحة مع شئ من الروعة البيانية ويمتاز أسلوبه بالخلو عن التعقيد والتكلف وبالسهولة والوضوح بشئ

من القوة والجزالة.

نجد فى القصيدة أبياتا تتناقض مع العقيدة الاسلامية منها قوله:

يا سيدى يا عروتى ووسيلتى	يا عدّتى فى شدّة ورخاء
قد جئت بابك خائفا مترقبا	متأوها بتنفس الصعداء
شفّعت جاهك ضارعا متذللا	مالى وراءك صارف الضرّاء
أنت المغيث برحمة وكرامة	فى غمّة وغوائل وبلاء
انجح مرامى يا كريم كرائم	أنت القدير على نفاذ رجائى
مالى وراءك مستغاث فارحمن	يا رحمة للعالمين بكائى

أمثال هذه الأبيات الّتى تقول أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عدّته فى الشدّة والرخاء وهو صارف للضرّاء والمصائب وهو القدير على نفاذ رجاء الشاعر ويستغيث به الشاعر فى المصائب والشدائد تتنافى مع العقيدة الاسلامية، ومن المعلوم أن الشاعر هو من أئمة أهل السنة بل هو من اكبر ناصرى السنة وكتبه تشهد له اعتصامه بالكتاب والسنة، لكنها ريشة قلم زلّت فى المديح النبوى وكم من ريشات أقلام زلّت فى هذا الوادى، فطوبى لمن وفق للطريق الوسط بين الإفراط والتفريط.

القاضى طلا محمّد البيشاورى

١٢٣٠هـ - ١٣١٠ هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ القاضى طلا محمد ابن القاضى محمد حسن بن محمد أكبر البيشاورى فى حدود سنة ١٢٣٠هـ فى أسرة عريقة فى العلوم والمعارف فى بيشاور، وكان جده قاضى القضاة بأفغانستان، وكذلك صنوه عبدالكريم وابن أخيه عبدالقادر وكان طلا محمد متولّيا بديوان الإنشاء فى كلكته وولده محمد أسلم كان واليا من تلقاء الإنكليز فى بعض المتصرفيات.

كان الشيخ طلا محمد من بيت العلم والمشيخة تأدّب على ذويه وتفقه ثم أخذ الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوى المحدث المشهور ولازم الشيخ الصالح عبدالله بن محمد أعظم الغزنوى واستفاد منه.

توفى القاضى طلا محمد البيشاورى الى رحمة الله تعالى سنة عشر وثلاث مائة وألف الهجرة النبوية بمكة المباركة فدفن بالمعلاة. (١)

شعره: كان ـ رحمه الله ـ من العلماء المبرزين فى العلوم العربية وقد شهد به الأديب الألمعى والمؤرّخ الكبير السيد عبد الحى الحسنى بقوله:

"لم يكن مثله فى زمانه فى معرفة الفنون الأدبية". (٢)

له عدّة أبيات فى المديح النبوى وهى كالتالى:

ثم الصلاة على خير البرية من	آياته ظهرت فى الشمس والقمر
وآله الطيبين الطاهرين هم	الكرام عزا وقدراً أى مقتدر
أزكى صلاة تفوق المسك فى أرج	وتنشط الروح من أضوائها العطر
كما يحب ويرضى ربنا أبدا	ما صاح طير على غصن من الشجر

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٢١٧/٨ - ٢١٤ـ (٢) الأعلام: ٢١٤/٧

الشيخ احمد الكجراتى

١٢٦٥هـ - ١٣١٥هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ أحمد بن محمد بن هاشم السورتى أحد العلماء المبرزين فى العلوم العربية يوم الأربعاء لتسع خلون من جمادى الاولى سنة خمس وستين بعد الألف وقرأ العلم على والده ولازمه مدة ثم سافر إلى دهلى وأخذ الحديث عن الشيخ المحدث نذير حسين الحسينى الدهلوى المظفر فورى البهارى ثم رجع إلى بلدته وصرف عمره فى الدرس والإفادة.

مات يوم الأحد لسبع عشرة خلون من شعبان سنة خمس عشرة وثلاث مائة وألف من الهجرة النبوية. (١)

شعره:

قصيدته التائية تحتوى على الثناء لله عزّ وجل والمديح النبوى صلى الله عليه وسلم والقصيدة كما تلى:

الحمد لله الّذى خص الثناء بذاته	سبحان ماشأنه جلت جميع صفاته
حى قديم واجد صمد على ماجد	ملك ولى واحد لا بد من طاعاته
نطق السماء بعظمته لمع الضياء بقدرته	شهد الحجار بوحدته لما راى متعاته
أحمد محمد اسمه خلق عظيم وسمه	صلوات ربى قسمه مع فضل تسليماته

(١) الأعلام: ٤٤/٨

الشيخ أحمد بن عبدالقادر الكوكنى

١٢٧٢هـ - ١٣٢٠هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ أحمد بن عبدالقادر الكوكنى (١) عشية النصف من شعبان سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف وسماه أحد السادات الحضرمية كان نازلا عند أبيه فى مدينة بمبئى، نشأ فى عفاف وطهارة قرأ القرآن على الشيخ آدم الدهشنى والمختصرات على الحافظ محمد على الكوكنى وقرأ المنطق والحكمة والأصول والكلام والطبّ على الشيخ عبدالله البدايونى والقاضى محمد اسماعيل الكوكنى والشيخ عبدالحميد باعكظة الخطيب والعلاّمة عبدالحى بن عبدالحليم اللكنوى والشيخ نصر الله خان الخورجى والشيخ محمد شاه المحدث نزيل دهلى.

لم يزل مشمرا عن ساق الجد فى طلب العلم حتى فاق أقرانه وبرع فى كثير من العلوم لا سيما الفنون الأدبية. كان يصرف معظم أوقاته فى المطالعة والتدريس والمداواة.

شهد بفضله وتبحّره جماعة من الفضلاء منهم السيد على بن أحمد السقاف شيخ السادة فى الحرم المكى الشريف، إنه قال إنه ممن يشد إليه الرحال ولولم يكن لنا قصد فى دخول الهند والخروج من مكة المشرفة سوى زيارته لكفى.

(١) نسبة إلى كوكن وهى منطقة معروفة على ساحل بحرالهند، قيل إن طائفة من قريش خرجت من المدينة المنورة فى زمن الحجاج بن يوسف الثقفى خوفا منه فوصلت ساحل البحر وسكن بعض أفرادها فى مدراس وحواليها واشتهروا بالنوائط وتوطّن بعضهم فى كوكن.

أصيب الشيخ بالداء العضال من وجع فى ظهره حتى اشتد عليه المرض وانحنى ظهره، توفى رحمه الله تعالى ليلة العشرين من محرم سنة عشرين وثلث مائة وألف بمدينة بمبئى (١)

شعره: كان من المتضلعين باللغة العربية نثرا ونظما، له شعر رائق غاية فى حسن السبك وجودة التركيب وطلاوة الألفاظ وجزالة المعنى.

يوجد كلامه فى المدح والوصف والرثاء ومن قصيدته التى يرثى بها شيخه عبدالله قوله:

ألله أكبر كاد الخير ينعدم … والموت أفضل ما فى الخلف يحترم
كلا ولا حىّ ينجو من مخالبه … سيان عند المنايا القدم والقزم
ما لى أرى الأرض يبقى وهى تنقصها … جزر ومدّ لبحر الهول ملتطم
أرى الليالى والأيّام سودها … سود النوائب حتى بيضها ظلم
يا ماشيا فوق وجه الأرض ذا ميل … ما تحت رجلك إلّا أعظم رمم
أين الصناديد من فرس ومن عرب … لم ينج داراً ولا صخر ولا هرم
أين الّذى شيد الأهرام يحسبها … تحميه عن مهرمات دونها حطم
سل هل تنبئ عن أبنائها سبأ … أوهل تخبر عن آرامها إرم
ويسأل القلعة الحمراء طارقها … كم من دموع جرت فيها وطل دم
عفى الديار ديار العلم قاطبة … قحط الرجال وأيم الله قد عدموا
فى غدوة شفعت صبح القيامة من … نعى تزلزل منه الشم والأكم
رزء تدارك منه الدين منسلما … وقد وهت عروة الإسلام تنفصم (٢)

كان من البارعين فى اللغة العربية نظما مع البساطة فى الأسلوب والوضوح والجمال والدقة والقوّة والجزالة والعذوبة، نرى تلك الأوصاف كلها فى الرثاء والوصف والمدح وننقل هنا بعض الأبيات من

(١) الإعلام بمن فى الهند من الأعلام: ٨/٣١ - ٣٦ -(٢) الاعلام: ٨/٣٤

قصيدته الّتى أنشأها لندوة العلماء الّتى أسّسها العالم الفقيه السيد محمد على المونجيرى (١٢٦٢ - ١٣٤٦ هـ) سنة إحدى عشرة وثلث مائة وألف من الهجرة (١٣١١ هـ) لإحياء المدارس العربية وإصلاح نظام الدرس ورفع الخلاف بين الفرق الاسلامية والذّب عن الاسلام وأسس أعضاء هذه الجمعية "ندوة العلماء" جامعة كبيرة بمدينة لكناؤ سنة سبع عشرة وثلث مائة وألف (١٣١٧هـ) باسم دارالعلوم ندوة العلماء.

عفى ديار علوم الدين قاطبة … نسج الدبور وأرياح جرت نقما
يا للمدارس أضحت وهى دارسة … يا للمكاتب تبكى العلم والعلما
أما سمعتم بكاها وهى صارخة … صراخ ثكلى على مولودها اخترما
هذى المشاعر ضيم الدهر عطّلها … ورد واردها غيظا وما كظما
هذى الشعائر لم يبق الصروف بها … مقدار عشر العشير الوزن والقيما
هذى اختلافاتكم كم شخصت بكم … وسفهت عرب الإسلام والعجما
كم ذا التنازع ريح العزّ أذهبها … كم ذا التشاجر ويحا أثمر السدما
كم ذى الفتاوىٰ وكم تكفير إخوتكم … كم ذا التشاتم واذلاه واندما
هذا الّذى فتر الاسلام نهضته … هذا الذى قصر الأعزام والهمما
الله الله كونوا أصدقاء كما … كانت معاشرة أسلافنا القدما

أما قصيدته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم فهى من أجود القصائد الّتى قيلت فى أرض الهند فى المدائح النبوية، هذه القصيدة الميمية تحتوى على مائة وثمانية وعشرين بيتا ويبدو أن الشاعر عارض بها قصيدة العلاّمة محمد بن سعيد البوصيرى (٦٠٨ - ٦٩٧ هـ) الشهيرة الّتى تبتدئ بقوله:

أمن تذكر جيران بذى سلم … مزجت دَمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة … أو أومض البرق فى الظلماء من إضم

فـمـا لـعينيك إن قلت اكففا همتا ... ومـا لـقـلبك إن قـلـت استفق يهم

يبدأ الشاعر عبدالقادر الكوكنى قصيدته بذكر جيران ذى سلم كما بدأ العلامة البوصيرى قصيدته بذكر جيران ذى سلم، فيقول:

يـا شوق سلّم على جيران ذى سلم ... والشم ثـرى حـضـرة مرموقة الأمم

واستـمـطـرن مـن نـدى ألطافهم شبما ... يـطـفـى لـظى لاعج فى القلب مضطرم

وقـل لهـم أرسـلـوا طيـفـا فطيفهم ... روح الـمـحبيـن يـحيـى ميت النّسم

مـن لـى بـه وسهـاد العين يمنعه ... وبـالـكـرى وهـو مـدفـوع ببينهـم

لـولا هـو مـا كـلأتُ الـلـيـل مكتئبا ... أرعـى الـنـجـوم حـليف الوجد والسقم

ولا جـرى دمع عينى كالعقيق على ... ذكـر الـعـقيـق وذكـر البـان والعلم

بـعد هذه الأبيات يمدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أدب ووقـار ويستخدم الألفاظ الّتى تتلائم مع شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ويصف الرسول بالمنزلة التى يستحقها وبالمكانة الرفيعة الّتى أحلّها بارى الأكوان، فيقول:

مـحـمّـد بـهـجة الـداريـن نـورهـمـا ... سـر الـوجـود وعـيـن الجود والكرم

هـو الـنبـى الّـذى نـرجو عواطفـه ... إذا الـصـروف رمتنـا فى حشى القحم

شـمـس الـرسـالة من ضاء الزمان به ... لـولاه لـم تـظهـر الأنـوار لـلـقـدم

كـم أنطقت آية الجذر الأصم وكم ... شـفـى بهـا الـلـه آذانـا من الصمم

فـلا حيـاة لـقـلـب لـم يـحـنّ لـه ... والـجـذع حنّ له كالمدنف السقم

وفـاض مـن أصبـعيـه الـمـاء منهمرا ... حيـاة كـل صـدفـى الـقـفـر مقتحم

والـظبـى يـنـطـق والأشجار تقصده ... مشيـا على الهام لا مشيا على القدم

فـاق الـنبيين إذ أدنـى مـعـارجـه ... أقـصـى مـعارجهم ناهيك من شمم

أسـرى بـه فـأراه الـلـه قـدرتـه ... عـلـى الـسـمٰـوٰت خـرقـا كلّ ملتئم

طـوى بـنـا سـوقـه متن البراق كما ... يـطـوى الـسـجـلّ كـتـابـا كل مستتم

جـلّـى فـصلّـى وراه الأنبياء وقد ... تـلا الـمـلائك صـفـا بـعـد صفهم

حتى انتهـى إلى ذرى الـلاهوت منفرداً ... لـمـا دنـى فـتـدنـى غـايـة الأمـم

راى جـمـال جـلال جـلّ عن جهة ... وعـن مـكـان بـلا كيف بـغـيـركـم

ذكـر الشـاعـر حادث الإسراء والمعراج والمعجزات التى أكرم الله بهـا رسوله صلى الله عليه وسلم من خروج الماء من إصبعيه ونطق الظبى ومشـى الأشجار وما إلى ذلك من المعجزات ثم تطرق الشاعر إلى ذكر تلك الـمـكـانة التـى أكـرم بهـا الـلـه عزّوجلّ خاتم الأنبياء عليه الصلوٰة والسـلام حيـث فـاق الـرسـول صـلـى الـلـه عـلـيـه وسلم جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فكان أولهم نورا وآخـرهـم بـعثـا وأوسـطـهـم فـى الـرتبة وهو الملاذ بكل شخص ضاقت مـذاهبـه وهـو كـهف لـلأرامـل ومـأوٰى لـلأيتـام والبـائسين والفقـراء والمنكوبين المتضرّرين.

ثم يقول الشاعر:

هـو الأميـن الـذى أدّى أمـانتـه ... إلى الـخـلائق من دين ومن حكم

تـمـت بـه نـعمة الإسلام واتّضحت ... آيـاتـه كـاتـضـاح البدر فى الظلم

فـى الشـعـر تـلـمـيـح إلى قول الله تعالى : أليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا (١)

ثـم ذكـر الشـاعـر صـفات رسول الله صلى الله عليه وسلم الخِلقية والـخُـلـقية الّتـى تـوجـد فـى كتب السنة وقد جمعها الإمام الترمذى فى كتابـه الـجـامـع باسم شمائل النبى صلى الله عليه وسلم ثم بين أنّ حبّ رسـول الـلـه صلى الله عليه وسلم واجب على كل مسلم سواء كان عربيا أو عجميّا، فيقول الشاعر مشيرا إلى هذه الحقيقة.

(١) سورة المائدة : ٣

هو الحبيب الّذى فرض محبّته — حقا على عرب الإسلام والعجم

يا أجمل الخلق فى خلق وفى خلق — وأكمل الخلق فى مجد وفى كرم

كم فيك معنى ولا لفظ يقابله — وهل يعبّر عن معنى بلا كلم

أثنى عليك إله العرش فى أزل الـ — آزال يا مصدر الخيرات والعصم

فلا يدانيك فضلا ممكن أبداً — وليس فوقك إلا الله فى العظم

أنت الشفيع الّذى يرجى شفاعته — يوما يشيب له الولدان من سدم

وفيك نرجو رضى المولى ورؤيته — وأنها غاية اللّذات والنعم

ما لى ومدحيك يا من ظل مدحته — قد أفحمت فصحاء العرب والعجم

ثم أنهى الشاعر قصيدته بالصلاة والسلام على رسول الأنام وعلى آله وصحبه صلى الله عليه وسلم قائلاً:

عليك منّى صلوات الله نازلة — على الدوام كمنهلّ من الديم

يا رب صلّ وسلّم دائما أبدا — على أتمّ مجالى العلم والحكم

والآل والصحب والتابعين لهم — أهل الهدى والندى والخيم والشيم

ما ناح فى روضة غنّاء ساجعة — وما تلألأ برق فى دجى الظلم

وما تسبح ذرات الوجود وما — لبّى الملائك تأمينا لمرتسم

توجد فى القصيدة بعض الأبيات التى تتناقض مع العقيدة الاسلامية الثابتة بالكتاب والسنة مثل الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم وما إلى ذلك من الأمور الّتى بينها الشاعر فى قصيدته، منها قول الشاعر:

يا سيدى يا رسول الله يا سندى — عونى وغوثى عند الحادث العمم

سوى جنابك ما لى من يُعين على — جور الزمان وأبناء له قزم

إن لم تغثنى فمن أرجو إغاثته — أولم تعننى فوا ذلّى ووا ندم

ما لى سوى بابك الأسمى فاقرعه — إذعيل صبرى وانحلّت عرى همم

القصيدة كلها مفعمة بالإيمان الصادق بالرسول صلى الله عليه

وسلم وبشريعته الحنيفية السمحة ومليئة بالتعبيرات المأنوسة المؤثرة المقنعة وألفاظ القصيدة فيها الروعة والجزالة والعذوبة والفخامة وقد صرف الشاعر فى إنشاء هذه القصيدة مؤهلاته كلها لكى تأتى ضريبه الحب على أحسن وجه وأتمّ صورة لها معناها ومغزاها، ويكون فيها الدقة فى التعبير والروعة فى البيان والفخامة فى الافصاح عن الأحاسيس الصادقة والمتانة فى الأسلوب.

قد جاء الشعر فخم العبارة منضد اللفظ، قليل الحشو، مزدانا بالألفاظ الرائقة والأساليب الرائعة والأغراض النبيلة والأهداف السامية والأمانى الصادقة الصحيحة.

تمتاز هذه القصيدة بعدم التطرق إلى التشبيب الّذى صار من ديدن الشعراء الأقدمين، فلم يتعرض الشاعر للغزل بل بدأها مباشرة بذكر ديار العرب ثم استطرد الى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم، فوصفه صلى الله عليه وسلم من عيون الشعر ومبتكره ثم أمعن بعد ذلك فى تصوير صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم الخِلقِيه والخلقية.

تحتل هذه القصيدة مكانة مرموقة بين القصائد التى قيلت فى أرض الهند لجودة سبكها وفصاحة ألفاظها ومتانة أبياتها وروعة معانيها وجزالة تعبيراتها.

الشيخ يعقوب القادرى الدهلوى

١٢٦٠هـ - ١٣٢٤هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ العالم الصالح يعقوب بن كريم الله الدهلوى بدهلى فى حدود سنة ١٢٦٠هـ ونشأبها، قرأ العلم على والده وصحبه مدة من الزمن ولما مات والده قام مقامه فى التدريس والتذكير فحصل له القبول العظيم من أهل البلدة وانتهت إليه الفتيا والتدريس بمدينة دهلى. كان الشيخ من العلماء المبرزين فى الفقه والأصول والعربية.

مات بدهلى يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول سنة أربع وعشرين وثلاث مائة وألف (١)

شعره: للشاعر قصيدتان، القصيدة الأولىٰ تحتوى على اثنين وعشرين بيتا منها:

هذا الحبيب المصطفى هادى الورى	من جاء محبوبا بكل خصاله
يارب صلّ على الحبيب واله	آناً فآناً دائما كنواله
لا شأن لى قسما بشأن جماله	غير الهيام بذكره وخياله
ملأ القلوب محبّة ومهابة	ذكر الحبيب وجاهه وجلاله
نال الكمال فلا نظير له ولم	يوجد له كفو ولا لكماله
سباق غايات المكارم والعلى	فاق الخلائق كلها بخصاله

(١) الاعلام: ٥٤٩/٨

السيد على التسترى الحيدرآبادى

١٢٥٢هـ - ١٣٢٤هـ

نشأته وحياته:

ولد على بن أبى الحسن التسترى الحيدرآبادى بحيدرآباد، فى حدود سنة ١٢٥٢ من الهجرة النبوية وقرأ الكتب الدراسية والكتب المعروفة على والده حتى برع فى العلوم والفنون وخاصة فى اللغة العربية وتقرب إلى شجاع الدولة مختار الملك نواب تراب على خان الحيدرآبادى الوزير فجعله معلما لولده لائق على خان ووظف له خمس مائة روبية، فلما مات مختار الملك ونال الوزارة ولده المذكور وظف له ألف روبية شهرية ولقّبه صاحب الدكن بسلطان العلماء وكانت بينه وبين العلامة على عباس الجرياكوتى (١) من المطارحات.

مات بحيدرآباد لست بقين من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وثلث مائة وألف (١٣٢٤هـ) (٢)

شعره: قبل أن نبحث عن قصيدة الشيخ على بن أبى الحسن التسترى المسمّاة بالجوهرة الفردة فى تخميس يحدُر بنا أن ننقل هنا المقدّمة التى توجد فى بداية التخميس لأن هذه المقدمة تلقى الضوء

(١) هو على عباس بن إمام على بن غلام حسين العباسى الجرياكوتى أحد الأدباء المشهورين اشتغل بالعلم أياما على عمه الشيخ أحمد على الجرياكوتى وترك الاشتغال فى أثناء الدرس وعكف على مطالعة الكتب وكان مفرط الذكاء عجبا فى سرعة الحفظ وقوة الجنان قلّما يدخل فى باب من أبواب العلم إلا وهو يتمكن منه ويفحم كبار العلماء فى مسائلها، سافر إلى حيدرآباد ثُم رجع خائبا وأقام ببلدة بوفال مدة من الزمان فى عهد سكندر بيكم واحتظ بصلاتها ثم رجع إلى بلدته وأقام بها زمانا حتى طلبه شجاع الدولة مختار الملك نواب تراب على خان الحيدرآبادى الوزير إلى حيدرآباد فسافر ونال الخدمة الجليلة فخدم الدولة الآصفية مدة طويلة، توفى سنة ١٣٠٢هـ - الاعلام: ٣٥١/٨

(٢) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٣٤٤/٨

على تضلع الشاعر من اللغة العربية كما تسلط الأضواء على الدواعى الّتى حدت الشاعر إلى التخميس على بردة البوصيرى (٦٠٨ –٦٩٧هـ)

مقدمة التخميس ضافية لكنها ممتعة ومجدية يتمتع بها القارى ويستفيد منها ويحدفيها الطلاوة والرشاقة المشوبة بأسلوب الحريرى (٤٤٦ـ٥١٦هـ) الذى يبالغ فى الصنعة ويفرط فى تدبيج اللفظ ويفرّط فى جانب المعنى كالعروس المشلولة التى جمّلوها بالأصباغ وأثقلوها بالغلائل والحلى . يقول الشاعر فى مقدمة التخميس.

"الحمد لله الذى سخرلنا جيش الإدراكات بالخمس الباطنية لتسخير أملاك الملكات وأيّدها بخميس كتائبها الخمس الظاهرية لتعاضدها فى الحركات وخمس أنامل قدرتنا بكمال التكريم لاقتطاف أثمار الإعجاز فى السبع المثانى والقرآن العظيم وخمس عن العشور الوسخة حقوق النبى وآله بزيادة بأن أكرمهم بالخمس لأنهم السادة والصلاة والسلام والدعاء والتحية الزاكية والثناء على بيت قصيدة الأنبياء ومطلع ظهور الأنوار والأضواء محمد صدر ديوان الرسالة الغرّاء وعلى مقطع ظهور الجحدة النكراء وفاطمة المشمولة فى تطهير العباء والحسن المتردّى ببردة الإجتباء فإن الله يجتبى من رسله من يشاء والحسين المكتسى ثوب الاصطفاء بالشهادة العليا فى كربلاء الخمس الطاهرة أصحاب الكساء والتسعة المعصومين من وُلده المكتسين من الزعامة الكبرى ببُرد شرفه وشرف بُرده وبعد: فيقول المتردّى المتردى ببُردة البطالة وبُردة الإطالة بالملالة المتصدّى لأعباء الجهالة بالمهالة المتفتّش عن الضالّة فى وادى الضلالة وإن كاد شُقّاع طبعه أن يكون فى علم الشعر أعلم من الشافعى بمسائل الرسالة فى كل مقالة الدخيل بأهل بيت الرسالة للكفالة فى كل عثرة لاقالةِ وفى كل عاثورة لأناله فيما خاله أو

قاله زحيف الكلام المجنون فى الأقلام المتمسّك بحبل الله المتين وإمامه المبين من التدّين بحبّ سيد الأوّلين والآخرين والعروة الوثقى التى لا انفصام لها باليقين من محبّة من جبّه حسنة لاتضرّ معها سيئة وبُغضه سيئة لا تنفع معها حسنة بخبر الصادق الأمين علىّ بن أبو الحسن الموسوى الشوشترى وفّقه الله لتحصيل إكمال الدين آمين.

إنّى لما ارتديت بردة الترعرع واكتسيت باشتمال الصمّاء برداء التبرّع بل منذ وضعوا عنّى التمائم ووضعوا على رأسى العمائم تحلّى لى التلبس بلباس الأدب والاتّزاء بزىّ من أوضاع العرب فتجمّلت منها بالنفائس على قد العاقلة كما يتأتى بالطبع لا بالتطبّع بعد ما حفظت من التغزل والتشبيب والحماسة والنسيب والزجيرة والنشيدة والمجانيّة والقصيدة والمفاخرات والخمريّات من الجاهليّات والإسلاميات فى كل من الأقسام ما تنيف على سبعين ألف أو تسعين مع أسامى مُنشِدِيها على التعيين وقلت فيما ما تزيد على ما رَويت ورَوت عنّى أهل الرواية مثل ما أوعيتُ ووفيتُ وذلك بعد إحرازى للعلوم الشرعية والفرعية عن أدِلّتها الوضعية غِبّ التبرع فى علوم آلاتها التسعة وأثر الترقّع عن مدارج الفحول بقدر الاستطاعة والسعة فى أغرر التشرع لإيراد صاحبى غلاّتها وإبراء مصاحبى عِلاّتها وكثيرامّا كان يختلج ببالى ويتلجلج فى خيالى أن أستثمر غرس المعارف فى مديح النبى وآله وهى القُصوى التى يُنيب إليها العارف لسعادة الدارين فى حاله وماله فإنه لا شجر يُخلِفُ الثمرين ولا ثامر يقضى الوطرين بأسمَحَ من هذه الشيمة الّتى يستحسنها حتّى الطفل فى المشيمة فلمّا حوّلت عن مطية الإنتقاد فى الشعر وفرّست وجوّلت خيل خيالى فى ميدان اجتبائها وتفرّست، ورأيت البوصيرى فى كلامه مع فرط ولعه فى حبّ النبى وغرامه فى كثير شوقه بتحسين

المديح وتزئين الثناء الفصيح بوافر هيامه وراجز تهيامه أنّه قيّد السلاسة والجزالة فى كل مطلقة الأعنّة مما يحيلها فى مضمار الجوالة فلقد سبق من سبق فى الجاهلية بعلم الفصاحة وإن تأخرّ وما التحق فى الإسلامية فى فنّى البلاغة وان توازر فكل شوط وراء خطوه وكل ركض عقيب قصده فضلا عن عدوه إن سطّر عطّر وإن حرّر فعن الحشو حرّر وإذا تفنن أفتن واذا استفتن افتتن وإذا وعظ أيقظ وإذا قرّظ أقرظ وإذا مدح أفصح وإذا قدح أفضح فملفوظه لغيره ملموظ ومحجوظه لغيره ملحوظ، فهو المنفرد فى فنّى البلاغة والإجادة كلّما مشى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا سيما فى همزيته التى شرحها ابن حجر فعنها عيون الإفادة والعذوبة تُفتجر وفى هذه البردية التى حاكها صنعاتى صنائعه ونسجها يمانى يمينه فى بدائعه فلعمر الأدب وابناء ه أنه يعد فيهم من آبائه حتى أن ادّعى الأبوّة فى هذا الفنّ لشهدت له الفتوّة والمروّة بالتصديق على وجه حسن ولو ادّعى الإمامة فى النثر فذى خطابه السديد أو النبؤة فيه فذلك القول الرشيد كتابه المجيد ورأيت البردة منه هذه بُردة لم تُنسج على منوالها وحياكة من غزل الكرامة بحيث لم يأت أحد بمثالها وإن اشتمل الصماء بعباء التماثل للتشاكل فى شيمالها فقلت إن أسديت لحمتها بمعزولة قولى فكأنها تحاك على نَولَين وإن ردّفت ركّاب قولها بماشى قولى فتكون بهما مرأى حسن القولين فخمست كُلّ بيت منها لتكون جمعى مرابط التزئين وفجّرت زمزم مائها بزمزمة النشيدة لتكون مأوى التحسين حتى إذا جهزت جيشا لى القلوب المولعة بها فتكون بذا أشدّ سلطانا على رعايا النواظر المولعة ولمّا أتممت التخميس النفيس رأيته مع الأصل كتوأمى بطن وملفوظى لسان وملموحى نظر وملحوظى إنسان من عين كلّ إنسان وإن بينهما فرق فّما زيّدته عليها فكا لمكمّل

للمستكلمل أو ما علّقته عليها فكا لحُلىّ للعاطل ولمّا أن جاء ت بحمد الله على ما تُفُرّد الناظر وتسرّ الخاطر وتُبهر العقول وتزهر غصن المأمول جعلتها تحفة لتلك الحضرة النبوية صلى عليه وآله ربّ البريّة كمن أتحف كُراع شاة إلى سلطان أو رجل جراد إلى سليمان بل أهديته كل ما كان أقلّ مما يحذفه الجراد برجله والمهدى إليه أكبر من بعد الله عن كل سلطان إذ عد سلاطين بنى الإنسان من خيله ورجله الاّ أنّى أسعطف بها من عواطفه السنية الجليلة وأستراف من رأفته الّتى شهد الله بها بآياته الجميلة حيث قال فى كتابه الكريم: لقد جاء كم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنّتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم. لى ولد وام دَولة النظامية والرياسة الخطيرة السامية لحضرة ولىّ النِّعم لِكل متنعّم فى دكن ومالك رقاب كلّ مُسكن فى هذا المسكن صغير السنّ خطير الشنّ قليل الغيض كثير الفيض سليل الرؤساء الأفاخم وجليل الأمراء الأعاظم بنتيجة مقدّمتى الرياسة والإمارة والشكل الأوّلُ المُنتج منه نتائج السلطنة والوزارة المفصح بقول بلى ونعم وحمر النّعم على وفق ما اقتضته الحال والمسند إليه المؤخّر لانحصار الفخامة به فى الحال والإستقبال الأصل الواحد الّذى يصدر منه الأمثلة المختلفة فى الرياسة والمبتدأ الّذى يُخبر بتميزه من الآن بحاله لزوم أفعال السياسة النوّاب الأحشم المؤيّدُ من عند الله حضرة السلطان محبوب على شاه ابن المبرور النواب أفضل الدولة بذل الله عليه طُوله ابن المغفور ناصر الدولة جعل الله إلى الفراديس أوله ومُستَمِدًا على أعطاف بال وزيره الأعظم وأمينه الأفخم وإلى النعم من فيضه الأعمّ وفضله الأتمّ الأنعم من لَو سوّدتُ وجوه الدفاتر فى تعداد ألقابه ما بيّضت وجهى شكرا فى إحصاء أوصاف جنابه مدير البال سديد الخيال وسيع الصدر منيع القدر جميل المحاضرة جليل

يوم القيام وإنى حدانى لذلك هذا وخلاصى المتعرّق فى العروق والشرائين من الأعراق النبوية لجدّى سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين وثانيا ما نويته من نيّة يدرى بها الممدوح النية من غير تمويه، فصاحب البيت أدرى بما فيه وثالثا أداءً لشكرما يجب علىّ من تحميد إنعام الرئيس والوزير الموصوفين أدام الله وجوديهما ما دامت ضياء الخافقين فما تَأتى مِنّى لهمّا لم أنصر من تعلية ذكرهما فى بعض ما منها وفيها فان الهدايا على مقدار مُهديها وأمّا هذه فهى فوق المقادير فضلا عن مقدارى بل فوق تمكّنى واقتدارى فالعذر فى ذلك بأنّ هذا ما قدرتُ عليه لهما وجازيت نعمهما بما يرجع أكثر منافعة إليها فَهَب أنّى اذا لم أقتدر على أن أدافع عنهما بالسمر الرّدينة فقد حصّنتُهما بما هو أحصن من كل سلاح لدفع كل كفاح فى دينى وأوفيت لهما ما كان مفروضا على كسائر فروضى ودينى كيف لا وقد علمت بأنه لم ينزل البلاء على قوم لوط لشيبة أحيى ليله وان كان فى غير عبادة الله بل فى نحت الأصنام لم يُطهّر عن الأرجاس ذيله وأنا قد مدحت بما استطعتُ سَيِّدَ الأولين والآخرين ومن خلِقت الدنيا لأجله وأظهره الله على الدين وعندى أن هذا من أفضل العبادات المقبولة عند قاضى الحاجات لقوله عليه السلام من قال فينا بيتا بنى الله له بيتا فى الجنة ولقوله عليه السلام لابن أبى سلمى عند قوله والعذر عند كرام الناس مقبول قد قبلنا عذرك عفونا عند مع أنه كان بتوعيده منذّرا بالقتل ثم من الأوضح الأبين أن المديح له صلعم كالصلوة عليه وآله ان لم يكن أحسن والإجابة بالمديح مثلُ الاجابة بالصلوة عليه بأبلغ تفصيح فكأنَّ ذا أيضا لجذب الاستجابة وبل هذا أطيب من كل إستطابة لقوله عليه السلام اذا أردت أن تسأل الله شيئاً فسجّده وعظّمه بأحسن ما هوفيه ثم صلّ على محمد وآله ثمّ سل

حاجتك واختمه بالصلوة عليه وآله ولاشك أنّه لا يردّ الصلوة على نبيه الكريم وهو أكرم من أن يقبل المفتح والمختتم ويترك الوسط وفى انتصارى هذا للرئيس والوزير بتحرير هذا التخميس بأنفس تحرير مالم يصل أحدٌ مرقاهُ ولم يسع أحد وأيمن الله مسعاه على أن هذا لقصيدة يليق على أن يُكتب بالحجر على محاجر الدهور أو أن يُرسم بالتبر على خدود الحور ويُضَمّ فى الخزائن والقصور وأنّه متاع يُربح به التاجر فى الدنيا والدين وهدية أنفس من العيس الحُمرِ باليقين هذا وان كان أعلم قلمى فى مقام التحرير أعلم من الحريرى فى مقاماته وشاطر يُراعى محلّ التخميس والتشطير أشطر من البديع الهمدانى فى مكاتباته وشعرى ولو سبق على الأخاطل والنوابغ ونثرى ولو لَحِقَ بالمحبوبيّة بإحدى النعم السوابغ ما آمن الرمق من عين كلّ مكايد جاهل أو مكابر متجاهل والله تعالى شانه العزيز غفار الذنوب ستار العيوب عاصم من استعصمه وراحم من استرحمه ومع ذلك أُنشد فى الحال على مقتضى حال الجهّال ما عاد كالمثل فى المثال حسدوا الفتى مالم ينالواسعيه فالقوم أعداء له وخصوم كضرائر الحسناء قُلن لوجهها حسدا وبغيا أنه لذميم لأن الزمان حين غلبة النصارى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وغلبة الزندقة والإلحاد ومن يرد فيه بإلحادٍ وان ربّك لبالمرصاد فعسى الله أن يهدى المسلمين سواء السبيل إنه نعم المولى ونعم الوكيل وعلم الله أنى لم اكتب ذلك النشيد الاّ لقراءة كل مؤمن رشيد ومن له قلب أو القى السمع وهو شهيد فانها للخواطر المتعلقة بحبّ حبيب اله العالمين بلسان عربى مبين أرجو من الله أن يحبّها بحضرة سيد المرسلين وأن يجعلَ جائزتها القبول بحضرته الشريفة بجاهه وآله الطاهرين ثمّ إنه كم تعارضت هذه القصيدة من الأساتذة الجهابذة والأدباء الأساتذة

والخطباء المصعقة والفضلاء المُسقعة والشعراء المفلقين والعرفاء الحاذقين إلا أنّه هو سابق هذا المضمار وسائق هذا المكثار وعندى يكفى فى فضله أنه تقدّم وتأخّروا وأنه تأثّروا وشرع وتشرّعوا وأبدع وابتدعوا وحلق وتحلّقوا واقمر ليلة المديح وهم به احتدقوا وأنى مع طول باعى ووصول ذراعى اعترف له بكمال البسط والسعة واعترف بيدىّ غرفة العىّ معه فى مثل ما قيل وأجاد فى التمثيل ولو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندّم ولكن بكت قبلى فهيج لى البكاء بكاها فقلت الفضل للمتقدم على أنّى قائل بأن البوصيرى هو المشرع ونحن المتشرعون وهو الفارس فى ذلك ونحن المفترسون هذا وان اختلج فى قلب من الفرقة الناجية بأنّه كيف الانتحاء إلى هذه الناحية فالجواب أن لنا أسوة بصاحب المدارك إذ شرح السبع العلويّات لابن أبى الحديد المعتزلى فيقال هنا ما يقال هنالك وها نشرع فى التخميس والقصد يعلم به الممدوح الرئيس صلى الله عليه وآله صلوٰة تليق بجماله وجلاله وفضله وكماله آمين آمين (١)

بدأ الشاعر التخميس بقوله:

أمن تصور معنى الحل والحرم   أو من تخاطر مغنى العلم والحِكَمِ
أمن تناسى عهود الحب فى الذمم   أمن تذكّر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم نثر العقد من أقوال ناظمة   فألقطوها أولوا خيل شياظمة
أم سحّر الوجد من تشبيب واظمة   أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة
أو أومض البرق فى الظلماء من إضم

(١) تخميس البردة :ص ١٧-٢

فياعشوق نكات الحب اذ نعتا   مطاطأً راسه للأرض قد نكتا
ما بال أذنيك ان قلت اصمما صغتا   وما لعينيك ان قلت اكففا همتا
وما لقلبك ان قلت استفق يهم

فى بداية التخميس سلك الشاعر مسلك محمد بن سعيد البوصيرى فى بيان الحب والهيام مع الإكبار والإجلال تجاه خاتم الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمتاز شعره بجمع الجزالة والرقة وبجمع الشعور الإنسانى الطبعى والعاطفة الدينية النبيلة، لكن الذى يوخذ عليه أن شعره كنثره – كما قدمنا نموذجه – فى الكلف بالبديع والعناية باللفظ والمحسنات والإفراط فى جانب اللفظ والتفريط فى جانب المعنى، لكنه مع ذلك بسبب اقتداره على اللغة العربية ونبوغه فى معرفة أساليب البيان موفّق فى اختيار الألفاظ البرئية من الإسفاف والإبتذال ويدو – كذلك – من كلامه المتدفق بالحيوية بأنه بلغ منتهاه فى صوغ الألفاظ والتراكيب للتعبير عن الأحاسيس والانطباعات التى يجدها هائجة مائجة فى قلبه الملئ بالحبّ والهيام والإجلال والإكبار نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم نعى الشاعر على أولئك الّذى أهملوا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الّذى فاق الورى عملاً والذى كان الدمع يجرى من عينيه فى الصلاة ليلا والّذى كانت قد ماه يشكتيان من الورم لكثرة قيامه فى الصلاة لارضاء ربه شاكرا له على النعم التى أكرمه الله بها من النعم الحسية والمعنوية والذى عانى المصائب وواجه المشكلات لبثّ الدعوة الالٰهية:

أهملت سيرة من فاق الورى عملا   ودمعه فى صلاة الليل قد هملا
الطهر طه عليه رحمة نزلا   ظلمت سنة من أحى الظلام إلى

أن اشتكت قدماه الضرّ من ورم

وكم مشتقاته لله حين نوى   من الصلوٰة وصوم للثلاث أوى

فكل ذلك عنه المخلصون روى   فشدّ من سغب أحشائه وطوى

تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

ان الرياضات من كد ومن سغب   لله منه كزهد مع غنى أرب

أما رأيت له زهداً على وهب   فراودته الجبال الشمّ من ذهب

عن نفسه فأراها أيّما شمم

الزهد مع شدّة الحاجات سيرته   اذ جبلت يعفافات سريرته

تأبى الدناءة من دنياه غيرته   وأكّدت نفسه فيها ضرورته

ان الضرورة لا تعدو على العصم

من الثابت المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الكونين والثقلين وقد أرسله الله للناس بشيرا ونذيرا وأحكامه واجب اتباعها على جميع الورى من الانس والجن وهو الآمر الناهى فلا يوجد أحد فى العالم يكون أبرّ منه صلى الله عليه وسلم فى القول سواء كان أمرا أو نهيا، وقد أشار الشاعر إلى هذه الأمور فى عدة أبياته.

مما لاشك فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خير النبيين وأفضل خلق الله فهو يحتلّ محلاً لا تحتله شخصية أخرى فى الدنيا فهو سيد ولد آدم ومشيرا إلى هذه الحقيقة يقول الشاعر البارع:

خير النبيين فى القربى نجيّهم   وقبل آدمهم هذا صفيّهم

وبعد ربّ الورٰى هذا وليهم   دَع ما ادعته النصارى فى نبيهم

واحكم بما شئت فيه المدح واحتكم

فما ادعتها فمن حمق ومن سرف   من لم يلد لم يكن يولد بلا كلف

قل فى النبى بما أوحى بلا جنف   فانسب إلى ذاته ماشئت من شرف

وانسب الى ذاته ما شئت من عظم

نزّله عن ربه وارفعه تفضله   على الورى وبشئ لا تعادله

قل فى النبى بأعلى ماتخيّله   فان فضل رسول الله ليس له

حد فيعرب عنه ناطق بفم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جامعا بين الحسنيين الخلقية والخُلقية، فكان على أعلى ذروة من الخلق والخلق كما دلّت عليها كتب السيرة والشمائل إجمالا تارة وتفصيلا تارة أخرى، فلو جمعت أخلاق الناس كلهم ما بلغت ذرى أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك لو جمع جمال الناس كلهم ما بلغ جمال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلقى، فقد انتهى إليه رئاسة الجمال الخلقى والخلقى بلا مراء، كما عبر عن هذه الحقيقة سيدنا حسان بن ثابت الأنصارى بقوله:

أحسن منك لم تر قط عينى   وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مُبرّءا من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء

إلى ذاك الكمال والشمول يشير الشاعر بقوله:

فالخلق والخُلق كل منه ذو طرف   كالنور فى شقف والنور فى أنف

والدر فى صدف والورد فى عرف   كالزهر فى ترف والبدر فى شرف

والبحر فى كرم والدهر فى همم

ان النبوة والرسالة عطية الٰهية لاسبيل للاكتساب إليها فلا يمكن أن يكون أى شخص قد ادّعى أنه نال الرساله بجده واجتهاده واكتسبها بمجهوداته الدؤبة، لأن الرسالة لاتنال بالجد والاجتهاد بل الله يكرم بعض عباده بشرف الرسالة والنبوءة والرجل الذى يختاره الله الرسالة هو أيضا لا يدرى هل يرسل أم لا قبل مجئ الوحى بثانية من الثوانى، يقول الشاعر مبرهنا هذه الحقيقة الكبرى:

عطية الله لا يحصى لمحتسب	وصفوة الله لا يؤتى لمنتسب
وعزة الله لا يعطى لمنحسب	تبارك الله ما أوحى بمكتسب

ولا نبى على غيب بمتّهم

حادث الإسراء والمعراج يعدّ من الحوادث الّتى تركت آثاراً طيبة فى نفوس المسلمين وكان هذا الحادث وهذه الرحلة المباركة بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم بمثابة الانتقال من المحنة الى المنحة ولعل الحكمة من تخصيص الله سبحانه وتعالى بيت الله وبيت المقدس للاسراء والمعراج - والله أعلم - هى إرادة الله جلّت قدرته بأن تتطهر مكة من الشرك والوثنية والظلم والطغيان. وقد أشار الشاعر إلى هذه الرحلة المباركة فقال:

سما براقك عن شنق وعن خرم	اذ خصّك الله بالزلفى على درم
سرى بجسمك ربّ العرش عن كرم	سريت من حرم ليلا إلى حرم

كما سرى البدر فى داج من الظلم

رقيت بالجسم بالنعلين محفلة	للانبياء كغليين معقلة
أنت الزعيم لركب الكل قافلة	فظلت ترقى إلى أن نلت منزلة

من قاب قوسين لم تدرك ولم تُرم

فقاب قوسين أو أدنى محلّ بها	نورالقديم وقرب الحق منك زهى
سبحان من جلّ عن حلّ ومنه نهى	وقدمتك جميع الأنبياء بها

والرسل تقديم مخدوم على خدم

وفى نهاية التخميس يقول الشاعر معبرا عن مشاعره الكامنة فى القلب:

مديح بوصيرى العالى أميل به	ومن شفيع البرايا استنيل به
خمّسته وهو عرض استطيل به	خدمته بمديح استقيل به

ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم

الشيخ عبدالحفيظ الكاكوروى

١٢٦٠هـ - ١٣٢٤هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ عبد الحفيظ فى كاكورى فى حدود سنة ١٢٦٠هـ قريبا من مدينة لكناؤ عاصمة الولاية الشمالية وقرأ الكتب البدائية على أساتذة قريته ويبدو من دراسة القصيدة بأنه كان شاعرا مطبوعا، لم نعثر على ترجمته رغم العنت الشديد فى سبيل الحصول عليها، توفى فى ١٣٢٤هـ - ١٩٠٢م (١)

شعره: قصيدة فى المديح النبوى تدلّ على براعته فى اللغة العربية نقدم من المديح بعض الأبيات المختارة:

نبى نور عين الأنبياء	نبىٌّ مونس للاتقياء
هو المختارُ للرتب العوالى	نبىٌّ فاق كل الأنبياء
هو المخصوص بالخلق العظيم	هو المرفوع ذاكراً فى السماء
هو السبّاح فى بحر المعانى	هو الانسان فى عين الرضاء
هو الكرار فى يوم القتال	هو الطّعّان فى يوم الغزاء
نبى سار للمعراج ليلا	يفرّد فى كمال الإرتقاء

(١) مجلةالرشيد :ص ١٢٨ سنة ١٤١١ هـ لاهور

المرزا غلام أحمد القاديانى المتنبّئ

١٢٥٦هـ - ١٣٢٦هـ

نشأته وحياته:

ولد غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطاء محمد بن كل محمد برلاس القاديانى المتنبّئ سنة ست وخمسين ومائتين وألف (١٢٥٦هـ) من الهجرة، قرأ النحو والصرف وبعض رسائل المنطق والحكمة على الشيخ كل على شاه وقرأ الكتب الدراسية المعروفة على الأساتذه الآخرين.

فى بداية أمره قام بالذبّ عن الإسلام وجادل أحبار الآرية والنصارى وصرف آناء الليل والنهار فى الدفاع عن الشريعة الاسلامية وصنف الكتب ومن أشهرها "براهين أحمدية" حتى ادّعى أنه مهدى موعود ثم ادّعى أنه مسيح معهود وسمى نفسه مثيل المسيح ثم ادّعى أنه بروز أحمد. وفى سنة ١٣١٨هـ، أعلن النبوّة بصراحة وبدأ يؤلف لذلك الرسائل ووعد بأنها ستبلغ أربعين ولذلك سماها الأربعين ثم اقتصر على الأربعة تأسيا بالله تعالى فى إبدال خمسين صلاة بخمس وألف رسالة سنة. ١٣٢٠هـ أسماها تحفة الندوة وقدمها الى حفلة ندوة العلماء المنعقدة فى أمرتسر، قال فيها.

فكما ذكرت مرارا أن هذا الكلام الذى أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرآن والتوراة وأنا نبىٌّ ظِلىٌّ وبروزى من أنبياء الله وتجب على كل مسلم إطاعتى فى الأمور الدينية ويجب على كل مسلم أن يؤمن بأنى المسيح الموعود وكل من بلغته دعوتى يحكمنى ولم يؤمن بأنى المسيح الموعود ولم يؤمن بأن الوحى الّذى ينزل علىّ من الله هو

مسئول ومحاسب فى السماء وإن كان مسلما لأنه قد رفض الأمر الّذى وجب عليه قبوله فى وقته إنّنى لا أقتصر على قولى أن لو كنت كاذبا لهلكت بل أضيف إلى ذلك أننى صادق كموسى وعيسى وداؤد ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الله لتصديقى آيات سماوية تربى على عشرة آلاف وقد شهد لى القرآن وشهد لى الرسول وقد عيّن الأنبياء زمان بعثتى وذلك هو عصرنا هذا والقرآن يعين عصرى وقد شهدت لى السماء والأرض وما من نبى إلّا وقد شهد لى".

وادّعى فيما بعد أنه نبى مستقل صاحب أمر ونهى وكفر من لا يؤمن بنبؤته وأغلظ القول فيهم وقال بالتناسخ والحلول وادعى التفوق على كثير من الأنبياء وشذ وأغرب فى الأقوال والعقائد وانتصر الحكومة الانجلزية. وكتب فى آخر كتابه شهادة القرآن: إن عقيدتى الّتى أكررها أن للاسلام جُزئين: الجزء الأول اطاعة الله والجزء الثانى إطاعة الحكومة التى بسطت الأمن وآوتنا فى ظلّها من الظالمين وهى الحكومة البريطانية. ثم أفتى بنسخ الجهاد وتحريمه.

قد غلب عليه فى بداية أمره قلة الفطنة والاستغراق فكان لا يحسن ملأ الساعة وكان يعدّ الأرقام عدا وقد لا يميز الأيمن من الحذائين من الأيسر حتى اضطر إلى وضع العلامة عليها بالحبر وقد أصيب فى شبابه بالنوبات العصبية العنيفة.

وفى سنة ١٣٢٦هـ تحدّى الشيخ ثناء الله الأمرتسرى بأن الكاذب المفترى من الرجلين سيموت ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل فى حياة صاحبه ويسلّط عليه داءً مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه وفى ربيع الآخر سنة ١٣٢٦هـ أصيب المرزا غلام أحمد القاديانى المتنبّى بالهيضة الوبائية وهو فى لاهور ومات لليلة بقيت من ربيع الآخر سنة ١٣٢٦هـ

ونقلت جثته الى قاديان حيث دفن فى المقبرة الّتى سماها بمقبرة الجنة (١)

شعره:

وقبل أن نبحث عن شعره نودّ أن نلقى نظرة عجلى على عقيدة ختم النبوة فمن نعم الله على هذه الأمة أن جعلها الأمة الأخيرة فلا أمة بعدها وجعل رسولها ــ محمد رسول الله – خاتم الأنبياء والرسل فلا رسالة بعدها ولا نبوّة بعده وأنزل على رسولها آخر الكتب فلا كتاب بعد القرآن وجعل الاسلام دينا كاملا شاملا لا ينقصه شئ وهو منهج كامل وشامل لجميع ما يحتاج إليه البشر إلى أن تقوم الساعة وقد أشار الى هذه الحقيقة الكبرى الواضحة القرآن الكريم، فقال: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين "(٢)

إن القاديانية ومؤسسها المرزا غلام أحمد القاديانى ضرب ضربة قاضية على عقيدة ختم النبؤة بينما بقاء الأمة الاسلامية أمة واحدة منوط بعقيدة ختم النبؤة وان هذه الأمة أمة واحدة ما دامت تؤمن بمحمد خاتم النبيين لانبى بعده.

ومن الثابت الذى لامراء فيه أن المرزا غلام أحمد القاديانى صار مرتدّا بادّعائه النبؤة ولم يتب عن هذه العقيدة الباطلة كما يدّل عليه كتب القاديانية بل مات على عقيدته الفاسدة الباطلة ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، اللّهمّ أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وأمتنا على العقيدة الاسلامية الصحيحة بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٣٦٢/٨، القاديانى والقاديانية، القاديانية، حقيقة القاديانية، البعث الإسلامى عدد ممتاز عن مؤتمر العلماء المسلمين للنظر فى قضايا الدعوة الإسلامية.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٤٠

خاتم النبيين فلا نبى بعده ولا رسول بعده وكان المرزا غلام أحمد القاديانى من الكذّابين الدجّالين الّذين أخزاهم الله فى الدنيا وسيخزيهم فى الآخرة ولهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق.

عثرنا على عدّة قصائد للمرزا غلام أحمد القاديانى المتنبى الكذّاب والقصائد كلها تنطوى على مديح خاتم النبيين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان شمائله التى أكرمه الله بها، يبدأ الشاعر قصيدته النونية الشهيرة لدى القاديانية بقوله:

يا عين فيض الله والعرفان ... يسعى إليك الخلق كالظمآن
يا بحر فضل المنعم المنان ... تهوى إليك الزمر بالكيزان
قوم رأوك وأمة قد أخبرت ... من ذاك البدر الذى أصبانى
يكون من ذكر الجمال صبابة ... وتألما من لوعة الهجران
وأرى القلوب لدى الحناجر كربة ... وأرى الغروب تسليها العينان

ثم يستطرد إلى ذكر فضل الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع خلق الله قائلاً:

فاق الورى بكماله وجماله ... وجلاله وجنانه الريان
لاشك أن محمداً خير الورى ... ريق الكرام ونخبة الأعيان
تمّت عليه صفات كل مزية ... ختمت به نعماء كل زمان
والله ان محمداً كردافة ... وبه الوصول بسدّة السلطان
هو فخر كل مُطهر ومقدس ... وبه يباهى العسكر الروحانى
هو خير كل مقرب متقدم ... والفضل بالخيرات لا بزمان
والطل قد يبدو أمام الوابل ... فالطل طل ليس كالتهتان
ألفيته بحر الحقائق والهدى ... ورأيته كالدر فى اللمعان

القصيدة لغتها لا بأس بها، لانجد فى القصيدة تلك الروعة

البيانية والرشاقة اللفظية والجزالة التى تضفى على القصيدة الجمال والبهاء وتجعلها تهتزلها الأعطاف وتبتهج لها القلوب وتستمع اليها الآذان. بل على عكس ذلك نجد بعض الأخطاء اللغوية مثلاً عدّى الشاعر الوصول بالباء فى المصراع الثانى من الشعر وهو قوله: وبه الوصول بسدّة السلطان ومن المعلوم أن الوصول يعدى بإلى. يقال وصلت إليه ولا يقال وبه وصلت به، هذا خطأ فاحش وكذلك قول الشاعر هو جنة إنى أرى أثماره – وقطوفه قد ذللت لجنانى كان من اللازم حسب قواعد النحو أن يقول الشاعر هو جنة إنى أرى أثمارها وقطوفها قد ذلّلت لجنانى.

فى القصيدة النونية ادّعى الشاعر وفاة عيسى عليه الصلوٰة والسلام وهذا ينافى عقيدة أهل السنة والجماعة ويتناقض مع الآيات والأحاديث الصريحة الّتى تشير إلى رَفع عيسى عليه الصلوٰة والسلام إلى السماء وأنه سينزل فى آخر الزمان حين تقترب الساعة، وقد ألف العلماء كتبا عديدة فى إثبات حياة عيسى عليه الصلوٰة والسلام منها كتب العلّامة أنور شاه الكشميرى (١٢٩٢ھ – ١٣٥٤ھ) باسم عقيدة الإسلام فى حياة عيسى عليه السلام وتحية الاسلام فى حياة عيسى عليه السلام وإكفار الملحدين فى ضروريات الدين والتصريح بما تواتر فى نزول المسيح وما إلى ذلك من الكتب المؤلّفة فى حياة عيسى عليه السلام والصلوٰة لغيره من العلماء.

يقول الشاعر وهو يذكر عقيدته الباطلة بأن عيسى عليه والصلوٰة والسلام قد مات وحياته ليست بثابتة:

قد مات عيسى مطرقا ونبيـ	ـنا حى وربى انه وافانى
ها ان تظنيت ابن مريم عائشا	فعليك إثباتا من البرهان
أفأنت لاقيت المسيح بيقظة	أوجاءك الأنباء من يقظان

أنظر إلى القرآن كيف يبين	أفانت تعرض عن هدى الرحمان
فاعلم بأن العيش ليس بثابت	بل مات عيسى مثل عبد فان

القصيدة النونية التى درسناها فى الأوراق السالفة قد قدّم لها صاحب القصيدة المرزا غلام أحمد القاديانى، وهذه المقدمة تسلط بعض الضوء على ما احتوت عليه القصيدة، يقول المرزا:

"هذه القصيدة أنيقة رشيقة مملوءة من اللطائف الأدبية والفرائد العربية فى مدح سيدى وسيد الثقلين خاتم النبيين محمد الّذى وصفه الله فى الكتاب المبين، ألّلهم صلّ وسلم عليه إلى يوم الدّين وليست هذه من قريحتى الجامدة وفطنتى الخامدة وما كانت رؤيتى الناضبة ضليع هذا المضمار ومنبع تلك الأسرار بل كل ما قلت فهو من ربّى الّذى هو ومؤيدى الذى هو معى فى كل حينى الذى يطعمنى ويسقينى وإذا ضللت فهو يهدينى وإذا مرضت فهو يشفينى ما كسبت شيئا من ملح الأدب ونوادره ولكن جعلنى الله غالبا على قادره وهذه آية من ربّى لقوم يعلمون وإنى أظهرتُها وبينتُها لعلى أجزى الشاكرين ولا ألحق بالذين لايشكرون". (الدرر الثمينة: ص١٥)

وله قصائد أخرى غير هذه القصيدة النونية وننقل هنا بعض الأبيات من القصائد الأخرى ليطلع القارئ على أبياته الّتى مدح بها رسول الله ﷺ، يقول المرزا.

يا قلب اذكر أحمدا	عين الهدى مغنى العدا
برّا كريما محسنا	بحر العطايا والجدا
بدر منير زاهر	فى كل وصف حمّدا
إحسانه يصبى القلو	ب وحسنه يردى الصدا
الظالمون بظلمهم	قد كذبوه تمرّدا

ويقول فى إحدىٰ قصائدة:

فطوبى لمن صافى صراط محمد … وكمثل هذا النور ما بان نيّر
وصلنا إلى المولى بهدى نبينا … فدع ما يقول الكافر المتنصّر
فدع كل ملفوظ بقول محمد … وقلّد رسول الله تنج وتغفر
وليس طريق الهدى الاّ اتباعه … ومن قال قولا غيره فيتبّر
ومن يرتقوى غير هدى رسولنا … فذلكم الشيطان يعتو ويشغر

ويقول المرزا فى إحدى قصائده:

ولمّا تجلّى نورُهُ التام للورى … ولوّح وجه المنكرين وسوّدا
كريم السجايا أكمل العلم والنّهى … شفيع البرايا منبع الفضل والهدى
بشير نذير آمر مانع معا … حكيم بحكمته الجليلة يقتدى
له درجات ليس فيها مشارك … شفيع يزكينا ويدنى المبعّدا
وما هو الاّ نائب الله فى الورى … وفاق جميعا رحمة وتودّدا
تخيّره الرحمن من بين خلقه … وأعطاه مالم يعط أحد من الندى
وأرسله البارى بآيات فضله … إلى حزب قوم كان لدّاومفسدا

هذه بعض النماذج لقصائده العديدة، ونظرة فاحصة على القصائد كلها توصلنا الى النتائج التالية:

القصائد كلها ينقصها الوحدة الفكرية وصفاء الديباجة والإجادة فى اختيار الألفاظ الرشيقة والتراكيب العربية الفصيحة والتقيد بالوزن والقافية والبحور واتباع القواعد النحوية فعلائق المعانى واهنة واهية ومساق الأبيات مفكك مضطرب، ليس هناك متانة التركيب ولا جزالة اللفظ ولارشاقة المعنى ولا جمال السبك، والقصائد كلها خدع بها المرزا المسلمين السذج الذين ليس لهم معرفة تامة بمكائد المرزا غلام أحمد القاديانى، فقد يظن القارئ لهذه القصائد أن المرزا غلام أحمد كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبّا جمّا وأنه كان يتتبع سنن

رسول الله فى أفعاله وأقواله وبذلك ينخدع المسلمون بكلامه وهتافاته وترّهاته وشطحاته، والحقيقة التى لا يختلف فيها إثنان من المسلمين أن المرزا لو كان مؤمنا حقا بنبوءة محمد صلى الله عليه وسلم لم يجرأ على ادّعاء النبوّة، لأن سلسلة النبوّه ختمت على محمد صلى الله عليه وسلم، فا الرجل الّذى يدعى النبوّة بعد نبوّة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يكون صادقا فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بل هوَ كاذب فى مدح الرسول أراد به كسب قلوب المسلمين وتقريبهم إلى دينه الجديد الباطل، فثبت أن القاديانية مؤامرة خطيرة وثورة على النبوّة المحمدية.

يقول العلامة المفكر الاسلامى السيد أبو الحسن على الحسنى الندويؒ:

"إن عقيدة ختم النبوّة تقود المؤمن بها إلى الأمام بدلا عن أن تدفعه إلى الوراء وتحض الانسان على استخدام طاقاته فى مصالح العباد والبلاد وترشده إلى مواطن الخدمة البشرية وميادين تصلح للزرع والانتاج وإن لم يكن هذا وسعى وراء كل ناعق ولم ينته من النظر إلى السماء منتظراً إلى تلقى التوجيه والإرشاد عن طريق الوحى والإلهام ظلّ هائما تائها طول حياته على غير هدى وضلّ عن سواء الطريق، أقول هذا عن بينة من الأمر فقد زعم المرزا القاديانى أن الأرض كانت عقيمة جدباء وكانت الإنسانية كأودية قفراء قبل وجوده ولما تشرقت به الأرض تهلّلت وأنبتت وأتت بكل زوج كريم فإن كانت الأرض مجدبة كما زعم المرزا فى بيت شعر له فمن يضمن أن لايحذو ثان وثالث حذوه فيدعى النبوّة يستعمر الأرض من جديد ويبقى العالم قفًرا ينتظر نبيا جديدا فى كل عصر ومصر (١)

(١) البعث الإسلامى: ص ١٨-١٩ شوال - ذو القعدة ١٤١٨هـ

الشيخ عبدُالحى الكفليتوى

١٢٨٣هـ - ١٣٣١هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ عبد الحى بن أحمد الكفليتوى السورتى الغجراتى فى سورت سنة ١٢٨٣هـ وقرأ الكتب الدراسية على والده ثم تلقى العلوم من علماء عصره من المحدثين والفقهاء والأصوليين حتى برع فى العلوم والفنون على اختلافها،

كان ذكيا فطنا، حاد الذهن، خطيبا مصعقا متبحرا فى العلوم والفنون وله مشاركة طيبة فى المعقولات والمنقولات.

توفى بمدينة رنكون - حيث كان خطيبا بالجامع - سنة إحدى وثلاثين وثلث مائة وألف (١٣٣١هـ) من الهجرة النبوية (١) وترك مؤلفات قيمة لطلبة العلم من العلماء (٢)

شعره:

كان الشيخ عبدالحى الكفليتوى من الشعراء الّذين يقدرون على قرض الأبيات فى مختلف العلوم والفنون وله صناعة عجيبة فى اللغة العربية لا يقدر عليها غيره، إنه ألف كتابا فى الصرف باسم "نظم الدرر"

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام : ٨/٤٥٠ مجلة دارالعلوم: ص :٣٨.

(٢) مؤلفاته: كتاب البصائر فى تذكير العشائر، وكتاب المدافع الالهية فى الرد على مذهب البابية، ونسيم الصبا فى حرمة الربوٰ سلعة القربة فى توضيح شرح النخبة، ونظم الدرر فى الصرف، وعقد الفرائد فى العقائد، ونزهة الأنظار فى المنطق والطيب المرام فى فرائض الإسلام ونضرة النعيم والفيض العميم والعلوم الإسلامية وهدية السفر ونشر الفوائد وإجابة السائل عن القنوت فى النوازل والقول الأغر فى شرح نظم الدرر ومجموعة خطب منبرية ورسالة فى حكم أجرة تلاوة ورسالة فى حكم الثياب المقصورة ورسالة فى حكم التحرك فى الصلوٰة والسبيل الأقوم فى توضيح المسلم وترجمة فصول حميدية، راجع أضواء على تاريخ الحركة العلمية والمعاهد الإسلامية والعربية فى غجرات ص: ١٤٦

وشرحه شرحا وافيا وسماه بالقول الأغرّ والكتاب كلّه منظوم وبدأ المؤلف كتابه بقوله:

يقول عبدالحى ذو الأثام حمداً لمولى الحمد والإنعام

وكذلك ألّف الشاعر كتابا باسم عقد الفرائد فى نظم العقائد، وبدأه بقوله:

يقول عبدالحى فى ابتداء سبحان رب الأرض والسماء

وكذلك للشاعر "نزهة الأنظار" منظومة فى المنطق، بدأه المولف بقوله:

يقول عبدالحى ذوالعيوب حمدا لمن أحاط بالغيوب

هذه الكتب المنظومة تشهد ببراعة الشاعر فى اللغة العربية لأن تأليف الكتب باللغة العربية لرجل نشأ بعيداً عن مهد اللغة العربية ليس بأمر يسير إذا كان التأليف منثورا أما إذا كانت المؤلفات باللغة العربية ومنظومة فهذا بلاشك لأكبر دليل على اقتدار الرجل على اللغة العربية اقتداراً كاملاً.

عثرنا على قصيدتين للشيخ عبدالحى الكفليتوى فى المديح النبوى، والقصيدتان تدلّان على حب الشاعر العميق لشخصية النبى الأعظم صلى الله عليه وسلم دلالة واضحة وتنمّان على أن حب النبى صلى الله عليه وسلم قد امتزج بلحمه ودمه ودخل شغاف قلبه، والقصيدتان بدأهما الشاعر بالمديح النبوى مباشرة دون أن يبدأهما بالتشبيب والنسيب جريا على مسلك الشعراء القدامى.

يقول الشاعر فى بداية إحدى قصيدتيه:

بدت ملّة حلّت جميع الجوانب وقد أشرقت منها ليالى الغياهب

وزالت ظلام فى قلوب تراكمت فأضحت شروقا كالنجوم الثواقب

بداية خلق الله خاتم رسله ... لذا كان موسوما يقينا بعاقب

وأكرم حى فى أناس بأسرهم ... وأفضل من لؤى بن غالب

فأشرفهم نفسا وبيتا وشيمة ... لذا اجتمعت فيه صفات النجائب

وبين دينا مستقيما مهذّبا ... وأقلع عرق الشرك عن كل جانب

فما ملّة إلّا محاها بدينه ... لما حرّفت فيها كثير المطالب

وأعطاه قرآنا بليغا إلهه ... يجرّ إلى دين الهدى كل طالب

ويدعو إلى جنات عدن معدة ... وينهى عن النيران ذات المعاطب

الأبيات المذكورة أعلاه تشير الى تلك الصفات التى أكرم الله بها الرسول صلى الله عليه وسلم بدون مراء خاتم الأنبياء والرسل وأشرف الناس نفسا وبيتا وشيمة وقد اجتمعت فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم الصفات الكريمة كلها والسجايا النبيلة بأسرها وكذلك ذكر الشاعر فى قصيدته تلك الشريعة الّتى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت تلك الشريعة واضحة مستقيمة وقد أقلعت هذه الشريعة عرق الشرك والوثنية وعبادة الأوثان والأصنام والأحجار وعبادة المخلوق وقد نسخت هذه الشريعة الملل والأديان كلها الى أن تقوم الساعة وكذلك نسخ القرآن الكريم الكتب المنزلة كلها، لأن الكتب السماوية الأخرى قد مسته يد التحريف على مرّ الأيام وكرّ الدهور فلم تبق منهلا عذبا ومنبعا صافيا للواردين.

ثم ينعى الشاعر فى نهاية القصيدة على الّذين أعرضوا عن الدعوة الّتى دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال:

فيا ويح قوم أعرضوا عن نبيّهم ... إذا ما أخيفوا من بئيس المواجب

ونودوا إلى عيش رغيد مؤبد ... جنان وغلمان وحور كواعب

وآذوه إيذاءً بسبّ وضربة ... وإخراجه عن داره والأقارب

ثم أثنى الشاعر على المهاجرين والأنصار الذين نصروا النبىّ صلى الله عليه وسلم وآووه وعزروه فى المنشط والمكره والشدّة والرخاء، فقال:

فآواه أنصار كرام بطيبة ... وفازوا بنصر فى جميع النوائب

فطوبى لقوم هاجروا مع نبيهم ... ومن عزّروه فى جميع المصائب

والقصيدة الثانية اليائية بدأها الشاعر بقوله:

إلى ما أرى يا طيب منك التراخيا ... وقد حلّ وحط الشيب بالرأس ثاويا

وأخبرنى عن قرب الرجال نصيحة ... فدونك طاعات وخلّ المساويا

وعضّ على ما فات منك أناملا ... وفجّر من العين الدموع الهواميا

فكم مرّة وافقت نفسا مريدة ... فقد حمّلت شرّا عليك الرواسيا

وكم مرّة أحدثت بدعا لشهوة ... وغادرت هديا مستقيما توانيا

ثم استطرد إلى قوله:

فأرجو رسول الله منك شفاعة ... فحقق رسول الله منك رجائيا

اذا اشتد يوم ذو هموم وكربة ... وقد كان أعمال علىّ ولا ليا

فجودك معروف وفيضك ضائع ... ولم ياب هذا غير من كان غاويا

القصيدتان ليستا رائعتان لكنهما تحملان طابع اللغة العربية وتحتويان على الألفاظ الفصيحة والتعبيرات البليغة والأحاسيس الصادقة والمشاعر النبيلة والحب العميق للرسول صلى الله عليه وسلم ولشريعته الّتى أنزلها الله على رسوله الأمين، إن الرّشاقة والجزالة اللّتين تضفيان على القصيدة الجمال والبهاء قلما نجدهما فى القصيدة لكن الشاعر موفق كل التوفيق فى التعبير عن الأحاسيس باللغة العربية الفصحى واستخدام الألفاظ المأنوسة واجتناب التعقيدات اللفظية والمعنوية والاحتراز عن الإغراق الّتى تجنى على محاولات الشاعر الشعرية ويذهب بالرصانة الّتى تجعل

القـصيـــدة متينة رشيقة، نجد فى القصيدتين. الرّقة والسلاسة والسهولة وأسلوب القصيدتين سهل واضح عذب، والقصيدتان تصوّران نفسيّة الشاعر وحبّه للممدوح الذى أحلّه الله ذرى المجد والشرف وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين.

القصيدتان تحتلّان مكانة لائقة بها بين القصائد الّتى قيلت فى الهند وإن لم تبلغا إلى الدرجة الّتى بلغت إليها قصائد غلام على آزاد البلكرامى والشيخ عبدالمقتدر الكندى والشيخ أحمد التانيسرى وغيرهم من الشعراء.

الشيخ عبد المنعم الجاتغامى

١٢٦٥هـ - ١٣٣٣هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ عبد المنعم فى جاتغام فى حدود سنة ١٢٦٥ من الهجرة النبوية وتلمّذ على أساتذة المدرسة العالية بكلكته حتى برع فى العلوم والفنون وصار أحد العلماء المبرزين فى النحو واللغة والمعانى والبيان والعروض والشعر.

ولما تخرّج من المدرسة العالية ولّى التدريس فى مدرسة دهاكه ثم جاتغام ثم جعل ناظور المدرسة المحسنية بدهاكه.

انتقل الشيخ إلى رحمة الله سنة ثلاث وثلاثين وثلث مائة وألف (١) وترك بعض الآثار الأدبية. (٢)

شعره: كان الشيخ عبدالمنعم شاعراً بارعاً ويدلّ على براعته فى الفنون الشعرية ديوانه المطبوع وقد مدح الشاعر بعض أخلاقه بقوله:

جرى دمعى المهراق شجواً بمنزل ... رأينا به داراً تراءت كعوكل
وروضا بهوج الريح صارت غصونه ... أيادى ندب فوق رأس لعيطل
ذكرت بها سلمى أؤمل وصلها ... وكيف الرجا يا قلب لى فى عقنقل
فقلت لعينى سامحينى بعبرة ... فلبت فجاءتنى بدمع مسلسل
رأينا بها عينا تولّت فلم تعد ... كدأبك مذ هاجرتنى لم تحول
فهل بعد صد زورة منك خفية ... تداوى بها قلب الكئيب المذلل
أعينى بسجع يا حمامة ضارعا ... معنى وقد أعياه نوح التعزّل
تراكمت الأحزان والقلب واحد ... تزاحمت الأثقال فى كور محمل
وما عيش من قد بات يبكى تقطّعا ... بناب جديد أنشبت أم رنقل

(١) نزهة الخواطر ٣٣٢/٨ ـ(٢) تصويب البيان فى شرح الديوان وهو شرح ديوان المتنبى وديوان الشعر العربى

وكيف التذاذ الراح ممن تصادمت ... عليه مراز لم يطق صدر أعبل
صعود العلى همى وما كنت خائبا ... تنفس صعداتى ترى غير أسفل
تقلبنى الأيام تقليب قلب ... تحولنى الأحوال تحويل حوّل
أيا دهر هل منك لطف تداركا ... لبلبال بال المستهام المقتل
فأما تداركٌ أو أشد مراجعا ... زمامى إلى باب النبيل المبجّل (١)

ونقل هنا بعض الأبيات من القصيدة الأخرى الميمية الّتى يعبر فيها الشاعر عن قلقه وتضجّعه على فراق الأحبّة:

يا ليت لى بمراتع الآرام ... من نزلة تطفى اضطرام غرامى
كانوا الضياء وفارقوا فبقاعهم ... بعد الضياء تبرقعت بظلام
رحلوا وقد رحل الحبيب لظعنهم ... وخلف الأكباد بالآلام
رحلوا وقد سلبوا العقول وأضرموا ... نار الجوى بجوانحى وعظام
لهفى على دار ترى بقطابهم ... قطبت بعيد تهلّل بسّام
لا خير فى عيش الفتى وحبيبه ... مستنكر لمودّة الأحلام
أوكل من عشق استحق ملامة ... لا والّذى بيديه كل زمام
مالى ألام على الهوى وُددت لو ... أفحمت فيه عواذلى وندامى
أ ألام فيه على الحمام وإنّنى ... أحببت لولاقيت فيه حمامى
لو يعلمون من الّذى أحببته ... ما لا منى على الهوى لوّامى (٢)

وللشاعر قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، منها قوله:

إليك رسول الله أهدى ثنائيا ... وأبغى به قربا وإن كنت نائيا
أقرب نفسى من جنابك سيّدى ... عسى أن أرى روحا على البعد دانيا
عسى تكشف البلوى وكم بك فرجت ... غوائل اذ نوديت أدرك غيائيا
أومل منك العطف عطف عواطف ... وإن كنت عما يجلب العطف قاصيا
فانّك شمس يستضاء بنورها ... وما كل شئ يقبسُ الضوء صافيا
أتيتك أرجو من نوالك رشحه ... وما خاب مستسق أتى البحر صاديا (٣)

(١) نزهة الخواطر: ٨/٣٣٤-(٢) نزهة الخواطر ٨/٣٣٤ - (٣) نزهة الخواطر ٨/٣٣٤

عبدُ النّبى الكجراتى

١٢٧٠هـ - ١٣٣٦هـ

نشأته وحياته:

الشيخ عبد النبى الكجراتى هو من علماء القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية من ولد فى حدود سنة ١٢٧٠هـ بولاية كجرات وكلامه فى المديح النبوى يدل على أنه عالم وله قدرة على قرض الأشعار، توفى رحمه الله فى سنة ١٣٣٦ من الهجرة النبوية (١)

شعره:

بين أيدينا قصيدة للشيخ عبد النبى الكجراتى فى المديح النبوى نقدّم منها بعض الأبيات:

إلٰهى يا مجيب المستهام ... سألتك بالنبىّ فخر الأنام
حبيبك مصطفى الصدر المعلى ... رسولك سيد الرسل العظام
محمد النبى شفيع خلق ... وجيهك مستجابك بالكلام
صلاة الله ألفا بعد ألف ... إلى أبد عليه مع السلام

ثم يقول الشاعر بعد الأبيات المذكورة أعلاه

خصوصا بالعتيق رفيق غار ... أبى بكر لاسلامى امام
وبالفاروق قامع عرق كفر ... وعثمان المجمّع للكلام
ومولانا على حيدر الله ... ظهير محمد فى الازدحام

هذا المديح النبوى لا نجد فيه الروعة الأدبية والجزالة الشعرية والأسلوب الرشيق الجذاب.

(١) مجلة الرشيد ص: ٢٩١. سنة ١٤١١هـ- لاهور - الباكستان.

المفتى أحمد رضا خان البريلوى

١٢٧٢هـ - ١٣٤٠هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ العالم المفتى أحمد رضا خان بن نقى على بن رضا على الأفغانى الحنفى البريلوى يوم الاثنين عاشر شوال سنة اثنتين وسبعين ومائتين بعد الألف ببلدة بريلى واشتغل بالعلم على والده ولازمه مُدة طويلة حتى برع فى العلم وفاق أقرانه فى كثير من الفنون لا سيما الفقه والأصول وفرغ من تحصيله سنة خمس وتسعين ومائتين وألف ثم حج سنة ثلاث وعشرين وثلث مائة وألف.

وأسند الحديث فى الحجّة الأولى عن السيد أحمد زينى دحلان الشافعى المكى والشيخ عبدالرحمن سراج مفتى الأحناف بمكة والشيخ حسين بن صالح جمل الليل وذاكر علماء الحجاز فى بعض المسائل الفقية والكلامية وألّف بعض الرسائل أثناء إقامته بالحرمين وأجاب عن بعض المسائل الّتى عُرضت على علماء الحرمين وأعجبوا بغزارة علمه وسعة اطلاعه على المتون الفقهية والمسائل الخلافية وسرعة تحريره وذكائه.

ورجع إلى الهند وأكبّ على التاليف وتحرير المسائل والردّ على مخالفيه والافتاء. كان متشدّدا فى المسائل الفقهية والكلامية متوسعا مسارعا فى التفكير، قد حمل لواء التكفير والتفريق بالديار الهندية فى العصر الأخير وتولى كبره وأصبح زعيم هذه الطائفة تنصرله وتنسب إليه تحتج بأقواله وكان لايتسامح ولا يسمح بتأويل فى كفر من لا يوافقه على عقيدته وتحقيقه أو من يرى فيه إنحرافا عن مسلكه ومسلك آبائه

شديد المعارضة دائم التعقب لكل حركة إصلاحية، انعقدت حفلة "مدرسة فيض عام" سنة إحدى عشرة وثلاث مائة وألف فى كانفور ومن أكبر أغراضها توحيد كلمة المسلمين وإصلاح ذات البين بين علماء الطوائف وإصلاح التعليم الدينى وحضرها المفتى أحمد رضا المترجم وخرج منها وقد قرّر محاربة هذه الجمعية فأصدر صحيفة أسماها التحفة الحنفية لمعارضة ندوة العلماء، وألف نحو مائة رسالة وكتاب فى الرّدّ عليها وأخذ فتاوى العلماء فى أنحاء الهند وتوقيعاتهم وأخذ على ذلك توثيق علماء الحرمين ونشره فى مجموعة سمّاها: فتاوى الحرمين برجف ندوة المين فى سنة سبع عشرة وثلث مائة وألف.

ثم انصرف إلى تكفير علماء ديوبند كالإمام محمد قاسم النانوتوى والعلاّمة رشيد احمد الكنكوهى والشيخ خليل أحمد السهارنفورى والشيخ أشرف على التانوى ومن والاهم ونسب اليهم عقائد هم منها براؤ، ونصّ على كفرهم وأخذ على ذلك توثيقات علماء الحرمين الذين لايعرفون الحقيقة ونشرها فى مجموعة سمّاها: "حسام الحرمين على منحر أهل الكفر والمين" قال فيها من شك فى كفرهم وعذابهم فقد كفر واشتغل بهذا الردّ والنقض والمحاربة والمعارضه لاتأخذه فى ذلك هداذة ولا يعتريه وهن حتى أصبح التكفير شغل الناس الشاغل وكانت مضاربات ومحاكمات وفتن ومشاغبات.

وكان يعتقد بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم الغيب علما كليا فكان يعلم منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة بل إلى الدخول فى الجنة والنار جميع الكليات والجزئيات لا تشذ عن علمه شاذة ولا تخرج من إحاطته ذرّة وكان يعبر عنه بقوله "علم ما كان وما يكون" وقد صنف فى هذا الموضوع عدّة رسائل منها رسالة سماها "إنباء المصطفى" ورسالة

أخرى باسم "خالص الاعتقاد" وله رسالة فى هذا المعنى بالعربية سماها "الدولة المكية" وعلق عليها حاشية زادت عليها إضعافا مضاعفة سماها "الفيوض المكية" وكان ينتصر التقاليد والبدع الشائعة وقد ألف فيها رسائل مستقلّة وألف رسائل فى الاستمداد والاستعانة بأولياء الله وأهل القبور وكان مع ذلك يرى حرمة سجدة التحية وهى رسالة جامعة تدل على غزارة علمه وقوة استدلاله وكذلك كان ينتصر للاعياد الّتى تقوم على القبور ويسمّيها أهل الهند "الأعراس" ومع ذلك يحرّم الغناء بالمزامير ويحرّم صنع الضرائح المنسوبة إلى الحسين عليه السلام التى يصنعها أهل الهند بالقرطاس ويسمّونها "تعزية".

كان عالماً متبحراً، كثير المطالعة واسع الإطّلاع، له قلم سيال وفكر حافل فى التأليف، تبلغ مؤلفاته ورسائله على رواية بعض مترجمية إلى خمس مائة مؤلف، أكبرها الفتاوى الرضوية فى مجلدات كثيرة ضخمة كان قويّ الجدل شديد المعارضة، شديد الإعجاب بنفسه وعلمه قليل الاعتراف بمعاصريه ومخالفيه ، شديد العناد والتمسك برأيه، يندر نظيره فى عصره فى الاطّلاع على الفقه الحنفى وجزئياته يشهد بذلك مجموع فتاواه وكتابه "كفل الفقيه الفا هم فى أحكام قرطاس الدراهم الّذى ألّفه فى مكة سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة وألف وكان راسخا طويل الباع فى العلوم الرياضية والهيئة والنجوم والتوقيت ملّما بالرمل والجفر، مشاركا فى أكثر العلوم قليل البضاعة فى الحديث والتفسير.

مات لخمس بقين من صفر سنة أربعين وثلث مائة وألف من الهجرة النبوية (١)

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام : ٨/٥٢-٤٩

شعره: كان المفتى أحمد رضا خان البريلوى متضلعا من اللغة العربية وتدل على نبوغه فى اللغة العربية كتبه الّتى ألفها باللغة العربية وقد عثرنا على قصيدته فى الحمد والمدح التى تدل على براعته فى قرض الشعر باللغة العربية، والقصيدة كما تلى:

الحمد للمتوحد ... بجلاله المتفرّد
وصلاته دوما على ... خير الأنام محمّد
والآل والأصحاب هم ... ماواى عند شدائد
فإنى العظيم توسلى ... بكتابه وبأحمد
وبمن أتى بكلامه ... وبمن هدى وبمن هدى
وبطيبة وبمن حوت ... من عند ربّ واحد
لاهم قد هجم العدى ... من كل شاؤ أبعد
فى خيلهم ورجالهم ... مع كل عاد معتد
هاوين زله مثبت ... باعين ذلة مهتد
لكن عبدك آمن ... اذمن دعاك يؤيد
لأختشى من بأسهم ... يد ناصرى أقوى يد
لاهم فادفع شرّهم ... وقنى مكيدة كائد
وآدم صلوتك والسلا ... م على الحبيب الأجود
والآل أمطار الندى ... والصحب سحب عوائد
ما غرّدت ورق على ... بان كثير مغرّد
واجعل بها أحمد رضا ... عبدا بحرز السيد (١)

(١) الفضل الموهبى : ص ٤٨

حبيب أبو بكر بن شهاب العلوى الحيدرآبادى

١٢٦٢هـ - ١٣٤١هـ

نشأته وحياته:

ولد العلّامة حبيب أبوبكر بن عبد الرحمن بن محمد بن على بن عبدالله بن عيدروس بن على بن محمد بن شهاب الدين أحمد العلوى بقرية آل فلوقة فى اليمن سنة ١٢٦٢هـ ونشأ وترعرع فى أحضان العلم والثقافة والشرف والتقوى، تثقّف فى حجر والده الكريم وتتلمذ على أخيه الأكبر العالم الفقيه العابد المتورع السيد عمر الملقب بالمحضار وتعلّم القرآن الكريم والكتابة من الكاتب المعلم الصالح باغريب وتلقّى العلوم والفنون من العلماء الكبار الذين يبلغ عددهم إلى المائة، منهم العلّامة الصالح السيد محمد بن ابراهيم بافقيه العلوى والشيخ البقية حسن بن حسين الحداد العلوى والشيخ على بن عبدالله بن شهاب الدين أحمد العلوى والحبر الجليل الشيخ حامد بن عمر بافرج العلوى والشيخ حبيب المحسن بن السقاف العلوى والشيخ أحمد بن محمد المحضار العلوى والشيخ محمد بن عبدالله باسودان الكندى.

كان رحمه الله جم الفضائل والأخلاق معتدل القامة، حسن السمت سمحا كريما عادلا، فصيح المنطق، سريع الفهم والإدراك، صريح القول، قوىّ الحافظة والحجة، متوقدالذهن، غيوراً شجعانا، واسع الاطّلاع فى البحث والدراسة، متضلّعا من العلوم العربية واللغة العربية وآدابها بارعا فى الفنون مع الفطنة والذكاء وسلامة الطبع.

فى عام ١٢٨٦هـ رحل الشيخ حبيب من اليمن الى الحجاز فحجّ

وزار وأقام بمكّة المكرمة مدة طويلة وأخذالعلم من علماء الحجاز منهم الشيخ فضل باشا العلوى والعلامة أحمد بن زين دحلان فازداد علما ومعرفة وثقافة ثم عاد إلى وطنه وفى عام ١٢٨٨هـ رجع إلى عدن ولقى هناك الأمراء ورجال العلم والأدب فعرفوا غزارة علمه وفضله واستفادوا منه فى العلوم والفنون ثم سافر الشيخ إلى الشرق الأقصى وأقام بجزيرة جاوا واتّجر هناك ثم عاد إلى وطنه سنة ١٢٩٢هـ واشتغل بالتدريس والإفتاء والدعوة والإشاد ودعا الناس إلى مذهب السلف، وطالب منهم أن يبتعدوا عن الشرك والبدع والخرافات ومحدثات الأمور وأوذى إذاءً شديداً فى سبيل التمسك بالشريعة ونبذ البدع والشرك والخزعبلات الشيطانية، وحدثت الحوادث فى اليمن فاضطر الشيخ إلى أن يغادر وطنه إلى الحجاز والشام ومصر والقدس فالآستانة، فى الآستانة رحب به السلطان ترحيبا حاراً وقلّده النيشعان المجيدى المرصع وأهدى السلطان إليه سيفا ثم بعد مدة غير طويلة توجه الشيخ إلى الشرق وقدم الهند واستوطن حيدرآباد الدكن وألقى هناك عصا التسيار وتولّى التدريس فى المدرسة النظامية فى شبلى كنج حيدرآباد. (١) حتى أحيل إلى المعاش،

كان من العلماء البارعين فى اللغة العربية فانتفع به خلق كثير وتخرج على يده العلّامة عبد القدير الصديقى والأديب السيد ابراهيم الرضوى والشاعر الحكيم محمد وحيد الدين العالى والأستاذ الدكتور عبدالحق والدكتور المقرى السيد كليم الله القادرى وغيرهم من العلماء الكبار الذين تضلّعوا من اللغة العربية كتابة ونطقا، نثرا ونظما.

قد خدم الشيخ العلوم والفنون فى ميادين البحث والدراسة والإفتاء

(١) مقدمة ديوان قريع البلغاء لابن شهاب العلوى

والدعوة والإرشاد وألّف كتبا قيمة (١) إلى أن مات يوم الجمعة سنة ١٣٤١ه بمدينة حيدرآباد ودفن بمقبرة مسجد برق جنك بحيدرآباد.

شعره: كان الشيخ ابن شهاب العلوى من فحول الشعراء، متضلعا من اللغة العربية وآدابها وفنونها بارعا فى الأدب العربى نثرا ونظما يوجد كلامه فى أكثر أغراض الشعر من المدح والتهنئة والتبريك والمناقب والتقريظ والرثاء والذمّ والوصف والعتاب، وأشعاره كلها مليئة بالألفاظ الجزلة والمعانى الرائقة والأساليب الرائعة، وقصائد تسيل رقة ودقة فهو شاعر مطبوع وقريحته تتفجر بالألفاظ العربية الفصيحة والتراكيب المانوسة البعيدة عن الأساليب العجمية والتراكيب الأجنبية والتعقيدات اللفظية والمعنوية، قصائده مرآة صادقة للالفاظ الناصعة والتراكيب المتينة والجمل الرصينة والكلمات الرشيقة العذبة الصافية الواضحة المعاني والأفكار والانطباعات والمشاعر

الشيخ أحمد بن عبدالله بن محسن علوى السقاف العلوى قد شهد له براعته فى النثر والشعر قائلا:

فهو فى النثر ناثر درر الحـ ... كم وفى الشعر شاعر لايجارىٰ
ليس ديوانه سوى روض علم ... تتهادى قطوفه أسرارا
أو عقود من لولؤ اللفظ لولم ... أتلها لم أظنها أشعارا
قد تجلّت بها غوانى معان ... لم أخل أمهاتها أفكارا

(١) مؤلفات الشيخ: العقود اللؤلوئية فى أسانيد السادة العلوية، والترياق النافع، وإقامة الحجة على تقى بن حجة، ونفح الورد الجورى شرح عقيدة الباجورى ورشفة الصاوى من بحر فضائل النبى الهادى، والورد القطيف من فضائل الورد اللطيف وفتوحات الباعث بشرح تقرير المباحث وأحكام إرث الوارث ووجوب الحمية عن مضار الوقية وتحفة المحقق، شرح نظام المنطق وكتاب سلوة المكروب ويقين كل محبوب قصة النبى يوسف بن يعقوب عليهما السلام ومرج البحرين، رسالة أوزان المرواريد ونظام المنطق، رتب الشاعر علم المنطق فى النظم وديوان الشعر.

مطرب مرقص بممتنع سهـ ... ل يزين انسجامه الابتكارا
فيه روح الفقيد تنثر من أعمـ ... الـه فى حياته أخبارا

عثرنا على قصيدتين للشيخ حبيب أبى بكر ابن شهاب العلوى الحيدرآبادى فى مدح النبى ﷺ، قرض إحدى قصيدتيه عند زيارته المدينة المنورة سنة ١٣٠٢ه.

يقول الشاعر

لذى سلم والبان لولاك لم أهوى ... ولا ازددت مع سلع وجيرانه شجوى
ولولاك ما انهلّت على الخد أد معى ... لتذكار ما الروحاء تحويه من أحوى
فأنت الحبيب الواجب الحب والذى ... سريرة قلبى دائما عنه لا تطوى

ثم يقول:

ولو أنهم دانوا بدين محمد ... وملّته لاستوجبوا العزوا
الا يا رسول الله يا من بنوره ... وطلعته يستدفع السوء والبلوى
وياخير من شدّت إليه الرحال من ... عميق فجاج الأرض تلتمس الجدوىٰ
عليك سلام الله يا من توجهت ... إلى سوحه الركبان تطوى الفلاعدوا
عليك سلام الله يا سيداً سرت ... بهيكله العضباء ترفل والقصوىٰ

وللشاعر قصيدة أخرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والجدير بالذكر أن القصيدة تحتوى على الحروف الغير منقوطة أى الحروف المهملة، وإنشاء القصيدة بالحروف المهملة لايقدر عليها الاّ من كان طويل الباع فى اللغة العربية مقتدراً على أساليبها حافظا لمفردات اللغة العربية.

يقول الشاعر مادحا للرسول ﷺ بقصيدته التى خلت عن الحروف المعجمة.

ساد رسل الله طه أحمد ... مصدر الكل له والموارد

هـو روح الـلـــه والأمـــر ومعــا ولـــه الـعــــالـم وهــو الـمـدد
كـــامــل لـمـــا ســـرى ألهـمـــه عــلــم مـا الـلـوح حـواه الـصـمـد
لـلـورى هـــاد ولـلأمـــاك والـــ سـمـــاء الأعـلــى الإمـام والأوحد
عــلــى أهـل الـكسا الـلـه صلـــ ى دوامــــا والسـلام الـسـرمـد
مــا دعـــا داع ومـا سعى سـاع وحـد احـاد وصـاح الـهـدهـد

محمد خليل الرحمن البرها نفورى

١٢٥٤هـ – ١٣٤٢هـ

نشأته و حياته:

ولـد الشيخ محمد خليل الرحمن فى برهانفور فى الولاية المتوسطة فـى القرن الثالث عشر من الهجرة النبويةفى حدود سنة ١٢٥٤هـ والّذى يـدلّ عـلـى أنه كان من رجال القرن الثالث عشر من الهجرة، ذكره العالم ربـانـى غـلام مـحـمد وسعد الله فى بداية ديوانه، ومن المعلوم أن الشيخ سعـد الـلـه السندى كان من رجال القرن الثالث عشر من الهجرة. كان الشيـخ سـعـد الـله الحنفى السندى أحد العلماء الربانيين ولد ونشأ ببلاد السـنـد وسـافـر لـلـعلم وأخذ عن أساتذة عصره ثم سافر إلى أمراوتى من أعـمال برار (ولاية مهاراشترا) وسكن بها فى الجامع الكبير وكان شيخا صـالـحـا عـفيفا كريم النفس شديد التوكل وهدى الله به خلقا كثيرا من عبـاده، تـوفّـى نـحـو سـنة اثنتين وتسعين ومائتين وألف (١٢٩٢ هـ) من الهجرة (١)

وكـذلك كـان الشيخ غلام محمد من رجال القرن الثالث عشر من الهجرة، فانه ولد سنة ست وخمسين ومائة وألف (١١٥٦هـ) من الهجرة ببلدة بتـالة فـى ولاية بـنـجـاب ونشأ بها ثم سافر إلى دهلى وقرأ صحيح البـخارى على الشيخ عبدالعزيز بن ولى الله العمرى الدهلوى وأسند عنه الـحـديـث ولازم الشيـخ الـكبيـر جـانـجانان العلوى الدهلوى وله اثنان وعشـرون سنة ولما توفى شيخه المذكور تولى الشياخة مكانه. كان من أحـد الاوليـاء السـالكين – كان يُحيى ليله بالعبادة والقيام الاّ قدراً يسيراً

(١) الاعلام بمن فى تاريخ الهند من الاعلام: ٧/٢٢٣–٢٢٢

من النوم – كان مجلسه مجلس علم وذكر فاذا تكلم فيه أحد بغيبة شخص كان يقول: إن أحق الناس بالذكر بالسوء أنا، وكان عادته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكان لا يأخذه فى ذلك لومة لائم وكان الملوك والصعلوك سواسية عنده فى ذلك.

مات لثمان بقين منن صفر سنة أربعين ومائتين وألف بدهلى (١) والدليل الثالث على أنه كان من رجال القرن الثالث عشر مولدا ديوانه المطبوع المورخ بـ ١٢٩٧هـ.

شعره:

ان الشيخ محمد خليل الرحمن البرهانفورى ثم الحيدرآبادى كان يقرض الأبيات باللغتين العربية والفارسية، وجل أبياته باللغة العربية والفارسية توجد فى المدائح النبوية صلى الله عليه وسلم.

يبدو من دراسة قصائد الشيخ محمد خليل الرحمن البرهانفورى أنه لم يكن شاعرا مطبوعا ولا نابغا فى قرض الأبيات باللغة العربية فنجد معظم أبياته لا تسلم من العيوب طبق قواعد اللغة العربية وحسب قواعد العروض وكذلك لا يستقيم الوزن فى أبيات عديدة لكنه أراد – كما أرى – أن يقدم ضريبة الحب إلى حبيبه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللغة العربية وان لم تسلم قصائده من العيوب، وهذا إن دلّ فقد يدلّ على حبّه العميق لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حاول الشاعر محاولة مكثفة وسعى سعيا مشكورا فى هذا المضمار وخرط نفسه فى سلك أولئك الأفذاذ الّذين مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم باللغة العربية الفصحىٰ فانخرط فى سلك المادحين للرسول صلى الله عليه وسلم.

(١) الاعلام بمن فى تاريخ الهند من الاعلام: ٧/٢٩٥ – ٢٩٢

نقدّم فى السطور الآتية بعض النماذج من قصائد الشاعر الّتى تدلّ على حبّه لذات الرسول خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

يقول الشاعر فى قصيدته البائية:

يا إمام المرسلين يا محمد يا نبى ... رحمة للعالمين شافعا ملقب
يا نبى المصطفى مقتدى للانبيا ... نورك شمس الضحى فى العجم والعرب
أنت سلطان لنا ما الوسيلة غيرك ... بدر بيت الله وأنت شمس اليثرب
أشرف الخلق دنى قربه بالاصطفا ... فخر جمع الانبيا حبه من واجب
قاب قوسين ومازاغ بصره قالها ... ربنا فى قربك يا عظيم المنصب
مارأينا مثلك وما وجدنا غيرك ... فى تقرّب ربّك يا كريم المذهب

وفى قصيدته التائيه يعبر الشاعر عن عواطفه وانطباعاته عن الرسول ﷺ بقوله:

يا نبى شق لك القمر وسجد الصامتات ... يظهر على يديك المعجزات الباهرات
أرسل الله إلينا مرسلا خير الورىٰ ... أكرم الخلق الكريم الخلق محمود الصفات
فى سماء القرب أنت سراج أوبدر الكمال ... إنك شمس الهدى على رؤس الكائنات
قولك وحى اهدى يوحى من الله العظيم ... فِعلك فتدلىّ اسمك مظهر خير الصفات

وللشاعر قصيدة رائية وكذلك قد بين فيها الشاعر بعض معجزات الرسول ﷺ بقوله:

صاحب الخلق الكريم واصفه مولى القديم ... وصفه بحر عظيم كيف نحصى فى السطور
تنطفى أنوار شمس منه لولا تستضى ... نار كسرى خمدت من نوره يوم الظهور
شوق أيوانه برعبه سقط الأصنام جمعا ... والقمر انشق جهرا نوره شمس البدور
منك نرجو يا محمد يا شفيع المذنبين ... أن ترى حبك فينا لا ترى منا الفتور

وللشاعر مسدس فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بدأه بقوله:

يا نعم جاه جلاله قال الإله بقاله ... من يتبع بمقاله فلنعم حسن مآله

شرقت شموس نواله رفعت مدارج حاله — العرش يوم وصاله قد كان تحت نعاله

بلغ العلا بكماله كشف الدجى بجماله

حسنت جميع خصاله صلّوا عليه وآله

أنظر إلى أفضاله يعطى بكل مناله — يسقى الأمم بزلاله ليمينه وشماله

الزم دوام خياله ما فى الورى بمثاله — هو فى الأزل كهلاله بدر نهاية حاله

بلغ العلا بكماله كشف الدجى بجماله

حسنت جميع خصاله صلّوا عليه وآله

شكر على إحسانه نعم الرسول بشانه — قمنا على برهانه فدخلنا فى رضوانه

جمع الرسل إخوانه إن سابقوا بزمانه — لم يبلغوا بمكانه من ليسوا فى ميزانه

بلغ العلا بكماله كشف الدجى بجماله

حسنت جميع خصاله صلّوا عليه وآله

وفى قصيدته النونية يمدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:

يا رسول الله محمد خير خلق أجمعين — رحمة للعالمين شافع للمذنبين

ليلة الإسراء اعلام لنا من قربك — إنك لمقرّب فكذا بربّ العالمين

يا رؤف يا رحيم صاحب الخلق العظيم — خصّنا بشفاعتك يوم الجزاء أجمعين

وفى القصيدة الهائية يقول الشاعر:

سألنا حب سيدنا دواما من جناب الله — دعانا أن يثبّتنا على ما فى كتاب الله

حبيب الخالق الأكبر له التاج له المنبر — رسول صاحب الكوثر فيسقى من شراب الله

القصائد كلها تشير إلى عدم معرفة الشاعر قواعد اللغة العربية البدائية وعدم وقوفه على مبادئ فن العروض، ولكن من حسن حظ الشاعر انه استطاع – مع علاتها – أن يعبر عن عواطفه وحبه لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بلغة القرآن الكريم وهذا هو قيمة القصائد و إن لم يكن هناك كبير قيمة للقصائد.

الشيخ محمد وحيد الدين العالى الحيدرآبادى

١٢٨٨هـ – ١٣٤٤هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ محمد وحيد الدين العالى الحيدرآبادى فى ٢٦ محرم الحرام سنة ١٢٨٨هـ فى حارة مغلفوره فى حيدرآباد، كان والده المنشى محمد كلان من أعيان المدينة، توفّى والده فى صغر سنة، قرأ الكتب الدراسية على علماء حيدرآباد ثمّ سافر إلى شمالى الهند للحصول على الدراسات العليا فى العلوم الدينية والطبية والعقلية وتتلمّذ على الطبيب الشهير والعالم الكبير الشيخ منصور على خان المرادآبادى ولازمة مدّة طويلة.

كان رجلا كريما متواضعا، طيب الكلام لين الجانب، مُتوقّد الذهن، واسع الاطّلاع على شئون العالم وخبيراً بالوقائع العالمية الإسلامية، حسن الأخلاق، حسن المحاضرة كثير المحفوظ بالأدب والشعر، متذوق العربية وآدابها ومتضلّعا منها، سريع الإدراك، قوى الحافظة، شديد الرغبة فى العلوم الطبية والعربية، كان يلبس القلنسوة التركية والعمامة فى آخر أيام حياته.

كان مصحّحاً فى دائرة المعارف بحيدرآباد، فالكتب العربية التى كانت تُطبع من دائرة المعارف، كان وحيد الدين العالى يقوم بتصحيحها بكل جدّ ودقة.

توفى العالى فى ١٩/شعبان سنة ١٣٤٤هـ فى حيدرآباد (١)

(١) عقد اللآلى فى مدح مولانا الحكيم محمد وحيد الدين العالى

شعره:

كان العالى من الشعراء المطبوعين باللغة الأردية والفارسية والعربية، وقد أثنى عليه العالم الكبير والأديب الأريب السيد على الحيدرآبادى بقوله:

للــه دروحيد الدين من فطن
ما لاح لى مثله من ساكن الدكن
رأيته ناطقا بالشعر معتربا
ومصعقا بالدرارى ألسن اللسن

كان العالى من طليعة شعراء الدولة الآصفجاهية، إنه نهل اللغة العربية وعلها وبرع فى اللغة العربية شعراء، يوجد كلام العالى فى مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم ومدح السيد زين العابدين ومدح والى الدكن ورثاء المسلمين ورثاء مصطفى باشا كامل رئيس الحزب الوطنى.

من المعلوم أن الأندلس الاسلامية لما احتلها النصارى وسيطرت عليها سيطرة كاملة وصادرت الحكومة المسيحية أموال المسلمين وأبعدت الملوك والولاة من الحكم، رثاها أحد أبناء ها رثاء يبكى العيون ويحزن القلوب، قام أبو البقاء صالح بن شريف الرندى ورثى الأندلس الإسلامية بأبيات منها:

لكل شئ اذا ما تم نقصان ... فلا يغرّ بطيب العيش انسان
فجائع الدهر أنواع منوعة ... وللزمان مسرّات وأحزان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الألف هيمان
على ديار من الإسلام خالية ... فقد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهن الآّ نواقيس وصلبان

أعندكم نبأ عن أهل اندلس ... قد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتزّ انسان
ماذا التقاطع فى الإسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله إخوان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان فى القلب إسلام وايمان

كذلك لما رأى العالى أوضاع المسلمين المعقدة المتألمة وضعفهم واستكانتهم فى الهند وتشتت رأيهم وتمزق أحوالهم والتقاطع والخلاف بين المسلمين رثى أحوال المسلمين فى الهند واختار نفس القافية التى اختارها صالح بن شريف الرندى لرثاء الأندلس، وهذه القصيدة فى رثاء أحوال المسلمين فى الهند تدلّ على علو كعب العالى فى اللغة العربية، يقول العالى:

هل من سبيل إلى وصل الألى بانوا ... بينى وبينهم بيد وقيعان
وفتية عذلونى حين هيّج لى ... نوح الطيور بكاء فيه أشجان
تقول مالك تبكى فى اشتياقهم ... لكل طير لها فى الأيك ألحان
فقلت ويحكم مهلا لأنى بى ... حزن تسعره كالنار أحزان
لما مضوا طفقت تعفو ديارهم ... كأنها مصحف تمحوه أزمان

ثم يستطرد إلى ذكر مجد المسلمين الغابر فيقول:

أين الألى أدركوا بالسعى من رتب ... مالا يسامته بدر وكيوان
أن الألى ملكوا شرقا كما ملكوا ... غربا وسادوا الورى حتى لهم دانوا
أين الألى طلعت شهب العلوم بهم ... حتى استنارت بها فى الأرض بلدان
كم من ملوك بهم حاق المنون وهم ... أهل الجنود فحول الحرب شجعان
كانت أرائكهم تعلو السماء كما ... كانت تضئ لهم كالشهب تيجان
يوما حضرت اذا ماتوا، منازلهم ... وفوق نحرى لدمع العين تهتان
شاهدت أبنية فيها تشير إلى ... فضل الألى قد بنوها وهى درسان

ثـم يذكر الشاعر الأخلاف الذين أضاعوا ما مُنحوا من أسلافهم من المجد والشرف قائلاً:

خلف أضـاعـوا هـدى أسلافهم ونسوا ... مـا قـد أتـاهـم بـه للضبط قـرآن
أن حـدثـوا كـذبـوا ان خـاصموا فجروا ... وان هـم ائـتـمـنـوا أف لهم خـانوا
هـل عـنـدكـم نبأ مـن قومكم ولهم ... ذل يـطـوقهـم عـــار وخـذلان
أمسـوا بـذلتهـم لـحمـا على وضم ... بيـن الـعـبـاد ولا يهتـز انسـان

وقـد مـدح الـعالى ملك المملكة الآصفية بقصيدة نذكر منها بعض الأبيات:

بـصدرى لـقـلـب شـوقـتـه العوانس ... مـلاذع مـن نـار الهـوى ومقابس
فـمـا مـلك فـى الدهـر حـاز فخـاره ... ولـم يلبس الثوب الذى هو لابس
وان أحـد يسـعـى لـنـيـل مـنـالـه ... فـقـد آب عـنـه خـائب وهـو آئس
إلـيـه ورود الـطـالـبـيـن لـجـوده ... كـمـا ترد الماء الظماء الخوامس
فـمـا كـفـه عـنـد الـعطـاء بواكس ... ولا وجـهـه فى حيث يسئل عابس

انّ الـعـالـى كـمـا رثـى أحـوال المسلمين رثـى بعض الشخصيات التى كـانـت لهـا جولة وصولة فى إيجاد الوعى فى المسلمين، فقد رثى العالى مصطفى باشا كامل المصرى رئيس الحزب الوطنى قائلاً

لـقـد حـلّ رزء بـالـبـرية كـارث ... تهـون الـرزايـا بـعـده والحوادث
نـأى مـصـطـفـى عن أهل مصر بموته ... فـمـن بـعـده لـلعزّ والمجد وارث
وان تـفـقـد الـقـوم الأجـانب واحدا ... تـجد من له فى الفضل ثان وثالث
ولـكـنـنـا بـالعكس من حيث لا نرى ... بـديـل فـقـيـد حيـن أرداه حـادث
فـمـهـمـا يـغـب عـنـا كريم فلا يقم ... كـريـم لأسـمـى قـدره متـوارث

ثم ختم قصيدته الثائية بقوله:

فـمـن بـعده فى مصر يحمى الأنام من ... بـحـور شـرور مـوجـهـا مـتـلاطـث

ومـن بـعـده فـى الـلّم يفرغ جهده ... اذا انتشـرت لـلـمـفسـدين المشاعث
ومـن مثله يهوى المهاوى جاهداً ... لـرفـع الألـى هـم لـلعهود نواكث
لـــه عـــنـــد خلّاق البـرية نـعـمة ... وأجـر إلـى يـوم الـجـزا فيـه مـاكث
سقـى ربـنـا الـمولى بأمطار عفوه ... مـدى الـدهـر قبـراً جسـمه فيه لابث

لـلـعـالـى تخميس على قصيدة الفرزدق فى مدح زين العابدين ننقل هنا بعض الأبيات منه:

هـذا الّـذى لا تنال الشمس شهرته ... وليـس يـنـكـره من شام غرّتـه
هـذا الّـذى تـلـثم الأفـلاك عقوتـه ... هـذا الـذى تـعـرف البطحاء وطأتـه
والبيـت يـعـرفـه والحـل والحـرم
هـذا ابـن مـن هـو هـاد سيد الأمم ... فـاق الـخـلائـق من عرب ومن عجم
هـذا ابن من هو أهل الفضل والكرم ... هـذا ابـن خيـر عـبـاد الـلـه كلهم
هـذا الـتـقـى الـنـقـى الـطـاهر الـعـلم
من جـدّه المصطفى كالبحر همته ... والـغـيـث رحـمتـه والليث سطوتـه
نـالـت بـأعلائـه الأفلاك دوحتـه ... مشتـقـة مـن رسـول الـلـه نبعتـه
طـابـت مـغـارسـه والـخيـم والشيم
هـذا الّـذى نـوّر الـدنيـا بـطـلـعتـه ... بيـض الـكـواكـب قد دانت لزهرته
هـذا الـذى أشـرقـت أنوار جبهتـه ... ينشـق ثـوب الـدجى عن نور غرّته
كـالشـمـس تـنـجـاب عن إشراقها الظلم
هـذا الـذى سـاكـنوا البطحا به افتخرت ... وفـى قـبـائـلـهم أوصـافـه اشتهرت
هـذا الّـذى منه آيات الهدى ظهرت ... يـنـمـى إلـى ذروة الـدين الّتى قصرت
عـن الأكـف وعـن إدراكهـا الـقـدم

إن كـلام الـعـالـى يـوجـد فـى معظم أغراض الشعر وقد قُمنا بذكر الأمـثـلة مـن كـلامـه فـى الـسـطـور السابقة، لكن معظم كلامه يوجد فى

المديح النبوى وقد عثرنا على أربع قصائدله فى المدائح النبوية، والقصائد كلها مفعمة بالحبّ النبوى العميق مع جزالة الألفاظ وشوكتها ومرونة الأسلوب ومتانتها وعلو المعانى ولطافتها.

بدأ محمد وحيد الدين العالى الحيدرآبادى إحدى قصائد المدحية بالتشبيب قائلاً

هل من يبلغ من أهوى وأعشقه   عنّى تحية شوق حين يرمقه
هل من يحيُّ بأنباء الأحبة من   أرض لها أرج يذكو فأنشقه
هل من يقوم ويسرى بى إلى بلد   ثوى به واستناخت أينقه
بمهجتى غادة حسناء قد ظعنت   عن مربع كاد مرّ الدهر يخلقه
لما وقفت به أبكى لفرقتها   قال العشيرة كاد الدمع يغرقه
يا لهف نفسى لا يرثى لنفسى من   يشب كالنار فى صدرى تشوقه
يا ليته لو غدا يهوى ويانسنى   لما بدا قلق فى القلب يخفقه
وما تصفر ثوبى بالدموع بها   دم الفؤاد تظل العين تهرقه
ولم تذب كبدى تحت الترائب من   نار تسعر ما فيها وتحرقه

ثم يمدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا التشبيب فيقول:

محمد سيد الدارين ليس له   ند ولا خالق الكونين يخلقه
كالورد زهرته والمسك نكهته   والبدر طلعته والدر منطقه
خير النبيين لا تحصى فضائله   فيحتويها بليغ القول مغلقه
طوق الرسالة تاج الرسل خاتمهم   طوبى لمن ذاك إخلاصا يطوقه
والله ما خامر الإيمان فى زمن   قلب امرء لم يكن فيه تومقه
أكرم بمن هو يحوى حبه أبداً   حتى يظل نفيس العمر ينفقه
وشافع الناس فى الأخرى وملجأهم   ومطلع الخير فى الدنيا ومشرقه

رأس الهداية حيثما يدو ومهجته   وكفه ومحيّاه ومرفقه

الشاعر موفق فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو أهله فهو – بدون شك – خير النبيين وخاتمهم وشافع الناس يوم القيامة وهو مطلع الخير فى الدنيا وفى الآخرة.

نجد فى القصيدة الأبيات الّتى تشير إلى حب الشاعر العميق لذات النبى صلى الله عليه وسلم والحنين إليه كيف لا وقد جعل الرسول حبه من أمارات الايمان قائلاً: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين (١) فقد عبّر الشاعر عن حبّه لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

فى الهند ناءٍ أطال الشوق ليلته   ويستكين لأحزان تؤرقه
وإنه لأخو وجد أقاربه   مثل العقارب تؤذيه وتقلقه
قد جاء عندك يهمى عينه حزنا   حتى غدت عبرات الشوق تخنقه
فانظر إلىّ بألطاف تزحزح عن   صدرى بلابل أحزان تضيقه

ويختم الشاعر قصيدته بقوله:

خير الصلوٰة وأزكاها وأفضلها   عليك فى جدث بالنور تألقه
والآل والصحب من قوم لقد بعثت   اذا تبين فتق الدهر ترتقه
ما نضر الله أزهار الحدائق فى   فصل الربيع وأربى الحب يفلقه

وللشاعر قصيدة أخرى حائية بدأها بالتشبيب أيضا جريا على مسلك الشعراء القدامى ثم تطرق إلى المديح النبوى وبيان فضائل الرسول ومحاسن الاسلام وميزات الشريعة الإسلامية السمحاء البيضاء فيقول:

(١) صحيح البخارى: ١/٥

إذا اشــدّوا رحـــالهـم وراحـوا   بـدا فـى الـقـلـب حـزن لايـزاح
فيـا لهـفـى لـصحـب فـارقـونـى   فـكـم بيـنـى وبيـنـهـم انـتـزاح
مضـوا وبهـم كـواعـب نـاعمـات   حسـان خـرّد بيـض مـلاح
تـفـوح بهـن راقة مثـل مسك   فـأودية الـلـوى ثـم البـطـاح
اذا أقـوت مـنـازلهـم وأمسـت   طـلـولا تـعـفّتهـا الـريـاح
وقـفـت بهـا ويجـرى مـن جفونى   دم قـان عـلـى نـحـرى مـفـاح
ولـمـا زاد وجـدى زدت رحـلـى   إليهـم حيـث حـلّوا واستراحـوا
وتـحـتـى نـاقـة كـومـاء بـكـر   شـمـر دلة عـذافـرة رداح

ثم يمدح الشاعر بعد هذا التشبيب ممدوحه الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول:

ومـن هـو سيـد لـلرسـل فـضـلا   وفـى يـوم النـشـور لهـم جـنـاح
وخيـر النـاس طراً مـن قـريـش   هـم أهـل العـلا عـرب صحـاح
ولـلارواح ريـحـان لـديـه   مـراح لـيـس يـبـرح وارتـيـاح
ونـور قـد أضـاء بـه زمـان   ومثـل الشـمـس دام لـه اتضـاح
كـريـم جـوده يـحـكـى الـغـوادى   إذا مـا الـقـوم أهـلـكهـا الشِياح

إن الأمور الّتى ذكرها الشاعر فى شعره كلها مقتبسة من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أو السير والتواريخ الموثوق بها وقد أشار الشاعر فى بعض الأبيات إلى معجزة النبى صلى الله عليه وسلم الّتى أكرم الله بها نبيه وإلى شجاعته صلى الله عليه سلم النادرة وإلى عقيدة ختم النبؤة فقال:

فـكـم فـاضـت أصـابـعـه كـمزن   روت مـن مـائهـا أرض بـراح
وأنـفـى الـنـاس عن ضنك الدواهى   وأنـقـذهـم إذا جـهـد الـفـضـاح
رأوه مـقـدّمـا فـى كـلّ حـرب   اذا كـره الـتـقـدم والـنـطـاح

تـرّ بسيـفـه الـمسـلـول قـدمـا   رؤس لـلآلـى كـفـرت وراح
عـلا رسـلا مـضـوا من فضل فضلا   ولاحـوا كـالـكـواكـب حيث لاحوا
بـه خـتـمـت رسـالتـهـم وتـمـت   عـلـى هـذا جـرى الـقـدر المتاح

يقول الشاعر فى إحدى قصائده النونية مادحاً رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مـحـمّـد سيـد الـكـونـيـن قـدوتـنـا   رقـت بـه ذروة الأفـلاك عـدنـان
فـالـلـه أرسـلـه بـالفضل فى زمن   عـن ذكـره فيـه عـمّ الناس غفلان
لـولا الـنبـىّ امـام الـمـرسلين غوث   كـل الأنـام نـواقـيـس وصـلـبـان
خيـر الأنـام أجـلّ الانبيـا شـرفـا   بـحـر بـه كـل مـن فى الدهر ريّان
نبيـنـا الـحـامـد الـمـحـمـود شافعنا   يـومـا يشيـب بـه بـالخوف ولدان

ومن أطول قصائده فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم قصيدته العينية تحتوى على مائة واثنى عشر بيتا وقد طبعت هذه القصيدة سنة ١٣٩١هـ- ١٩٧١م بدائرة المعارف العثمانية اهتم بطبعها ولد الشاعر البار الحكيم محمد نظام الدين الحيدرآبادى وقد بدأ الشاعر قصيدته العينيةعلى حدّ قوله سالكا مسلك الشعراء القدامى فى التشبيب وذكر الديار والأطلال والبكاء والعويل:

بـدت بـمـحـيـا نـوره ظـل يسطع   تـريك كـأن الشـمـس من ثـمّ تطلع
رأيـت جـمـالا لا يـواريـه بـرقـع   وضـوء بـه بيـض الـكـواكـب تطمع
فـطـابـت بـه نـفـسـى لما أنـه الّذى   بـنـضـرتـه تـزهـو الرياض وتوشع
فـلا تـسـألـوا عـمـاد هـانـى بحبّهـا   مـن الـكـرب والأحـزان ما كان يفجع
وودع قـلـبـى مـا بـه مـن نشاطـه   غـداة نـأت عنّـى وولـت تودع
جرت عبرات الشوق حتى ظننت أن   تسيـل دمـا فيـه الـفـؤاد الـمفجع
سيظهـر مـا أخفى لقلبى من الهوى   نـحـول وزفـرات وسـقـم وأدمـع

أحثك آثـار الـديـار التى عـفـت ... عـلـى ذكـر خلال لصرمك أزمعوا
ولازلـت أبـكـى كـل حين صبـابة ... اذا جف مـنـى مـدمـع سـال مدمع
وهـل بـعـد ما راحوا خلا منزل لهم ... عشيـب بـمـاء الـجفن أزهر ممرع
وهـل يـا ديـار الصحب بعد افتراقهم ... تـعـود ليـالـى الاجتمـاع وتـرجع
وقـفـت بـدار بـالـعـفـاء تـوزعـت ... وقـلـبـى بهـم مـوزع يتـوزع

وقـد أطـال الشـاعـر فـى ذكـر الأطلال والديار والبكاء والعويل وما أصـابـه مـن الـقـلـق والـكآبة والنحول والزفرات والكرب والأحزان. ثم تحوّل الشاعر الى المديح النبوىّ قائلاً.

خـذوا حـذركم فالخطب ينزل بغتة ... ويـذئـب واديـكـم قـريـبـا ويسبع
ألـم تـعـلـمـوا أن الـزمـان بمـرصد ... وأن إلـيـكـم قـصـده متشـنـع
فهـل مـن يـقيـكـم مـن نوائبـه الّتى ... تـضـج بهـا أسـد الآجام وتضرع
بـغـيـر الـنـبـى الهـاشـمـى لأنـه ... مـصـير لمن لاقى الدواهى ومرجع
بـه الأنبيـاء إذ نـابهـم مـادهـاهـم ... إلـى الـلـه ذى العرش المجيد تذرعوا

بـعـد هـذه الأبيـات يـصـف الشـاعـر رسـول الله صلى الله عليه وسـلـم بـصـفـات كـريـمـة وبسجايا نبيلة أكرم الله بها رسوله خاتم النبيين، فقد أوضح الله السبيل ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجـعـلـه أفـضـل الأنبياء وأشرفهم فهو النير الوهاج الذى لاح لنا به الـطريق المستقيم وهو كريم يفوق جميع الناس فضلا ونوالا وشرفا وعـظـمـة فهـو جـامـع لـلشـيـم الـنبيـلة مـن الـمجد والعلم والتقوى والصلاح يقول الشاعر فيه.

لـقـد أوضـح الـلـه السبيـل ببعثـه ... إليـنـا ووجـه الـدهـر أسود أشفـع
نبـى أمـام الـرسـل فـوق جبينه ... أشـعـة خلّاق البـريـة تسـطـع
ولـلـخـلـق فى الدنيا ملاذ و ملجأ ... كـمـا هـو فـى الأخرى شفيع مشفع

يبيـت خـمـيـص البطن والضيف عنده ... أكـيـل ويـمـسـى مـائـى البطن يشبع
هـنـاك الهدى والمجد والعلم والتقى ... وحـلّ الـمـعـالـى والـعطا والتورّع
ونـجـم لـه أوج الـرسـالة مشـرق ... وبـدر لـه أفـق الـنبوة مطلع
ويـوم العطاسمح من الغيث أجود ... ويـوم الـوغـى نجد من الليث أشجع
وفـاق جـمـيـع الأنبيـاء فى كرامة ... بهـا نـعـلـه نـحـو السـمـاء يترفع

ثـم يـفـدّى الشـاعـر رسـول الـلـه صلى الله عليه وسلم نفسه وماله وروحه وكل شئ يملكه ويرجو الله أن يثيبه على مدحه لرسول الله صلى الـلـه عـلـيـه وسـلـم، فـإن مـدح الرسول صلى الله عليه وسلم من أمارات الإيمان، يقول الشاعر فيه:

فـداه فـؤادى ثـم روحـى ومعشرى ... ومـالـى وآبـائـى وأهلى أجمع
وأبـذل جـهـدى الـدّهـر فى شرح مدحه ... لأنـى بـه مـا دمـت حيا لموزع
وكـل مـديـح فيـه قـول مـحـقـق ... ومـا أجـره عـنـد الإلـه مضيّع
حـوى من قـضـى فى مدحه العمر ربعة ... بيـوم يـظـل الصدق ذا الصدق ينفع
ولـولاه لـم نـرزق مـن الـلـه نـعـمـة ... بـه الـواهـب الخلاق يعطى ويمنع
وأمـسـى بـه الإسـلام حبـلا موثقـا ... وركـنـا مـدى الأيّام لا يتـضعضع

مـمـا لاشـك فيـه أن وحيد الدين العالى جدير بأن يعدّ من الشعراء الـمـفـلـقـيـن الّـذيـن أنجبتهم الهند والذين تركوا لنا ثروة أدبية ضخمة وثـروة نادرة من ثروات أدب السيرة النبوية فى بلاغتها وروعتها ويبدو مـن دراسة قصائد العالى أنه كان متضلّعا من اللغة العربية ومقتدراً على أسـالـيـب الـلـغة العربية وكيفية استخدامها لمختلف أغراض الشعر من المدح والرثاء، وكلامه فى المديح وغيره مرآة صادقة لما يحتوى عليه كـلامـه مـن الـرشـاقة والـروعة والـمـتـانة والـدقة والجزالة فى الألفاظ والـتـراكـيـب وتـصـوير المعانى الدقيقة والأحاسيس الصادقة النبيلة وقد

صدق محمد عبدالستار خان (١) إذ قال: إن العالى قد نهل الشعر العربى وعلّ وشرب كأسه حتى الثمالة إلى أن صار من المتفردين فى عصره بالإيغال فيه والغوص فى أسراره.

نظرة فاحصة فى كلام العالى تدلّ على عبقريته فى فنّ الشعر وكذلك تشهد له البراعة الفنية واللباقة الأدبية وتشير إلى أن العالى كان من المطّلعين على آداب اللغة العربية من العصور الجاهلية والإسلامية وله معرفة تامّة بأساليب الشعراء القدامى فى المديح وغيره من الفنون الشعرية.

لا يوجد فى كلام العالى ما يخلّ بالعقيدة الإسلامية الّتى بيّنها الله فى كتابه والرسول صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه.

(١) رئيس القسم العربى بالجامعة العثمانية سابقا، نقلا عن علماء العربية ومساهماتهم فى الأدب العربى فى عهد الآصفجاهية. ص: ٤٠٧

عبدالرزاق الكوبا مئوى

١٢٧٣هـ - ١٣٤٨هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ عبدالرزاق الكوبامئوى فى سنة ١٢٧٣هـ وقرأ الكتب البدائية على علماء عصره ثم واصل دراسته حتى برع فى العلوم العربية و وافته المنية سنة ١٣٤٨هـ(١)

شعره:

قصيدة عبدالرزاق الكوبامئوى الهائية تحتوى على تسعين بيتا والقصيدة تحتوى على ذكر ماقاساه من الآلام والشدائد والمحن فى حياته فى بلدته كوبامئو أو خارج بلدته وعلى ما شفت الجهالة والأمية بين المسلمين فلا يدرون أحكام السوق والحج والصوم وما إلى ذلك من الأحكام الّتى لابدّ من معرفتها للمسلمين وعلى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا ومدحه.

والقصيدة تدل على تمكن الشاعر من اللغة العربية كأبنائها العرب فلا نجد الركاكة فى التركيب ولا تنافر فى الكلمات ولا تلك المحسنات البديعية الّتى تحط من مكانة الشعر وتخل بقيمة القصيدة، فالشاعر هو أبو عذرة القصيدة وابن بجدتها والقصيدة تحتلّ محلا لائقا فى قصائد الشعراء الهنود، والقصيدة جديرة بأن تعد من أروع القصائد وأروقها.

بدأ الشاعر قصيدته الهائية بقوله:

خليلى لا تلمنى فى بكاءى   فان القلب فى حرّ الجفاء

(١) حصلنا على بعض المعلومات من عبد الرزاق من بعض معارفى فى بلدة كوبامئو

إلام أجرّ أذيال الرزايا ··· بملك الهند فى بيت العزاء
إلام أعيش دنفا مستهاما ··· بكوبا أو مئو أو فى التراثى
مقامات مكدرة أساءت ··· بأقوال الجهالة والهواء
مقامات تحملنى البلايا ··· بفقد الأصدقاء الأصفياء
رزئنا فى مئو بلد الدواهى ··· بأنواع المصائب والبلاء
كأنى كل يوم فى حياتى ··· أذوق الموت من طول الشقاء
وداء البعد يفجعنى دواما ··· ولكن لا سبيل إلى الشفاء

ثم يقول وهو ينعى على مسلمى البلدة الّذين يجهلون أحكام القرآن والحديث النبوى.

فهم رغبوا عن الطاعات بغضا ··· وركبوا فى السفاهة والشقاء
فلا يدرون ما كتبت عليهم ··· عبادة ربهم ربّ السماء
ولا يدرون ما أحكام صوم ··· وما أحكام مال ذوى العلاء
ولا يدرون ما أحكام حج ··· لبيت الله مثوى الأنبياء
ولا يدرون ما أحكام خلق ··· وما أحكام خلّاق السماء
ولا يدرون ما أحكام سوق ··· وما أحكام بيع أو شراء
فان مالوا إلى إنفاق مال ··· فيبنون المساجد بالرياء

ثم يضغط الشاعر على أن كتاب الله وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم هما يضمنان الفلاح فى الدنيا والفوز فى الآخرة قائلاً.

كتاب الله ما أحلاه نظما ··· كتاب الله بستان الشفاء
هُدى للمتقين بلا ارتياب ··· وبرهانا لهم يوم اللقاء
كتاب الله يكفى كل هم ··· كتاب الله يشفى كل داء
كتاب الله نور الله حقا ··· كتاب الله أنور من ذكاء
كتاب الله تبيان لكل ··· كتاب الله أسرار القضاء

كتاب الله يهدى كل نفس ··· إلى جنات عدن والفضاء
كتاب لو تأمّله ضرير ··· أعاد كريمته بلا امتراء
وما لوا عن أحاديث أتت عن ··· رسول الله ختم الأنبياء
ثمال المجتدى كهف اليتامى ··· حبيب الله خير الأصفياء

ثم يبدأ الشاعر مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الخلقى بقوله:

بشير الناس ذو خلق عظيم ··· نذير الخلق تاج الأصطفاء
وداعى الناس نحو الخير لطفا ··· وقائدهم إلى نيل الرجاء
شفيع المذنبين ليوم حشر ··· وجامع رهطه تحت اللواء
محمد الرسول ضياء حق ··· ونور العلم ينبوع السخاء
كريم النفس أحمد هاشمى ··· ولى المومنين أبو الوفاء
وأجودهم وأصدقهم لسانا ··· وألينهم خلائق فى البهاء
وهيبه الالٰه فمن رآه ··· فجاء هابه فى الإبتداء
ولٰكن ان خلطت به زمانا ··· نضرت بحبه فى الإنتهاء
ولم يسلك طريقا قط اِلّا ··· ومسك منه ينشر فى الهواء

ثم تطرق الشاعر إلى بيان الحسن الخلقى للرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

ضخيم الرأس شثن الكف ربع ··· عريض الصدر فى حسن الصفاء
بُعيد المنكبين شجاع قوم ··· نقى اللون أزهر من ذكاء

ثم استطرد الشاعر إلى بيان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم بأبياته الرائعة:

وحنّ اليه جزع من فراق ··· يئن أنين طفل فى البكاء
وجاءت نحوه الأشجار تسعى ··· مع الأطيار ملهوف اللقاء

وقـد جـاء البـعيـر إليـه يشكـو   فـخلصـه الـرسـول من الجفاء

ثم فى نهاية القصيدة يعترف الشاعر بتقصيره فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والحقيقة التى لامراء فيها أن للرسول صلى الله عليه وسلم منة كبرى على أمّته المرحومة، فيقول الشاعر:

مـدحتك سيـدى لتـكون كهفـى   بيـوم الحشـر منـفطـر السمـاء

مـدحتك يـا رسـول اللـه لكـن   لقـد قصّـرت عجـزاً فى الثناء

الشيخ حبيب الرحمن العثمانى

١٢٧٥هـ - ١٣٤٨هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ حبيب الرحمن بن فضل الرحمن العثمانى الديوبندى فى مدينة ديوبند فى حدود سنة ١٢٧٥هـ ودرس فى دارالعلوم من المرحلة الإبتدائية إلى المرحلة النّهائية وتخرج فيها فى ١٣٠٠هـ - ١٨٨٤م ونظراً إلى مهارته فى الشئون الإدارية وقع عليه الخيار لوظيفة نائب مدير الدار فى ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م وبعد عدّة سنوات سافر إلى حيدرآباد وذلك فى سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م حيث شغل منصب الإفتاء وما أن لبث هناك لأقل من سنة حتى رجع إلى ديوبند وعين مدير الدار بعد وفاة الشيخ الحافظ محمد أحمد فى نفس السنة ويقال إنه من حسن حظّ دارالعلوم أنها حظيت بخدمات رجل مخلص متبصّر ومتوقد الذهن وماهر فى شئون الإدارة مثل الشيخ العثمانى فقام بدور كبير فى توسيع نطاق الدار فتقدّمت الدار وازدهرت إبان إدارته بفضل الله وبفضل ما كان يمتاز به من حدة الذهن والذكاء والإجتهاد ومما يدل على مدى اعتنائه بالأمور الإدارية لدار العلوم أنه كان يقيم فيها ليلا ونهاراً.

هذا وإنه إلى جانب مسئولياته الادارية المتنوعه كان مشغوفا بمطالعة الكتب لحد كبير مما جعله شخصية واسعة الاطلاع وملمًّا بالأدب وعلم التاريخ.

توفى العلامة حبيب الرحمن العثمانى فى ١٤/ رجب من عام ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م (١)

(١) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الأدب العربى: ص ٢٣٢

شعره:

كان الشيخ العثمانى أديبا بارعا قوى الأسلوب ويعد من أكثر علماء الدار قدرة على نظم الشعر باللغة العربية وله ديوان شعرى مطبوع باسم معين اللبيب فى جمع قصائد الحبيب وقصيدة أخلاقية مناجاتية ومجموعة قصائد ومراثى وقطعات تاريخ الوفاة.

توجد للشيخ حبيب الرحمن العثمانى ثلاث قصائد فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم منها قصيدة باسم دعاء المضطر، قرضها الشيخ على منوال قصيدة البردة الميمونة وهذه القصيدة تمتاز بالفصاحة والروعة والأصالة اللغوية التى يمتاز بها أسلوب فحول الشعراء فى العصر الجاهلى وهذه الجزالة قد كسبت لهذه القصيدة المكانة المرموقة بين القصائد الأخرىٰ فى المدائح النبوية وهذه القصيدة تحتوى على ١٢١ بيتا، بدأها الشاعر بقوله:

دعا ودّعا مريم الظباء وأودعا ... بدور الحمى فى الحىّ رهنا مضيّعا
وسمرا وسمارا ولحظا وصبوة ... وربعا خلاءًا دارس الرسم أقرعا

ثم تطرق الى المديح النبوى قائلاً:

ولى بعد هذا وصلة ووسيلة ... بأكرم خلق الله أتقى وأورعا
نبى الهدى عمّ الورى بذل جوده ... شفيعا لأهل الأرض طراً مُشفّعا
هو الرحمة المهداة للناس بعدما ... أظل العمى والخير عنهم تقشعا
وكانوا قلوبا ينظر الله فيهم ... بمقت وسخط تائهين تأمّعا
فأرسله بالحق والصدق ناطقا ... بشيرا نذيرا داعيا ثم مصدعا
سراجا منيرا يبصر العمى نهجهم ... ويفتح للآذان سمعا لتسمعا
وأفئدة غلفا يزيل غطاءها ... ويملأها رشدا ونوراً لتسطعا

ثم بين الشاعر صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنّه العاقب

الماحى وأوّل قارع لأبواب الخلد وقائد الرسل وخاتمهم وهو أولهم خلقا وأكملهم أخلاقا وأكثرهم جودا وأحسنهم سمتا وأفصحهم منطقا وأطولهم صمتا وما إلى ذلك من الأخلاق التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم متحلّيا بها، يقول الشاعر:

هو العاقب الماحى وأول قارع ... لأبواب خلد مرقيا ومرفعا
وكان نبيا قائد الرسول خاتما ... وآدم بين الماء والطين مودعا
وأولهم خلقا ومجدا وسؤددا ... وأطيبهم فرعا وأصلا ومطلعا
وأجود من ريح الغداة إذا جرت ... نسيما يفوح المسك منها تضوعا
أغرّ جبينا ثم أحلىٰ شمائلا ... وأجمل وجها ثم أبهى وأبرعا

وله قصيدة أخرى معروفة بلامية المعجزات وهى من أطول قصائده، يقول الدكتور زبير أحمد الفاروقى فى كتابه وهو يلقى الضوء على هذه القصيدة: وأطول قصيدة فى هذا الموضوع هى ما يعرف بلامية المعجزات للشيخ حبيب الرحمن العثمانى تشتمل على ٢٥٤ (مائتين و أربع وخمسين) بيتا، خصّص أبياتها الأولى لخطاب النفس وتنبيها على غفلاتها ثم وصف بعض الشمائل النبوية وما كان عليه حال الدنيا قبل مبعثه وما آل إليه بعد البعثة النبوية ثم بين الشاعر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بالتفصيل وقسمها إلى سبعة عشر قسما واختتم القصيدة باثنى عشر شعرا حث فيها على حفظ معجزاته صلى الله عليه وسلم ومما لاشك فيه أن هذه القصيدة الطويلة هى أكبر دليل على ما كان لديه من قدرة غير عادية لنظم الشعر والتنوع فى المضامين بأسلوب يمتاز بسهولة البيان وفصاحة اللسان. (١)

ومن مستهّل أبيات القصيدة قول الشاعر:

(١) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الأدب العربى ص: ٩٨

أيهـا الـمـحتـال فى ثـوب الأمـل والـمباهـى بطـراز فـى الحلل
والـمـجـارى فـى ميـاديـن الـخـلا قـد رنـت منك مـرارات الأجـل
أنت فـى تيـه الـعـمـى تبـغـى المُنى والـمـنـايـا كشّرت نـاب الوجـل

ثم تطرق الشاعر إلى ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً:

سيـد الـكـونيـن مـصبـاح الـدجـى أول الـمـخـلـوق فـى عـلـم الأزل
وجهـه كـالبـدر أو شـمـس الضحى صـدره مشـــكـوة أنـوار الرسل
مـنـهـل عـذب فـرات سـائـغ جـوده الـمـروى بنـهل وعـلـل

ثـم سـرد الشـاعـر معجزات الرسـول صلى الله عليه وسلم وبين مائة معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم ومن أبيات القصيدة قوله:

هـاك قـرآنـا مبيـنـا فـاستـمـع لـم يـزل إعـجـازه مـنـذ نـزَل
مـنـه إعـجـاز الـكـلام قـد بـدا مـابـه خـص سـوى ختـم الـرسل
وعـلـى إيـمـائـه انشق الـقـمـر شـاهـدوا مـا بيـن فـرفيـه الجبل
ردّت الشـمـس وكـانت قد هوت فـأجـابـت اذ دعـاهـا تـقتـبـل
سبـح الـلـه بـأيـديـه الـحـصى فـوعـاه مـن هـنـاك وعـقـل
سـلـمـت أحـجـار واد اذ رأت يـا نبـى الـلـه قـالـت تستهـل
والـطـعـام حيـن يـوتـى عـنـده سبـح الـلـه فـمـا عـنـه غـفـل
وامتـلا رعبـا أبـو جـهـل بـه وقـضـى مستـعـجـلا ديـن الإبـل
إذ رأى فـحـلا يـصـول كـاشـرا آخـذا بـالـراس لـو شيـئـا مـطـل
عتبة آذاه شتـمـا فـغـدا عـرضـه لـلـكـلـب ما أغنى الخول

ثم يقول الشاعر فى نهاية القصيدة:

هـذه آيـاتـه أمـليتهـا مـن ألـوف الـمـعـجـزات انتحـل
مـائة خـذهـا وإمـا إن تـرد أن تـزيـد فـانـظـر الـكتـب تـنـل
خـذ وعـلـقـهـا وأتـقـن حـفـظهـا تـالـيـا عـنـد الـغـدو والأصـل

ولـلشيـخ حبيـب الـرحـمـن العثمانى قصيدة أخرى طويلة معروفة بـ "بـائية الـمـعـجـزات" على حذو لامية المعجزات، وهذه القصيدة البائية تشتـمل على مائة وثمانية وتسعين بيتا وقد قام الشاعر بجمع مائة معجزة أخرى للرسول صلى الله عليه وسلم إضافة إلى ما قام بذكره فى قصيدته المعروفة بلامية المعجزات، وهذه القصيدة تدل على علو كعبه واقتداره على قرض الأبيات بدون كلفة، وأسلوب الشيخ حبيب الرحمن يحاكى أسلوب الشعراء الفحول المتقدمين.

وهذه القصيدة البائية بدأها الشاعر بقوله:

قـد كـنـت أمـليـت من آيـاتـه مائة يـزيـدك الـحـب والإيـقـان والقربـا
فـالآن لـمـا رأيـت الطـالبين لهـا زادوا غـرامـا وراموا فوقهـا الـرتبـا
جمعت فى النظم من أعجازه مائة أخرى عـلـى مـا تـراهـا صفوة نخبا
جـواهـر نـضـدت درّ مـنـظـمـة عـلـق نـفـيـس يـريك الـدر مخشلبا
أوصـى لـعثـمـان لاتخلع إذا سألوا مـا قـمـص الـلـه من ثوب العلا وحبا
أوصـى عـليـا قـتـال الـنـاكثين لـه والـقـاسطيـن إذا مـا أحدثوا شغبا
أعـطـى السواريـن لـلكسرى إذا غنموا سـراقة الـمـدلـجـى الـمـلتجى عطبا
وعـكة السـمـن لما أهديت بقيت تـفيـض سـمـنـا وما جفّت ولا نضبا
وأوثـق الـجـن أسـرا ثـم أطـلـقـه رعـيـا لـمـلك سـلـيـمـان الذى وُهبا
وبـرمـة الـلـحـم مـازالت تفور بـه الـخبـز يـخبـز لـم يـنـقص ولا نضبـا
وكـان عيـن أبـى ذر أصيـب بهـا فـأصبـحـت لا تـراهـا تشتكى وصبا
وقـال لـلـبـغـلـة الشهبـاء التزقى بـالأرض فـالتزقـت سـمـعا لما ندبا
وجـفـنـة الـركـب جاءوا يحملون بها ليـفـرغ الـمـاء فيهـا اذا وعـا الشجبا
وكـان يـدعـو فـفـارت من أصابعه عيـن تـجـيـش فـلـم تترك لهم أربـا
ومـا سهـا بـعد بسط الثوب حين دعا أبـو هـريـرة فى شئ ولا اضطربا

ومصعب اذ قضى أعلى اللواء له ... فى زيّه ملك يدعى به لقبا

لاشك فى أن هذه القصائد الثلاث للشيخ حبيب الرحمن العثمانى لخير دليل على تضلعه من قرض الشعر وقدرته على اللغة العربية وأساليبها المتنوعة وتعبيراتها المختلفة واستخدام الكلمات والمفرادت حسب المضامين ومن درس هذه القصائد وتعمق فى معانيها وغاص فى بحار أساليبها وتذوق جزاله عبارتها ودقة تعبيراتها ونصاعة ألفاظها سوف يضطر الى أن يقول أن صاحب هذه القصائد يستحق أن يعد من الشعراء الهنود الفحول الّذين يضارعون الشعراء العرب فى قرض الأبيات.

السيّد أشرف الشمسى الحيدرآبادى

١٢٨٠هـ - ١٣٤٩هـ

نشأته وحياته:

ولد العلامة السيد أشرف الشمسى فى حيدرآباد سنة ١٢٨٠ من الهجرة فى أسرة عريقة فى العلم والمشيخة وكان عالما بارعا ومؤلفا كبيرا بل كان بحر العلوم الدينية والإسلامية وكان مفسرا عظيما ومؤرخا معروفا وفيلسوفاً بارعا، إنه صنف كتبا جمّة فى مختلف المواضيع حتى يقال أن عدد تصنيفاته يتجاوز عن مائة وخمسين تصنيفا ولكن معظم مؤلفات العلّامة قد ضاعت ولا يوجد منها إلا القليل ومنها تفسيره المسمى بلوامع البيان باللغة العربية فهو تفسير علمى وقد سلك المؤلف فى التفسير مسلكا قلّما يوجد له نظير فى الهند، فيمتاز تفسيره بأسلوبه العلمى وتحقيقه النادر وشرحه للألفاظ الدقيقة التى وقعت فى القرآن الكريم واستشهاده بالأشعار الجاهلية وأشعار الشعراء الاسلاميين وشرح المواضع والأماكن التى ذكرت فى القرآن الكريم ولم يقتصر الشيخ الشمسى عليها فحسب بل أطال الكلام فى العلوم العصرية وبحث بحثا دقيقا علميا عن نظريات داورن الإرتقائية وأثبت بالبراهين أن نظرية دارون ليست لها أى أساس علمى.

إن مقالته التى نشرت فى جريدة زبدة الملك تُعدّ ذات أهمية كبيرة فى علم التفسير فانه بيّن فيها أهمية التفسير والشروط اللازمة للتفسير، كان الشمسى مدرسا فى دار العلوم حيدرآباد ثم عيّن الأستاذ المساعد فى القسم الفارسى فى الجامعة العثمانية بحيدرآباد.

خدم الأستاذ الشمسى العلم بنشر مقالاته العلمية والأدبية فى

الصحف والمجلّات وتاليف الكتب العلمية منها الحياة بعد الممات ورسالة النفس ورسالة العقل والمعقول وسيرة ابن رشد وسيرة أبى النصر الفارابى وعلم العروض والقول المفيد فى التجويد وتلخيص النحو وشرح كتاب أستاذه "مفتاح العروض" باللغة العربية، وغير ذلك من الكتب التى لا توجد معظمها.

قد كتب الشيخ الشمسى مقدمة قيمة لتفسيره وهذه المقدمة تشتمل على خمس مائة وخمسين صفحة ولكنها غير مطبوعة وهذه النسخة الخطّية موجودة ومحفوظة فى مكتبة الشيخ السيد شهاب الدين فى حيدرآباد وهذه المقدمة محتوية على معلومات هامة ومفيدة، كانت وفاته فى ١٣٤٩هـ (١)

شعره: كان السيد أشرف الشمسى الحيدرآبادى شاعرا مطبوعا وقد بدأ قرض الأبيات فى صغر سنه وقد تأثر به كثير من الأدباء والشعراء وكان من ديدنه أنه كان يشترك فى مجالس الشعر والأدب ويلقى كلامه ويقع كلامه موقع الرضاء لدى الناس، وأبياته مرآة صادقة لمشاعره وأفكاره بل هى مرآة صادقة لحياته الحافلة بالآلام والآمال والرخاء والضراء ويمتاز شعره برصانة الأسلوب وفصاحة اللفظ وسهولة العبارة وبلاغة الكلام ويوجد فى شعره أثر الثقافة العالية والمعرفة الواسعة للتاريخ وطبائع الناس، إنه لم يجعل الشعر وسيلة للتكسب بل للافصاح عما يجول فى خاطره من انطباعات وأحاسيس، يوجد كلامه فى معظم

(١) مؤلفاته باللغة العربية: توسيع الكلام، تنوير الدراية فى شرح أصول الرواية اللوامع المشرقة فى كشف شرح الوحدة المطلقة، الفوائد فى المنطق، القول الأسلم فى تلخيص السلّم، القول الأظهر فى شرح الفقه الأكبر، ألواح الذهب فى شرح معدن الأدب، تقرير الفوائد فى تحرير العقائد تلخيص الشفاء، لوامع البيان فى تفسير القرآن، مقدمة تفسير لوامع البيان، بعض المؤلفات منها مطبوعة وأكثرها خطّية،

راجع نزهة الخواطر ٦٣/٨، دارالعلوم كے سپوت: ٨٤

أغراض الشعر من المدح والرثاء والغزل والوصف والاعتذار.

توجد فى شعره جميع ميزات الشعراء العرب من التشبيهات النادرة والاستعارات الفريدة والحكم والأمثال والألفاظ السهلة والتعبيرات الجزلة والمعانى الرقيقة الدقيقة.

خمّس الشمسى على قصيدة الفرزدق المعروفة (١) وإليك بعض الأبيات الّتى تنم عن الحب العميق الكامن فى نفس الشاعر.

هذا الذى يرفع الرحمن درجته ... هذا الذى يشهد الأكوان عظمته
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... هذا الذى يكرم الأفلاك خطوته
البيت يعرفه والحل والحرم

فوق الكواكب قد سامت فضائلها ... شمس تبدّدت على الدنيا منازلها
إذا رأته قريش قال قائلها ... لاينكر العرب إذ جلّت جلائلها
إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

الشاعر يقول إن زين العابدين ليس معروفا لدى أهل الأرض بل خضعت له الأفلاك والأكوان لعظمته لأن الله تعالى رفع درجاته وأعلى منازله وشبه الشاعر الممدوح بالشمس المنيرة لأن الشمس تشرق الأرض بنورها وأشعّتها تبدّد الظلام الحوالك وتنير الدنيا والناس يستفيدون من أشعتها.

أما كلامه المداحى فيشتمل على قصيدتين فى مدح النبى صلى الله

(١) يقال أنه لمّا حجّ هشام بن عبدالملك فى أيام أبيه طاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام فنصب له كرسى وجلس عليه ومعه جماعة من أعيان الشام فبينما هو كذلك إذا أقبل زين العابدين فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحّى له الناس حتى استلم الحجر فقال رجلٌ من أهل الشام لهشام من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه فقال الشامى من هويا أبا فراس؟ فقال الفرزدق قصيدته المشهورة فى جوابه.

عليه وسلم وقد ذكر الشاعر حبه للنبى صلى الله عليه وسلم وأبان عظمته على جميع الأنبياء والمرسلين وأن الله تعالى بعث الرسول ﷺ لهداية الإنسانية جمعاء، يقول الشاعر:

فتوجه الرحمن نحو عبادهم	لرشادهم وسدادهم بعد العمى
بعد الرسول محمداً من قومهم	لهدى العباد إلى صراط استوى
بعناية أزلية وعطوفة	أبدية بين العباد من اهتدى

وأن آدم عليه السلام وإن كان مقدما فى الوجود لكن الرسول صلى الله عليه وسلم مقدم فى المفاخر والعظمة والمكانة المرموقة:

إن كان فينا بعثه متأخرا	فهو المقدم فى المفاخر والعلى
فالحق أن وجوده متقدم	إن كان آدم قبله بين الورى

ويذكر الشاعر عروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلا فيقول:

إذ جبريل أتى إليه مبشرا	متنزلا من عند ذى العرش العلى
بِعُروجه من هذه الدار الّتى	هى دار حدثان إلى دار البقاء
صعد السماء وحاز كل سعادة	ثاب الكمالات الزكية والهدى
فأتى إلى كرسيه متبخترا	نحو المقام المرتقى صعب الذرى
لما ذرى فوق العلى تصعيده	لاقاه رحمن على العشر استوى
متشاخصا كالحب نحو حبيبه	فراى حبيب الله نوراً ما رأى

ثم ذكر الشاعر أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والنار وملكوت السماء وأعاجيبها فقال:

وأتى إلى الفردوس والنار التى	عدّت لمن هو مشرك ولمن طغى
وسرى إلى ملكوته بتجمّل	وراى أعاجيب السماء بما راى

ثم ذكر الشاعر المصائب الّتى لاقاها النبى صلى الله عليه وسلم أثناء تبليغ الدعوة الالهية إلى الناس وحث الناس على اتباع شريعة الله

الّتى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم هو رسول البرايا وقدرة الخلائق ونور من أنوار الهدى، كذلك ذكر الشاعر معجزات النبى صلى الله عليه وسلم التى ظهرت على يديه بفضل من الله وكرمه، فقد جرى ماء الحياة من أصابع النبى ﷺ يقول:

واذكر بليات النبى وجدّه	إن كان قلبك فى النوائب مبتلى
سخروا به إن كان صلى بينهم	غضبوا عليه إذا هداهم أودعا
يوما رنوه إلى المقام مصلّيا	جنحوا إليه شرار ناس فى الشقا
إذ كان يخطب أعواداً لهم	والجذع كان بصوته ممّن دعا
فبكى عليه وقلبه متفطع	بأنين جزع كان مسعورالحشا
فأتى إليْه وكان يمسح ظهره	يده الشريفة بالعطوفة والرضا

وفى الأخيريقول الشاعر ذاكرا مِنن الرسول وأفضاله:

لولا الهداية منك لى بعطوفة	لما تيسرلى الوصول الى الهدى
أعطاك ربّك فى الشفاعة منحة	فأفض علينا رشح فيضان العطا

الشاعر ناجح فى استخدام الوسائل اللازمة للشعر والقصيدة جديرة بأن تنال المكانة اللائقة بها بين المدائح النبوية فى الهند يوجد فى شعره الحنين إلى النبى صلى الله عليه وسلم والوله الشديد للشريعة التى جاء بها خاتم الانبياء والمرسلين، يقول فى قصيدته العينية:

هو المصطفى بين النوادى بحكمة	هو المجتبى فى العلم بين المجامع
اذا جاء بالنطق الفصيح كأنه	بليغ عريب بارع فى المصاقع
كمالاته مسك تضوّع فى الورى	يعقبه ألفاظه فى المساقع
تعجبت بالتقوى الذى فى حباله	فرائسه منها بدور المطالع
ضياء لحق رونق لديانة	ففيه جليل فى أصول الشرائع
إذا خاف مسكين ليوم خصومة	فليس له المقدام غيرك شافع

الفصل الرابع : شعراء المديح المحدثون

السيد محمد الحسينى الكالبوى

١٢٧٩هـ - ١٣٥١هـ

نشأته وحياته:

ولد السيد محمد بن محمد هادى بن على أحمد بن خيرات على الحسينى الترمذى الكالبوى فى حدود سنة ١٨٧٩هـ بكالبى ونشأ بها وقرأ الكتب الدراسية على أساتذة بلده ثم سافر إلى كانفور وتتلمذ على السيد محمد على الحسينى الكانفورى وعلى غيره من العلماء البارعين فى العلوم والفنون من الفقه والأصول والحديث والتفسير والبلاغة والأدب ثم سار إلى غازيفور وقرأ على الشيخ محمد فاروق العباسى الجريّا كوتى ثم سافر إلى لاهور وتأدّب على الشيخ فيض الحسن السهارنفورى ثم ولّى التدريس فى المدرسة العربية بسيهور من منطقه مالوه فأقام بها زمانا ثم انتقل إلى أجّين فدرس بها مدّة عمره.

كان رجلا فاضلا كريم الأخلاق، شريف النفس، حسن السجايا، قليل التكلف، كثير المواساة، قصده الطلبة من المناطق البعيدة وكان جل اشتغاله بالعلوم الأدبية وتدريسها، توفى رحمه الله تعالى فى حدود سنة ١٣٥١هـ (١)

شعره:

كان السيد محمد الحسينى متضلعا من الفنون الأدبية بصيرا بأصنافه ومذاهبه، شاعرا مُجيدا على طريقة الشعراء الأقدمين. وكان

(٢) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام : ٨/٤٢٤

يقول الشعر الرصين البليغ فى اللغة العربية، كانت له اليد الطولى فى العلوم العربية والكعب العالى فى الفنون الأدبية، شعره سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم، وقصيدته القافية فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من أجود الشعر وأدقه معنى وأوسعه خيالا وأبرعه أسلوبا وأسمحه لفظا واعمقة معنى وأصدقه تصويباراً يمتاز السيد محمد الكالبوى فى شعر بالبديهة والارتجال وبأسلوبه السهل الواضح العذب مع الرّقة والسلاسة والسهولة:

عثرنا على قصيدة واحدة له تحتوى على اثنين وأربعين بيتا بدأها الشاعر بالتشبيب جريا على آداب الشعراء القدامى فقال فى البداية:

ماذا علىّ بدمع خالط العلقا	أم ارتدى علقا أو ألبس الشفقا
هيّجت طوفان إذا اسحّت له	أجفان يعنى والآراق والحدقا
اخترت حبا ولم أدرك عواقبه	يارب سهّل ويسّر كيف ما اتفقا
بئس الّذى هو دون العشق مصطبر	وبئس دون عزاء القلب من عشقا
قصدى لقاء سليمى قصد مفتقد	عندى النوى وغراب البين قد نعقا
إلى عنى جزاها الله اذ نظرت	ترى بسهم أصاب القلب فانفلقا

ثم ينتقل من التشبيب إلى المديح النبوى ويمدحه صلى الله عليه وسلم فى أسلوب قوى جزل مع عذوبة وجمال، فيقول:

تبّا لّلائم صبّ لا يزال به	حب النبىّ رسول الله ملتصقا
بدر سراج منير نيّر قمر	قد نوّر الأرض والأفلاك والأفقا
أنور بوجهك يا من حسنه عجب	كأن وجهك شمس ضوؤها شرقا
أمسى جبينك من آثار مكرمة	برقا بريقا ضياءً لولؤاً فلقا
ما نمت شوقا إلى أنوار عارضه	خياله فى عيونى ألزم الأرقا
لو كان لى ربق الأعناق طاعته	لكان أحسن مما زين العنقا

يعفو عن الناس من حلم ومن كرم عن الرقاب يفك الغل والربقا
ويكظم الغيظ عند الغيظ مرحمة ولا يقول سوى وحى اذا نطقا

ثم يتطرق الشاعر الى ذكر محاسنه صلى الله عليه وسلم ومعاملته مع المؤمنين وتواضعه فى المأكل والمبلس وجوده وكرمه فيقول:

للمومنين جناح الرفق يخفضه مثل الأب البرّ بالأولاد قد رفقا
من جاءه مومنا بالذنب معترفا فلا يخاف به بخسا ولا رهقا
قد أصبح الفاخر الأثواب ملبسه وكان يلبس ثوبا واهنا خلقا
زينت مثل عروس كل أرملة كان الرداء عليها الصوف والخرقا
فياض نافلة مدرار أعطية بحر المراحم لا طرقا ولا رنقا
نال المكارم والأخلاق قاطبة فاق الكرام عن الغايات قد سبقا

ثم يعبر الشاعر عن حبه للنبى صلى الله عليه وسلم بشعر ينم عن حب النبى صلى الله عليه وسلم الكامن فى قلب الشاعر بل الداخل فى شغاف قلبه قائلاً:

لولا أحبك حب الماء فى ظمأ لم يسقنى الله ماءاً باردا غدقا

ثم يقول وهو يرجو الشفاعة من الله عند الرسول صلى الله عليه وسلم:

إذا وجدت ذنوبى لاانتهاء لها فأنت شافع ذنبى عند من خلقا
أنت الشفيع فربّ العرش يغفرلى إنى أعوذ به من شر ما خلقا
فى بحر معصية أرجوا النجاة به ولا أخاف به الطوفان والغرقا
يوم القيامة لا ترجى شفاعته لمن يكون على البدعات مرتفقا

يحتلّ الشاعر محلاّ ساميا فى الشعراء الهنود الذين قرضوا الأبيات فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وقصيدته فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قصيدة رائعة رائقة تستلذّ بها الآذان وتهتزّ لها العواطف.

العلّامة أنور شاه الكشميرى

١٢٩٢هـ - ١٣٥٢هـ

١٨٧٥م - ١٩٣٣م

نشأته وحياته:

ولد العلّامة أنور شاه الكشميرى فى قرية دورهوان فى مديرية باره موله فى سنة ١٢٩٢ من الهجرة النبوية فى ولاية كشمير فى أسرة علمية كريمة انحدرت من بغداد إلى ملتان ومن ملتان إلى لاهور ومن لاهور إلى كشمير واستوطنتها، فكان العلّامة الكشميرى سليل هذه الأسرة التى هاجرت من بغداد إلى كشمير وكانت لأسرة العلامة مكانة مرموقة فى منطقة لولاب وباره مُوله وكان والده الشيخ محمد معظم مكرماً لدى الناس وكان الآلاف من المسلمين فى تلك المنطقة يستفيدون منه فى مسائل دينية وينظرون إليه نظرة الإجلال ل والإكرام.

قرأ العلامة الكتب البدائية على والده الشيخ محمد معظم من العربية والفارسية ثم خرج من منطقة لولاب وسافر إلى مديرية هزاره فى ولاية بنجاب للدراسات العالية واستفاد من علماء تلك المنطقة ثم سافر إلى دار العلوم ديوبند والتحق بها وأقام بها أربع سنوات ينهل من منهل هذه المأدبة العلمية العذب الصافى وتتلمذ فى ديوبند على شيخ الهند محمود الحسن الديوبندى والشيخ خليل أحمد السهارنفورى والشيخ اسحاق الأمرتسرى والشيخ غلام رسول الهزاروى.

بعد ما تخرج من دارالعلوم الديوبندية سافر إلى كنكوه واستفاد من العالم الربّانى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى ثم سافر إلى دهلى وعمل هناك فى المدرسة الأمينية كأستاذ للعلوم الدينية ودرّس هناك أربع

سنوات تقريبا ثمّ أسس مدرسة باسم فيض عام فى باره موله فى ولاية كشمير وأفاد واستفاد هنا عدة سنوات ودرس كتب الحديث وفسر القرآن الكريم، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين لحجّ بيت الله وبعد إنهاء مناسك الحج سافر إلى الشام ومصر واستفاد من علماء الشام ومصر وزار المكتبات العلمية فى الحجاز ومصر والشام واستفاد من الكتب العلمية النادرة. رجع العلّامة فى سنة ١٣٢٣ هـ من سفر البلاد المقدسة والشام ومصر بعد ماأسند الحديث من الشيخ حسين بن محمد الجسر الطرابلسى صاحب الحميدية ثم ولّى التدريس فى دارالعلوم ديوبند وأقام مدّة طويلة هناك يفيد ويدرس كتب الحديث والفقه ثم غادر دارالعلوم ديوبند فى ١٣٤٦ هـ إثر الخلاف الّذى حصل بينه وبين المسئولين فى بعض الأمور الإداريّة وتوجّه إلى دابيل بولاية غجرات وبقى هناك يفيد ويدرس فى الجامعة الإسلامية إلى سنة ١٣٥١ هـ حتى برّح به داء البواسير وأنهكته الأمراض فسافر إلى ديوبند حتى وافته المنية فى سنة ١٣٥٢ هـ ودفن بها.

كان العلامة أحد كبار الفقهاء الحنفية وعلماء الحديث الأجلّاء الّذين يشار إليهم بالبنان، كان نقى الذهن صافى الفكرة سليم الصدر سمح النفس شديد الغيرة على الإسلام وعقيدة أهل السنة شديد العداء والبغض للقاديانية كثير الردّ عليهم منصرفا إلى تبيين ضلالهم و كفرهم.

كان نادرة عصره فى قوة الحفظ وسعة الاطّلاع على كتب المتقدّمين والتضلّع من الفقه والأصول والرسوخ فى العلوم العربية الدينية والتفسير وعلوم الحكمة يستظهره ما قرأه فى ريعان شبابه وما طالعه من مكتبة يسرد منه العبارات وينقل منه ولا يخل بمعنى ، نهما بالعلم والمطالعة، شغوفا بالاطلاع الجديد وكان دقيق النظر فى طبقات

الفقهاء والمحدثين ومراتب كتبهم منصفا فى الحكم عليهم.

يعترف لشيخ الاسلام ابن تيمية بالفضل والنبوغ ويصفه بالبحر الزخار الّذى لا ساحل له مع انتقاده له فى تفرداته. (١)

كان مؤلفا كبيرا ألّف كتبا عديدة رائعة ممتعة فى فن الحديث والتفسير والعقيدة. (٢)

شعره:

إن حياة الشيخ أنور شاه الكشميرى حافلة بالمآثر ومنها ملكته الفذّة فى قرض الأبيات تستمع إليها الآذان وتستحسنها الفطرة البشرية السليمة كان ماهراً فى سبك الأبيات وصياغتها بكمال الدقة وجمال التعبير مع الروعة البيانية ، فإن عدد أبياته يبلغ الى الآلاف وقد قُرضت الأبيات فى مناسبات عديدة لأغراض متنوّعة فمنها فى ضوابط الفقه الحنفى على نحو الأراجيز، وفى بعض معارف الحديث، وفى شتّى مسائل العلوم ورسالة منظومة فى مسألة وجود الصانع الحكيم وحدوث العالم من علم التوحيد والكلام وبعض أبيات الشيخ يشمل الحكم والحقائق والأمثال ورثاء الشيوخ ومديح بعض أماثل المعاصرين أما

---

(١) راجع : نفحة العنبر فى حياة إمام العصر الشيخ أنور، وحيات أنور وعلماء هند كاشاندار ماضى ٢١٢/٥، ومقدمة مشكلات القرآن، ونزهة الخواطر ٨٠/٨ ومولانا أنور شاه كشميرى حيات اور علمى كارنامى واخبار الجمعية ٢٦/ابريل ١٩٧٤م وهندوستان ميں عربى علوم وفنون كے ممتاز علماء اور ان كى علمى خدمات ص ١٠٨.

(٢) مؤلفاته : فيض البارى بشرح صحيح البخارى، العرف الشذى بشرح جامع الترمذى، أنوار المحمود فى شرح سنن أبى داؤد، الاتحاف لمذهب الأحناف، فصل الخطاب فى مسألة أم الكتاب، خاتمة الكتاب فى فاتحة الكتاب، عقيدة الإسلام فى حياة عيسى عليه السلام، تحية الإسلام فى حياة عيسى عليه السلام، إكفار الملحدين فى ضروريات الدين، التصريح بما تواتر فى نزول المسيح، نيل الفرقدين فى مسألة رفع اليدين، بسط اليدين لنيل الفرقدين، كشف الستر عن صلاة الوتر، ضرب الخاتم على حدوث العالم، مرقاة الطارم لحدوث العالم، سهم الغيب فى كيد أهل الريب، كتاب فى الذبّ عن قرة العينين.

قصيدته فى مدح النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فهى قصيدة غرّاء محكمة النسج، بديعة التعبير، رشيقة الألفاظ وبديعة المعانى. وهذا لأن الشيخ ولد فى بيت العلم والشعر فكان والده شاعرا مجيدا فى الفارسية وأخوه الأكبر كان أشعر أهل كشمير بل أهل عصره، فكان الشعر خلط بلحمه وسيط بدمه نشأ فى مهد الشعر، ثمّ ارتوى بلبانه فصار الشعر طبيعته الثانية، ولنعم ما قال زهير:

وهل ينبت الخطى الّا وشيجه ... وتغرس الّا فى منابتها النخل

وقبل أن أبدأ فى ذكر القصيدة يحلو لى أن أنقل هنا بعض الأبيات للشيخ الّتى قيلت فى مناسبات مختلفة لكى يطلع القارئ على قدرته البيانية وامتلاكه ناصية الشعر وتضلعه باللغة العربية كأبنائها.

قد رثى العلاّمة الكشميرى حجة الاسلام محمد قاسم النانوتوى المتوفى سنة ١٢٩٧ه موسس درالعلوم الديوبندية بقوله:

قفا يا صاحبىّ على الديار ... فمن دأب الشجّى هو ازديار
وعوجا بالرباع رباع أنس ... ففى المرأى لشئ كاصطبار
وإن عادت دوارس بعد هجر ... فقد كانت معاهد للمزار
فتلك بلادها أمضيت فيها ... ليالى من طوال أو قصار
وبت أسارق المرأى وأهوى ... نسيما من شميم من عرار

بعد ذكر الديار والرباع والبقاع الدارسة والهجر وليالى الإقامة يذكر الشيخ مزايا العلاّمة حجة الاسلام محمد قاسم النانوتوى قائلا:

وذلك قاسم البركات طرا ... يسير بذكره تال وقارى
امام حافظ سند همام ... لسان الحق مقدام الكبار
طراز للهدى حبل متين ... دليل حجة عالى المنار
ومشكاة الهدى هديا وسمتا ... ومصباح به إرشاد سارى

مجدد هذه الأعصار حقا ... محدثها وذلك فتح بارى
ورحلة عصره طود عظيم ... خليفة مسلم ثم البخارى
ومحى السنة البيضاء لما ... توارت بالحجاب على استتار
له فى الفضل أخبار كشمس ... وآثار كأمثال الدرارى
متى ما جئت تستسقيه قطرا ... تجد بحرا يطم على البحار

تبدو هذه الأبيات حين قراء تها كأنها الماء الزلال تروى العاطفة والذوق الأدبى وكأنها الشلّال يتدفّق بكل قوّة وحيوية ونشاط وصفاء، ثمّ يقول:

مناقبه قد اشتهرت وصحّت ... وأخرجها الثقات على الجهار
فهذا فضله علما وفقها ... تلقّاه الرواة على اشتهار
وما آتاه خالقه مقاما ... وآثره وليا باختيار
فمعروف به وسرى عصر ... فريد فيه من غير المدار
إذا ما جاءه أحد مريدا ... تهلّل بالغوادى والسوارى

وكذلك يرثى الشيخ الكشميرى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى المتوفى سنة ١٣٢٣ه فيقول فى بداية القصيدة.

قفا يا صاحبى عن السفار ... بمرآى من عرار أو بهار
يسير بنشرها نفحات أنس ... وريّا عند محى من قطار
يفيض لروحها رشحات قدس ... حياة للبرارى والقفار
وقد عادت صباها من رُباها ... بأنفاس يطيب بها الصحارى
فيسرى فى قلوب الصحب وجد ... بأطراف الحديث لدى اعتبار

ثم يقول:

أمام قدوة عدل أمين ... ونور مستبين كالنهار
فقيه حافظ علم شهير ... كصبح مستنير هدى سار

إليــه المـنتهى حفـظا وفـقهـا ... وأضحـى فى الـرواية كـالمدار
فـفـى التحـديث رحلة كـل راو ... وفـى الأخبـار عـمدة كل قـارى
وغـرّة دهـره علـمـا وديـنـا ... طـراز زمـانـه مثـل النضـار
وأمـا فـضلـه ذوقـا وحـالا ... فـفـرد فيـه لا أحد يـجـارى
كـأن جبينـه بـدرمبين ... تهـلّل نـوره عـند الـزوار
وهـمّتـه كـصبح مستطـير ... أو الغيـث المغيث لدى انتظار
لـقـد نـفع الورى شرقا وغربا ... وأشـرق نـوره عـند اعتكـار

وكذلك رثى العلامة الكشميرى الشيخ محمود الحسن الديوبندى المتوفى ١٣٣٩ﻫ وقد أجاد، فيقول:

قـفـا نبك من ذكر مزار فـنـدمعا ... مـصيفا ومشتى ثم مرأى ومسمعا
قـد أتحفـه الألطـاف عطفا وعطفة ... وبـورك فيـه مـربعـا ثم مـربعا
وقـد كـان دهـرا ثم دهـرا طريقتى ... طـريـقة غـر ثـمّ أولـى فأوقعا
يـحـاوبنـى دار وجـار على البكا ... ولـم أر الا بـاكيـا ثم موضعا
وإن كـان مـمـا ليس يشفى ويشتفى ... بشئ ولـكن خلّ عينيك تدمعا

ثم يقول:

نهضت لأرثى عـالـمـا ثم عـالـمـا ... حـديثا وفـقهـا ثم ماشئت أجمعا
وهـديـا وسمتـا سُنة وجمـاعة ... وخـلـقـا وخلقا ما أناف و أوسعا
إذا جـئتـه وافيتـه متهـلّلا ... كبـدر منيـر من جبين و أوسعا
وغـرتـه سيـمـا السجـود وبشره ... تبـاشير صبح أو كمسك تضوّعا
وأذكـر أيـام الـمـزار وأنثـنى ... عـلى غصص فى القلب حتى تصدّعا
بـكيـت إمـامـا أووليـا لـربّـه ... وإن شئـت حقا فالفضائل أجمعا
بـكتـه سمـاء ثـمّ أرض كـلاهـمـا ... وعين و قـلب قـاسيـان فـأجمعا

قدّمنا بعض الأبيات من قصائد العلّامة كنماذج ليتمتع القارى من

شميم أزهـارهـا ويـحظـى من نسمات أسحارها ويستفيد من أريجها، والآن نبدأ فى بيان القصيدة الّتى قرضها العلّامة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم.

هـذه الـقصيدة الدّالية تحتوى على ٤٧ بيتا (١) ومستهل القصيدة هـو ذكر لعهد الحمى والنسيم والصبا والظباء والدموع والهجر والتلول وما إلى ذلك من ذكرى وتأويب وتأويه. يقول الشاعر:

بـرق تـألّـق مـوهـنـا بـالوادى ... فـاعتـاد قلبـى طـائف الأنجاد
أسفـا عـلى عهـد الحمى وعهـاده ... تـولّـى عـلى الإبـراق والإرعـاد
هـبّ النسيم على الربى فتضاحكت ... بشـرى الـعميد عرارها والجادى
لـعبت صبـاهـا والشـمال وتـارة ... لـعب الـغصـون بـعطفها الميّاد
سنـح الـظبـاء فـكـاد يهلك مغرم ... حـور الـعيون وعطفة الأجيـاد
وأكـاد أشـرق بـالـدموع إذا بدا ... هـجر فتبكـى الـورق بـالاسعاد
أسقـى التلول وأستحث ركـائبى ... وجداً عـلى التأويب والإشآد

ثم يتطرّق الشاعر إلى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم قائلاً:

أنـا فـى أمـان من دآدى حيرة (٢) ... ولـى اهتـداء بـالنبىّ الهـادى
شـمس الضحى بدر الدجى صدر العلى ... عـلـم الهـدى هو قـدوة لـلقادى
مـولـى الـورى وبشيـرهـم وشفيعهم ... وخـطيبهـم فـى مشهـد الأشهـاد
مـن سيـد عبـدالالـه وحـمـده ... وحبيبـه وخـليـلـه الحـمّـاد
سهـل العريكة أكرم العرب الألى ... خير الـعباد و خيـرة العبّاد
خيـر الـورى بيتـا وأخيـر محتداً ... ونبيهـم مـن مـعـدن مـنـطـاد
ختـم الـنبـوّة والرّسالة إنّها ... بـدئـت بـه ختـمـت بـه لمعاد

(١) نفحة العنبر فى حياة إمام العصر أنور، ص ١٨١ - ١٧٩
(٢) الدآدىَ جمع دأدأة وهى ليلة شديدة الظلمة

العـاقـب الـمـاحـى وأكثر تـابعـا ... والـقـاسـم الـمـبـعـوث لـلإرشـاد

والأفـصـح الأمّـى أصـدق لهـجـة ... مـمـن تـكـلّـم بـالـلـسـان الضـاد

أبيـات الـقـصيدة لها ميزة خـاصّـة وتـحتّـل مـكانة لائقة فى حسن السبك والـنسـيج وبـديـع الانسجام والصوغ ونصاعة الألفاظ وفصاحة الـكـلـمـات وقـد يـجد الباحث بعض الإغلاق فى بعض الأبيات وذلك لـغـوصـه فـى الـدقـائـق التى قد تملى عليه قريحته الوقّادة وذهنه الفيّاض وخياله الهائج المائج الجيّاش، ونرى أن الشاعر يتجنّب التعبيرات الغريبة والألـفاظ الركيكة والكلام التى تأباه الفطرة السليمة والذوق اللطيف بل نرى فى القصيدة انسجاما وصياغة فى تراكيبها وتعبيراتها.

ثـمّ يـصف الـشـاعـر الرسول الكريم ﷺ بأوصافه الخِلقية والخُلقية بقوله:

ومـفـخـم فـخـم تهـلّـل وجهـه ... ضـحـكـا كضحك البدر اذ هو باد

الأبـلـج الأقـنـى الأزج ورحـمة ... لـلـعـالـمين وأجـود الأجـواد

ولـرعبـه سـار مـسـيـرة أشهـر ... ولـذكـره بـاق عـلـى إحـمـاد

وافـى شهيـدا مـنـذرا ومبشـراً ... مـن ربّـه بـالـوعـد والإيـعـاد

ثـمّ ذكـر الـشـاعـر الـحـال الإجتماعية والدينية وقت بعثة النبى ﷺ قائلا:

قـد جـاء والـدنيـا عـلـى ظلماتهـا ... والـجـهـل والبـؤسـى على اعتاد

فـأضـاء كـالبـدر الـمنير ووجهـه ... نـور مبيـن فـى ظـلام دآدى

فتـحـت بـه غـلف القلوب وبصرت ... عـمـى الـعـيـون بسنّة وسـداد

قـد أيّـد الـتـقـوى وشيّـد أمـرهـا ... بـقـواعـد الـتـأيـيد ذات عـمـاد

ثـمّ ذكـر الـشـاعـر أن الـبـركـات والعصمة من الأزمة والحياة الطيبة معقودة ناصيتها بالشريعة التى جاء بها النبّى صلى الله عليه وسلم وأن

هدى النبّى صلى الله عليه وسلم خير هدى ودينه خير الأديان فقال:

وبـوجـهـه تـسـتـنـزل الـبـركـات من ... فـوق الـسـمـاء فـأيده بـأيـاد

وبـه الـنـجـاة وعـصـمـة مـن أزمة ... وبـه حيــاة طيبة لبلاد

فـلـخـير هـدى هـديـه ولـديـنـه ... ديـن الالـه عـلا لـدى الاسـنـاد

ثـم ذكـر الـشـاعـر أولئك الّذين تشرفوا بصحبة النبىّ ﷺ وتربوا فى أحضان الرّسالة وامتثلوا لأوامر الشريعة وضحوا بما كان فى وسعهم من الـمـال والـجـاه والنفس والأهل والعشيرة ولم يُبالوا بأى شئ حال دونه ودون الـشـريـعـة الأخـيـرة وتركوا الوطن المألوف والعقار والحائط، من المهاجرين والأنصار الأبرار الأطهار والتابعين لهم بإحسان.

قـامـت بـه غـرّ الـوجـوه عـصـابة ... شـمّ الأنوف وصفـوة الأعـضـاد

كـانـوا من الأبـرار والأطـهـار والـ ... أخيـار والأنـصـار والأنـجـاد

ثـم اهـتـدى بـمـنـارهـم سعداؤهم ... سـعـدوا وكـانـو وفـقـوا الـرشـاد

ثم أنهى قصيدته الغراء بالأبيات الأتية،

حتـى تـأذّن دهـرهـم بـمـضـيهـم ... والـدهـر أرود ذو صـروف عـاد

فـمـضـى الـخـيـار فلا ترى آثـارهـم ... فـكـأنهـم كـانـوا عـلـى ميعـاد

هـذا ولا يـبـقـى سـوى الملك القديـ ... م وكـل شـئ رائـح أو غـاد

قف نبك أطـلالا وهـت أركـانهـا ... أخـنـى عـلـيهـا الـدهر بـالمرصـاد

يـا ربـمـا أرثـى الـطـلـول فـمـاهـنـا ... داع ولا متـسـمّـع إنـشـادى

سبـحـان من صرف الأمور وما أتت ... غيـر عـلـيـه عـلـى مـدى الآباد

ثم الـصـلاة مـع الـسـلام عـلـى النبى ... والـه مـع صـحـبـه الأمـجـاد

هـذه قصيدة عصماء فريدة، نرى فيها نصاعة لفظ الجاهلية والعرب الـعـربـاء وحـلاوة انسجام الشعراء الإسلاميين وحسن نسيج النابغين فى قـرض الأبـيـات، الـقـصـيـدة تبـدى لـنـا صـورة واضحة للأهداف النبيلة

والأغراض الهادفة البنّاءة التى لأجلها خاض الشاعر هذا المضمار وغاص فى بحور الأبيات لينثر لآلى بين يدى القارى، قافية القصيدة ورويّها لهما تاثير خاص فى إيقاع أو تار القلوب وتفتيق القريحة وايقاظ الشعور وترقيق الوجدان وتصفية الخيال.

يبدو أن الشاعر قد نظم لؤلؤا وحاك ديباجا ونسج حريرا وقدّم لنا باقة الأزهار الأنيقة الجميلة من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم وميزاته وأعماله وأخلاقه وتضحياته بالتلميح إلى الشمائل النبوية بأنقى تعبير وأوفى تحبير، وهذه القصيدة تسكن الأكباد الهائمة المقروحة المتعطشة وتزكى لوعة الحب والغرام ويربى أسس الحياة التى لايمكن أن تحيى الأمة الإسلامية بدونها فى عزة وسعادة.

والقصيدة جديرة بأن تعدّ من القصائد البديعة الّتى أنتجها أبناء الهند المسلمين فى شرقها وغربها وشمالها وجنوبها أداء لضريبة الحب والوفاء والحنان والولاء للنبى الخاتم الّذى لولاه ما استيقظت الإنسانية من غفوتها وما وجد العالم الإيمان الّذى فقده وأفلس فيه منذ مدة طويلة، الإيمان بالله وبالبعث والإيمان بقيمة الإنسان وكرامته وما إلى ذلك من الأمور التى يجب الإيمان بها بالضرورة.

لا يوجد فى كلامه شئ يخلّ بالعقيدة الاسلامية الصحيحة ومدحه النبى صلى الله عليه وسلم بعيد عن الاطراء والمغالاة اللذين ليس لهما أىّ أساس فى الشريعة، وهذا التوفيق من منن الله وكرمه عليه، وإلا: فللناس فيما يعشقون مذاهب.

أحمد حُسين الرّسُو لفورى

١٢٨٨هـ - ١٣٥٩هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ أحمد حسين بن الشيخ باب الله الرسولفورى المباركفورى الأعظمى فى رسول فور سنة ١٢٨٨ هـ فى مديرية أعظم جراه وترعرع فى كنف والده الكريم و مخايل الفطنة والذكاء كان بادياً على جبينه منذ نعومة أظفاره وكان يتلألأ جوهر العلم والدين فى محيّاه منذ صباه، قرأ القرآن الكريم والكتب الدينية والقواعد النحوية والصرفية على صهره الشيخ الحافظ محمد نظام الدين بن الشيخ عبدالوهّاب السريانوى أحد عباد الله الصالحين ثم تتلمّذ على أخيه الأكبر الشيخ عبدالعليم الرسولفورى ثم قرأ على العلّامة محمّد فاروق الجرياكوتى فى غازى فور وعلى الشيخ محمّد هداية الله خان الرامفورى فى جونفور وعلى حكيم الأمة العلّامة الشاه أشرف على التهانوى فى كانفور وعلى جامع المنقول والمعقول الشيخ عبدالحق الخيرآبادى والشيخ ظهور الحسن الفاروقى والشيخ وزيرعلى والشيخ العلّامة محمد طيّب والشيخ الطبيب محمّد حسين الكشميرى فى رامفور وأنهى تعليمه فى سنة. ١٣٢٠هـ.

كان رحمه الله أسمر اللون طويل القامة جميل المحيا يعلوه الوقار والهيبة. كان فى الهدى والسمت آية من آيات السلف راغبا فى الخير، زاهدا فى الدنيا ، محبّبا بين الناس۔

بعد تخرجه من الجامعة ،خدم العلم والدين ودرّس وأفاد فى بنارس وغازى فور والباكستان الشرقية بنجلا ديش حاليا وأقام هناك عشرين

سنة ،كذلك درّس أخيرا فى أنجمن إسلامية غوركبور.

كان الشيخ أحمد حسين الرسولفورى عالماً كبيراً وطبيبا حاذقا وشاعرا وكانت له بصيرة تامة فى علم الفلك والحساب والهندسة والنحو والصرف والعروض والمعانى والبيان وما إلى ذلك من العلوم والفنون وكذلك كان رحمه الله من المؤلفين الكبار (١)فى اللغة العربية والأردية. توفى رحمه الله تعالى مبطونا فى ٢٦ رجب سنة ١٣٥٩ﻫ

وقد رثاه العلّامة رحمت على المباركفورى بقوله:

وألهفنا صرف الزمان الأنكد ... ينعى لنا فقد الفريد الأوحد

لهفى على فقد العليم المتقى ... المرتقى أحمد حسين الأزهد

فى الدين والدنيا سعيداً عاش قد ... ما شهيدا بالقضاء الأسعد

فى اليوم ظل ثاويا فى قبره ... بالليل أسرى عبده فى المسجد

يا رب قدس روحه والطف به ... واغفرله بالمصطفى محمّد

شعره:

فى القصيدة الميمية أثنى الشاعر فى بداية القصيدة على البارى عزّوجل وعدّ مننه على الناس من خلق السماء والقلم والأرض وعد أسماء الله الحسنى من الرحيم المالك الصمد الأحد العزيز البارى القدير الربّ ثُمّ ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ومدحه بصفات عظام لائقة بذات النبّى صلى الله عليه وسلم فقال:

يا ربنا ارحم من سرى ليلا وجاب فقد دنى

ومضى السمٰوٰت العلى أوحيته جمع الكلم

(١) مؤلّفاته : سبيل الآخرة، رسالة تجهيز الأموات، أحسن المبرّات فى هدية الأحياء إلى الأموات، تحفة الأحياء فى فضل المدينة ومناقب سيد الشهداء الخطب المنبرية من الحكم العلمية، التحصيل والتكميل، حاشية على ملتقى الأبحر، حاشية على قصيدة الفرزدق، حاشية على قصيدة البردة، حاشية على مسلم الثبوت، حاشية على سلّم العلوم، حاشية على الميبذى.

أرسلته لكرامة وصفوته لإمامة

شفّعته لقيامة ينفى الكبائر واللمم

صلّ على شمس العلى قد فاق بالصدق الورى

وهو العتيق المعتلى جلاء ليل مدلهم

ثم ذكر الشاعر الصحابة رضى الله عنهم الّذين نشروا دين الاسلام واستماتوا فى سبيله ونصروا النبى صلى الله عليه وسلم ،وأزواجه والحسن والحسين رضى الله عنهما وعمّى النبّى والعلماء الراسخين والعلماء.

هذه القصيدة المحتوية على الحمد والمدح والدعاء ليست لها قيمتها الأدبية الكبيرة إلّا أنها تنم عن ملكة الشاعر الراسخة فى فن الشعر وقرض الأبيات والحب للنبى صلى الله عليه وسلم ولأصحابه وبناته وأزواجه وأحفاده، وهذا الحب هو الدليل على كون الشاعر مؤمنا بالله وبرسوله وبكل ماجاء به من القوانين والشرائع وحبه الصادق للخلفاء الأربعة، إذ يقول الشاعر:

وعلى الّذى زان الحجى وأشاع دين المصطفى

الجامع الوحى الصفا من نوره كشف الظلم

وعلى الكمى المحتدى كرار زمر فى الوعى

من هابه ليث الشرى وتزلزلت منه الأكم

وعلى الّذين تسلّما لما عزت أيدى البلا

وتحملا بؤس العدى اذ صادفا ضيما وسم

من خصائص الشعر أن يكون واضحا مع البساطة وعدم التكلف والاغراق فى الأداء وهذه القصيدة التى بين أيدينا يبدو فيها التكلف والاغراق فى الأداء فى معظم أبياته، فالقصيدة لاتخلو من صفات تقلّل من قيمتها الأدبية ولكنها مع ذلك تصوّر لنا أخيلة الشاعر المشرقة مع روعة البيان وجمال التعبير، وهذه الميزة تضفى على القصيدة لونا من القداسة والفخامة.

السيّد محمد مخدوم الحسينى القادرى

١٢٩٨هـ - ١٣٦٤هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ محمد مخدوم الحسينى القادرى فى قرية بلهارى فى ولاية آندرا براديش فى سنة ١٢٩٨هـ من شهر ذى القعدة، قرأ الكتب الدراسية فى حيدرآباد ثم واصل دراسته حتى برع فى اللغة العربية والفارسية والأردية وفى علوم الحديث والتفسير والفقه. تصدى للتدريس فى الجامعة النظامية فكان شيخ الفقه فى الجامعة المذكورة وكذلك أسند إليه مسئولية الإفتاء فى الجامعة فقام بالتدريس والإفتاء خير قيام حتى ذاع صيته فاستدعاه الآصفجاه السابع لتدريس ابنيه النواب صلابت جاه بهادر والنواب بسالت جاه بهادر.

كان من المؤلفين باللغة العربية والأردية (١) مات فى حيدرآباد فى ١٠/ شعبان سنة ١٣٩٤هـ (٢)

شعره:

كان السيد محمد مخدوم الحسينى القادرى شاعرا وقد أهدى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هدية السلام بقوله:

يا إمام الهدى سلام عليك	يا أمان الورى سلام عليك
أشرق الأرض والسماء بك	أنت شمس العلى سلام عليك
ما اهتدينا الرشاد لولم تكن	يا نبى الهدى سلام عليك
فضلك لا يحد ولا يحصى	خاتم الأنبياء سلام عليك

(١) مخدوم الإعجاز من تأليف السيد المخدوم باللغة العربية.
(٢) كتاب مخدوم المخدوم لمؤلفة السيد حبيب المخدومى.

هادى الخلق حامى الأمة	من جميع البلاء سلام عليك
نستغيث بك إلى الله	يا غياث الورى سلام عليك
وعدنا الله وعد مغفرة	لجميع الخطا سلام عليك
جُد علينا بجود رحمتك	أنت غيث الندى سلام عليك
قد حضرنا لديك فاشفع لنا	عند ربّ الورى سلام عليك

ثم يستطرد قائلا:

جعلك الله عبده المختار	فى الورى المصطفى سلام عليك
كن لنا جنة من النار	واكف كل البلاء سلام عليك
كافلا فى الشفاعة الكبرى	يا ملاذ الورى سلام عليك

ويختم الشاعر سلامه بقوله:

سيدى ومرشدى ومولائى	أنت مخدومنا سلام عليك
أحقر الخادمين مخدوم	منك يرجو العطا سلام عليك (١)

قد مدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأوصاف تليق به ولكنه تعدى الحدود اذا استغاث بالرسول صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم الثابت بالقرآن والأحاديث النبوية أن الإستغاثة بالرسول والمخلوق لايجوز، ولا بد من أن نعير اهتمامنا إلى مثل هذه الأمور، فقد ثبت من الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وإنما أنا عبدالله ورسوله ونعوذ بالله من أن نقع فريسة الأهواء والشيطان ونجانب الحق والصواب.

(١) مخدوم المخدوم: ٣١-٣٢-

الشيخ عبدالرحمن الأمروهى

٠٠٠٠ - ١٣٦٧هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ عبدالرحمن الأمروهى بمعمورة بومبائى ونشأ بها، كان من أحد العلماء المبرزين فى الفقه والحديث واللغة العربية، حفظ القرآن الكريم بمكة المكرمة وتفقّه على والده وعلى أساتذه مكة المكرمة وديوبند وأدرك بها الإمام محمد بن قاسم بن أسد على النانوتوى وقرأ عليه سنن الترمذى وكان من آخر تلاميذه، وقرأ الحديث على العلامة أحمد حسن المحدث الأمروهى فى مرادآباد ثم على الأمام رشيد أحمد الكنكوهى وأسند الحديث عن الشيخ العلامة حسين بن محسن الأنصارى اليمانى ثم ولى التدريس بمرادآباد فى المسجد الشاهى فدرس بها مُدّة من الزمان ثم استقدمه أهل بمبئى بمدرسة كموسيت فدرس بها زمانا ثم ولى رئاسة التدريس وشياخة الحديث فى المدرسة الإسلامية بجامع أمروهة واشتغل بضع سنين بتدريس الحديث الشريف بالجامعة الاسلامية بدابهيل، من مؤلفاته حاشية على تفسير البيضاوى وحواش على المطول ومختصر المعانى، مات لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وستين وثلاث مائة وألف بأمروهة ودفن فى المسجد الجامع بأمروهة (١)

شعره: كان الشيخ عبدالرحمن الأمروهى شاعرا كبيرا وله ثلاث قصائد فى موضوع المديح النبوى (٢) وهذه القصائد كلها تدلّ على

(١) الاعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام: ٨/٢٦١.

(٢) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الأدب العربى. ص ١٠٤

مستواه الرفيع من القدرة على نظم الشعر باللغة العربية خاصة فيما يتعلّق بأبيات التشبيب، ففى الأبيات التالية نجد أسلوبا قويا ممتازا بطرافة المعنى وسلاسة البيان.

يا لوعة الحب مذ أوريت فى خلدى ... أحرقت ما كان من صبرى ومن جلد
زيدى فزيدى ولا تبقى ولا تذرى ... عضواً بجسمى ولا قلبى ولا كدرى
فعبرتى كصبيب القطر هامرة ... وزفرتى كلهيب النار فى وقد
فالدمع يفعل فعل الدهن وا عجبا ... قد زاد هذا البكا فى لاعج الكمد
والدمع أغرقنى والوجد أحرقنى ... وإنّنى بين كلتا الحالتين ردى
والنفس فى رهق والروح فى رمق ... والقلب فى قلق والعين فى سهد
زديا غليلى فزد واشتد يا ظمأى ... من اشتدادِكَ لا أشكر إلى أحد
ألا إلى من سقت جيشا أصابعه ... وكان ألفا ونصف الألف فى العدد
من يدفع الهم عن ذى الهم حينئذ ... ويجمع الشمل حيث الشمل فى بدد
أنت الشفيع لمن قد فاته أمل ... عند العزيز الجليل الملك الأحد (١)

(٢) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الأدب العربى. ص ١٠٤

المفتى كفاية الله الدهلوى

١٢٩٢هـ - ١٣٧٢هـ

نشأته وحياته:

ولـد الشيـخ العـالـم الـصـالـح كفاية الله بن عناية الله بن فيض الله الشاهجهانفورى ثم الدهلوى أحد كبار العلماء فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين وألف من الهجرة (١٢٩٢هـ) بشاهجهانفور بولاية أترا براديش ودخل فى المدرسة الإعزازية ومكث بها سنتين ثم سافر إلى مرادآباد والتحق بمدرسة شاهى وقرأ على أساتذتها منهم الشيخ عبدالعلى الميرتى والشيخ محمد حسن والشيخ محمود حسن السهسوانى وكان يتكسب بصناعة القلانس وكان يخيطها ويبيعها وينفق على نفسه ثم سافر إلى ديوبند سنة اثنتى عشرة وثلاث مائة وألف وقرأ فى المدرسة العالية بها على الشيخ منفعت على الديوبندى والحكيم محمد حسن والشيخ غلام رسول والشيخ خليل أحمد الأنبيتوى والحديث على الشيخ عبدالعلى الميرتى والعلامة محمود حسن الديوبندى وقرأ فاتحة الفراغ فى سنة خمس عشرة وثلاث مائة وألف ثم رجع إلى شاهجهانفور وأقام فى مدرسة عين العلم خمس سنين يدرس ويباشر الإدارة ثم توجه إلى دهلى على طلب من الشيخ أمين الدين الأيلوى المهاراشترى مؤسس المدرسة الأمينية ومديرها ودخل فى سلك أساتذتها فى سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة وألف حتى آلت إليه إدارتها ونظارتها على وفاة الشيخ أمين الدين الأيلوى فى سنة ثمان وثلاثين وثلث مائة وألف واستقام على ذلك ويفتى ويعلم ويخرج ويربّى وقد توسّعت فى عهده المدرسة الأمينية وبلغت أوجها من بين مدارس

البلد ومعاهده.

كانت للشيخ كفاية الله عناية بالقضايا الاسلامية وميل إلى السياسة، يتألم بما يؤلم المسلمين ويحطّ من شأنهم وقد ورث ذلك عن أستاذه العلاّمة محمود حسن الديوبندى، كان من كبار أنصاره، ومن أوفى تلاميذه فى الإنتصار للخلافة العثمانية والسعى لتحرير البلاد ونفى الانجليز، وكان له الفضل الكبير فى تأسيس جمعية العلماء الّتى تأسست سنة ثمان وثلاثين وثلث مائة وألف من الهجرة (١٣٣٨هـ) وتشييد بنيانها وقد بقى الرئيس لها مدة عشرين سنة، وكان من كبار أنصار الحركة الوطنية التحريرية ومن كبار المويدين للمؤتمر الوطنى (National Congress) من بين علماء المسلمين وقادتهم وقد سجن مرّتين، أولا هما فى السابع عشر من جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وثلاث مائة وألف، وحكم عليه بالسجن لستة أشهر، ولما ظهرت حركة الردّة فى بعض الأسر الّتى أسلمت فى الماضى وعودتها إلى دينها السابق واستفحلت هذه الحركة قام الشيخ كفاية الله وقاومها بإرسال الوفود من العلماء وغيرهم لتثبيت المسلمين على دينهم وسافر رئيسا لوفد جمعية العلماء لحضور المؤتمر الإسلامى الّذى انعقد بدعوة الملك عبدالعزيز بن سعود فى ذى القعدة سنة أربع وأربعين وثلاث مائة وألف من الهجرة وظهرت حصافة رأيه وعمق نظره فى المباحثات الّتى دارت فى هذا المؤتمر والقرارات الّتى اتخذت فيه.

وسافر مرة ثانية لحضور مؤتمر فلسطين الذى عقد فى القاهرة فى شعبان سنة سبع وخمسين وثلاث مائة وألف من الهجرة ولقى حفاوة واستقبالا فى الأوساط الإسلامية والعلمية فى مصر وتلقاه العلماء والزعماء بصفة المفتى الأكبر للديار الهندية ومن كبار علمائها وقادتها.

وقد استقلّت الهند سنة ست وستين وثلث مائة وألف وقامت الحكومة الوطنية وقد آلمه مارآى من خيبة الأمل فى الّذين كافح معهم فى تحرير البلاد، وفى تعايش الشعوب المختلفة فى البلاد تعايشا سلمياو وديا فكسر ذلك خاطره وانصرف عن المحافل السياسية واعتزل فى البيت عاكفا على العلم والإفتاء والذكر والعبادة حتى وافته المنية.

كان الشيخ كفاية الله قوى العلم عالما متقنا ضليعا ، طويل الباع راسخ القدم فى الفقه، عظيم المنزلة فى الإفتاء وتحرير المسائل وتنقيحها يكتبها بعبارة وجيزة متينة وكان دقيق النظرة فى المسائل والنوازل جيد المشاركة فى الحديث وصناعته، بارعا فى الحساب والعلوم الرياضية، جيد الخطّ، كثير التواضع، قليل التكلّف وقوراً رزينا، يحب الترتيب والنظام فى كل شئ يخدم نفسه ويكون فى مهنة أهله فى البيت، له سلامة فكر وصفاء ذهن وتورع عن الغيبة وفحش الكلام وكان قليل الإشتغال بالتصنيف (١) منصرفا إلى الإفتاء والتدريس.

توفى فى الثالث عشر من ربيع الثانى ليلة الخميس سنة اثنتين وسبعين وثلث مائة وألف وصلى عليه جمع كبير ودفن أمام مقبرة العارف الكبير الشيخ قطب الدين بختيار الكعكى فى دهلى.

إن الشيخ كفاية الله الدهلوى كان من المتضلعين بالأدب العربى والقادرين على قرض الشعر لكنه كان مقلّا فى هذا الميدان. وقد عثرنا على بعض الأبيات له نقد مها للقارئين الكرام.

من شعره العربى ما قاله عن شيخه العلّامة محمود حسن الديوبندى حين كان أسيرا فى مالطه:

(١) له باللغة الأردية أربعة أجزاء من تعليم الإسلام ومجموع فتاواه باسم كفاية المفتى فى مجلدات كبار

ألا يا مالطه طوبى وبشرى … ثوى بك من محا آثار كفر
ولم تك قبله إلّا خرابا … خمولا غير معروف بخير
فما حلّها عادت رياضا … منضرّة من التقوى وذكر
مكلّلة بأزهار المزايا … وأزهار المزايا خير زهر
ألا يا مالطه كونى سلاما … على محمودنا الراضى بقدر
إمام الخلق قدوتهم جميعا … له كرم إلى الآفاق يسرى
جنيد العصر سرى الزمان … غيوث فيوضه تهمى و تجرى
فريد فى خلائقه العذاب … وحيد فى التقى من غير فخر
أشد الناس أمثلهم بلاء … فيا شمس الهدى يا طود صبر
لحر البين فى صدر الكئيب … تفيض دموعه حمراً كجمر
سينزلك العزيز محل عز … وينصرك النصير أعزّ نصر
سيكفيك الإله فأنت مرء … كفاك الله قدما كل شرّ (١)

تلك الأبيات الرنانة المذكور أعلاه تدلّ دلالة واضحة على علو كعب الشاعر فى قرض الشعر واستخدام الألفاظ والتراكيب حسب ما اقتضاه الحال والظروف. هذه الأبيات فى مدح العلّامة محمود حسن الديوبندى التى فاضت بها قريحة العلّامة المفتى رائعة رائقة سلسلة عذبة موفورة بالمنحة والمحنة، ترى فيها دموع الشاعر الفياصة الحادة وعزم الشاعر المغوار وصبره الجميل.

وللشاعر عدة أبيات فى مدح خاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ وهى:

ثم الصلاة على الّذى قد جاءنا
بشريعة غرّاء ذاتِ أمان

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام : ٨/ ٤٠٠ـ٤٠١

بيـضــاء صــافية نــقــى لــونُهــا
عــن عــصــمة التحريف والنــقــصــان
الهـــاشـــمـــى الأبـــطـــحـــى مـحـمّـد
مـــن حـــول الأعـــداء كـــالإخـــوان
الــحــامـد المـحـمـود أحـمـدنـا الّـذى
نـجـىّ الـورى من حُـفــــــــرة الـنـيـران

لاشك فى أن الشاعر موفّق كل التوفيق فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الشاعر الأوصاف الهامة والمزايا المنيرة والسجايا الكريمة للرسول صلى الله عليه وسلم. ولا مراء فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم نجىّ الإنسانية من حفرة النيران بالشريعة البيضاء الصافية النقية البعيدة عن وصمة التحريف والنقصان.

الشيخ محمد اعزاز على الامر وهوى الديو بندى

١٣٠٠هـ - ١٣٧٢هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ محمد إعزاز على فى مدينة بدايون سنة ١٣٠٠ من الهجرة النبوية، كان والده الشيخ محمد مزاج على من سكان أمروهه القرية المجاورة لمديرية مرادآباد لكن الشيخ محمد اعزاز على ولد فى مدينة بدايون كماذكرنا.

درس الكتب البدائية فى شاهجهانفور لأن والده كان يشتغل هناك فى بعض الدوائرالحكومية، والتحق هناك بمدرسة عين العلم وقرأ على أساتذة تلك المدرسة واستفاد منهم وخاصة من المفتى العلامة كفاية الله والشيخ المقرى بشير أحمد.

ثمّ سافر الشيخ إلى ديوبند للحصول على الدراسات العُليا والتحق بدارالعلوم الديوبندية ولم تمض على الالتحاق بها الاّ سنة حتى غادر ديوبند وسافر إلى ميرت والتحق هناك بالمدرسة القومية الشهيرة، ثم سافر إلى ديوبند بعد مدّة قليلة وقرأ فى دارالعلوم الديوبندية صحيح البخارى والجامع الترمذى وسنن أبى داؤد والهداية وتفسير البيضاوى على شيخ الهند محمود الحسن رحمه الله تعالى حتى تخرج منها متحليا بالعلوم والفنون بارعاً فى الأدب العربى.

بعد تخرجه من دارالعلوم الديوبندية تولى الشيخ التدريس فى المدرسة النعمانية بمديرية بورنيه فى ولاية بهار وفى أفضل المدارس بمديرية شاهجهانفور بولاية أترابراديش، ثم تولى التدريس فى دارالعلوم الديوبندية ثم تولّى تحرير الإفتاء فى الدولة الآصفية بحيدرآباد ثم رجع

إلى دارالعلوم بديوبند سنة ١٣٤٠ ﻫ وتولى التدريس والافتاء حتى وافته المنية.

كان الشيخ من العلماء الربانيين عالما عاملا، خاشعا متواضعا رقيق القلب سريع الدمعة بعيداً عن التكلف فى الملبس والمأكل والمظهر والمخبر، زاهدا متقلّلا من الدنيا مكبا على العلم والدراسة والتحقيق والتأليف والمطالعة ' سليم الصدر نزيه اللسان ' كثير الدرس والإفادة، ورعا تقيا مستحضرالفروع للمذهب مع الخبرة التامة بالفقه والأصول، صارفا جميع أوقاته فى خدمة العلم والدين، بارعا فى اللغة العربية، سلس القريحة فى الشعر العربى مع النبوغ فى اللغة والنحو ويرجع إليه الفضل فى تشجيع الأدباء وإذكاء شعلة الأدب.

كان الشيخ من المؤلفين الكبار فقد ترك لنا ثروة ضخمة كبيرة القيمة قليلة القامة (١) وانتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٣٧٢ ﻫ فى ديوبند ودفن بها (٢)

شعره:

كان الشيخ محمد اعزاز على الأمروهوى من الشعراء المطبوعين باللغة العربية والأردية وقد طبعت آثار قريحته فى المجلات الشهيرة فى الهند باللغة العربية والأردية.

كان متضلّعا من اللغة العربية نثرا وشعرا وحواشيه على ديوان المتنبى وديوان الحماسة تدل على علوّ كعبه فى لغة الضاد.

عثرنا على قصيدة ميمية له فى مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم قرضها مرتجلا فى سنة ١٣٤٩ ﻫ حينما تشرف بزيارة المسجد

(١) مولفاته: حاشية على نور الإيضاح وحاشية على كنز الدقائق وحاشية على شرح النقاية للملا على قارى، وحاشية على ديوان الحماسة لأبى تمام وحاشية على ديوان المتنبى ونفحة العرب.

(٢) راجع للاستزادة تذكرة الإعزاز للأستاذ محمد أنظر شاه الكشميرى.

النبوى على صاحبه ألف ألف تحية وسلام.

بدأ الشاعر قصيدته الميمية بقوله:

رسول الله جئتك مستعيذا ... عليك صلوٰة ربى والسلام
كئيبا مستغيثا مستعينا ... على نفس تضيم ولا تضام
رسول الله جئتك مستجيرا ... وربّى مستجيرك لا يضام
رسول الله جئت إليك ضيفا ... وحق الضيف تعرفه الكرام
قدمت إليك مسكينا فقيرا ... وزاد النفس آثام عظام
ومسته البلايا والرزايا ... بقلبه البساط فلا ينام
مريض أقلقته شئون نفس ... وقد أيست مداووه وقاموا
له قلب ولا تحصى مُناه ... له ندم وليس له كلام
رسول الله ملتجئا حزينا ... حضرت وفى الفؤاد ثوى ضرام

الأبيات التى قدمناها أمام القرّاء تتطلّب من الدارسين التأنى والتأمل فى معانيها ومفاهيمها وأبعادها، فى الأبيات المذكورة يستعيذ الشاعر من الرسول صلى الله عليه وسلم ويستغيث به ويستعين منه ويستجيره ويطلب منه صلى الله عليه وسلم الشفاء من البلايا والرزايا التى أيست من مداواتها الأطباء المهرة. والأمور التى بينها الشاعر فى قصيدته هل يجوز – فى ضوء تعاليم القرآن والسنة المطهرة – طلبها من الرسول صلى الله عليه وسلم أم لا؟ والجواب لاخفاء فيه أن الاستغاثة وأمثالها لايجوز بالرسول ولا بغيره من الإنس والجن والملائكة، ومن المعلوم أن الاستعاذه بغير الله والاستغاثة بغير الله شرك والدليل على ذلك قول الله عزوجل: وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا (١)

(١) سورة الجن: ٦

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه خولة بنت حكيم عن الرسول صلى الله عليه وسلم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرّه شئ حتى يرحل عن منزله ذلك. (١)

فثبت من القرآن والسنة أن "الاستعاذة من المخلوق شرك" وكذلك من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره. (٢)

وقال الله: ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانّك إذاً من الظالمين، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلّا هو. (٣)

وقال: أمن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء (٤)

وروى الطبرانى بإسناده أنه كان فى زمن النبى منافق يؤذى المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال النبى صلى الله عليه وسلم إنه لا يستغاث بى وإنما وإنما يستغاث بالله (٥) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه "وأنذر عشيرتك الأقربين" فقال يا معشرقريش أو كلمه نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا ياعباس بن عبدالمطلب لا أغنى عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئا (٦) وعن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله. (٧)

(١) رواه مسلم فى صحيحة: ٢٦٩ ـ(٢) كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب. ص: ٥٨ – ٦٠
(٣) سورة الأنعام: ١٧ ـ (٤) سورة النمل: ٦٢ ـ (٥) الطبرانى: ٥٢/١ ـ (٦) صحيح البخارى: ٥٦/١. (٧) صحيح البخارى وصحيح الإمام مسلم.

نعض بنان الكف من عجب وحيرة اذا رأينا الشيخ اعزاز على الّذى درس القرآن والحديث وعقيدة السلف الصالح تصدر منه أمور تجرّ إلى الشرك وتبعد عن التوحيد وتجعل البشر الرسول إلها، نعوذ بالله من الحور بعد الكور، لم يكتف على هذا بل تطرق الشاعر إلى قوله فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

رسول الله خذ بيدى فإنى جريح لا لجرحته التئام
رسول الله فارحمنى فإنى غريب هائم ولى الهيام
اغثنى يا رسول الله إنى لمغبون وقنّطنى العظام
ملاذى أنت إن هجم الليالى وحين قتالهم أنت الحسام

ثم يستطرد الشاعر إلى قوله فى المديح

وأنت أبرّهم وأرق قلبا وأرعاهم اذا رقدوا وناموا
وأنت رسولهم جنّا وإنسا وأنت لمن على الأرض الإمام
وإنك خير من ركب المطايا وقدرك ليس يدريه اللئام
وأفضل من مشئ فى الأرض هونا وأعظم من يعززه المقام
وأجود من رياح مرسلات إلى جدواك إن نظروا وشاموا

القصيدة مليئة بالحب النبوى مع الغلو الذى لا يرضى عنه الله. أما الألفاظ والمعانى فلا توجد التعقيدات فيهما، ومن أهم ميزات هذه القصيدة خلوها عن التكلف فى الصياغة والأسلوب ودونها إلى الذوق الأدبى المطبوع مع الجزالة والقوة والوضوح فى الأسلوب.

القاضى عبدالرحمن الكجراتى

١٣٠٠هـ - ١٣٧٣هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ الفاضل عبدالرحمن بن القاضى عبدالأحد الشافعى السورتى الكجراتى بمدينة سورت وفى حدود سنة ١٣٠٠هـ وهو من رجال القرن الثالث عشر من الهجرة، قرأ العلم على والده وعلى غيره من العلماء وكان من العلماء المبرزين فى الفقه والأصول والعربية.

رحل إلى حيدرآباد للاسترزاق فنال المنصب ومات بها (١)

شعره:

للشاعر قصيدتان فى المديح النبوى نقدم منها بعض الأبيات، يقول الشاعر:

سلام طيب مثل الغوانى	سلت متغردات فى الجنان
على ذات تخطى عرش ربّ	بمعراج تصعد من قران
على من قد ترقى حضرة الله	دنى ثم تدلّى بالدهان
رسول الله فاق الأنبياء	بكل فضيلة ذات العنان
شفيع الناس فى يوم التناد	مخلّص أهل النار والدخان

نقدم من القصيدة الثانية الأبيات الآتية.

أنعمت إنعاما بإرسال أحمد	علينا إلينا شافع الناس كافيا
ألوف صلوة فاح فى الدهر ندّها	يباهى على عطر وتعلوا الغواليا
ويزرى فتيت المسك تسمو بحسنها	عقودا من العقيان زانت غوانيا
ألوف ألوف فى ألوف سلامنا	على سيد الأبرار طه تواليا

(١) الإعلام: ٧/٢٨١

الشيخ أصغر على رُوحى

١٢٨٦هـ - ١٣٧٤هـ

نشأته وحياته:

ولد العلّامة أصغر على روحى فى ١٨٧٠م - ١٢٨٦هـ بقرية كتاله بولاية غجرات، قرأ الكتب على والده وأساتذة العصر ثم انتقل إلى لاهور والتحق بالكلية الشرقية بلاهور وتتلمذ على أساتذة الكلية الشرقية البارعين فى العلوم والفنون ونبغ فى اللغتين العربية والفارسية.

ألّف كتبا عديدة (١) وتوفى رحمة الله سنة ١٩٥٤م الموافق سنة ١٣٧٤ من الهجرة النبوية (٢)

شعره:

بين أيدينا قصيدة الشيخ أصغر على روحى المدحية الهمزية فى المديح النبوى، قد بدأها الشاعر بالتشبيب جريا على عادة الشعراء القدامى قائلا:

بنفسى أنت ليس لك الوفاء	إلى ماذا التجا فى والجفاء
رحلت وما رحيلك عن تراض	ولكن ملّنا منك الثواء
كبرق خلّب وعدو وصل	كريح قلّب حسن وماء
لقد نادى بفرقتنا غراب	فراع القلب بالبين النجاء
كأنّ القلب منّى يوم بانت	كريشات تطير بها الخلاء

(١) مؤلفاته: الحلاء والوفاء وشرح أسماء الحسنى وهدية المحبين وتجليات وما فى الإسلام، وأمير الكلام من كلام الإمام، وسيطرة الإسلام على النصارى اللئام والعروض والقوافى.

(٢) مجلة بينات كراتشى باكستان شهر فبراير ١٩٧٧م صفر ١٣٩٧هـ الصادرة من المدرسة العربية الإسلامية كراتشى من مقال الاستاذ فيوض الرحمن رئيس القسم الإسلامى فى الكلية الحكومية ايبت آباد باكستان.

دعا ذكر الشباب إلى التصاب … وهل عند الصباح لى المساء
بباب هال نفسى ذو شجون … وكلّت ناقتى وهى السقاء
وما فى العيش خير ترتجيه … ولا فيما اكتسبت لك البقاء
سألت الدهر عما أرتجيه … فقال إليك ما هذا الهراء
فدع حبّ الغوانى وهو عىّ … وداع الغىّ يخدعه الدواء

بعد هذه التشبيب بدأ الشاعر يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

ولكن حبّ نجل هاشمى … أتيح له من الرب الثناء
عطايا لا يمن بها علينا … فنشكر من له عنه الغناء
أتيت بما يحار الفكر فيه … له فى الابتداء له انتهاء
كتاب ناطق بالوحى حقا … بآيات فهن لنا الشفاء
بألفاظ تناوبها المعانى … عجائبها فليس لها انقضاء
كتاب لا يداخله ارتياب … ولا فى جزم معناه ارتياء
كتاب قد بدا شمسا وبدرا … تجلّى منه نور أوضياء

قد مدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر تلك الشمائل الّتى أكرمه الله بها وخصّه الله بها بين الأنبياء فقال:

سموت إلى المكارم والمعالى … سبقت وقد تلاك الأنبياء
وقد كنت اقتديت بهم جميعا … فتسبقهم جميعا لامراء
بلغت مكانة مالم ترمها … ملائكة السماء الأصفياء
ومن فى الناس أفصح منك لفظا … وأبلغ منك معنى يستضاء
شمائل تستميل بها قلوبا … فتأنس بالخطاب فما تضاء

وإن الشاعر موفّق فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وقد استخدم الأسلوب الملائم لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

والألفاظ التى استعملها الشاعر لها معناها ومغزاها.

وفى نهاية القصيدة يشكو الشاعر فماد الزمان والنفوس وفشوا الشر وقسوة قلوب الناس وانطلاق الألسن فى كل خير وشرّ وفى ذلك يقول الشاعر:

تفسّدت النفوس فلا تبالى … كتاب الله نخل أم ألاء
تفرّد كل ذى رأى برأى … وإن الرأى فى الدنيا الغثاء
ولا يأتون خيراً ما استطاعوا … ولا يالون شرا ما أساءوا
قلوب صخرة أو من حديد … وألسنة حصائدها رغاء
اذا ما الناس لم يألوا فسادا … فعالمهم وجاهلهم سواء

السيّد ابراهيم الرضوى

١٢٩٥هـ - ١٣٧٧هـ

نشأته وحياته:

ولد السيد إبراهيم بن السيد عباص الرضوى بقرية ميسرم من قرى ابراهيم بتنى بمديرية حيدرآباد سنة ١٢٩٥ هـ ونشأ بها وترعرع فى أحضان الدين والعلم وكان أبوه عالما ورعا فقرأ عليه وعلى غيره من العلماء الكتب الدراسية الابتدائية ثم التحق بالجامعة النظامية وأخذ العلوم والفنون من المعقول والمنقول عن أساتذتها الأجلاء واستفاد فيها من كبار العلماء كالشيخ محمد عبدالكريم الأفغانى والشيخ محمد يعقوب الديوبندى والشيخ عبدالرحمن السهارنفورى وأمثالهم وأخذ العربية وعلوم الأدب عن العلّامة السيد على آغا الشوسترى فنبغ فى الأدب العربى كما برع فى التفسير والحديث والكلام والفلسفة والتاريخ والفقه.

إنه تثقف فى أزهى العهد الآصفى وأخصب العصر الذهبى فى حكومة نظام الملك النواب مير عثمان على خان الآصف جاه السابع وأرقاها علما وأدبا وثقافة فنشأ فى البيئة العلمية والأدبية والثقافية منحه الله الموهبة العالية من الحفظ والضبط والإدراك والفطانة والشرف والديانة والصدق والأمانة، كان كريم النفس دائم الأشغال بالأعمال العلمية والأدبية عذب المنطق زاهدا متورعا.

ولّى التدريس فى الجامعة النظامية ثم تصدى للتدريس فى دارالعلوم بحيدرآباد ودرّس بها اللغة العربية، فذاع صيته فى الأوساط العلمية، كان له باع طويل فى علوم البلاغة والشعر ثم تصدّر للتدريس فى الجامعة

العثمانية بحيدرآباد الدكن.

ولما زار بروفيسور القسم العربى بجامعة آكسفورد الدكتور مارغوليث الجامعة العثمانية وجرت المحادثة بينه وبين الشيخ إبراهيم اعترف بنبوغه وخبرته فى اللغة العربية وقال ما وجدت مثل هذا العالم الأديب فى اللغة العربية بالهند وبجانب آخر أن السيد الفاضل محمد أمين الكتبى لما قرأ قصيدته "لامية الدكن" عند إقامة الشيخ الرضوى بمكة المكرمة تأثربها.

اشتغل الشيخ الرضوى بالتدريس والتأليف (١) والدعوة الإرشاد ستين سنة تقريبا وكان منقطع النظير فى اللغة والأدب والمعانى والبيان توفى رحمه الله تعالى فى شهر شوال سنة ١٣٧٧ هـ ودفن بمقبرة قادرى باغ بحارة عنبر بيت بحيدرآباد (٢)

شعره:

كان الشيخ الرضوى أحد فحول الشعراء بالدولة الآصفية العثمانية ومتضلّعا باللغة العربية نثرا وشعرا (٣) وكان ينقب الأشعار العربية وينتقدها وكان يقول إن هذا الشعر الّذى أسقطه البلغاء عن حد البلاغة بالعيوب الّتى ذكروها فى كتبهم عندى فصيح وبليغ غير ساقط عن حدّ

---

(١) مؤلفاته باللغة العربية: تفسير سورة التين، تفسير سورة قريش، الملخّص من شرح الشواهد، شرح لامية العرب للشنفرى، قصيدة لامية الدكن تشتمل على ٢١٣ بيتا، ديوان شعر غير مطبوع تشتمل على ١٢٠٠ بيت رائق، شرح الشواهد، حاشية وتعريف على كتاب الفائق، معالم النور، قصيدة دالية تحتوى على ١١٠ بيت رائع.

(٢) راجع مجلة أنوار نظامية ص: ١٥٩ - ١٥٤

(٣) الجامعة العثمانية استخدمته كأستاذ اللغة العربية فى قسم اللغة العربية وآدابها وحسب قواعد الجامعة الرسمية دعى الشيخ أمام اللجنة الاختيارية وكان على رأسها سماحة الأستاذ المالطيفى، فسأله أن يترجم قطعة من الجريدة الأردية بالعربية الّتى كانت أمامه على الطاولة فسأله الأستاذ الرضوى أترجمها فى النثر أم فى النظم فشرح تلك القطعة بالشعر الفصيح مرتجلا فقام ألما لطيفى عن مكانه وقال: كرسى هذا أحرى لك يا أستاذ!

البلاغة بهذه المحاسن والمزايا المدّعمة بالدلائل والشواهد وكان الشيخ يقدم فى صحّة دعواه الأشعار الأخرى للشعراء العرب الأقدمين الّذين يستدلّ ويستشهد بكلامهم. كان شاعراً بليغا، مرهف الحس بعيد الأثر فى النفس فقد نهل الشعر العربى وعلّ وشرب حتى ثماله إلى أن تفرّد فى عصره ومصره بالإيغال فيه فى الغوص فى بحر أسراره وكان من الكُتّاب الذين يرتجلون النثر والشعر.

وقصيدته لامية الدكن فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم باكورة عصرها وفريدة دهرها. تشتمل على ٢١٣ بيتا، سلك الشيخ فى القصيدة اللامية المدحية مسلك القدماء فى الشعر العربى بإتيان التشبيب (١) فى البداية ثم مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه. نجد فى شعره روعة الألفاظ ودقة المعانى وحسن التشبيه ومتانة النسج وحسن الاستعارة وصدق الشعور والحب العميق للرسول الكريم ﷺ.

وإليك نص ما كتبه الشيخ الرضوى فى مقدّمة قصيدته لامية الدكن المسماة بصمصامة الزمن. (٢)

الحمد الله الظاهر فى مظاهر الأكوان الباطن عن مدارك العقول والأذهان، الأول قبل أن يحدث الزمان، الآخر بعد انقضاء الدوران والصلوٰة والسلام على مجلى نوره وإنسان بصره، حامل لواء الحمد

(١) الأدباء يطلقون دائما ألفاظ الغزل والنسيب والتشبيب على الأشعار التى تحمل حب المرأة والحديث عن جمالها وما تثيره فى القلوب من هيام وصبوة والتى تنطق بكل ما يتعلق بها من حبّ ووصل وصدّ وتقريب وهجران. قال ابن رشيق: "والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد" وبعضهم يفرق بين معانى هذه الألفاظ فقدامة يقول: وقد يذهب قوم موضع الفرق بين النسيب والغزل والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذى إذا اعتقده الإنسان فى الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله فكأن النسيب ذكر الغزل والغزل المعنى نفسه والغزل إنما هو التصابى والاشتهار بمودات النساء – العمدة لابن رشيق ٢/١١١

(٢) لامية الدكن–ص: ١–٢

فى حظيرته الداعى إلى الله على بصيرته محمد أكرم خلق الله عليه وأحب عباده إليه من أجابه عرف نفسه ومن تولى عنه خسر نفسه وعلى آله مفاتح خزائن أسراره وأصحابه مصابيح أنواره ومن تبعهم بإحسان فى إقباله وإدباره وبعد فإنى لما فرغت من شرح لامية العرب للشنفرى الأزدى على ما سنح لى من إفادة طلّاب الأدب العربى سنة ست وخمسين بعد الألف وثلث مائة من الهجرة رأيت أن أقول قصيدته على بحرها وقافيتها ورويّها فى النبى وآله وأصحابه لداعية تجذبنى إلى ذلك رجاء أن يجمعنى الله بهم فى مستقر الرحمة فأنشأت على ما بى من هموم تشفّنى وشواغل دونه تحفّنى فجاءت ولله الحمد باكورة عصرها وفريدة دهرها وسميتها صمصامة الزمن لما فيها من ذكر سيف الله المسلول على من يعصى الله والرسول أهديتها إلى من قلت فيهم وهى منى كرجل جراد أهديت من قرية النمل إلى سليمان عليه الصلوة والسلام ولله الحمد أولا وآخراً.

بدأ الشيخ الرضوى قصيدته بالتشبيب قائلاً:

ألاحت سليمى بالبراقع ترفل ... أو الشمس تجرى فى الغمام وتذأل

وما الشمس إلا رشحة من جمالها ... وما البدر إلّا ظلها المتمثل

ديار لها باق مدى الدهر روحها ... وليس لها فيما تقادم أوّل

من عادة العرب الأوّلين الوقوف على الديار والأطلال كما نرى فى قصائد امرء القيس وأصحاب المعلقات وهذا كان يستحسن عند العرب. يقول أبو هلال العسكرى:

وقد بكى امرؤ القيس واستبكى ووقف واستوقف وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل" فهو من

أجود الابتداء ات (١) ويقول ابن رشيق:

"وهو عند هم أفضل ابتداء صنعه شاعر لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى مصراع واحد. (٢)

ويقول ابن قتيبة الدينورى:

"وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصِّد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدِّمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الرّبع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها اذكان نازلة العُمُد (٣) فى الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتقالهم من ماء إلى ماء وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدّة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ويستدعى به إصغاء الأسماع إليه. (٤)

ويقول الدكتور محمد غنيمى هلال من الباحثين المعاصرين عن بكاء الأطلال فى الشعر العربى القديم.

"وغالبا ما كانت أجزاء القصيدة القديمة الّتى موضوعها هذا البكاء هى أصدق وأنبل ما فى تلك القصائد جميعا. وفيها يظهر الحزن وتبدو العواطف الذاتية المشبوبة من وراء الوصف الدقيق لرسوم الديار وأطلالها وصفا، يستجلى فيه طابع البادية وتقاليدها وخصائص الحياة الطبيعية والاجتماعية فيها. (٥)

ويمضى الشيخ الرضوى قائلا:

وأى فؤاد يستقرّ لومضه	وقد دُكّ منه طور سيناء وأجبل
حظيرة سلمىٰ لاأنيس بسوحها	وما إن بها إلاعنقاء موئل

(١) كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص: ٤٥٣ـ (٢) العمدة لابن رشيق ٢١٨/١
(٣) نازلة العمد : أصحاب الأبنية الرفيعة الذين ينتقلون بأبنيتهم.(٤) الشعر والشعراء : ٢٠/١
(٥) الأدب المقارن، ص:١٩٦

على أنها فى كل مرآة وجهها	على ما اقتضتها للعيون تمثل
كثير محاليها وفاء شيونها	ففى كل نفس من هواها تخيل

ثم يقول مادحاً النبى صلى الله عليه وسلم

وما هو الاّ المصطفى سيد الورى	محمدٌ الهادى النبىّ المبجّل
تقدم قبل الكائنات وجوده	المسبح لله العلى المحمدل
وكان نبيا حين آدم لم يكن	له فى عروق الطين والماء هيكل

بعد هذه الأبيات ذكر الشاعر الكريم حادث الإسراء والمعراج بقوله:

بليل سرى نحو العلى ليرى بها	خرائد آيات وما ليس يعقل
وصلّى بجمع الأنبياء ليعرفوا	إذاً أنهم أتباعه حين أرسلوا
ورقّاه فوق العرش من قد سرى به	إلى حيث ما للنطق فى الوصف مقول
فلم يك الاّ قاب قوسين منه بل	كما جاء أو أدنى يخبّر منزل

ثم ذكر الشاعر تلك المنحة الكبرى الّتى يتشرف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ألا وهى الشفاعة إذ يقول الله تعالى لرسوله إرفع رأسك، سل تعطه واشفع تُشفّع، والناس كلهم يتظلّلون يوم القيامة بظلّ لواء الحمد للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه يقول الشاعر:

ويوم تقوم الساعة الناس كلهم	بظل لواء حمده يتظلّل
يقول له الله الكريم اشفعن لهم	وسل تعط منّى الآن ما تسئل
فاكرم به من مرسل جاء بالهدى	عليه بوحى الله جبريل ينزل

ثمّ ذكر فى القصيدة الدور الّذى لعبه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى نشر رسالة الله السماوية الأخيرة الخالدة وإرساء قواعد الاسلام وبث محاسنه وردّ الشرك وقمع القوى المعادية للاسلام من كفار قريش وبلاد كسرىٰ وقيصر، فانقلبت الأرض ظهراً لبطن بمجهوداتهم الجبّارة ومحاولاتهم الدؤوبة الشّاقة المضنية وبمساعيهم المشكورة، وقد ذكر الله

صفات صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم فى القرآن والتوراة والإنجيل، فكانوا خير من مشى على وجه الأرض، وقد أشار الشاعر فى بعض الأبيات إلى آيات القرآن الّتى يقول فيها الله عزّوجلّ: محمّد رسول الله والّذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الّذين آمنوا وعملوا الصّٰلحٰت منهم مغفرة وأجراً عظيماً (١)

ثم مضى فى ذكر أبى بكرن الصديق رضى الله عنه قائلاً:

تولّى بإجماع من الناس أمرهم   شديد القوى منهم همام مجلجل
أبوبكر الصديق من سبق الورى   إلى ذروة الإسلام يسمو ويرقل
تقدّمهم بالأمر من حيث أنّه   إذا عُدّ أهل المجد فى الناس أوّل
رأوه لهم اذ أمّهم فى صلاتهم   إماما عليه فى الأمور مُعوّل
فولّوه من رست الخلافة صدره   يعطيونه فيما يقول ويفعل
رمى بحسام الله فى أهل ردّه   فثابوا عليه طائعين وأجفلوا
وكان على منهاج صاحبه الّذى   أتى بكتاب الله يمشي ويعمل
ولم يدّخر من ماله فى حياته   سوى من يربّيه ويكفي ويكفل

تلك الأبيات الّتى قدمناها كنموذج،إذا أمعنّا فيها وفى القصيدة كلها نرى أن الأسلوب الّذى اتعبه الشاعر الكريم سهل وملائم للفطرة السليمة والألفاظ والتراكيب الّتى استخدمها ليس فيها التنافر أو التعقيد، والمعانى الّتى تكنّ فى طىّ الألفاظ كلها مقتبسة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية وسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلّم وكتب التاريخ الموثوق بها، ولا نجد فى القصيدة التزام التصنّع والتكلّف الذى

(١) سورة الفتح : ٢٩

ينبو عنه السماع وتأباه الطباع.

ثم مدح الشاعر عمر رضى الله عنه بقوله:

وولّى أمور الدين من كان فيهم   شديداً بأعباء الخلافة يحمل
فساس بلاد الله وارتعدت به   فرائص من فى الأرض ضلّوا وضالّوا
لقد فتح الله البلاد بسيفه   وأمكنه منها بما ليس يهمل
فأعلى منار الحق فى الأرض داعيا   إليه بلطف أو برعد يهوّل
وأظهر دين الله للجهد باذلا   على كل دين نحوه الناس أقبلوا
وذا عمر الفاروق من لحسامه   تذل الإبّيات وما عنه تنكل
رأوا منه سيف الله يبرق فوقهم   فلم يجدوا نجحاً سوى أن يُهيلِلوا

ثم مدح عثمان رضى الله عنه، إذ يقول فيه الشاعر:

فولّى ذو النورين عثمان بعده   وقام بما قاما وما كان يكسل
ولم يك جباراً عنيداً ولا كمن   إذا رامه الأعداء بالشرّ يفشل
ولكنه من رأفة ومهابة   يلين لهم فى بردتيه ويسُل
وفى بيعة الرضوان يُسرى نبينا   أضيفت إلى يمنى لعثمان تبدل
لقد كان أغنى الناس من قبل أن يلى   يجود بما تحوى يداه وينحل
عزوفا عن الدنيا غنيا بربه   ولم يك ممن بالغنى يتخيّل

ثم يمدح عليّا رضى الله عنه بقوله:

فبويع منهم بعده من بنوره   عيون قلوب الأولياء تكحّل
إمام الهدى صنوا النبىّ وسرّه   الموقر فى حوبائه المتزمّل
رضيع لبان العلم من أزل له   إلى أبد فى نقطة العلم منزل
علىّ علا باسم العلى ودونه   نجوم السمٰوٰت العلى تتذلّل

ثم ذكر محاولات الحسن والحسين رضى الله عنهما فى سبيل نشر الدين وإعلاء كلمة الحق وجمع شمل المسلمين.

لاشكّ فى أن القصيدة كلها من بدايتها إلى نهايتها مفعمة بالحب

والاخلاص للدين الّذى جاء به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ويترشح الحبّ العميق من كل بيت من أبيات القصيدة للرسول صلى الله عليه وسلم ولصحبه الأخيار الأبرار الّذين ضحّوا بكل غال ورخيص فى سبيل إعلاء كلمة الإسلام ورفع رأيته. وهذا هو السبب الوحيد لأجله نرى الألفاظ الّتى تركبت منها القصيدة سهلة خادمة الأغراض الّتى قيلت لأجله القصيدة وليست هناك ألفاظ محضة لايراد وراءها المعانى الدقيقة والأحاسيس المشبوبة بل القصيدة كلها رائقة فائقة فيها الروعة والجلال والجمال وعليها طابع من الحبّ الذى يحوّل الرماد جذوة والترب تبرا وقد وفق الشاعر فى ذكر شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم كل توفيق، لأن المديح النبوى سيف ذوحدّين ولا بدّ للشاعر أن لا يترك الا تزّان وأن لايتورط فى المديح ولا يفرّط، بل يسلك مسلك الاعتدال بين الافراط والتفريط، فله أن يمدح الرسول بما شاء بشرط أن لايغالى فى المدح فانه صلى الله عليه وسلم كان بشرا رسولا ولم يكن فوق البشر بحيث ينال أو يتدرج إلى تلك المكانة العليا الّتى يليق بالبارئ عزّوجل، نرى كثيرا من الشعراء إذا أرادوا مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أحلّوه محل الخالق المعبود ونزّلوه منزلة بحيث لا يبقى الفرق بين العبد والمعبود والخالق والمخلوق والمرسَل والمرسِل أعاذنا الله منه.

إن قصيدة لامية الدكن تحلّ مكانة مرموقة بين القصائد العربية الّتى قيلت فى الهند بل هذه القصيدة الغرّاء جديرة بأنّ تعدّ من أروع القصائد وأبدعها ولا غرو أن هذه القصيدة تضاهى أو تضارع بعض القصائد الّتى قيلت فى بلاد العرب فى حسن السبك وجودة الألفاظ ودقة التعبير ونظم الكلمات وروعة البيان وسمو الفكرة وصفاء الخيال وصدق اللهجة وندرة التشبيب وجمال القريحة والجزالة والعذوبة والسلاسة.

فيوض الرحمن الديو بندى

١٣٠٥هـ – ١٣٧٨هـ

نشأته وحياته:

الشيخ فيوض الرحمن نشأ فى أحضان العلم وترعرع فى دور العلوم ونبغ فى العلوم الدينية وكان من كبار المؤلفين وله يد بيضاء فى نشر العلوم والفنون وقد كان من كبار العلماء، هذه هى بعض المعلومات التى حصلنا عليها بالنسبة للشيخ فيوض الرحمن الديوبندى، إنه ولد فى حدود سنة ١٣٠٥هـ ووافته المنية فى سنة ١٣٧٨ من الهجرة النبويّة (١)

شعره:

للشاعر قصيدة لامية فى المديح النبوى نقدم منها بعض الأبيات التى تدلّ على اقتدار الشاعر على اللغة العربية والإفصاح عن عواطفه نحو النبى صلى الله عليه وسلم بالأسلوب الجميل مع الإجلال والتقدير.

محمّد هاشمى شافع لهم — حيث انتفى النصر والأقدام فى زلل
والناس فى حرج والجمع فى لجب — والعين شاخصة والقلب فى وجل
جلّى غياهب كفر مظلم وأتى — بالملّة السهلة الغراء فى الملل
لما استنارت نجوم الدين بازغة — وضاء أنوارها للسهل والجبل
يا ربّ صلّ وسلّم دائما أبدا — على نبيك هادى الخلق للسبل

(١) مجلة الرشيد . ص: ٢٤٧ الصادرة من لاهور سنة ١٤١١هـ.

الشيخ عبدالقدير الحيدرآبادى

١٢٨٨هـ - ١٣٨١هـ

نشأته وحياته:

الشيخ عبدالقدير بن عبدالقادر بن فضل الله البكرى الحيدرآبادى ولد بحيدرآباد سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف (١٢٨٨ هـ) وقرأ الكتب الدراسية على الشيخ إلٰهى بخش والشيخ ناظر الدين والشيخ محمد سعيد بدار العلوم حيدرآباد وأخذ العلوم الأدبية عن السيد أبى بكر بن الشهاب الحضرمى الحيدرآبادى والقراء عن السيد محمد عمر الحسينى وعن السيد محمد التونسى والحديث عن السيد محمد عمر القادرى.

ولما تأسست الجامعة العثمانية حوالى سنة ١٣٣٧هـ تعين أستاذا فيها ثم تولى رئاسة القسم الدينى وأحيل إلى المعاش.

كان أحد العلماء المبرزين فى العلوم الدينية والأدبية مات لسبع عشرة خلون من شوال سنة إحدى وثمانين وثلث مائة وألف بحيدرآباد ودفن بها وله ثلاث وتسعون من العمر. (١)

شعره:

كان الشيخ عبدالقدير الحيدرآبادى من الأدباء المفلقين والشعراء النابغين، وقصائده فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم تدل على نبوغه وعلوّ كعبه فى اللغة العربية وآدابها.

يمدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيات فى إحدى قصائده قائلاً:

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام ٢٩٦/٨

لاح نجم العلى بأفق السماء — وبدت شمس عزة قعساء
وشهاب بدل لآل شهاب — طالع لامع لنشر الضياء
باقة المكرمات والفضل والسؤدد — والمجد والثناء والسناء

ويقول فى إحدى قصائده

فاض دمعى بلبتى ونجادى — وجوى الحبّ فى خلال فؤادى
صعبت علّتى وعزّ شفائى — وتمادت كآبتى بالبعاد
فرقادى وسلوتى فى انتقاص — واضطرابى وشدتى فى ازدياد
مامرادى من الرقاد سوى أن — أجتلى وجه سيدى فى الرقاد
مصطفى مجتبى كريم شفيق — وشفيع الأنام يوم التناد
وسراج الظلام بدر منير — وإمام الأنام هادى العباد

ويقدم ضريبة الحب إلى جناب الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً:

يا ربّ سلّم على محمّد — المصطفى المجتبى محمد
هادى العباد إلى الرشاد — شفيع يوم الجزاء محمد
القلب شاك والطرف باك — لسيد الأنبياء محمد
قلبى كئيب شغلى نحيب — مالى حبيب سوا محمد

وله قصيدة أخرى نونية فى مدح الرسول ﷺ والشاعر يُبدى فى قصيدته حبه العميق لشخصية الرسول ﷺ ومن الحقيقة الّتى لامراء فيها أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم هو من أمارة الإيمان، فحبه إيمان وبغضه كفر، يقول الشاعر:

ألا إن قلبى فى قيود الهوى عان — ولوعة وجد قد أضرّت بجثمانى
وعينى تجرى بالدموع صبابة — وأحشاى ملاى من توقد نيران
ولى زفرات قد علت ذروة السما — بهجر جميل الخلق والخلق ذى الشان
له قدم تعلو الرؤوس وعزّة — لها تنحنى أعناق جن وإنسان

عليك صلوات الله ثم سلامه ... إلى أن تشذى الزهر فى روض بستان

وللشاعر قصيدة أخرى ميمية تبتدى بقوله:

جدّ الهوى والجوى والسقم والألم ... والغمّ عمّ وحبل الصبر ينفصم
الجسم فيه ضنى والقلب فيه هوى ... والصدر فيه جوى والنار يضطرم
حبّا لأحمد خير الخلق كلهم ... المصطفى المجتبى طابت له الشيم
الله عاصمه، جبريل خادمه ... دانت له الرسل الأمجاد والأمم
الشمس غرته والليل طرّته ... تبدو نجوم الليل حين يبتسم
الظبى لاذبه والجذع حن له ... فكيف حال محبّ شفه السقم
يا راقيا فوق هام العرش متعلا ... بعزة عجزت عن نيلها الهمم

ثم يستطرد الشاعر قائلا:

من نور وجهك أنوار الهدى انتشرت ... به تقوض ليل الكفر والظلم
ظلت لهيبتك الأعناق خاضعة ... بحد دينك حد الشرك ينثلم
وجود كفك بحر غاب ساحله ... أمواجه كالجبال الشم تلتطم

هناك نوع خاص فى المدائح النبوية يعرف "بالسلام" وقد سلك الشعراء الهنود مسلك السلام فى المدائح النبوية باللغة الأردية والعربية ولعل هذا النوع الخاص من المدائح النبوية لايوجد إلا فى شبه القارة الهندية. يقول الشاعر فى قصيدته المعرّفة بالسلام

يا جميل الشيم سلام عليك ... يا وسيع الكريم سلام عليك
سيد الأنبياء والرسل ... يا إمام الأمم سلام عليك
صادق القول واسع الطول ... يا عميم النعم سلام عليك
مبطل الضير موصل الخير ... أنت كهف الأمم سلام عليك
أشجع الناس أثبت الجأش ... أنت فى المصطدم سلام عليك

ويقول الشاعر أحد سلاميه:

سيدى المصطفى سلام عليك ... أحمد المجتبى سلام عليك
كعبة الأصفياء سلام عليك ... قبلة الأولياء سلام عليك
أكرم الأتقياء سلام عليك ... خاتم الأنبياء سلام عليك
أكرم الخلق عند خالقهم ... أنت يوم الجزاء سلام عليك
يا حميد الخصال والشيم ... لك حسن الثناء سلام عليك
أعدل الخلق أجمل الخلق ... أنت سيدنا سلام عليك
جئت أرجو شفاعة منك ... يا شفيع الورى سلام عليك

نجد فى القصائد الجزالة والروعة الأدبية والرشاقة اللفظية والمعانى الواضحة والتراكيب الرصينة ولوعة الحبّ لشخصية الحبيب محمد رسول الله ﷺ الكامنة فى قلب الشاعر وقد اختار الشاعر التعبيرات البليغة التى يثير العاطفة والمشاعر.

مع تلك المحاسن الشعرية نجد فى بعض القصائد التعبيرات الّتى لا يجوز نسبتها إلى الرسول ولا يستحقها الا سبحانه وتعالى وهو الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم البين ان الاستغاثة لا تجوز الا بالله وحده، مثل قول الشاعر.

غياث وغوث للأنام وأمنهم ... إمام الورى شمس الهدى فخر عدنان
فكن موئلى من شر نفسى وزيغها ... وكن لى حرزا من مكائد شيطان

وقوله:

غوث غياث وغيث المكرمات به ... يستشفع العرب عند الله والعجم
أدرك حشاشة عبد ذلّ ليس له ... سوى جنابك يا مولاى معتصم

حامد حسن القادرى

۰۰۰۰ ـ ۱۳۸۱ هـ

نشأته وحياته:

وجدنا فى مجلة الرشيد الصادرة من مدينة لاهور أبياتا للشيخ حامد حسن القادرى – رحمه الله– فى المديح النبوى، مدير المجلة لم يُشر إلى ترجمة الشاعر بل اكتفى على ذكر سنة وفاته، وقد بحثنا عن ترجمة الشاعر المذكور لكننا ما وجدنا إلى ذلك سبيلا، فمعذرة إلى القراء الكرام وقد توفى الشيخ حامد حسن القادرى فى سنة ۱۳۸۱ من الهجرة النبوية (۱)

شعره:

الأبيات التى عثرنا عليها فى المديح النبوى نقدّمها أمام القراء يقول الشاعر:

هو أفصح بمقاله ... هو أكمل بنواله
هو أعظم بجلاله ... هو أفقد بمقاله
بلغ العلى بكماله ... كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله ... صلّوا عليه وآله
هو حامد ومحمد ... هو ماجد وممجد
هو امجد هو أحمد ... هو مرشد هو راشد

الكلام يدل على حب الشاعر للرسول صلى الله عليه وسلم ولا يوجد فى الكلام ما يخل بالعقيدة الإسلامية.

(۱) مجلة الرشيد. ص: ۳۸٦ الصادرة من لاهور سنه ۱٤۱۱ هـ

القاضى يوسف حسين الهزاروى

۱۲۸۵هـ - ۱۳۸۲هـ

نشأته وحياته:

ولد الشيخ القاضى العالم المحدث يوسف حسين بن القاضى محمد حسن الهزاروى الخانفورى ضحوة الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف (۱۲۸۵ هـ) بقرية خانفور من أعمال هزاره وقرأ العلم على أبيه وصنويه القاضى عبدالأحد والقاضى أبى عبدالله محمد ثم رحل إلى أفغانستان سنة إحدى وثلاث مائة وألف وأدرك بها الشيخ المجاهد عبدالكريم بن ولاية على العظيم آبادى فقرأ عليه سنن النسائى وغيره وصحبه سنة وستة أشهر ثم رجع إلى بلاده وأقام بوطنه نحو سنتين ثم سافر إلى دهلى على جناح الشوق راجلا فوصل إليها فى اثنين وعشرين يوما فى شهر الله المحرم سنة ست وثلاث مائة وألف ولازم دروس السيد المحدث نذير حسين الدهلوى وقرأ عليه الحديث وأخذ عن الشيخ حسين بن محسن الأنصارى وعن الشيخ اسحاق بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الوهاب النجدى وعن الشيخ ابراهيم بن سليمان المهاجر المكى. انه ترك لنا مؤلفات قيمة (۱) توفى رحمه الله فى سنة ۱۳۸۲هـ (۲)

شعره:

كان الشيخ يوسف حسين الهزاروى من العلماء المبرزين فى النحو والعربية، له عدّة أبيات فى المديح النبوى،وهى كالتالى:

(۱) إتمام الخشوع بوضع اليمين على الشمال بعد الركوع، زبدة المقادير، ورسالة فى معرفة الأوقات.
(۲) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الاعلام: ۸/۵۵۳– ۵۵۲

ثم صـــــلاة وسلام منك — تتـــــرى لا تـــحـــد
عـنّـا عـلـى خير الورى — أحـمـد مـحـمـود الأبـد
والآل والـصـحـب الكرام — الـمـقتـفـى منـه الـرشد
مـع تـابـعيهـم كـلّهـم — وارزقـن خير الـمـعتـقـد

الشيخ عبدالباسط الحيدرآبادى

١٣٠٥هـ - ١٣٨٥هـ

نشأته وحياته:

ولـد الشيخ عبدالباسط بن ملا عبدالقيوم بن عبدالباسط بن محمد مهدى الواصف الصديقى المدراسى بحيدرآباد سنة ١٣٠٥هـ ونشأ بها وترعرع تحت رعاية والده الكريم، قرأ الكتب البدائية على والده بدارالعلوم الشرقية وحصل على شهادة العالم والفاضل والمنشى فاضل وقد كان يعدّ من أشهر علماء دارالعلوم الشرقية.

كان الشيخ رحمه الله ذا صلة عميقة بالمجلات والصحف فكان مديراً للمجلة "ثمرة الأدب" بدارالعلوم وعضوا بارزاً فى مجلة "الصحيفة" ولما أصدرت "الصحيفة" جريدة يومية كتب فيها الشيخ العلامة مقالات علمية دينية اجتماعية، وقد لعبت هذه الصحيفة دورا كبيرا هاما فى النهضة الحديثة وترشيد المسلمين إلى أمور تصل بهم إلى الرقى والإزدهار.

كان للاستاذ عبدالباسط مساهمة فعالة ومساع مشكورة ومحاولات جدية ونشاطات دؤوبة فى تأسيس لجنة "الهلال الأحمر" وإنشاء فروعها فى المناطق المختلفة وتجميع الأموال والتبرعات لها، كان عضواً لجمعيه العلماء وعضوا للمجلس الإدارى للجامعة النظامية.

وبعد سقوط الدولة الآصفية لما نشبت نيران الحروب الطائفية واصل الشيخ ليله بنهاره لإقامة الأمن والسلام والهدوء والوئام وقام بدور بارز فى إطفاء نيران الاضطرابات الطائفية فى البلاد.

كان رحمه الله متوسط القامة قوى البنية حسن الشارة مليح المنطق

بعيداً عن الحدّة والطيش.

توفى رحمه الله سنة ١٣٠٥ﻫ فى حيدرآباد ودفن بها رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنّاته (١)

شعره:

لم يكن الشيخ عبدالباسط الحيدرآبادى من الشعراء المفلقين لكنه كان له رغبة فى إنشاد الشعر العربى، وإنه لولم يكن شاعرا مطبوعا لكن كلامه يدل على اقتداره على اللغة العربية.

عثرنا على قصيدتين له إحداهما فى الحمد وأخراهما فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم -

يقول الشاعر فى الحمد فى قصيدته اللامية:

وأصدق قول قال فى الله قائل ... ألا كُلّ شئ ماخلا الله باطل
لقد عجز الإنسان عن وصف كنهه ... وإن كان سحباناً إذا هو باقل
وليس له حدّ وعدّ مشارك ... وليس له ندّ وضدّ مقابل
وليس له شبه وشكل وصورة ... وليس له مثل ولا متماثل
لقد قدّر الأشياء من قبل خلقها ... فكل على استعداده منه نائل
تخلق بأخلاق الإله فانما ... بها إن تحلّى المرء تحلوا الشمائل
أجيبوا الداعى الله يا قوم إننى ... نصحت لكم فى قول ما أنا قائل

وللشاعر قصيدة أخرى لامية فى مدح سيد العرب والعجم خاتم النبيين محمد بن عبدالله الأمين صلى الله عليه وسلم، يقول الشاعر فى بداية القصيدة مادحاً محمّداً صلى الله عليه وسلم.

هو المصطفى خير البرية كُلها ... لقد فضّلته الأنبياء الأوائل
فجاء بقرآن من الله منزل ... فيا نعم محمول ويا نعم حامل

(١) راجع مقال الدكتور سلطان محى الدين ص: ٤٧٧ فى رسالته التى كتبها للدكتوراة.

وفسّره سِرّاً وجهراً بفعله ... وأوضح معنا للورى وهو عامل
فلا تفهم القرآن إلّا بهديه ... لئلا أناء تلك المراد المحامل
سراج منير فى الظلام بنوره ... أضيئت لهدى المنكرين المشاعل
وقد جاهد الكفار ذبّا لدينه ... وأصحابه فيه الأسود البواسل

لقد تواترت الأدلّة والبراهين على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خير البرايا وأفضل الأنبياء والمرسلين قاطبة وقد أنزل الله القرآن عليه وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتفسير القرآن الكريم تفسيرًا لا اخفاء فيه ولا إبهام ولا إيهام وقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بما قاله أمام الناس فلا يمكن أن يفهم القرآن على وجهه الصحيح إلّا بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدون مراء سراج منير، أضاء الطريق للناس فمن سلكه نجا وفاز ومن حاد عنه ضلّ وخاب وقد جاهد الرسول صلى الله عليه وسلم أعداء الدين وذبّ عن الشريعة الاسلامية الحنيفية السمحة لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الكفر هى السفلى.

ثم تطرق الشاعر إلى تذكير المسلمين وتنبيههم على أن الفوز والفلاح لا يمكن احرازهما الّا بالسعى والعمل بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم، فقال:

توسل باعمال تكن واصلاً به ... فلا شئ بين الرب والعبد حائل
وأن ليس للانسان إلّا بما سعى ... وان نجحه بالسعى لا بُدّ حاصل
وقد وعد الربّ النجاح لمن سعى ... وليس له خلف ولا هو باطل
ولا تعش فى الأرض عيش بهائم ... وإربك فيها مشرب ومآكل

أبو محمد طاهر سيف الدين

١٣٠٥هـ - ١٣٨٥هـ

نشأته وحياته:

ولـد السيـد أبـو مـحـمـد طاهر سيف الدين فى ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٠٥ من الهجرة النبوية فى بومبائى، إنه كان من دعاة طائفة البوهرة المتحمّسين والمرجع النهائى فى الأمور الشرعية لطائفة البوهرة وحسب معتقدات طائفة البوهرة لابد من وجود داع فى كل عصر من العصور ولا بد من أن يكون الدّاعى واجباً اتباعه فى الأحوال كلها ويجب مراعاة تعليماته ولا يجوز رفض ما أمره به، فالداعى عندهم هو صاحب أمر ونهى بلا نزاع.

مات السيد أبو محمد طاهر سيف الدين فى ١٩/رجب المرجب سنة ١٣٨٥ من الهجرة النبوية. (١)

شعره:

كان شاعرا مجيداً وقد عثرنا على عدّة قصائد له فى المديح النبوى عليه الصلاة والتسليم. ويبدو من دراسة قصائده نبوغه فى اللغة العربية تمكنه من ناصيتها من ناحية البيان والأسلوب الممتاز الرائع.

يقول الشاعر فى إحدى قصائده:

صلى على محمد ربّه   حبيبه من حبّه حبّه
صلى على محمد ربّه   محمد عزّ به حزبه
صلى على محمد ربّه   من هو بين خلقه لبه

وفى قصيدته الأخرى يمدح الشاعر، رسول الله صلى الله عليه

(١) حصلنا على بعض المعلومات عن أبى محمد طاهر سيف الدين عن بعض معارفى فى أورنك آباد

وسلم بقوله:

يا رسول الله يا خير البشر   خاتم النذر جميعا والبشر
يا رسول الله يا مولى الورى   يا نبى الله يا نعم الوزر

ثم يصف الشاعر الشريعة التى جاء بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأنها شريعة صافية غرّاء نقية بقوله:

شرعه عذب فرات ماؤه   شربه غير مشوب بالكدر
شرعه البحر رشادا أن من   لم يطهره فلا يوما طهر

ثم يقول الشاعر مستطرداً:

علة الأكوان لولاه لما   فاطر الأفلاك إياها فطر
خير من سبح لله اسمه   خير من لله صلى ونحر
يشهد الأشياء طراً أنه   مرسل من ربه حتى المدر
من يعادى الهاشمى المصطفى   يتحطّم كهشيم المحتظر
مدحه حق وصدق وهدى   ما سواه فهو نوع من هذر
لم تزل تهمى عليه من سحب   من صلوة الله ما انهلّ المطر

وفى إحدى قصائده يمدح الشاعر طه النبى المصطفى خير الورى فى صورة قشيبة جذّابة فيقول:

طه النبى المصطفى خير الورى   أعطاه ذو العرش الكريم الكوثرا
هو سيد الكونين والثقلين بل   هو علة الأكوان مافيه امترا
أكرم به من مرسل فى ليلة الـ   إسراء من حرم إلى حرم سرى
صلّى برسل الله فى الأقصى وقد   كان النبى أمامهم وهم ورا
ألله أرسله امتنانا رحمة   للعالمين ومنذرا ومبشّرا
ما كان إلّا بالهدى مزّمّلا   ما كان إلا بالتقى مدّثرا
أسنى عُلىً أهنى ندًى أعلى يداً   أجلى هُدى فى الرسل أرفع منبرا

أفهل ترى فى الخلق أكرم محتداً ... وأرومة منـه وأكـرم معشـرا

من حب الشاعر للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بقصيدته اللامية وعبر فيها عن حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفات تليق به فقال:

طـه النبـى سيد الرسـل ... خيـر البرايـا قبلة القبـل
أكرم بـه من مرسل كان فى ... نـوع من الأجناس منفصل
أكرم بـه من طيب طاهـر ... بكسـوة العصمة مشتمل
داع الـى اللـه بـإذن لـه ... منـه وهـاد أوضح السبل
أعلـى بـه اللـه دين الهدى ... أعلامـه فى السهل والجبل
قد جمعت فضائل المرسليـ ... ن أجمعين منه فى رجل
خير نبى آخر لم يكن ... كمثلـه فى الأعصر الأول
وعلمـه الذخار فى جنبه ... علوم تلك الرسل كالوشل
من وجهه كالشمس فى ضوئه ... وكفـه كالعارض الهطل
طوبى لمرء يذكر المصطفى ... أحمـد بالغدو والأصل

ثم يقول الشاعر فى نهاية القصيدة قوله مفديا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله ونفسه وآله:

سلامنـا بلّغ نسيم الصبـا ... روح رسول اللـه ان تصل
أحبـه حبـا صميمـا ولا ... أخـاف من لوم ولا عذل
أفديه بالنفس والآل والـ ... ـمال بلا وهن ولا ملل

ونقدم للقرّاء قصيدة الشاعر الميمية الّتى يقول فيها فى بداية قصيدته:

أحمد المصطفى النبى التهامى ... سيد المرسلين خير الأنام

صيته فى الأنام كالمسك شاذ ... ذكره فى الدهور لاريب نام
نيلـه للعبـاد كالبحر طام ... جوده للعفـاة كالغيث هام
إنـه فخـر آدم ثم شيث ... ثم نوح ونجلـه البرّ سام
أصلـه ثابت بأرض المعالى ... فرعـه فى سماء قدس سام
ثغر دين الهدى بـه ذو امتناع ... ثغر وجه العلى به ذو ابتسام
عصمة اللّائذين كهف الأيامى ... موئل الخلق كافل الأيتام

ثم تطرق الشاعر إلى وصف الشريعة الاسلامية الّتى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها دين الحق وعروة الله الوثقى ولا فرق فيها بين العرب والعجم والأسود والابيض وبأنها أمرت بعبادة الله وحده ونهت عن عبادة الأوثان والأصنام فقال:

دينـه الحق عروة اللـه حقا ... وهى وثقى مامونة الانفصام
سنّ فى دينـه المساواة بين النـ ... ـاس طراً من كُل خاص وعام
أمر النـاس بالعبادة للـ ... ـه نهى عن عبادة الأصنام
رغّب النـاس فى الوئام جميعا ... إذ قوام الورى استوى بالوئام
عامراً بالرشاد دينا ودنيا ... حافظا للهدى بحسن النظام

ثم ذكر الشاعر المعجزات الّتى أنعم الله بها على الرسول ﷺ قائلا:

كم لـه من معاجز باهرات ... كان فيها ذكرى أولى الأحلام
إن يسر فى النهار يظلله من نهـ ... ـجير شمس النهار مثل الغمام
قمر فى سماء هـا شم انشـ ... ـق لـه بالاعجاز بدر التمام
وأتته الأشجار تمشى على سو ... ق لهـا ضخمة بلا أقدام
شبح نور يرى الخلائق طراً ... من وراء كمـا يرى من أمام
لم ينم قلبه الشريف المعلّى ... لو تنام العينان عند المنام

وفى نهاية القصيدة حذّر الشاعر أولئك الذين يخالفون عن أمر

رسول الله ولا يحاكمونه فى أمورهم ولا يرضون بقضاء الله ورسوله عن العاقبة الوخيمة، قد قال الله تعالى فى كتابه الكريم: فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا ممّا قضيت ويسلّموا تسليما (١) وقال: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنّم وساءت مصيرا (٢) وقال: يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم فى شئ فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله ورسوله، ذلك خير وأحسن تأويلا (٣)

وفى ذلك يقول الشاعر:

بشر الجاحدين شان عُلاه — بعذاب للجاحدين لزام

من يزغ عن هداه يضلل ويظللّ — هاملا مثل هذه الأنعام

من يناصبه يصله بلظى ربّ — عزيز مهيمن ذوانتقام

وختم الشاعر قصيدته بقوله:

هو للمذنبين خير شفيع — عند ربّ مهيمن علّام.

(١) سوة النساء: ٦٥ (٢) سورة النساء: ١١٥ (٣) سورة النساء: ٥٩

السيّد نبى الحيدرآبادى

١٣٢٠هـ – ١٣٨٩هـ

نشأته وحياته:

ولد الأديب البارع السيد نبى بن السيد اسماعيل سنة ١٩٠١م–١٣٢٠هـ – ١٩٧٠م – ١٣٨٩هـ فى حارة دوده باولى (بئر الحليب) بمدينة حيدرآباد ونشأ بها نشأة الولدان الذين تربوا تحت رعاية الأساتذة الكبار والعلماء البارعين، فقد كان والده السيد إسماعيل من مشائخ بلدة بيدر.

قرأ الكتب البدائية على أساتذة حارة دوده بأولى ثم التحق بدارالعلوم حيدرآباد وتتلمّذ على أساتذة دارالعلوم البارعين البررة المهرة وحصل على شهادات المولوى والعالم والفاضل والكامل والمنشئ الفاضل بتقادير ممتازة ثم تعلّم الانكليزية بجدّ واجتهاد حتى برع فيها.

كان من أساتذة العلّامة السيد ابراهيم الرضوى والشيخ شير على والسيد جمال الدين النورى والشيخ أحمد حسين قرأ عليهم اللغة العربية وعلم الكلام والعقائد واللغة الفارسية والمنطق على الترتيب. وكان جل همّه أن يحلّى نفسه بالعلوم والفنون فلم يأل جهدا ولم يدّخر وسعاً فى تلقى العلوم والفنون حتى صار من العلماء البارعين والأدباء المفلقين.

كان رحمه الله كثيرا المطالعة كريم الخلق، صريح القول، بعيداً عن التملّق، متعصبا للحق وإذا اتّضح الحق أمامه فى أمر من الأمور فلا يمكن أن يمنعه مانع من إعلانه على رؤس الأشهاد فكان لا يخاف فى الله لومة لائم وجور سلطان وبطش حاكم وخوف جبار. سافر إلى الحرمين الشريفين مرّات فحجّ وزار وقابل علماء الحرمين وأفاد واستفاد

منهم. بعد ما تخرّج الأستاذ بنى من دارالعلوم تولّى تدريس اللغة العربيه فى المدرسة الثانوية بمديريه رائجور ثم درس فى المدرسة العالية بمديرية بير ثم عاد الى حيدرآباد وتولّى تدريس اللغة العربية بكليّة المدينة (City College) خمس سنوات تقريباً ثُمّ استقدمته الجامعة العثمانية وعيّنته أستاذ مُساعدا فى القسم العربى، فدرس هنا وأفاد، واستفاد منه طلبة القسم العربى وغيرهم طلاب العلم فى اللغة العربية وآدابها.

عاش السيد نبى حياة حافلة بالعلم والثقافة والبحث والدراسة والتأليف (١) حتى وافته المنية سنة ١٩٧٠م - ١٣٨٩ ه، ودفن بمقبره دوده بأولى بحيدرآباد (٢)

شعره:

كان الأستاذ السيد نبى الحيدرآباد شاعراً مجيداً مطبوعا وله قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لكننا لم نعثر عليها رغم المعاناة الشديدة فى سبيل الحصول عليها وقد عثرنا على بعض الأبيات التى قالها الأستاذ نبى فى الاحتفال الوداعى فى شان أستاذه السيد ابراهيم الرضوى لما أحيل على المعاش يقول:

هذا الّذى يعرف الأعلام رفعته ... والشعر يعرفه والنثر والخطب
وإذا نظرت اليه قلت من عجب ... هذا مثال قيّم ساذج قطب

(١) مؤلفاته: منهاج العربية فى خمسة اجزاء
(٢) علماء العربية ومساهما تهم فى الأدب العربى فى عهد الآصفجاهية ص: ٤٨١

الشيخ محمّد إدريس الكاندهلوى

١٣١٨ه - ١٣٩٢ه

١٩٠٠ - ١٩٧٢م

نشأته وحياته:

ولد الشيخ محمد إدريس فى بلدة كاندهله بمديرية مظفرنكر فى سنة ١٣١٨ه - ١٩٠٠م، ولم يبلغ من العمر عشر سنوات حتى انتهى من تحفيظ القرآن الكريم ثمّ قرأ المختصرات فى الزاوية الأشرفيّة للشيخ أشرف على التهانوى والتحق بعد ذلك بجامعه مظاهر العلوم سهارنفور وتخرج منها مع التخصص فى علم الحديث فى سنة ١٣٣٦ه - ١٩١٧م ثم جاء به تلهفه الشديد للعلم إلى جامعة دارالعلوم بديوبند حيث تخصص فى علم الحديث مرة ثانية فى سنة ١٣٣٧ ه - ١٩١٨م، وكان الشيخ محمد إدريس الكاندهلوى من أخص تلامذة العلّامة أنور شاه الكشميرى.

تولّى وظيفة التدريس فى المدرسة الأمينية الإسلامية فى دلهى فى سنة ١٣٣٨ ه - ١٩١٩م، ولم يلبث بها إلّا لبضعة أشهر وسافر إلى ديوبند واشتغل بها مدرّسا من ١٣٣٨ ه - ١٩١٩م إلى ١٣٤٦ ه - ١٩٢٧م ثم سافر إلى حيدرآباد حيث أقام فيها اثنتا عشرة سنة لم ينقطع خلالها عن الدرس والإفادة ثمّ رجع إلى جامعة دارالعلوم بديوبند مرّة أخرى فى سنة ١٣٥٨ ه - ١٩٣٩م فعهد إليه تدريس كتب التفسير والحديث، فدرس وأفاد فى دارالعلوم لمدّة ثمانى عشرة سنة إلى أن هاجر إلى باكستان حيث عين شيخ الجامعة فى الجامعة العباسيّة بمدينة بهاولفور وبعد سنتين عين شيخ الحديث فى الجامعة الأشرفية فى لاهور

حيث اشتغل لمدة اثنتى وعشرين سنة، كان مؤلفا كبيرا (١) توفى الشيخ فى لاهور فى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م. (٢)

شعره:

كان للشيخ محمد ادريس الكاندهلوى قدرة ملحوظة على نظم الشعر بأسلوب سهل وسليس يخلو من الكلمات والتراكيب المعقدة، فله عدّة قصائد فى المدائح النبوية وأطولها ميمية المديح ولامية المعراج ومن قصيدته الميمية قوله:

إذا كان مدح أو ثناء منمنم ... فأكرم خلق الله أولىٰ وأقدم
ولا بدّ من بحر طويل لمدحه ... لما أنه بحر المكارم قلزم
لكل امرئ فى الحب دين ومذهب ... يدين بها يهوى وما هو يزعم
ودينى حبّ المصطفى منبع الهوى ... أجلّ الورى من فى الجمال مسلم

ومن قصيدته لامية المعراج التّى تحتوى على مائة وستة وعشرين بيتا:

ألا ليت شعرى هل يقولن مقولى ... قصيداً بإسراء النبىّ المبجّل
فسبحان من أسرى بليل بعبده ... إلى المسجد الأقصى إلى عرشه العلى
تمطّى براقا خطوه مدّ طرفه ... كبرق وليس البرق منه بأعجل
فلاح كبدر فى الكواكب كامل ... فيا لاحتفال الكواكب مخجل
وقال له الروح الأمين تقدّمن ... وأمم جميع الرسل خير مرسل
دنا فتدلّى قاب قوسين وأدنى ... وأكرم بالإيحاء سبحان مفضل

(١) مؤلّفاته: الفتح السماوى بتوضيح تفسير البيضاوى، التعليق الصبيح على مشكوة المصابيح، تحفة القارى بحل مشكلات البخارى، الكلام الموثوق فى تحقيق أن ا لقرآن كلام الله غير مخلوق، تعليقات على مقامات الحريرى.

(٢) تذكره مولانا محمد ادريس لمحمد ميان الصديقى / مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الأدب العربى ص: ٣٤٠

رآه رآه دون شك وريبة ... وما زاغت العينان عن نوره الحلى
رآه بعينى راسه وفؤاده ... رواه ابن عباس صحيح مسلسل
ومعراجه كان بالجسم يقظة ... كما هو منطوق بالكتاب المفضّل
رأى الآية الكبرى وما شاء ربّه ... رآى جنّة المأوى وما لم يخيل
وفارقه الروح الأمين بسدرة ... وقال له هذا نهاية منزلى
وودّعه جبريل إذ جاء رفرف ... تدلّى له مثل المنصّة من عل

وللشيخ محمد ادريس الكاندهلوى قصيدة أخرى فى سرد أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وهذه القصيدة تحتوى على أربعين بيتا، نقدم منها بعض الأبيات للقراء الكرام، يقول الشاعرفيها:

هو الصالح الصادق المؤتمن ... رواء الغليل شفاء السقيم
هو الأعلم الأكرم المرتجى ... سفوح نصوح عفو كريم
هو العاقب الحاشر المستغاث ... مجير الورى من عذاب الجحيم
هو الأحسن الأجود الأشجع ... أغرّ الجبين جميل وسيم
ختام النبيين والمرسلين ... مقفّ وماح قثوم مقيم
ختام السلام كمسك الختام ... لختم الكرام نبى فخيم
وأصحابه الأصفياء الكرام ... مدى الدهر ما دام يجرى النسيم

عبدالمنّان الدهلوى

٠٠٠٠ - ١٣٩٤هـ

نشأته وحياته:

الشيخ عبدالمنان الدهلوى هو شاعر مطبوع كما يدل عليه كلامه وهو دهلوى المولد والمنشأ ومتضلّع من اللغة العربية، أما ترجمته الكاملة فلم نعثر عليه، توفى رحمه الله فى سنة ١٣٩٤هـ (١)

شعره:

بين أيدينا قصيدة الشاعر اللامية فى المديح النبوى، يبدو من دراسة القصيدة أن الشاعر له قدرة فائقة فى قرض الأبيات باللغة العربية وخاصة فى المديح النبوى ولغة القصيدة فصيحة وأسلوبها جذّاب يتلائم مع شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يتأثر بها القارى حين قراءها وتأخذ القصيدة بمجامع قلبه، نقدم من القصيدة بعض الأبيات:

واهاً لسيرته فاقت شمائله ... ياحسن سيرته تشتاقها المقل
له جمال إذا ما زاره أحد ... يقول سبحان ربى هل له بدل
وصدره مخزن الأسرار منبعها ... فيه الهدى والغنى والجود والنحل
جود الأكف كبحر عبّ ملتطما ... نواله عجب مقداره جلل
فى ليلة برقت بالنور ساطعة ... مسيره براق سيره عجل
كقاب قوسين أو أدنى دنا ودنا ... يجيب عما رآها كيف ما سئلوا
محمد صاحب الآيات معجزة ... حديثه كزبيب نطقه عسل

(١) مجلة الرشيد: ص: ٢٥١ - الصادرة من لاهور سنة ١٤١١هـ

الشيخ ظفر أحمد التهانوى

١٣١٠هـ - ١٣٩٥هـ

نشأته وحياته:

ولد العلّامة المحدّث الكبير الشيخ ظفر أحمد بن لطيف أحمد العثمانى التهانوى فى سنة ١٣١٠ من الهجرة النبوية بقرية ديوبند فى مديرية سهارنفور فى ولاية أترابراديش، التحق بدارالعلوم بديوبند ودرس هناك الكتب البدائية ثم سافر إلى تهانه بون وتتلمذ على الشيخ أشرف على التهانوى وبعض أساتذة تلك الدار ثم التحق بمدرسة جامع العلوم بكانفور ثم أكمل دراسة العليا بمدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور وبعد ما تخرّج من مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور عين مدرسها بها فى سنة ١٣٣٨هـ. وفى سنة ١٣٤٩هـ سافر إلى رنكون ومكث هناك عدّة سنوات يدرس بها ويلقى كلمات دينية. وفى سنة ١٣٥٨هـ عين الشيخ أستاذا للعلوم الدينية فى جامعة دكا (فى بنجلاديش حالياً) وأسس هنا مدرسة باسم أشرف العلوم وفى سنة ١٩٥٤م عيّن أستاذا للحديث فى دارالعلوم تندوالله يارخان (فى باكستان حالياً) ودرّس هناك وأفادحتى وافته المنية.

كان مؤلّفا كبيرا (١) وخطيبا بارعا ذا خلق كريم، توفى - رحمه الله - فى باكستان فى سنة ١٩٧٤م - ١٣٩٥هـ (٢)

شعره:

كان للشيخ ظفر أحمد التهانوى قدرة على الكتابة باللغة العربية

(١) من مؤلفاته القيمة: إعلاء السنن فى الحديث يحتوى على عشرين جزءاً

(٢) مجلة معارف الشهرية عدد مارس ١٩٧٥م الصادرة من دار المصنفين بأعظم جراه

وقرض الأبيات، وأسلوبه سهل ممتع عذب، بين أيدينا قصيدتان للشيخ ظفر أحمد التهانوى فى المديح النبوى، القصيدة الرائية والقصيدة الفائية
– أما القصيدة الرائية فى المديح النبوى فقد بدأها الشاعر بقوله:

اهدى سليمى فى جمال منور ... تلوح على بُعد كبدر منور
أم النجم فى أفق من الشرق طالع ... أم كانت الزهراء لاحت بمشترى
أم البرق فى جنح من الليل لامع ... ينم على غيث من الله منشر
أم الراية البيضاء فى أرض طيبة ... قد اضطربت ليلا يجند مظفر
يلوذ بها الإقبال من آل هاشم ... ومن آل عدنان ومن آل حمير
محمد المبعوث للناس رحمة ... بوجه منير مستنير منور
أتانا بآيات كشمس منيرة ... تجلّت على الأقطار فى خير منظر
أتانا بنور لن ترى العين مثله ... ولم ترحقا مثله من مخبر
أتانا ببرهان من العلم والهدى ... فيا خير مورود ويا خير مصدر
جواد إذا ما أفقر الدهر أهله ... وما مثله فى الجود من متكبر
هو الغيث جوداً بل هو البحر زاخرا ... بلى فوق بحر زاخر متزخر

ثم مدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفات الّتى خصّه الله بها من المجد والشرف والاستماتة فى إقامة الحق وإزالة البغى والطغيان والباطل والصدع بالتوحيد والبر والتقوى وما إلى ذلك من الأمور الّتى دعا إليها الشريعة الإسلامية السمحة الغرّاء فقال:

نظام لحق بل قيام لأهله ... نكال لباغى الشرّ للحق منكر
حيوة لمن قد مات بالجهل قلبه ... نجاة لأسرى فى ضلال محرر
لقد أنذر الأقوام سرّا وجهرة ... وما مثله لله من متشمّر
دعاهم إلى التوحيد والبر والتقى ... وترك المعاصى والأذى والتجبّر

ثم سرد الشاعر حادثة الإسراء والمعراج قائلاً:

دعاه إله العرش إلى العلا ... وعزّره واهاله من معزّز
فسار يلاقى واحداً بعد واحد ... من الرسل فى عزّ منيع مؤقر
ويخترق السبع السمٰوٰت كلها ... طباقا ويعلو مظهراً فوق مظهر
وجبريل يمشى آخذا بركابه ... فواهاً له من راكب الليل أقمر
فكان له ما كان من فضل ربّه ... ونال مكانا قد علا من تصوّر
هو الأول العالى وإن جاء آخراً ... فأعجب به من عاقب متصدّر
ولما تمادى القوم فى الغىّ والأذى ... ترحّل عنهم رحلة المتضجّر

وله قصيدة أخرى فى المديح النبوى، نقدم منها بعض الأبيات:

زال الظلام ولاح النور فى الأفق ... برق تألّق فى داج من الغسق
برق من الطور أو بدر على جبل ... ببطن مكة منشق على فلق
محمد خاتم النباء سيدهم ... حامى الحقيقة مفتاح لمنغلق
أتقى الأنام وأزكاهم وأعلمهم ... بالله أحلمهم فى الرتق والفتق
قد جاء والناس فى هرج وفى مرج ... والظلم عم بسيط الأرض بالقلق
والجهل كالليل قد أرخى ذوائبه ... فى غيم كفر على الآفاق منطبق
فانشق صبح الهدى من نور طلعته ... يجلو غياهب ليل الجهل والحمق
فأصبح الناس فى علم وفى حكم ... بنعمة الله بعد الضل والحزق
أنت النذير لخلق الله قاطبة ... وأنت إياه من حرّ الجحيم تقى
أنت البشير و من طابت سريته ... بجنة يا لها من خير مرتفق
أنت الحبيب لمن حلّت سعادته ... وليس يرغب عنها غير كل شقى
أنت العماد لقوم لاعماد له ... أنت الرشاد لمن قد ضل فى طرق
وأنت أفضل خلق الله قد علموا ... وأنت أكملهم فيما مضى وبقى
فأنت فى الناس كالياقوت فى حجر ... وأنت فى الخلق مثل النور فى الحرق

القصيدتان تدلّان على براعة الشاعر ونبوغه فى قرض الشعر

ومهارته فى اختيار الكلمات الملا ئمه للمديح النبوى فقد حاول الشاعر فى القصيدتين إبرازملامح شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فى مجال الدعوة إلى الله وهو موفق كل التوفيق فى التعبير عما جاش فى خلده من الحب العميق للرسول صلى الله عليه وسلم فى إطار الكتاب والسنة، فلم ينزلق قلمه فى المديح النبوى كالشعراء الآخرين عملا بالحديث النبوى الشريف لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبدالله ورسوله.

والجدير بالذكر أن الشيخ ظفر أحمد التهانوى وإن لم يشتهر بين الناس كالشاعر والأديب لكنه قمين بأن يعدّ من الشعراء الهنود المفلقين الّذين قرضوا الشعر فأحسنوا وأجادوا فى اختيار الألفاظ وترتيب الكلمات الرشيقة والتعبيرات البديعة والتشبيهات النادرة.

المفتى محمد شفيع الدّيو بندى

١٣١٤هـ - ١٣٩٦هـ

١٨٩٦-١٩٧٦م

نشأته وحياته:

ولد العالم الكبير والمفسر العظيم المفتى محمد شفيع الديوبندى فى ديوبند فى سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م، والتحق بجامعة دارالعلوم بديوبند وتخرج منها فى سنة ١٣٣٦هـ - ١٩١٧م، وهو ابن اثنين وعشرين سنة وعين مُدرّسا للفقه والأدب فى نفس الجامعة فى ١٣٣٧هـ -١٩١٨م، وشغل منصب الإفتاء فى ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م إلى أن هاجر إلى باكستان فى ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م حيث أسهم فى صياغة الدستور الإسلامى لمملكة باكستان الإسلامية وأسس مدرسة فى كراتشى باسم دارالعلوم وسرعان ما أصبحت هذه الدار الجامعة العربية المركزية بباكستان.

كان من المؤلّفين الكبار (١) توفى - رحمه الله - فى باكستان فى سنه ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م. (٢)

شعره:

الشيخ المفتى محمد شفيع الديوبندى لم يكن شاعرا مطبوعا لكنه قرض بعض الأبيات فى بعض المناسبات، وله قصيدة قصيرة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم تحتوى على سبعة عشر بيتا، منها:

من ذكر طيبة مغراها فممساها جرت شئونى بسم الله مجراها

(١) مؤلفاته: قلا ئد الأزهار على كتابة الآثار، معارف القرآن، جواهر الفقه كلها باللغة الأردية.

(٢) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الأدب العربى ص: ٢٤٥

يـا ليـت شـعرى من أسرى فأرقاها ... ومـــن بـــداهية السهيـــد أبـــلاهـــا

فيـمـن تبيـت قـريـح الـعين ساهرة ... ومـن بـمـقـلـقة الأشـجـان أشجاها

سهـــر الـعيـون لـغيـــر اللـــه مندمة ... وحســـرة لســـواه طـــول مبكـــاهـــا

بـلـى وحـب حبيـب الله مجلبة الـ ... خيـرات أجـمـع أولاهـا وأخـراهـا

عـلا فـفـاق معالى الخلق أجمعهم ... قـدحـلّ مـن شـرفات المجد أعلاها

حسبـى شـفـاعتـه حسبى وسيلته ... لـكـل هـول مـن الأهوال أخشـاهـا

واهـاً لطيبة لازالـت منـــــــوّرة ... طـابـت مشـارقهـا مـن طيب ريّاها

الشيخ محمد يو سف البنّورى

١٣٢٦هـ - ١٣٩٧هـ

١٩٠٨م - ١٩٧٧م

نشأته وحياته:

ولد العلّامة محمد يوسف بن السيد محمد زكريا بن مير مزمّل شاه بن مير أحمد شاه البنّورى الحسينى فى ٦/ربيع الثانى ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م فى قرية بمديرية بشاور (فى باكستان حاليا) ودرس القرآن لدى والده وخاله، ذهب إلى كابول فى عهد الأمير حبيب الله خان وهو طفل صغير السن ودرس الكتب الإبتدائية للصرف و النحو فى إحدى المدارس هناك، كما درس الفقه وأصوله والمنطق والمعانى وغيره من الفنون الأخرى لدى العديد من الأساتذة فى كابول وبشاور. أما علم الحديث وأصول الحديث فدرسهما فى دارالعلوم بديوبند من ١٣٤٥ه - ١٩٢٦م إلى ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م وأتمّ دراسته لعلم الحديث فى جامعة دابهيل بولاية غجرات حيث انتقل مع أستاذه الأكبرالعلّامة محمد أنور شاه الكشميرى حين انفصل عن جامعة دارالعلوم بديوبند مع جماعة من الأساتذة بناءً ا على خلاف بينه وبين الهيئة الإدارية للدار.

قد استفاد العلامة محمد يوسف البنورى من العلامة أنور شاه الكشميرى استفادة تامة وفاق فى ذلك كافة زملائه ورفاقه، وكان للعلّامة الكشميرى فضل كبير فى تكوين شخصيته وقد صاغ الشيخ البنورى نفسه فى قالب استاذه العلّامه الكشميرى شكلاً ومعنىً ولذلك يقال حقا أنه كان وارثا لعلوم الأستاذ العلّامة الكشميرى ويجلّى حبه العميق لأستاذه فى كتابه نفحة العنبر وقد لاقى هذا الكتاب الإعجاب والتقدير ليس لدى العلماء

الهنود بل ولدى العلماء العرب كذلك.

ونظراً لعميق صلته مع العلامة الكشميرى تمّ تعيينه مدرساً فى جامعة دابهيل ثم وقع عليه الخيار لتولى منصب رئيس هيئة الأساتذة وشيخ الحديث فى تلك الجامعة كما انتخب عضوا للمجلس العلمى لنفس الجامعة وفى عام ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م أوفده المجلس العلمى إلى مصر فى مهمّة طباعة فيض البارى للعلّامة أنور شاه الكشميرى حيث أقام لمدّة أكثر من سنة واشترك فى مؤتمر فلسطين الّذى انعقد فى القاهرة فى ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م

وبعد تقسيم البلاد هاجر إلى باكستان فى ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م وعين شيخ التفسير فى دارالعلوم الإسلامية فى تندوالله يار بمديرية حيدرآباد السند حيث اشتغل لمدة ثلاث سنين ثمّ استقال من هذه الوظيفة وانتقل إلى كراتشى حيث أسّس معهد التربية لخرّيجى المعاهد والمدارس العربية الدينية.

بالاضافة إلى زيارته للقاهرة الّتى أقام فيها لأكثر من سنة واحدة بخصوص طباعة "فيض البارى" سافر الشيخ إلى الحرمين الشريفين عدّه مرّات وإلى العراق وليبيا والأردن وسوريا وبيروت وأفغانستان وتركيا واليونان وشرق أفريقيا حيث سنحت له الفرصة لمقابلة العلماء وزيارة المكتبات العلمية وأثناء إقامته فى مصر وسوريا نشرت للشيخ البنورى مقالات علمية وأدبية فى المجلات الشهيرة الصادرة فى تلك البلدان عرّف فيها بعلماء الهند وآثارهم العلمية الخالده.

كان الشيخ البنّورى من المؤلفين الكبار فترك لنا ثروة علمية (١)

(١) مؤلفات الشيخ البنّورى: معارف السنن فى ستة مجلدات فى شرح الترمذى، نفحة العنبر فى حياة الشيخ أنور، مقدمة فيض البارى شرح صحيح البخارى.

وبعد حياة طويلة حافلة بالمغامرات والضحايا انتقل الشيخ إلى رحمة الله فى ٣/من شهر ذى القعدة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م فى مدينة راولبندى.
(١)

شعره:

كان الشيخ العلّامة البنورى من البارعين فى اللغة العربية كتابة وخطابة ومما يدلّ على مستوى كماله فى إجادة اللغة العربية أن العلماء العرب فى الدّول العربية أعجبوا بطلاقة لسانه ورشاقة بيانه وأسلوبه الأدبى لحد أن بعض العلماء العرب خاطبه بقوله: "ياشيخ! لست هنديا بل أنت عربى تخفى نحلك العربى لمصلحة"۔

وقد ذكر الدكتور زبير أحمد الفاروقى فى كتابه مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الأدب العربى (٢) قصيدتى الشيخ محمد يوسف البنورى، وكان يعرف الشيخ بقدرته على نظم الشعر ارتجالا بدون تصنّع أو تكلّف. قصيدته الأولى تتعلق بموضوع الإسراء والمعراج، ونشرت القصيدة فى مجلة الإسلام المصرية بعددها الخاصّ الصادر فى ٢٨/رجب ١٣٥٧هـ مما يدل على اعتراف العلماء والأدباء العرب بمستواه الرفيع فى الشعر العربى ومن أبيات القصيدة فى التشبيب.

هام الفؤاد بحب الغيد وا أسفا	فمقلتى مزنها بالوجد قد وكفا
فالنفس تصلى بنار الحب من وله	والعقل فى شرك الأهواء قد خطفا
قد كنت أحسب أن العز مبتعد	عن الغرام وما إن خلته شرفا
حتى غدا لى شغلا شاغلا أبدا	وصرت بالصد والهجران ملتحفا

ثم يتطرّق الشاعر إلى المديح النبوى فيقول:

(١) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الأدب العربى. ص :٢٥٣ - ٢٥١
(٢) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الأدب العربى ص: ١٠٢ - ١٠٣

نـعـم بـأشـرف خيـر الـخلق كلهم   بهـديـه يـرتـجى لـلسقم منه شفا
هـو الـرسـول الّـذى أولى الأنام هدى   وشـق مـن نـوره ممّـا حوى صدفا
محـمـد صفـوة البارى ورحمتـه   وأحـمـد خيـر خلـق الله إذ وصفا
محـمـد جـاء بـالـقـرآن معجزة   دامـت لـنـا روضةً مخضرة أنفا
فـاقـت حقـائـقهـا راقـت دقائقها   تهـديك نـوراً مبينـا للقلوب شفا

ولـلشيـخ محـمـد يوسف النبورى قصيدة أخرى رشيقة فى المديح النبوى تشتمل على ثلاثة وسبعين بيتا، وصف فيها الكثير من شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب يمتاز بالسلاسة والمتانة وروعة الكلمات مما يليق وشأن الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال:

طـاف الـخيـال من الحبيب فزارا   فـاهتـز قلـب المستهام وطارا
سرت المسرة فى العروف جميعها   كـدم الـحيـاة سرى هناك ودارا
طيف بـدا يـحلـو الهموم رواحه   روح الحيـاة وسره إذ سارا
قـر الـعيـون بشيمة من بـرقة   فلـه جمـال يعجب الأبصارا
لا غـرو طيف فـى الـزمان مبارك   طيف النبىّ الأبطحى ديارا
يـا مـدنـفا فى حبـه وجمالـه   متحيّـرا الكـمـالـه إكبارا
ألـقى عـليك شمـائلا من حسنه   فـى عقـد در يعجب الأنظارا
هـو أدعج كحل الـعيون وأبلج   أقـنـى أزج وأهدب أشفـارا
طلق الجبين إذا تبسّم ضاحكا   فـاقـت أسارير الجمال نضارا
فـجبينـه كـالبدر يشرق دلجة   قـد فـاق بدراً وجهه إذ نـارا
وتشعشعـت أنـواره بجبينـه   متهـلـل سيمـاه أنـوارا
مـا شمـس جرزاه وماذا بدرها   بجمـال وجـه للرسول أنارا

الفصل الخامس: شعراء المديح المعاصرون

المفتى جميل أحمد التهانوى

١٣١٨هـ - ١٩٠٠م

نشأته وحياته:

الشيخ المفتى جميل أحمد التهانوى هو من مواليد الهند ولد فى الهند فى سنة ١٣١٨هـ المصادف ١٩٠٠م، ثم هاجر إلى باكستان وهو عالم كبير وشيخ وقور لم نعثر على ترجمته الكاملة رغم المحاولات المكثفة. (١)

شعره:

الشيخ المفتى جميل أحمد التهانوى شاعر قدير مطبوع متضلع من اللغة العربية، وقصيدته فى المديح النبوى تدل على براعته فى قرض الأبيات واقتداره على أسلوب المديح المفضّل.

للشاعر قصيدتان همزيتان فى مديح النبى صلى الله عليه سلم أما القصيدة الهمزية الأولى فقد بدأها الشاعر بقوله:

يـوم تـقشع ظـلمة ظـلمـاء   وتـألـق الأنـوار والأضـواء
مثـل الـضحـى لـلفجر ضيـاء   فتـلألأ الآفـاق والأرجـاء
لـمعـات أنوار زهت وتساطعت   فـقد ارتـدى الأضواء فيـه فضاء

ثم يمدح الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول:

قد كـان فيـه لكل عبد أسـوة   كـى يتبعوه وهم لـه نظـراء
ومـواصـل صـوما بصوم ناهيا   أصحـابـه ولهم بذاك نداء

(١) مجلة الرشيد ص: ١٤١

من أرض مكة نحو أقصى ثم	منه إلى العلى فى اليقظة الإسراء
وجوامع الكلم الفصيحة لفظه	حارت بها الفصحاء والبلغاء
وجه له اللمعان كان بضوئه	فى الليل تبدو والأبر والأقذاء
عرق كريحان و ورد فاتح	كالعطر تأخذ للزواج نساء
تأديب ربّ الناس فى تعليمه	من غير واسطة فنعم حباء

ثم يشير الشاعر إلى شمائل النبى الأخرى فيقول:

الأولون والآخرون علومهم	فى علمه مجموعة سحّاء
إذ رحمة للعالمين ظهوره	لم يحرم الثقلان والأشياء
تنشق أرض الحشر عمن تحتها	هو أول ممن له إحياء
إذ يحشر الناس الجميع بمحشر	بيمينه للحمد فيه لواء
المرسلون جميعهم فى مفزع	تحت اللواء له لهم إيواء
وله الوسيلة والفضيلة منحة	ومقامه المحمود فيه ثواء
بيمين عرش الله حين حسابهم	والناس فى فرق لهم غوغاء

أما القصيدة الهمزية الثانية للشاعر نفسه فهى أيضا تشتمل على مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم، نقدم من هذه القصيدة بعض الأبيات، يقول الشاعر:

خير البرايا كلهم وجميعهم	العرش والكرسى فيه سواء
فى الكائنات أعز بعد إلٰههم	ووجوده لوجودهن جلاء
قصر النبوة لم يكن متكاملا	فيه إذا ما جاء تمّ بناء
ختم النبيون الكرام ببعثه	فبشرعه لشرائع إنهاء
ختم الوحى بوحيه بل غلقت	أبوابها فسواه الآن هواء
فى ليلة المعراج أمّ جميعهم	حين الصلوٰة وللإمام علاء

الشاعر موفق فى المديح النبوى وأسلوب القصيدة ملائم لشخصية

الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وقد المّ الشاعر فى قصيدته بالميزات التى قد صحّت عند العلماء والمحدثين وأشار اليها القرآن الكريم والسيرة النبوية، ولم أجد فى القصيدة الكلفة والصنعة التى اعتادهما بعض الشعراء فى قصائدهم، فمن ميزات القصيدتين السذاجة والروعة فى البيان مع الرشاقه فى الأسلوب.

الشيخ أمين أحمد بن فضل الله المدراسى

١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م

نشأته وحياته:

ولد الشيخ أمين أحمد بن فضل الله المدراسى فى سنة ١٣٤٥ هـ الموافق ١٩٢٧م فى مدينة وانمبارى بولاية تاملنادو حصل على الدراسة البدائية على أساتذة مدرسة "مفيد عام" فى آمبور بيت فى وانمبارى ثم التحق بجامعة دارالسلام عمر آباد فى سنة ١٩٤٠م، وحصل على شهادة الفضيلة من الجامعة بتقدير ممتاز ثم عين مدرسا فى الجامعة فى سنة ١٩٤٩م. وفى سنة ١٩٥٨م قدم الاستقالة لبعض الأسباب منها التجارة ثم عين استاذاً فى سنة ١٩٦٤ فى الجامعة وهو يدرس حتى الآن فى الجامعة بكل حيوية ونشاط من كتب الفقه والأصول والنحو والبلاغة والأدب العربى وتاريخه. (١)

شعره:

قصائد الشيخ أمين أحمد بن فضل الله تدل على اقتداره على اللغة العربية وقرض الأبيات بأسلوب قوى ممتاز ويخلو شعره من الكلمات الغريبة العويصة والكلفة والصنعة، فهو شاعر مطبوع على نظم الشعر بأسلوب يمتاز بالسلاسة والمتانة والروعة

يقول الشاعر فى إحدى قصائده مادحاً الرسول صلى الله عليه وسلم.

رسول كريم جميل الشيم جزيل العطايا كثير النعم
حليف المعالى رفيع الهمم نظيف الثياب حلى الكلم

(١) حصلنا على ترجمة الشيخ أمين عن بعض أصدقائى فى مدراس

نصلى على ذى العلى والكرم نبى البرايا شفيع الأمم
أضاءت طليعة وجه النبى دياجى كون ضرير دجى
تفور ما حول أم القرى ببدر منير نقىّ وضى
نصلى على ذى العلى والكرم نبى البرايا شفيع الأمم

وله قصيدة أخرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم نقدّم منها الأبيات المختارة.

رسول أتانا بخلق خليق نبى أتانا بوجه طليق
دليل هدانا سواء الطريق بشير الجنان نذير الحريق
فدته الكرام وأهل المعالى
فدته الكنوز وغرّ اللآلى
نصلىّ عليه طوال اللّيالى
فصلّوا عليه عداد الرمال
نجوم أحاطت ببدر منير أضائت دياجى كون ضرير
حمام لباغى فساد وظلم كرضوى تجاه العدى وثبير
ألا إنهم خير من فى الأراضى
لجيش الفساد كبيض مواضى
صحاب الرسول فيوض الغمام
زهور الجنان ربيع الرياضى
دُعاة الأنام إلى كل بر هُداة الأنام إلى كل خير
نُهاة لهم عن قبيح الفعال بغلة رضا الله فى كل أمر
ألا انهم أسوة للخيار
عُداة الشرار حماة الذمار
صحاب الرسول النبىّ الكريم
هجود الليالى غزاة النهار

وللشاعر قصيدة أخرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم منها:

ما ان وددت أحداً سواك روحى فداك أمى فداك

قلبى إليك ظمآن حبى نالت يداى جدوى فداك

لممت شعث القوم الذين كان الشقاق يمتد فيهم

ما ان وجدنا خير الهدى يا خير البرايا بعد هداك

يا أيها المبعوث المعظم يا خاتم الأنبياء المكرم

يا سيد الكونين المفخم صلى عليك الله وسلم

تحمل ج من غير كد مالم يزره متن الصحارى

وزر اليتامى كل الأيامى يا ذا الحياء مثل العذارى

ما ان بعثت الا رسولا يحوى مزايا كل رسول

نسخا لما فى أيدى اليهود نسخا لما فى أيدى النصارى

يا أيها المبعوث المعظم يا خاتم الأنبياء المكرم

يا سيد الكونين المفخم صلى عليك الله وسلم

من كان عند الله الجليل للمذنبين خير الشفيع

فى كل يوم صلّوا عليه أعداد خلق الله البديع

يا معشر الإسلام عليكم انعامه مفقود المثال

فيما حباكم سر الحياة فيما نهاكم موت الجميع

يا أيها المبعوث المعظم يا خاتم الأنبياء المكرم

يا سيد الكونين المفخم صلى عليك الله وسلم

السيد طاهر الرضوى الحيدرآبادى

١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م

نشأته وحياته:

ولد السيد طاهر الرضوى فى حيدرآباد سنة ١٣٤٩ هـ المصادف ١٩٣٠م فى بيت العلوم والمعارف ونشأ وترعرع فى أحضان الدين والعلم فقد كان أبوه الأديب السيد ابراهيم بن السيد عباس بن السيد حيدربن السيد عباس من أحد فحول الشعراء بالدولة الآصفية العثمانية ومن النابغين فى فنون التفسير والحديث والكلام والتاريخ والفقه.

قرأ الكتب الدراسية على والده الأريب الأديب ثم التحق بالجامعة النظامية بحيدرآباد وتخرج منها وحصل على شهادة الكامل فى اللغة العربية منها.

الآن هو يتولّى التدريس فى الجامعة النظامية وله براعة فى اللغة العربية وآدابها، وقد تخرّج كذلك من الجامعة العثمانية وحصل على شهادة الماجستير فى اللغة العربية منها، وقد تتلمذ عليه الطلاب البارعون فى اللغة العربية وهم يدرسون الآن اللغة العربية فى مختلف جامعات ولاية آندرا براديش بكل جد ولباقة، فهو بلا شك أستاذ الجيل الناشئ الحديث وقد قابلته فى بيته فى حيدرآباد فوجدته شيخا وقورا وعالما كبيرا وأديبا بارعا ورجلا متواضعا. (١)

شعره:

من المثل العربى المعروف أن الولد يكون سرا لأبيه، فيصدق هذا المثل على الشيخ طاهر الرضوى فهو سر لابيه فى البراعة والنبوغ

(١) قد حصلنا على هذه المعلومات من الشيخ طاهر الرضوى نفسه فى حيدرآباد

والتضلع من اللغة العربية وآدابها نثرا وشعرا.

ونقدم هنا بعض النماذج من أشعاره:

حينما تشرف الشيخ طاهر الرضوى بزيارة الحرمين فى موسم الحج على حساب وزارة الحج والأوقاف السعودية ألقى كلمة شعرية فى تلك المناسبة السادة الكريمة سنة ١٤١١هـ

الحمد لله ذى العرش على النعم ... وجاعل البيت مأوى الناس بالكرم
الله كرّمك يا فهد منزلة ... أكرم بك منعما يا خادم الحرم
شاهدنا حسن نظام لانظير له ... فى البدو والحضر والقاع والأكم
يا عبد وهّاب لقد جئنا لدعوتك ... شكرا جزيلا نؤديه على الكرم
ثم الصلوٰة على من عمّ دعوته ... هادى الناس إلى التوحيد بالحكم (١)

وله قصيدة أخرى بدأها بقوله:

الحمد لله ربى المالك الأحد ... القاهر الفرد والبانى بلا عمد
ثم الصلوٰة على من تجرى دعوته ... من غير نسخ لها تبقى الى الأبد
وفضل الإنسان بين الخلق منزلة ... أكرم به رتبة من خالق صمد
إن اللغات لمن آياته وضحا ... واللسن أفضلها العربى بلا كمد
جزاكم الله خيرا جئتم فرحا ... وإنما العربى كالروح بالجسد (٢)

وللشاعر قصيدتان فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم القصيدة الأولى بقافية الهمزة والقصيدة الثانية بقافية الراء يقول الشاعر فى قصيدته الرائية مادحا الرسول صلى الله عليه وسلم:

الشمس والبدر والأفلاك والشجر ... طوعا له فرحا من مهده القمر
كان النبى يناغى القمر والقمر ... شوقا يناجيه لعبا عينه النظر

(١) مجلة الأضواء: ص: ٨٣ سنة ١٤١٣هـ
(٢) مجلة الأضواء السنوية: ص: ٣٩ سنة ١٤١٥هـ

الله بارك فيما كنا نقتبس ... وزادنا ولعا من نوره المطر
ليس له المثل فى الأكوان من أحد ... قد بان منه السماء والأرض والثمر
ألحمد لله أن قد كُنا أُمّته ... ومسنا الفضل حتى كنا نفتخر

وقد مدح الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم بالقصيدة الهمزية قائلا:

له شكرا على أن قد هدانا ... بنور قد جلا منه الفضاء
ألا وهو النبى الهاشمى ... ومنه الابتداء والانتهاء
فبين الله والخلق وسيط ... أضاء من محيّاه الضياء
وذاك رحمة للخلق جمعا ... فمنه قد تعاوره البقاء
وسمّاه سراجا للحياة ... به للناس كلهم اهتداء
فكل عاجز من وصفه إذ ... تقاصر عن محاسنه الثناء
لكل من نبى أو رسول ... مراتب دونه وله العلاء (١)

القصائد كلها تدل على حبّ الشاعر للرسول صلى الله عليه وسلم. أما القصائد فى ميزان النقد فلا نجد لها تلك الروعة والجزالة التى تضفى على القصائد الجمال والخلود فالقصائد لغتها ليست فى المستوى الذى نجده لبعض المادحين فى الهند.

(١) مجلة الأضواء السنوية . ص: ٦١، سنة ١٤١٢هـ

الشيخ محمد سعيد محمد يعقوب المجددى

١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م

نشأته وحياته:

ولد الشيخ محمد سعيد بن الشاه محمد يعقوب المجددى فى بوفال فى سنة ١٣٥٦ هـ المصادف ١٩٣٨م فى أسرة عريقة فى المجد والشرف والمشيخة فقد كان والده من كبار المشائخ فى الهند، قرأ الكتب البدائية فى بوفال وحفظ القرآن الكريم فى مسقط رأسه وقرأ الأردية والفارسية والعربية على كل من الشيخ عبدالرشيد مسكين والشيخ عبدالرحمن والشخ عبدالعزيز والشيخ عبدالخالق والعلامة السيد سليمان الندوى وحصل على شهادة الفضيلة فى الأدب العربى من جامعة لكناؤ بالدرجة الأولىٰ وكذلك حصل على شهادة الفضيلة فى التفسير من الجامعة المذكورة بالدرجة الأولى وحصل على شهادة المنشى فاضل من كلية بومبائى الشرقية وأديب كامل من جامعة أُردو على كراه.

وهو من أعضاء اللجنة الاستشارية لجامعة دارالعلوم ندوة العلماء ودار المصنّفين أعظم كراه ودارالعلوم تاج المساجد بُوفال ورئيس لجنة الوقف الأسبق للولاية المتوسطة وهو رئيس الدائرة المجددية فى بُوفال حاليا. (١)

شعره:

بين أيدينا قصيدتان للشيخ محمد سعيد المجددى. القصيدة الأولى التى سمّاها الشاعر: "قصيدة فى الرسالة المحمدية ومدح

(١) زميلى وصديقى العالم الفاضل محمد مشتاق الندوى البوفالى/ حفظه الله، أفادنى ببعض المعلومات عن الشيخ محمد سعيد المجددى البوفالى، فله جزيل الشكر.

الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة".

بدأ الشاعر هذه القصيدة بقوله:

يفوح الهواء بعطر فريد — بذكر الحبيب المطاع المجيد
نبى كريم رسول الورى — بعلم ونور وحكم أتى
هدى الناس حقا سواء السبيل — بوحى العلى الحكيم الجليل
بفضل من الله نال الكتاب — ففيه النجاة وفيه الصواب
تعالوا إلى المجد يا عاقلون — تأسوا بذى النور ياقائدون
هو النور أحمد علا قدره — وفى كل سفر أتى ذكره
بحسن وخلق بدا وصفه — بصدق وجود ذكا عرفه

بعد هذه الأبيات ذكر الشاعر مآثر الرسول ﷺ فى حقل الدعوة والإرشاد، فقد كانت الدنيا إبّان بعثته يسوده سوء النظام، فجاء الرسول بنظام كامل شامل يحتوى على كل ما يحتاج إليه البشرية من السعادة والرخاء والفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة.

لقد كان فى الأرض سوء النظام — وساد العقول سواد الظلام
فجاء بفوز رحيب الجهات — بفوز الحياة وفوز الممات
أضاء الطريق لكل البشر — طريقا سويا لنيل الظفر
طريقا قرينا بحسن النظام — وعهداً وثيقا لحسن الختام
يسيرا جديرا بكل الزمن — خليقا وأهلا لكل الوطن
فلا علم إلا بعلم الكتاب — ولا فوز إلا بفوز الحساب
فيا ربّ بلّغه منا السلام — وصلّ عليه دوام الدوام
أتاك سعيد غلام الغلام — بعذر ومدح رسول الأنام

والقصيدة الثانية المسمّاة بقصيدة شهودية فى مدح الرسول حبيب

ربّ العالمين سيدنا محمد ﷺ سيد الكونين والثقلين نقدم أبياتها أمام الدارسين والقراء:

ياطيب زهوريا عطر ورود ... طوبى لزهورك بشرى لورودك
فتحت زهورا فى غصن فؤادى ... عطّرت فضاءً من عرف وجودك
روّحت قلوبا من بعد كآبة ... نزهت طباعا من حسن شهودك
هذّبت نفوسا حسّنت خصالا ... نوّرت عقولا من نور ودودك
علّمت كتابا زيّنت فعالا ... أجملت نقوشا من حسن عهودك
أرسلت بشيرا أرسلت نذيرا ... فالرشد مبين من أجل وفودك
بناء أشرقت منارا ... فالدين عزيز من فضل جهودك
أصبحت شفيعا للخلق جميعا ... أرضيت إلٰها من طول سجودك
أبصرت جمالا شاهدت جلالا ... شافعت مليكا فى سير صعودك

يبدو من دراسة قصيدتى الشيخ محمد سعيد المجددى البوفالى بأنه ليس بشاعر مطبوع قدير، ولكن هذا لا يزرى بشأنه لأن قرض الأبيات باللغة العربية لغة الأم، ليس بأمر هين لكن الشاعر حاول ووفق الى حد كبير فى اختيار الألفاظ والأسلوب المناسب للمديح.

محمد خواجه شريف الحيدرآبادى

١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م

نشأ ته وحياته:

ولد محمد خواجه شريف سنة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م فى قرية صغيرة من مديرية محبوب نغر على بعد مائة كلو متر من مدينة حيدرآباد جنوبى الهند.

درس الكتب البدائية فى قريته الصغيرة ثم غادر قريته الصغيرة والتحق بالمدرسة التحتانية بكوشه محل بحيدرآباد ثم التحق بالجامعة النظامية وتخرج منها، ثم سافر إلى دهلى والتحق بالمدرسة الأمينية بكشميرى غيت دهلى وقرأ هناك الصحاح الستة على أساتذة تلك الدار واستفاد من أساتذة الأمينية البارعين وخاصة من الشيخ محمد ميان والمفتى عبدالرحمن والمفتى مشهود الحسن رحمهم الله تعالى.

بعد تخرجه من المدرسة أسس مدرسة دينية فى شاد نغر فى مديرية محبوب نغر ودرس هناك ثلاث سنوات ثم عُين أستاذا فى الجامعة النظامية ودرس كتب الفقه واللغة العربيه عدة سنوات ثم عين رئيس قسم الحديث فى الجامعة النظامية ولا يزال يتمتع بهذا المنصب العظيم ويدرس صحيح الإمام البخارى وصحيح الإمام مسلم بكل حيوية ونشاط ولا يزال طلبة العلم يستفيدون منه فى علوم الحديث والعلوم العربية ولقد لقيته فى حيدرآباد فى داره فوجدته رجلا نشيطا وعملا دؤبا وجهدا متواصلا وشيخا وقورا.

قد قام الخواجه شريف بتأسيس المدرسة فى حارة خلوت للطلبة المسلمين الصغار ومن ميزات هذه المدرسة أن لغة التدريس فيها اللغة

العربية وأظن أن فى أرجاء الهند كلها لا توجد أية مدرسة تكون اللغة العربية فيها لغة التدريس وقد زرت هذه المدرسة خلال زيارة الشيخ فى حيدرآباد.

الشيخ يرأس مجلة "الأضواء" التى تصدر باللغة العربية من حيدرآباد وقد أهدى إلى الشيخ عدة أعداد للمجلة العربية التى هى مرآة صادقة لذوقه الأدبى الرفيع وحبه للّغة العربية وشغفه بتعميمها بإصدار المجلة باللغة العربية فى البلاد التى لا ينطق سكانها اللغة العربية ولا هى لغتهم الأم ولا لغة البلاد أو الولاية الرسمية.

والشيخ لا يزال حيا يرزق ونرجو الله أن يوفقه لما فيه خير الإسلام والمسلمين، والشيخ يؤلف الآن شرحا مختصرا موجزا لصحيح الإمام البخارى باللغة العربية. (١)

شعره:

يمدح الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إحدى قصائده البائية بقوله:

بنور رسول الله أشرقت الدنا ... ففى نوره كل يجئ ويذهب
براه جلال الحق للخلق رحمة ... فكل الورى فى نوره يتقلب
بمبعثه كل النبيين بشّرت ... ولا مرسل إلّا له كان يخطب
بتوراة موسى نعته وصفاته ... وإنجيل عيسى بالمدائح يطنب
بشير نذير مشفق متعطف ... رؤوف رحيم محسن لا يثرب
بأعلى السما أمسى يكلم ربّه ... وجبريل ناء والحبيب مقرب
برياه طابت طيبة ونسيمها ... فما المسك ما الكافور رياه أطيب
بأوصافه الحسنى تطيب قلوبنا ... وتهتز شوقا والركائب تطرب

(١) أخذت هذه المعلومات كلها عند لقائى مع الشيخ محمد خواجه شريف فى حيدرآباد

بمدحك أرجو الله يغفر زلّتى ... ولو كنت عبداً طول عمرى أذنب

ويقول الشاعر فى قصيدته الدالية مادحا الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولد الحبيب منزها وممجّدا ... سمّاه رب العالمين محمّدا
متطهرا من كل عيب سالما ... فى الخلق والخلق العظيم مفرّدا
يا مصطفى يامجتبى خير الورى ... شمس الضحى بدرالدجى نور الهدى
أنت المنى يا سيدى مامولنا ... أنت المشفع ههنا والموعدا

وللشاعر قصيدة ميمية فى مدح الرسول الأعظم يقول فيها:

يا سيد الكون والعربان والعجم ... يا من به شرف للّوح والقلم
يا صفوة الله خير الخلق مرحمة ... يا من به الطيب فى الأجواء والأطم
أنت الأنيس لنا نفيدك مهجتنا ... فى ذى الحياة وبعد الموت والألم
بالمؤمنين رؤوف راحم كرم ... أنت المشفع فينا شافع الأمم
صلى الإله عليك دائما أبدا ... مادام فى الغصن يشدو الطير بالنغم

أبيات القصائد الثلاث كلها تنم عن الحب الكامن فى قلب الشاعر للرسول صلى الله عليه وسلم وقد عبر الشاعر عن عواطفه النبيلة والأحاسيس الصادقة بالألفاظ العربية الفصيحة والأساليب الجيدة.

الدكتور محمد صدر الحسن الندوى المدنى

١٣٧٦هـ-١٩٥٧م

نشأته ودراسته:

ولد مؤلف هذا الكتاب محمد صدر الحسن بن محمد سليمان بن مبارك حسين بن ولايت حسين بن روشن بقرية فاطمة جك بمديرية مظفرفور بولاية بيهار (الهند) فى عام ١٣٧٦هـ المصادف ١٩٥٧م فى أسرة عريقة فى العلم والدين. ونشأبها نشأة إسلامية، وقرأ الكتب البدائية على أساتذة قريته، ثم التحق بالمدرسة العربية الإسلامية التى وضع حجرها الأساسى شيخ الإسلام حسين أحمد المدنى رحمه الله تعالىٰ بقرية دومرى بمديرية مظفرفور وقرأ الكتب الدراسية على أيدى الأساتذة المهرة وحصل على شهادة الفوقانية والمولوى من هيئة الإمتحانات للمدارس الإسلامية بـ"بتنه" عاصمه ولاية بيهار، ثم التحق بكلية التربية وتخرج فيها، فكانت له فرصة طيبة للقيام بوظيفة التدريس فى المدارس الحكومية، ولكنه آثر على ذلك الحصول على الدراسات العليا، وتحقيقاً لهٰذا الغرض النبيل سافر إلى مدينة لكناؤ والتحق بدارالعلوم ندوة العلماء سنة ١٩٧٤م ودرس على عباقرة العلماء من سماحة العلامة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى رحمه الله رحمة واسعة وسماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى وفضيلة الشيخ سعيد الأعظمى الندوى وفضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الندوى وأمثالهم من أفذاذ العلماء المحنّكين. وواصل دراسته بدارالعلوم ندوة العلماء حتى حصل على شهادة العالية فى الشريعة عام ١٩٧٨م كما حصل على شهادة الفضيلة فى الشريعة عام ١٩٨٠م

ولتلقى مزيد من العلوم والمعارف قام برحلة إلى المملكة العربية السعودية والتحق بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٨١م وقد تم انتخابه من بين جميع الطلاب بالجامعة لمنح شهادة الطالب المثالى على مستوى الجامعة عام ١٩٨٢م. ونال شهادة "البكالوريوس" فى الشريعة عام ١٩٨٤م. وبعد رجوعه إلى بلاد الهند التحق بجامعة على جراه الإسلامية وحصل على شهادة "الماجستير" فى اللغة العربية عام ١٩٩٥م كما حصل من نفس الجامعة على شهادة "الدكتوراة" فى اللغة العربية عام ١٩٩٨م.

مساهماته:

بدأ المؤلف نشاطاته العلمية والدعوية والتعليمية والتربوية بإيعاز من سماحة العلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى رحمه الله رحمة واسعةبمدينة أورنك آباد بولاية مهاراشترا. فقام بواجب الدعوة والإرشاد، والتعليم والتربية، والتأليف والترجمة، وإلقاء الكلمات الدينية فى المساجد. وللمؤلف مساهمة فعالة فى مجال كتابة المقالات الدينية والبحوث العلمية باللغة العربية والأردية حتى بلغ عدد مقالاته فى اللغتين إلى حوالى ثلاثمائة مقالة طبعت كلها فى المجلات العلمية والصحف الشهيرة فى الهند وخارجها مثل مجلة "البعث الإسلامى" وصحيفة "الرائد" ومجلة "جامعة على كراه الإسلامية" و"تعميرِ حيات" وما إلى ذلك من المجلات والجرائد المعروفة وقد نال المؤلف وثيقة "العالم المثالى" على مستوى ولاية مهاراشترا على رأس حشد كبير بقاعة "نهروبهون" بأورنك آباد بيد فضيلة الشيخ محمد ولى الرحمانى فى عام ٢٠٠٠م من قبل أمير مركز العلوم الشرعية فضيلة الشيخ محفوظ الرحمن الفاروقى، وانتخبته عالما مثاليا لجنة مكونة من

كبار العلماء لإنتخاب العالم المثالى . كما انتخبه صاحب مؤسسة "ايشين تورز" السيد نصير أحمد" لأداء العمرة على حسابه الخاص حسب إعلانه سابقا لحامل هذه الوثيقة ومن حسن حظّ المؤلف أنه أدّى مناسك الحج فى عام ٢٠٠٢م على دعوة خاصة من قبل خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبدالعزيز رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وأغدق عليه شآبيب رحماته فحجّ على نفقة خاصة لخادم الحرمين الشريفين وزار كبار العلماء خلال هذه الرحلة واستفادة منهم استفادة تامة .

مؤلفاته:

وللمؤلف إسهام كبير فى مجال التأليف فى اللغة العربية والأردية ، حتى بلغ عدد مؤلفاته إلى ثلاث وثلاثين مؤلفا، ومنها : الإسلام والمسلمون فى الهند، والمستشرقون والإسلام، الفرائد فى علم الفرائض ، والمستشرقون والفقه الإسلامى، والإمبريالية الغربية تهدّد المسلمين، وأبوهريرة الصحابى المظلوم والمفترئ عليه ، والمستشرقون وتعدد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنافذ الحضارة الإسلامية إلى أوروبا قبل عصر النهضة . وقد قام المؤلف بنقل كتاب الكاتبة الإسلامية المهتدية مريم جميلة من اللغة الإنجليزية إلى العربية وكذلك نقل المؤلف كتاب الكاتب الإسلامى فضيلة الشيخ جناح مبارك بن عقيل بن ماضى حفظه الله من العربية إلى الأردية .

مجلته الشهرية:

ويصدر المؤلف منذ عدّة سنوات مجلة دعوية شهرية باللغة الأردية باسم "**الكوثر**" تحتوى على مقالات قيّمة وبحوث علمية ، ومعلومات غزيرة وقد نالت هذه المجلة شهرة واسعة فى الأوساط

العلمية ، يستفيد منها الأساتذة والطلاب وعامة المسلمين على السواء.

مشاركاته:

وبما أن المؤلف عضو لعدة منظّمات إسلامية وحركات دينية يشارك المؤتمرات والندوات التى تعقدها. فحضر ندوات علمية لمجمع الفقه الإسلامى، عقدها المجمع فى مختلف أنحاء الهند ، ويشارك ندوات لرابطة الأدب الإسلامى عقدتها الرابطة فى شتّى بقاع البلاد الهندية وقدّم مقالات علمية قيمة بهذه الندوات طبعت كلها فى المجلات والصحف وشارك ندوات لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند. وقد أذيعت كلماته الدينية العديدة ومناقشاته العلمية من محطة الإذاعة لمدينة أورنگ اباد . وله مساهمة فى البرنامج الدينى لمحطة التلفزيون المحلّية أيضاً ولايزال المؤلف يشارك مؤتمرات وندوات تعقدها الجامعة الإسلامية والعصرية فى المنطقة فبمثل هذه المناسبات يستفيد الأساتذة والطلاب من معلوماته العلمية وتجاربه المكتسبة .

شعره:

والجدير بالذكر هنا أن المؤلف يقرض الأبيات باللغة العربية والأردية والفارسية . وقد بدأ قرض الأبيات باللغة العربية منذ دراسته بدارالعلوم ندوة العلماء بلكناؤ . فلما أقيمت حفلة توديع للعلامة الشيخ عبدالفتّاح أبى غدّه بعد أن أقام فيها أسابيع. قدّم المؤلف بهذه المناسبة فى ٨/ رجب ١٣٩٩هـ ـ ٤ يونيو ١٩٧٩م باقة القصيدة إلى الضيف المبجل ، وكان آنذاك طالباً بدارالعلوم ندوة العلماء حيث قال:

هذه بعض الأبيات أقدمها تقديرًا وشكراً إلى أستاذنا وشيخنا العلامّة المحقق المحدث الجليل الشيخ عبدالفتاح أبى غده حفظه الله ،

وهى تنم عن قلب يكاد ينشق من ألم يشعر بفراق الأب الحنون والأستاذ الشفوق الذى ساقه الله إلينا كنعمة من نعمه الغير المترقبة وهى أسعد أيام حياتى التى عشتها فى محيط ندوة العلماء ، ولله المن والفضل الذى أكرمنا بهذه النعمة ووفقنا للإستفادة منه.

لعمرى ليس فى خلدى جفاء ... ولم ياتوا بكره ما استطاعوا
وضيّقتم خناقى بالرحيل ... إلى حين يروّحنا البقاء
فقالوا انظم قصيدا فى مديح ... يخفّف ما اعتراك الالتياع
إلام البعد والإعراض عنّى ... وقلبى هائم يعييه داء
تقنّصت الفؤاد فلا تدعه ... فريدا لا يسكنه الرجاء
لأن القلب منى يوم ترحل ... كريشات يطيربها الهواء
فياصدرى بآلامى تشقّق ... فلا تنبو بك أرض والسماء
ألّمت فرقتك بى لو المّت ... بصمّاء لمزقها البكاء
ويفنى كل حبّ فيه وقش ... ويبقى ما يصادفه الصفاء
سموت إلى المكارم والسجايا ... شمخت وقد تلاك الأصفياء
بلغت مكانة مالم يصلها ... سوى اصحاب الحديث الأتقياء
إذا ما حلّ خطب فى حديث ... فأنت الحلّ فيه والشفاء
ومن فى الناس أفصح منك نطقاً ... وأبلغ منك معنى يستضاء
رأيت الخلق فى الناس زمانا ... ولمّا عدت أفحمنى الحياء
وقلبا من حديد أونحاس ... وعينا ناضبة فيها الدماء
ولكن عينك المهطلة دمعا ... لها شأن يخامرها الولاء
وقد سقت الروائع من نصائح ... وآداب تلتها ماتفاء
وكم للهند من ميزات حتى ... رواها الأتقياء الأصفياء
ولكن يا لحظّ أحرزته ... هى الأرض التى ساق القضاء
إليها عالما برّاً وقورا ... من أهل الشام طاب له العلاء
فيا ضيفا كريماأحط خطوًا ... إلى يثرب وطال لك البقاء

وحىّ المصطفى خير الأنام ... وفى ذلك الحمى بلّغ سلامى
وقل يا أهل ودى فى هواكم ... مضى شهرى وايّامى وعامى
وجفنى ساهر مادمت حيا ... وقلبى هائم والدمع هام

وأيام دراسة المؤلف بدارالعلوم ندوة العلماء بلكناؤ انتقل فضيلة الشيخ محمد الحسنى رحمه الله رئيس التحرير لمجلة "البعث الإسلامى" إلى رحمة الله يوم ١٣/ يونيو ١٩٧٩م وكانت فاجعة كبيرة لدار العلوم ندوة العلماء . فقرض المؤلف مجموعة من الأبيات باللغة العربية فى الرثاء يوم ١٥/ يونيو ١٩٧٩م ١٩/ رجب ١٣٩٩هـ حيث قال:

صبور فى النوائب والخطوب ... وأسمح من غيوم مدجنات
وما انفك الفؤاد وهو يخفق ... ألا أنحب بكاء النائحات
حرمنا فكرك الحياش، طرّا ... وفوجئنا بأفدح نائبات
رحلت وما رحيلك عن تراض ... فبتنا فى العيون الهاطلات
أصبنا بالكوارث والرّزايا ... فصرنا كالورود الذابلات
ولو كنا أمرنا بالنياح ... لعشنا فى الدموع الساخنات
إذا كلفت نفسك للقضايا ... أجدت وقد سبقت السابقات
وزينت الصحائف باللآلى ... تلالأ كالبنود الخافقات
وأحرزت السوابغ فى الكتابة ... وودّعت اللغات الدارجات
وزركشت الوقائع بالمعالم ... وجاهدت فى فك المعضلات
ولم أرمثل قلمك عوض قلما ... جريئاً كالصقور الشادرات
ولم أر مثل همك قط همّا ... مثيراً للحقوق الواجبات
ولم أر مثل حبك قط حبّا ... تمكن من قلوب الصالحات
ولم أر قبل حتفك قط ناساً ... تقرّحوا كالنساء الثاكلات
حمام لايد انيه حمام ... وعيش كالوفود الطارقات
تهلل وجهك حين جُدت بـ ... ـنفسك كا لشموش البازغات

وطبــقّــت بــأرفـــاد ســراع ... غــواد مــن إلــه الـكـائـنـات
وكنت لـ "ندوة" فـخـراً وسدًا ... مـنـيـعـا لـلسيـول الـجـارفـات
فـمـن "لـلبـعث" من نجل كريم ... يـزوّدهـا بـعيـن مـاضيـات
وكـنـت لـ "رائد" ضوءًا فبعدك ... تـحـجـر كـالأراضـى القاحلات
ولـوشئنـا لـجئنـا فـى قصيد ... بـأبيـات حسـان رائـعـات
ولـكـنّـى أقـصـر عـن رثـاءٍ ... لأنّـى فـى هـمـوم مـذهـلات
عـليك تـحية الـرحـمـن تترىٰ ... بـرحـمـات غـوادٍ رائـحـات

وللمؤلف قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم:

مـاذا علـىّ بعيـن خـالط الأرقا ... أم اشترى خطرًا أو أودع العشقا
فـاق النبيين فى الأخلاق قاطبة ... مـن جـاء ه مـنـكـرًا قد زانه شرقا
نـال الـكـرامة فـالـخـلق يكرمـه ... بـحـر الـفضائل لا نقصاً ولا رنقا
أسـرى بـه ربّـه فـى دار مكرمة ... ولا يـفـوه بشـرّ سـاهيـا نطقـا
وكـان يـخفض للإنسان رحمته ... يـأوى إليـه مـن الـحيـوان ما أبقا
إنـى امـرؤ لا أرى إلا مـؤدتـه ... وقد نجحت فلا أخشى بها غرقا
أرجو من الله يوم الحشر صحبته ... وأعـوذ بـالـلـه من أنذال ما خلقا
لا يـرتـدى خلدى إلا لباس تقىً ... ولا أراه لـبـاسـاً راتـقـاً فتـقـا
قـد أنـزل الـلـه لـطفا فى رسالته ... فـلا أخـاف بـه بـخسـاً ولا رهقا
أصـلـى عـليـه صـلاة لاختام لها ... وأسـدى إليـه سـلامـاً عاطرًا عبقا

الشيخ محمد مجيب خان الحيدرآبادى

١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

نشأته وحياته:

ولد الشخ محمد مجيب خان الحيدرآبادى ابن الشيخ محمد بشير خـان فـى كورم بيت فى سنة ١٩٧٠م - ١٣٩٠هـ، وقـرأ الكتب البدائية فـى كـورم بيـت ثـم حـفـظ الـقـرآن الكريم ثم التحق بالجامعة النظامية وتـخرّج منها فى سنة ١٩٩٦م. قرأ على أساتذة الجامعة النظامية المهرة مـن الشيـخ خـواجـه الشريف والشيخ طـاهـر الرضوى والشيخ عبدالله الـقـرشى الأزهرى والشيخ ولى الله والشيخ ابراهيم خليل والشيخ خليل أحـمـد. إن الشيخ محـمـد مجيب خان يدرس - حاليا - فى دارالعلوم طيبة فى حيدرآباد (١)

شعره: حـصـلـنـا عـلـى قـصيـدتيـن لـلشيخ محمد مجيب خـان الـحيـدرآبـادى وهـو شـاعر شاب نرجو له النبوغ فى المتستقبل فى هذا الميدان أما القصيدة الأولى فهى دالية نقدّم منها الأبيات المختارة:

الـمـصـطـفـى خير البرية أمـجـد ... فـى الـكـون ذكـر عـلـوه قـد يخلد
أهـلا بـمـولـده السعيـد ومـرحـبـا ... أجـمـل بـوقـت جـاء فيـه الأسعد
لـم يـأت مثلـه فى الورى ولقد أتى ... بـمـحـاسـن فـى نيلهـا هو أوحد
مـن لـيـس يبـلـغ حدّه مـلك ولا ... جِـنّ ولا انـس تـقـى أزهـد
سبـقـت اليـه أجـبـل بتـحـية ... فى طوعـه الأشجار سارت تسجد
لا تـرفـعـوا أصـواتـكم قد أنـزلـت ... فـى رتبة الـحـب الـذى يتـمـجـد

(١) أفـادنـى بهـذه المـعلـومات عن الشيخ محمد مجيب الأخ المهندس سراج الدين الحيدرآبادى، حفظه الله فله جزيل شكرى وفائق تقديرى.

وله قصيدة لامية نقدم منها الأبيات الآتية.

يا مُصطفى أنت الحبيب المرسل	فى كل خلق الله أنت الأفضل
بمجيئك ازدهرت دهور جمه	بقدومك انبعث الضياء الأشمل
ولقد منحت خزائنا ومفاتحا	من شئت من نعم الاله لتبذل
أنت الشفيع وأولى لتشفع	ومن الأنام بك الشفاعة تقبل
إن الخلائق كلها فى طوعه	الشمس قد رجعت إليه تتذلل
بشرى لكم يا إخوتى إذ أنهم	من خير أمته التى هى تمثل
نلت المكارم والمحاسن كلها	من كل عيب مبرأ يا أجمل
سميت باسم محمد وبأحمد	فى الأرض والأفلاك أنت تبجل
يا خاتم الرسل الكرام حبيبنا	فبغير حبك مومن لا يكمل
معه اللواء والمرسلون جميعهم	يوم القيامة تحته هو حامل

القصيدتان سهلتان عذبتان رائعتان تبشران بالمستقبل الزاهر للشاعر الشاب الفتىّ. والقصيدتان تنمان عن العظمة التى يجدها الشاعر فى قلبه لخاتم الأنبياء والمرسلين وقد حاول الشاعر كل المحاولة فى المديح النبوى ونجح إلى حد لا بأس به.

السيّد ضياء الدين الحيدرآبادى

١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

نشأته وحياته:

ولد الشيخ السيد ضياء الدين ابن السيد عبدالنبى فى ١٦/من شهر ذى القعدة سنة ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢م فى قرية هنكير فى مديرية نظام آباد فى ولاية آندرابراديش فى الهند، درس الكتب البدائية فى قريته إلى الصف الخامس ثمّ التحق بالجامعة النظامية بحيدرآباد فى سنه ١٩٨٦م ثم انقطع عن الدراسة لحفظ القرآن الكريم فحفظ القرآن الكريم فى أقل من سنتين ثم التحق بالجامعة النظامية مرة ثانية وحصل على شهادة "الفاضل" فى سنه ١٩٩٦م وشهادة "الكامل" فى سنة ١٩٩٨م. قرأ الشيخ ضياء الدين على أساتذة الجامعة النظامية البارعين من العلامة طاهر الرضوى والشيخ خواجه شريف والشيخ عبدالله القرشى الأزهرى والشيخ المفتى ولى الله، ومن حسن حظ الأستاذ ضياء الدين بأنه يدرس فى نفس الجامعة الشهيرة التى تخرج منها منذ سنة وله علاقة وطيدة ودية مع أساتذة الجامعة النظامية وشيوخها والقائمين عليها. (١)

شعره: هو شاعر شاب قرض الأبيات فى المديح النبوى وحاول دفع ضريبة الحب إلى حبيبه - وحبيب المسلمين جميعا - وقد نجح إلى حد كبير نرجوله الازدها والتقدم فى المستقبل وقصيدته تنم عن الحب العميق للرسول صلى الله عليه وسلم وأسلوب القصيدة سهل عذب، بعيد عن الكلفة والصنعة.

(١) أفادنى بهذه المعلومات الأخ المهندس محمد سراج الدين الحيدرآبادى / حفظه الله

نقدم من قصيدته العينية الأبيات الآتية.

الحمد لله الّذى هو يبدع ... ثم الصلاة على حبيب تتبع

يا من به أنوار علم تسطع ... يا من به تجرى العيون وتنبع

فى الحشر يأتيك الورى مستسقيا ... أنت الذى يسقى بكأس تشبع

يا سيدى جمت ذنوبى كثرة ... أرجو شفاعتك التى هى أوسع

يا ربّ فاحشر جمعنا فى ظلّه ... فى يوم لا مال وابن ينفع

يا ربّ صلّ على النبىّ وآله ... والصحب سلّم دائما لا يقطع

وله قصيدة أخرى. منها الأبيات الآتية:

نحمد الله المعينا ... حيث أن أسدى إلينا

بالنبىّ الهاشمى ... نعمة للمومنينا

رحمة للعالمينا ... جاء نا نورا مبينا

قد عفت ظلماء كفر ... من سراج المرسلينا

يا رسول الله لولا ... أنت فضل ما اهتدينا

يوم قام الحشر فاشفع ... يا شفيع المذنبينا

روحنا نفديك حبّا ... يا حبيب العاشقينا

وله قصيدة أخرى نقدم منها الأبيات الآتية:

الحمد لله ذى الأفعال والكرم ... حمداً وشكرا فى أعظم النعم

يا رب صلّ وسلم منك كاملة ... على نبيّك محبوبا من القدم

فى شأنه ورفعنا فى الكتاب أتى ... أثنى عليه بديع الخلق كلهم

وذكره فى الصلاة والأذان علا ... به الضياء فى السما والجوّ والأكم

وله قصيدة أخرى ننقل منها الأبيات الآتية:

ولد الحبيب منزها وممجدا ... سماه رب العالمين محمدا

متطهراً من كل عيب سالما ... فى الخلق والخلق العظيم مفردا

يا مصطفى يا مجتبى خير الورى ... شمس الضحى بدرالدجى نور الهدى

أنت المنى يا سيدى مامولنا ... أنت المشفّع ههنا والموعدا

وله قصيدة أخرى فى المديح النبوى نقدم منها الأبيات الآتية:

خيرالورى سيد الأكوان والرسل ... أرسله الله يهدى أقوم السبل

الله شرّفه والدين أكمله ... ملّته أصبحت من أفضل الملل

ندعوالله سبحانه وتعالى أن يوفق هذا الشاعر الشاب المسلم للمديح النبوى ويطيل حياته ويوفقه لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

خاتمة

وفى نهاية المطاف يمكن الإستنتاج مما سبق من الاستعراض الشامل للمدائح النبوية فى الهند باللغة العربية لأبناء الهند الأدباء أن الآثار الأدبية المتمثلة فى المدائح النبوية المشتملة على القصائد والتخميس والسلام الموجودة فى بطون الكتب والتى عثرنا على بعضها وقمت بجمعها فى الجزء الثانى من هذا الكتاب لا تقل عن مساهمتهم فى مجالات العلوم والفنون الأخرى كمّا وكيفا. وأن هذه الآثار الأدبية ليست إلا التعبير القوى الصادق العميق عما كانت تجيش فى نفس الأديب والشاعر من مشاعر الحب والإجلال تجاه الرسول الكريم محمد بن عبدالله الأمين صلى الله عليه وسلم. وقد تجلّت فى هذه القصائد عبقرية الشاعر ودقة حسه ورقة شعوره وصفاء طبعه وذكاء قلبه وحدّة خاطره والألفاظ والتعبيرات التى استخدموها تلائم المدائح النبوية ففيها الرقة والعذوبة والوضوح حينا والإجمال والبساطة والإسهاب حينا آخر. وقد سلك الشعراء مسالك فى التعبيرات عن الحب الكامن فى أعماق قلوبهم فجاء ت هذه القصائد مطرزة مدبجة مسلسله مزدانة ببدائع التعبير و مترفّعة عن مستهجنه.

ولما كان المديح من الشاعر بمثابة ضريبة الحب التى يدفعها إلى سيد البشر وإلى سيد ولد آدم وإلى نبيه وحبيبه حاول كل منهم أن يتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان ويصرف مؤهلاته العلمية والأدبية كلها فى تحبير المديح وتطريزه فحالفهم التوفيق تارة وجانبهم السداد تارة أخرى إن المدائح النبوية لها علاقة مباشرة بالدين والحدود الّتى حدّدها الشرع فى الوصف والمدح وبيان الشمائل. فقد رأينا خلال دراسة

القصائد أن بعض المادحين تخطوا حمى الشريعة الإسلامية وجعلوا ديدنهم الاستعانة والاستعاذة بذات الرسول صلى الله عليه وسلم وخلعوا بعض صفات الله على الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا لا يجوز أبداً مهما كانت الأحوال والظروف فالرسول صلى الله عليه وسلم كان بشرا نبيا وكان سيد الإنس والجن لكنه ولم يكن يسمو إلى درجة الإله، فالذين استغاثوا به كأنهم الّهوه عمداً أو بغيرعمد، والشرك قد حذّر الله منه فى كتابه والرسول صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور.

إن الاحتذاء مفطور عليه الإنسان، فلولا الإحتذاء لما وجدت الآداب على اختلاف أنواعها وصنوفها. فالأديب والشاعر يترسمان خطى من سبقه من الأدباء والشعراء ويحذوان حذوهما. وقد رأينا أثر هذا الاحتذاء فى المدائح النبوية فإن العدد الغير القليل من الشعراء بدأوا قصائدهم بالغزل والتشبيب سالكين مسلك الشعراء الجاهليين.

لم يكن هدفهم من القصائد الأغراض المادية والمنافع الشخصية بل كان مبعثه الوحيد الاستجابة لأحاسيس النفوس من تجاه حبّ النبى صلى الله عليه وسلم وإذاعة مكارمه ونشر محامده وذكر أفضاله وبيان خلاله الكريمة وخصاله العظيمة انطلاقا من مبدأ الشعور بمننه على الانسانية وانقياد العاطفة يشتمل بها خاطره. فلم يكن القصائد إلا رمزا عن المكافأة عن اليد الّتى لا يستطاع أداء حقها إلا بالشكر بالقول.

الشعراء الّذين تغنّوا بالمديح النبوى المكثرون منهم قليلون والمقلون منهم كثيرون. فالمكثرون منهم يعدون على الأصابع أمثال حسان الهند غلام على آزاد البلكرامى وباقر بن مرتضى آكاه الويلورى المدراسى وفضل حق الخير آبادى وفيض الحسن السهارنفورى

وغيرهم من أصحاب المدائح أما المقلّون فقصائدهم تتراوح بين قصيدة وقصيدتين الا العدد الضئيل من المقلين فقصائدهم تقل من المكثرين وتربو على قصائد المقلّين.

أما لغة القصائد وأساليبها فهى ليست فى درجة واحدة من حيث دقة التعبير وجودة الصوغ وسمو الأسلوب وقوة السبك بل نجد بينها فروقا شاسعة من ناحية قوة البيان وتلاحم النسيج فبعض القصائد نلمسها من أجود القصائد وأدقها معنى وأصدقها تصويرا لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وأبرعها أسلوبا وأسمحها لفظا وأعمقها خيالا وأروعها تعبيراً بالنسبة إلى القصائد الأخرى التى لا تحمل فى طياتها تلك الروعة والجزالة والجلالة التى تضفى على الآثار الأدبية لونا من الخلود والقداسة والتى تصغى إليها الأفئدة وتميل إليها النفوس وتستلذ بها الآذان حين سماعها ولكن مع هذه العلات كلها تستحق القصائد كلها المكانة اللائقة بها لأنها تنم عن الحب والإخلاص من الشاعر المؤمن الذى فضل اللغة العربية على لغته الأم للتعبير عن الأحاسيس التى يجدها فى قلبه مع أنه لايتقن تلك اللغة ولا يجيدها. ومما يجدر بالذكر أن هؤلاء العلماء الذين قرضوا هذه القصائد لم يكن الشعر لدى جلّهم موضع العناية الخاصّة بل كانوا يقرضون القصائد أحيانا اذا اقتضت الظروف.

القصائد مهما كانت مستوى لغتها وأساليبها كانت جديرة بالدراسة لأنها تحمل طابعا دينيا وطابعا أدبيا فى وقت واحد فكانت خير مأدبة للمشتغلين بالدراسة، ولا أدرى لماذا لم ينل هذا الموضوع المهم الممتع اهتمام الباحثين والعاملين فى حقل الآداب العربية فى الهند ولعل السبب الوحيد الذى يرجع إليه هذا التقصير هو ظن الدارسين بعدم

وجود القصائد بكمية تكون موضع العناية والدراسة.

وجود أمثال هذه القصائد تدل على اقتدار علماء الهند وأبنائها على قرض الشعر وامتلاكهم ناصية البحور والأساليف العربية وصلاتهم القوية الوطيدة باللغة العربية واتخاذها وسيلة للتعبير عن الانطباعات نثرا ونظما.

☆☆☆

قائمة المراجع والمصادر

كتب المصادر والمراجع باللغة العربية

(١) القرآن الكريم
(٢) رجال السند والهند إلى القرآن السابع: للقاضى أبو المعالى أطهر المبارك فورى ، المطبعة الحجازية ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م
(٣) كتاب الحيوان: الجزء السابع، لأبى عثمان عمرو بن الجاحظ ، طبع مصر، ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م
(٤) أبجد العلوم: النواب صديق حسن خان
(٥) سبحة المرجان فى آثار هندوستان: غلام على آزاد البلجرامى' مطبوعه بومبائى ١٣٠٣هـ
(٦) نزهة الخواطر: الجزء الخامس' مولانا عبدالحى الحسنى' مطبوعه دائرة المعارف حيدرآباد ـ ١٣٩٠هـ
(٧) نفخة العنبر:مولانا يوسف بنورى' مطبوعه جيد پريس دهلى. ١٣٥٥ه
(٨) الفوائد البهية: مولانا عبد الحى فرنگى محلى' مطبع مصطفائى ، ١٣٩٣هـ
(٩) اليانع الجنى فى أسانيد الشيخ عبدالغنى، محمد محسن الترهتى، جيدبرقى پريس ١٣٤٩هـ
(١٠) مرعاة المفاتيح : مولانا عبيدالله رحمانى، نامى پريس لكهنو
(١١) تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند: مولانا مسعود عالم ندوى، دارالعروبة
(١٢) دراسة فى السيرة : دكتور عماد الدين' دارالنفائس بيروت الطبعة السادسة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٥م
(١٣) الإسلام والمستشرقون، تأليف نخبة من العلماء ، عالم المعرفة جده ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م
(١٤) الطريق إلى المدينة المنورة ، الشيخ أبو الحسن على الندوى ـ المجمع الإسلامى العلمى لكناؤ ، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، لكهنو پبلشنك هاؤس
(١٥) أدب الدعوة الإسلامية : الدكتور مصطفى محمد يونس، مطبعة قاصد خير ٢٥ كامل صدقى مصر

(١٦) الأدب الإسلامى فكرته ومنهاجه : مقال الدكتور عبدالله الحامد الأمانة الدائمة لندوة الأدب الإسلامى العالية ، ص ـ ب ٩٣ لكناؤ الهند
(١٧) الحياة الأدبية فى عصرى الجاهلية والإسلام : الدكتور عبدالمنعم خفاجى المطبعة المصرية، مصر،
(١٨) أسد الغابة : لإبن أثير ، مطبعة البابى والحلبى، مصر
(١٩) الأغانى : أبوالفرج الأصبهانى مطبعة البابى والحلبى ، مصر
(٢٠) مسند الإمام أحمد: الإمام أحمد بن حنبل ، المطبعة المصرية، مصر
(٢١) مقدمة ابن خلدون: عبدالرحمن بن خلدون ، المطبعة البهية، مصر
(٢٢) سيرة ابن هشام : الجزء الأول، مطبعة مصطفى، البابى الحلبى ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م
(٢٣) سيرة ابن هشام :الجزء الثانى، البابى الحلبى ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م
(٢٤) البداية والنهاية : الجزء الثانى، لإبن كثير ، مؤسسة الرسالة ، بيروت
(٢٥) طبقات ابن سعد المجلد الثانى : مؤسسة الرسالة . بيروت
(٢٦) تاريخ خليفة المجلد الثانى : مؤسسة الرسالة . بيروت
(٢٧) العقد الثمين فى فتوح الهند: للقاضى أطهر المبارك فورى . المطبعة الحجازية. بومبائى
(٢٨) العرب والهند فى عهد الرسالة: للقاضى أطهر المبارك فورى . المطبعة الحجازية. بومبائى
(٢٩) ضحى الإسلام : المجلد الأول ، الدكتور أحمد امين، مكتبة شباب، الأزهر
(٣٠) أضواء على تاريخ الحركة العلمية ـ والمعاهد الإسلامية والعربية. فى غجرات : الشيخ عبدالله السورتى ، مطبعة ندوة العلماء لكناؤ. ١٩٨٤ـ١٤٠٤هـ
(٣١) الثقافة الإسلامية فى الهند: السيد عبدالحى الحسنى، دمشق ١٩٦٥م
(٣٢) الصحاح: الجزء الأول ، لإسماعيل بن حماد الجوهرى، تحقيق عبدالغفور عطار.
(٣٣) القاموس المحيط: الجزء الأول ، مجد الدين الفيروز آبادى ، الطبعة الثانية مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ مصر
(٣٤) المدائح النبوية : زكى مبارك مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده. مصر، ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م
(٣٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : شيخ الإسلام ابن تيمية الحرانى الدمشقى مؤسسة الرسالة ـ بيروت

(٣٦) كتاب الشمائل : للإمام الترمذى ، كتب خانه رشيديه ـ دهلى

(٣٧) زاد المعاد: للإمام ابن قيم الجوزية ، مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت

(٣٨) الجامع الترمذى: للإمام محمد بن سورة الترمذى ، اشرف بكڈپو ـ محله ابوالبركات، ديوبند

(٣٩) الأركان الأربعة : السيد أبو الحسن على الندوى، دارالقلم ، بيروت

(٤٠) النبوة والأنبياء : السيد أبو الحسن على الندوى، دارالقلم ، بيروت

(٤١) صحيح مسلم: الجزء الأول، كتب خانه رشيديه ، دهلى

(٤٢) مشكوٰة المصابيح :، كتب خانه رشيديه ، دهلى

(٤٣) صحيح البخارى: للإمام محمد بن إسماعيل البخارى، كتب خانه رشيديه ، دهلى

(٤٤) الأدب المفرد: للإمام محمد بن إسماعيل البخارى، كتب خانه رشيديه ، دهلى

(٤٥) تفسير القرطبى: دارالنفائس بيروت ؛ لبنان

(٤٦) الطريق إلى المدينة : السيد أبو الحسن على الندوى،المجمع الإسلامى العلمى لكهنو پبلشنگ هاؤس ، الطبعة الخامسة ،١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

(٤٧) تاريخ العرب فى الإسلام : للدكتور جواد على ، دار النفائس ، بيروت

(٤٨) عصر الرسول : الشيخ محمد عزه دروزه ، مكتبة الرسالة الكويت،

(٤٩) الشعر والشعراء: لإبن قتيبة الدينورى ، شركة البابى ـ مصر

(٥٠) العمدة : لإبن لإبن رشيق ، شركة البابى ـ مصر

(٥١) دائرة المعارف البريطانية : المجلد الثالث عشر، الطبعة الرابعة

(٥٢) علم أصول الفقه: عبدالوهاب خلاف، الطبعة العشرون ، دارالقلم ـ الكويت

(٥٣) الإسلام على مفترق الطرق: المهتدى محمد أسد،مؤسسة الرسالة ـ دمشق

(٥٤) توجيه النظر إلى أصول الأثر: علامة طاهر الجزائرى، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة

(٥٥) الإسلام والمستشرقون : تأليف الدكتور محمد صدر الحسن الندوى من ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ

(٥٦) دراسة فى السيرة: للدكتور عماد الدين خليل، طبعة سادسة ، دارالنفائس ـ بيروت

(٥٧) العلامة السيد أشرف الشمسى ؛ حياته وخدماته ، الشيخ چاند . الجامعة العثمانية حيدر آباد دكن ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

(٥٨) ديوان الفيض: مولانا فيض الحسن ، مطبوعه حيدرآباددكن ١٣٣٤هـ

(٥٩) ديوان أحمد: مولانا أحمد حسين الرسولفورى، مطبوعة بومبائى ـ ١٣٧٧هـ

(٦٠) قرة العين فى مدح أملح الثقلين ـ الشيخ أحمد عبدالقادر، الكوكنى ، مطبع شهابى بهنڈى بازار ممبئى ١٣١٨هـ

(٦١) قصيدة العنبرية فى مدح خير البرية : مآثرصديقى (حصه دوم) نواب صديق حسن خان نول كشور پريس لكهنو : ١٩٢٩ء

(٦٢) قصيدة وحيديه فى نعت خير البرية : مولانا حكيم محمد وحيد الدين عالى الحيدرآبادى نيشنل فائن پريس چار كمان ، مغل پوره حيدرآباد. ١٩٦٦ء

(٦٣) الجواهر المضيئة فى نعت خير البرية : مولانا حكيم محمد وحيدا لدين عالى الحيدرآبادى نيشنل فائن پريس چار كمان ، مغل پوره حيدرآباد. ١٣٥٨هـ

(٦٤) الجواهر الزاهرة فى مدح النبى وآله الطاهرة : مولانا حكيم محمد وحيدالدين عالى الحيدرآبادى نيشنل فائن پريس چار كمان ، مغل پوره حيدرآباد. ١٣٥٨هـ

(٦٥) لامية الدكن المسماة صمصامة الزمن : السيد إبراهيم الحيدرآبادى شمس الإسلام پريس حيدرآباد ـ دكن ، ١٣٥٦هـ

(٦٦) لامية الهند للقاضى المقتدر الدهلوى، قام بجمعه امتياز على عرشى الرامفورى، مجلة ثقافة الهند ، ستمبر ١٩٥٠ء ـ ١٣٧٠هـ

(٦٧) أطيب النعم فى مدح سيد العرب والعجم : الشاه ولى الله الدهلوى ، المكتبة المركزية ندوة العلماء لكناؤ

(٦٨) قصيدة عربية للشيخ أصغر على روحى: (مقال الأستاذ فيوض الرحمن) مجله بينات كراتشى، فبراير ، ١٩٧٧م ، صفر ١٣٩٧هـ

(٦٩) قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم :للشاه رفيع الدين الدهلوى آثار الصناديد للسرسيد أحمد خان(الحزء الثانى) الطبعة الثانية ـ اردواكادمى دهلى ١٩٩٢م

(٧٠) القصيدة الهمزية فى مدح خير البرية:الشيخ عبدالرزاق الكوبامئوى، المكتبة المركزية ندوة العلماء لكناؤ الأدب العربى: رقم ١٠٣٤

(٧١) قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، أطيب النعم فى مدح سيد العرب والعجم ندوة العلماء : رقم ٥٦٣

(٧٢) تحفة الثقلين: غلام على آزاد البلجرامى ، مطبع نور الأنوار ، آرا ١٨٧٧م ـ ١٢٩٤هـ
(٧٣) السبعة السيارة :غلام على آزاد البلجرامى ، مطبع آسى لكناؤ ، الهند
(٧٤) الديوان الأول : غلام على آزاد البلجرامى ، مطبعة كنزالعلوم حيدر آباد ـ دكن
(٧٥) الديوان الثانى : غلام على آزاد البلجرامى ، مطبعة كنزالعلوم حيدر آباد ـ دكن
(٧٦) الديوان الثالث: غلام على آزاد البلجرامى ، مطبعة كنزالعلوم حيدر آباد ـ دكن
(٧٧) البصائر فى تذكيرالعشائر : الشيخ محمد عبدالحى الكفليتوى ادارهٔ تبليغ الإسلام دارالعلوم أشرفيه ، راندير ، ضلع سورت ، كجرات
(٧٨) الجوهرة الفرده فى ، تخميس البردة : السيد على الحيدرآبادى، مطبعة فخر النظامى ، حيدر آباد ـ دكن
(٧٩) المديح : سامى الدّهان ، دارالمعارف بمصر ، ١١١٩ كور النيل القاهرة،
(٨٠) وسيلة المغفرة: محمد خليل الرحمن البرهانفورى : مطبع نظامى كانپور، ١٢٩٧هـ
(٨١) قصيدهٔ نعتيه : أبو طاهر سيف الدين ، مطبوعه ١٣٧٢هـ
(٨٢) قصيدهٔ نعتيه : أبو طاهر سيف الدين ، مطبوعه ١٣٧٢هـ
(٨٣) قصيدهٔ نعتيه : أبو طاهر سيف الدين ، مطبوعه ١٣٦١هـ
(٨٤) قصيدهٔ نعتيه : أبو طاهر سيف الدين ، مطبوعه ١٣٦١هـ
(٨٥) قصيدهٔ نعتيه : أبو طاهر سيف الدين ، مطبوعه برٹش انڈيا پريس مجگاؤں ،بمبئى
(٨٦) القصيدة الهمزية : السيد طاهر الرضوى القادرى ، يس يم برنتر ، سيد على غوره حيدرآباد (الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م)
(٨٧) زفرات الشوق : عبدالقدير محمد الصديقى، حيدر آباد دكن ، ١٣٥٣هـ
(٨٨) كتاب الصناعتين : أبوهلال العسكرى ، دارالنفائس ، بيروت
(٨٩) ثمار الخلود : السيد محمد برهان الدين ، مطبوعه ،١٤١٢هـ
(٩٠) الأدب المقارن: الدكتور محمدغنيمى هلال ، دار النفائس بيروت
(٩١) المجموعةالنبهانية فى المدائح النبوية : (أربع مجلات) يوسف بن إسماعيل النبهانى ١٣٢٠هـ
(٩٢) المديح النبوى فى القرن الأول الهجرى : دكتور على صافى حسين ،بيروت ١٣٢٠هـ
(٩٣) مشكلات القرآن : مولانا أنور شاه الكشميرى، جمال پريس ، دهلى ـ ١٣٥٧هـ
(٩٤) كنزل البركات فى ترجمة أبى الحسنات : مولانا حفيظ الله ، مطبع آسى ـ لكهنو
(٩٥) جمهرة الأمثال : للعسكرى ، طبع بومبائى ، ١٣٠٧هـ

(٩٦) الأمثال : للميدانى ، طبع بولاق ، ١٢٨٣هـ
(٩٧) فرائد اللآلى : طبع بيروت
(٩٨) كتاب الأمثال : لأبى الخير زيد بن رفاعة الكاتب ، طبع حيدر آباد، ١٣٥١هـ
(٩٩) الحطة فى ذكر الصحاح الستة : نواب صديق حسن خان قنوجى، مطبع كانپور
(١٠٠) إنسان العين فى مشائخ الحرمين : شاه ولى الله الدهلوى ، مطبع كانپور
(١٠١) الإنصاف فى بيان سبب الإختلاف : ترجمة المؤلف بقلم السيد السابق ، مصر
(١٠٢) تقديم حجة الله البالغة : الشيخ محمد شريف سكر، دارإحياء العلوم ، بيروت ١٩٩٠م
(١٠٣) جهود أهل الحديث فى خدمة القرآن الكريم : عبدالرحمن الفربوائى ، الجامعة السلفلية بنارس
(١٠٤) اليانع الجنى : محمد بن يحى محسن الترهتى مطبع صديقى، ١٢٨٧هـ
(١٠٥) مختارات من أدب العرب : ج١، السيد أبو الحسن على الندوى، مكتبة دارالعلوم ، ندوة العلماء لكهنو
(١٠٦) تاريخ الأدب العربى : أحمد حسن الزيات ـ الطبعة الخامسة والعشرون
(١٠٧) ترجمة غلام على آزاد البلكرامى: بقلم السيد على الزينبى ، مقدمة السبعة السيارة ، مطبع آسى لكناؤ
(١٠٨) الأعلام: للزركلى خير الدين ، دارالنفائس ، بيروت
(١٠٩) حركة التأليف باللغة العربية :دكتور جميل أحمد ، طبع لاهور
(١١٠) معجم المؤلفين : رضاكحالة ، دارالكتب العلمية، بيروت
(١١١) معجم المطبوعات :لسركيس ، دارالنفائس، بيروت
(١١٢) القاديانى والقاديانية: السيد أبو الحسن على الندوى، طبع الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة
(١١٣) جلاء العينين : للعلامة نعمانى الألوسى البغدادى، دارالنفائس ، بيروت
(١١٤) الدرر الثمينة : المرزا غلام أحمد قاديانى ، احمديه مسلم مشن ، لندن
(١١٥) علماء العربية ومساهماتهم فى الأدب العربى فى عهد الآصف جاهية : مقالة قدمها سلطان محى الدين لنيل الشهادة الدكتوراةفى الأدب العربى من الجامعة العثمانية ، حيدر آباد، ابريل ، ١٩٨٧م
(١١٦) مناقب الشيخ صدقة الله : للشيخ محمود الطيبى، طبع مدراس، الهند
(١١٧) الفضل الموهبى : للمفتى أحمد رضا خان ، طبع لاهور ، ١٣٩٨هـ
(١١٨) شعراء الرسول فى ضوء الواقع والقريض: فضيلة الأستاذ الدكتور سعيد

الأعظمى الندوى رئيس التحرير لمجلة البعث الإسلامى وعميدلدارالعلوم لندوة العلماء ، مكتبة فردوس ، مكارم نكر ، لكناؤ ، ١٩٩٧م
(١١٩) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الأدب العربى ، دكتور زبير أحمد الفاروقى ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
(١٢٠) جرعة الضرب فى مدح سيد العرب : الشيخ محمد ناصر البلياوى، الطبعة الأولىٰ، مطبعة الجامعة الملية ، دهلى. ١٣٥١هـ ١٩٣٢م
(١٢١) قصائد الشيخ فضل حق : نسخة خطية فى مقتنيات سبحان الله ، مكتبة مولانا آزاد جامعة على كراه الإسلامية، رقم النسخة ١/٧١٢-٨٩٢، ٢/٧١٢-٧٦٢
(١٢٢) معين اللبيب فى جمع قصائد الحبيب ، للشيخ حبيب الرحمن العثمانى ، المكتبة الاعزازية ، ديوبند
(١٢٣) قصيدة أخلاقية مناجاتية الشيخ حبيب الرحمن العثمانى، المطبعة القاسمية ، ديوبند
(١٢٤) مجموعة قصائد ومراثى وقطعات وتاريخ وفاة المولوى عبدالباقر خان ، للشيخ حبيب الرحمان العثمانى، المطبعة القاسمية، ديوبند
(١٢٥) الأعلام : الجزء السادس ، للسيد عبدالحى الحسنى، مكتبة دارعرفات رائے بريلى، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م
(١٢٦) الأعلام : الجزء السابع ، للسيد عبدالحى الحسنى، مكتبة دارعرفات رائے بريلى، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م
(١٢٧) الأعلام : الجزء الثامن ، للسيد عبدالحى الحسنى، مكتبة دارعرفات رائے بريلى، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م
(١٢٨) جمهرة أشعار العرب: لأبى خطاب القرشى، تحقيق الأستاذ على فاعور ، الطبعة الأولى ، دارالكتاب العربى ، بيروت
(١٢٩) ديوان الفرزدق ، تحقيق دكتور مجيد طرّاد، دارالكتاب العربى ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ١٤١٣هـ، بيروت
(١٣٠) ديوان حسان : تحقيق دكتور حنفى حسنين ، دارالمعارت قاهرة، مصر
(١٣١) شرح ديوان جرير : الطبعة الأولىٰ ، دارالكتاب العربى، بيروت
(١٣٢) ديوان الأخطل : دارالكتاب العربى، بيروت
(١٣٣) البداية والنهاية : ابن كثير ، مكتبة المعارف، بيروت
(١٣٤) الروض الأنف : ابو القاسم عبدالرحمن السهيلى ، طبع مصر ،١٣٤٢هـ
(١٣٥) الإصابة فى تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلانى ، طبع مصر

(١٣٦) قصيدة البردة : عبدالله البوصيرى ، طبع ديوبند
(١٣٧) النقد الأدبى أصوله ومنهاجه : سيد قطب، بيروت
(١٣٨) المدائح النبوية للبرعى
(١٣٩) ديوان الشعر للشبراوى: عبدالله الشبراوى
(١٤٠) المديح سامى الدّهان : الطبعة الثامنة دار المعارف، مصر
(١٤١) تهذيب ابن عساكر : (المجلد الثانى) طبع مصر
(١٤٢) ديوان الفارض : طبع بيروت ١٩٦٢م
(١٤٣) كتاب التوحيد محمد بن عبدالوهاب المملكة العربية السعودية
(١٤٤) الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد مؤسسة الرسالة، بيروت

المجلات والجرائد با للغة العربية

(١) مجلة الجامعة : الجامعة السلفية بنارس الهند، أغسطس ١٩٨٣م شوال ١٤٠٣هـ
(٢) جريد الرائد : دارالعلوم ندوة العلماء : ٢ـ٨ جمادى الأولى ١٤١٧هـ
(٣) مجلة الأضواء : شاه على بنده حيدرآباد ، ١٤٠٧هـ
(٤) مجلة الأضواء : شاه على بنده حيدرآباد ،شعبان ١٤١٢هـ فبراير ١٩٩٢م
(٥) مجلة الأضواء : خلوت حيدرآباد ، العدد السادس ١٤١٥هـ ١٩٩٥م
(٦) مجلة البعث الإسلامي: الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ ـ ربيع الثانى ١٣٩٩هـ
(٧) مجلة البعث الإسلامي: الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ ـ شوال ١٤١٨هـ فبراير، مارس ١٩٩٦م
(٨) مجلة البعث الإسلامي: الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ ـ شوال ١٤١٨هـ فبراير١٩٩٨م
(٩) مجلة ثقافة الهند المجلد: ٤٣ ، العدد٢ ، الصادرة من الحكومة المركزية دهلى سنة ١٩٩٢م
(١٠) مجلة ثقافة الهند المجلد: ٤٣ ، العدد٢ ، الصادرة من الحكومة المركزية دهلى سنة ١٩٩٢م
(١١) مجلة البعث الإسلامي: الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ ـ ذوالحجة ١٤١٨هـ ابريل ١٩٩٨م
(١٢) مجلة البعث الإسلامي: الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ ـ محرم ١٤١٩هـ مايو١٩٩٨م

كتب المصادر والمراجع با للغة الأردية

(١) هندوستان میں عربی علوم وفنون کے ممتاز علماء اور ان کی علمی خدمات: ڈاکٹر محمد یونس نگرامی ندوی ، نامی پریس لکھنو ـ ستمبر ١٩٧٩ء
(٢) عربی زبان وادب عهد مغلیه میں: ڈاکٹر شبیر احمد ندوی ، نظامی پریس لکھنو، ستمبر ١٩٨٢ء
(٣) حدائق الحنفية : فقیر محمد جهلمی ، مطبع نول کشور ، ١٣٠٨هـ
(٤) بزم تیموریه: صباح الدین عبدالرحمن ، دارالمصنفین ، اعظم گڑه
(٥) رود کوثر : شیخ محمد اکرم ، فیروز سنز، لاهور ١٩٥٨ء
(٦) تراجم علماء حدیث: ابو یحی امام خاں نوشهری ، جید برقی پریس دهلی
(٧) مقامات مظهری: شاه غلام علی دهلوی ، مطبع مجتبائی ١٣٠٩هـ
(٨) تذکره شیخ محمد بن طاهر پٹنی : شیخ غلام ابو ظفر ندوی ، گجرات
(٩) مقالات سلیمانی : علامه سید سلیمان ندوی ، دارالمصنفین ' اعظم گڑه
(١٠) اورنگ زیب اورتدوین فتاویٰ عالمگیری : محمد صدر الحسن ندوی اسلامی اکیڈمی برائے تحقیقات ونشریات اورنگ آباد مهاراشٹر
(١١) برصغیر هندوپاك میں علم فقه: مولانا محمد اسحاق بهٹی ، پاکستان
(١٢) مآثر صدیقی: نواب صدیق حسن خاں ، نول کشور پریس لکهنو، ١٩٢٨ء
(١٣) تذکره علماء فرنگی محل : عنایت الله فرنگی محل ، مطبع اشاعت العلوم ، لکهنوء ١٩٣٠ء
(١٤) تذکره علماء هند : رحمن علی ترجمه ایوب قادری مشهور آفیسٹ پریس کراچی' ١٩٦١ء
(١٥) تذکره علماء مبارکپور: قاضی اطهر مبارکپوری ، مطبوعه رحیمی پریس بمبئی
(١٦) تجلیات عثمانی: پروفیسر انوار الحسن انور ، مطبوعه دیوبند
(١٧) تذکرة الخلیل : عاشق علی میرٹهی ، مهبوعه دهلی
(١٨) آپ بیتی : مولانا زکریا کاندهلوی ، مفتی محله سهارنپور
(١٩) تذکرهٔ مولانا محمد یوسف : محمد ثانی حسنی ، تنویر پریس لکهنو ، ١٩٦٧م
(٢٠) تذکرة الاعزاز: محمد انظر شاه کشمیری ، مطبوعه دیوبند بذریعه یونین پرنٹنگ پریس دهلی ، ١٩٥٣ء

(۲۱) حیات شیخ الهند: مولانا سید اصغر حسین ، ادارۂ اسلامیات ' انارکلی لاہور ' جنوری ۱۹۷۷ء
(۲۲) تذکرۂ مشائخ دیوبند، مطبوعہ مدینہ پریس بجنور، ۱۹۵۸ء
(۲۳) شانِ رسول عربی : سلطان پیر کوٹی '
جے ہند پرنٹنگ پریس نہرو گارڈن روڈ ، جالندھر ۱۹۷۶م
(۲٤) کرامات الصادقین: غلام احمدقادیانی
جے ہند پرنٹنگ پریس نہرو گارڈن روڈ ، جالندھر ۱۹۷۶م
(۲۵) فضائل انتخاب (جلد پنجم): محمد انتخاب قدر نعیمی
ناشر جامعۂ قدیریہ نعیمیہ ، مراد آباد
(۲٦) نورانی اسلام : مرتبہ حمایت اقبال ، مینار بکڈپو ، چار کمان ، حیدر آباد
(۲۷) شان محمد : مرتبہ حمایت اقبال ، مینار بکڈپو ، چار کمان ، حیدر آباد
(۲۸) اجناس الجناس ملقب بہ مرصع: مفتی محمد عباس لکھنوی،
مطبوعہ بستان مرتضوی، لکھنوی
(۲۹) حیاتِ انور: مولانا ازہر شاہ قیصر ، مطبوعہ دیوبند، یوپی
(۳۰) علماء ہند کا شاندار ماضی: مولانا محمد میاں ، الجمیعۃ پریس ' دہلی ۱۹۸۵ء
(۳۱) مولانا انور شاہ کشمیری حیات اور کارنامے: قاری رضوان احمد
مطبوعہ علیگڑہ مسلم یونیورسٹی ' شعبہ دینیات
(۳۲) عربی میں نعتیہ کلام: مولانا سید عبداللہ عباس ندوی ،
مکتبہ اسلام گوئن روڈ لکھنو،نامی پریس ' لکھنو، ۱۳۹۵ھ ۱۹۷۵ء
(۳۳) ردائے رحمت : مولانا سید عبداللہ عباس ندوی ،
مکتبہ فردوس ' مکارم نگر لکھنو ' اسکائی لائن ' پرنٹرس ' لکھنو۔ ۱۹۸۹ء
(۳٤) حیات شیخ عبدالحق محدث دہلوی: خلیق احمد نظامی ، خواجہ پریس دہلی ۱۹۵۳م
(۳۵) تذکرہ شیخ عبدالحق : سید احمد قادری، آزاد پریس ، پٹنہ ۱۳۷۰ھ
(۳٦) شاہ ولی اللہ کے سیاسی مکتوبات : خلیق احمد نظامی ، ندوۃ المصنفین ، دہلی
(۳۷) شاہ ولی اللہ اور ان کی سیاسی تحریک: عبید اللہ سندھی ،
کتب خانہ پنجاب لاہور، ۱۹٤۲م
(۳۸) الفرقان ' شاہ ولی اللہ نمبر ج۷: مولانا منظور احمد نعمانی مرحوم، بریلی ۱۳۵۹ھ
(۳۹) ہندوستانی مفسرین اور ان کی عربی تفسیریں : سالم قدوائی ،
مکتبہ جامعہ ' دہلی، ۱۹۷۳ھ

(٤۰) تجدید واحیائے دین: مولانا سید ابو الاعلیٰ مودودی،
مکتبہ جماعت اسلامی رامپور، ۱۹۵٤ء
(٤۱) تشکیل جدید الٰہیات اسلامیہ : علامہ اقبال ، لاہور ۱۹۵۹ء
(٤۲) اصول فقہ اور شاہ ولی اللہ : مظہر بقا، اسلام آباد ۱۹۷۳ء
(٤۳) تذکرہ شاہ ولی اللہ: مولانا مناظر احسن گیلانی ' نفیس اکیڈمی ' کراچی ۱۹۵۹ء
(٤٤) ارمغان شاہ ولی اللہ : پروفیسر محمد سرور، کاکوری ۱۹۸۸ء
(٤۵) شاہ ولی اللہ اور ان کا فلسفۂ عمرانیات ومعاشیات: بشیر احمد ، لاہور ۱۹٤۵ء
(٤٦) ولی اللہ : محمد اسماعیل کودھروی،لاہور ۱۹٦۸ء
(٤۷) مسلمانوں کا عروج وزوال : سعید احمد اکبر آبادی ، ندوۃ المصنفین، دہلی، ۱۹٤۷ء
(٤۸) دائرہ معارف اسلامیہ : پنجاب یونیورسٹی ' لاہور پاکستان
(٤۹) امیر الروایات: امیر شاہ خاں ، سہارنپور
(۵۰) تعارف مخطوطات دارالعلوم دیوبند: مولانا ظفیر الدین مفتاحی، دیوبند ۱۹۷۰ء
(۵۱) محاسن موضح القرآن : مولانا اخلاق حسین قاسمی،
ادارۂ رحمت عالم ، دہلی ،۱۹۷۷ء
(۵۲) تاریخ التفسیر : عبدالصمد صارم' جید برقی پریس ، دہلی ۱۹۵۵ء
(۵۳) تذکرۃ المفسرین: قاضی محمد زاهد الحسینی، کیمل پور ، پاکستان
(۵٤) افکار شاہ ولی اللہ : قاضی جاوید ، لاہور، ۱۹٤۷ء
(۵۵) علم حدیث میں پاك وهند کا حصہ: محمد اسحاق
ترجمہ شاہ حسین رزاقی، ادارہ ثقافت اسلامیہ ، لاہور، ۱۹۷۷ء
(۵٦) ہندوستان میں مسلمانوں کا نظام تعلیم وتربیت :
مولانا مناظر احسن گیلانی، ندوۃ المصنفین ، دہلی
(۵۷) جائزۂ تراجم قرآن: مولانا سالم قاسمی ، مجلس معارف القرآن دیوبند ۱۹٦۸ء
(۵۸) شاہ ولی اللہ محدث دہلوی: عبدالقیوم مظاہری، کانپور، ۱۹٦۷ء
(۵۹) تاریخ دعوت وعزیمت (جلد پنجم) : مولانا سیدابوالحسن علی ندوی،
مجلس تحقیقات ونشریات اسلام لکھنو، ۱۹۸٤ء
(٦۰) القول الجلی : محمد عاشق پھلتی '
ترجمہ اردو تقی انور علی کاکوری۱۹۸۸
(٦۱) شاہ ولی اللہ کے اجداد گرامی : نورالحسن راشد کاندھلوی
فکر ونظر ، اسلام آباد جولائی ۱۹۸۷ء

(٦٢) ملفوظات شاه عبدالعزيز : ترجمه مولوی عبدالرحمن ، کتب خانه دارالعلوم دیوبند ١٩٥٥ء

(٦٣) حیاتِ ولی: رحیم بخش دهلوی، مکتبه لاهور

(٦٤) شاه ولی الله اور ان کا فلسفه : عبیدالله سندهی ، سنده ساگر اکیڈمی لاهور١٩٤٤ء

(٦٥) شاه ولی الله اور ان کا خاندان: محمد احمد برکاتی ، مجلس اشاعت اسلام لاهور ١٩٧٣ء

(٦٦) شاه ولی الله اور ان کا نسبی وفکری خاندان: مولانا اخلاق حسین قاسمی جامعه رحیمیه ، نئی دهلی

(٦٧) آثار الصنادید: سرسید احمد خان، دهلی ١٩٦٥ء

(٦٨) عربی ادب میں هندوستان کا حصه: شمس تبریز خان ، لکهنو

(٦٩) حضرت شاه ولی الله کی قرآنی فکر کا مطالعه : مولانا محمدسعود عالم قاسمی اسلامك بك فاؤنڈیشن نئی دهلی، ١٩٩٤ء

(٧٠) تذکرة المصنفین: مولانا حبیب الرحمن مظاهری خیرآبادی مکتبه ادارهٔ معارف ملی ، کانپور ١٣٧٩هـ

(٧١) حکماء اسلام : مولانا عبدالسلام قدوائی ندوی، دارالمصنفین ، اعظم گڑھ ١٩٥٦ء

(٧٢) الکواکب الدرّیة (تقی عباس لکهنوی کے حالات پر مشتمل کتاب): سید محمد مهدی ، مطبع بستان مرتضوی، لکهنوی

(٧٣) قادیانیت: مولانا محمد منظور نعمانی، الفرقان بکڈپو نظیر آباد لکهنو

(٧٤) قادیانیت: مولانا سید ابوا لاعلیٰ مودودی ، مرکزی مکتبه اسلامی ، دهلی

(٧٥) رسائل ابراهیمیه: علامه سید ابراهیم ، اعجاز پرنٹنك پریس چهته بازار حیدر آباد

(٧٦) نواب صدیق حسن خان : ڈاکٹر رضیه حامد، یونیورسل آفیسٹ پرنٹرس ٢٦٢٢ کوچه چیلان ، دریا گنج ، نئی دهلی ، سن طباعت ١٩٨٣ء

(٧٧) کفایة المفتی (جلد ١) : مفتی کفایت الله دهلوی، مطبوعه دهلی

(٧٨) مخدوم المخدوم: سید حبیب پاشاه قادری محیبی مخدومی خانقاه مخدومیه ، فتح دروازه، حیدر آباد،١٤١١هـ

(٧٩) تذکره مولانا محمد ادریس کاندهلوی: محمد میاں صدیقی، مطبوعه لاهور١٣٩٦هـ

(٨٠) اردو میں نعتیه شاعری: ڈاکٹر سید رفیع الدین ، اردو اکاڈمی سنده، کراچی ،اکتوبر١٩٧٦ء

المجلات والجرائد با للغة الأردية

(١) صحيفة بلتز الأسبوعية الصادرة من بومبائی، ١٦ ستمبر١٩٨٧م

(٢) مجلة بينات: مدرسه اسلاميه عربيه كراتشی، فبراير ١٩٧٧م صفر ١٣٩٧هـ

(٣) رساله دارالعلوم ديوبند، محرم ١٣٧٤هـ

(٤) تعمير حيات جلد٢٣ شماره ١٩، ١٠/اگست ١٩٩٦ء ٢٤ /ربيع الاول ١٤١٧هـ ندوة العلماء ، لكهنو

(٥) اخبار الجمعية : جمعية العلماء دهلی، شماره اپريل ١٩٧٤ء

(٦) مجلة الرحيم: حيدر آباد پاكستان، شماره جون ١٩٦٤ء

(٧) مجلة انوار نظاميه: جامعه نظاميه شبلی گنج حيدرآباد ،

(٨) مجلة دارالعلوم: دارالعلوم ديوبند ـ يوپی ، شماره ذی الحجه ١٣٧٢هـ

(٩) ماهنامه معارف : دارالمصنفين ، اعظم گڑھ مارچ ١٩٧٥ء

(١٠) ماهنامه الرشيد (نعت نمبر): لاهور ، ١٤١١هـ

(١١) ماهنامه مجلة الاصلاح : سرائے مير اعظم گڈھ ، جنوری ١٩٣٦ء

كتب المصادر والمراجع باللغة الفارسية

(١) مآثر الكرام: غلام على آزاد بلگرامى، مطبع مفيد عام ، آگره

(٢) اخبار الاخيار: شيخ عبد الحق محدث دهلوى، مطبع مجتبائى، ١٣٣٢هـ

(٣) اتحاف النبلاء: نواب صديق حسن خاں ، مطبع نظامى كانپور

(٤) منتخب التواريخ : ملا عبدالقادر بدايونى، كالج پريس ، كلكته ١٨٦٩ء

(٥) طبقات اكبرى: خواجه نظام الدين ، ايشياٹك سوسائٹى ، كلكته ١٩٣١ء

(٦) خزينة الأصفياء : غلام سرور لاهورى، نول كشور پريس ، لكهنو ١٩١٤ء

(٧) تاريخ الأولياء: امام الدين احمد گلشن آبادى، نول كشور پريس ، لكهنو

(٨) تذكرة الواصلين: محمد رضى الدين بسمل بدايونى، نظامى پريس بدايون ١٩٤٥ء

(٩) مرآة العالم (قلمى) : بختاور خاں، دارالمصنفين أعظم گڈھ

(١٠) مكتوبات ' جلد ثانى: مجدد الف ثانى، نول كشور پريس ، لكهنو: ١٩١٣ء

(١١) انفاس العارفين: شاه ولى الله دهلوى، مطبع مجتبائى دهلى، ١٣٣٥هـ

(١٢) مقدمة فتح الرحمن : شاه ولى الله دهلوى، مطبع انصارى دهلى، ١٣٠٣هـ

(١٣) مجموعة مكتوبات شاه ولى الله : عبدالرحمن ، قلمى كتب خانه، دارالعلوم ديوبند

(١٤) شمائل الأتقياء : شيخ ركن الدين كاشانى خلدآبادى،
اشرف پريس حويلى قديم حيدر آباد، محرم ١٣٤٧هـ

كتب المصادر والمراجع باللغة الانكليزية

1- ARABIC AND PERSIAN IN CARNATIC: BY YUSUF KOKAN, MADRAS.

2- BAQAR AGAH: BY YUSUF KOKAN, MADRAS.

محتويات الكتاب